الإتقان
في علوم القرآن

تأليف

شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

الشافعي المتوفى سنة ٩١١ هجرية

وبالهامش :

إعجاز القرآن

تأليف

القاضي أبي بكر الباقلاني

.....

الجزء الثاني

عالم الكتب
بيروت

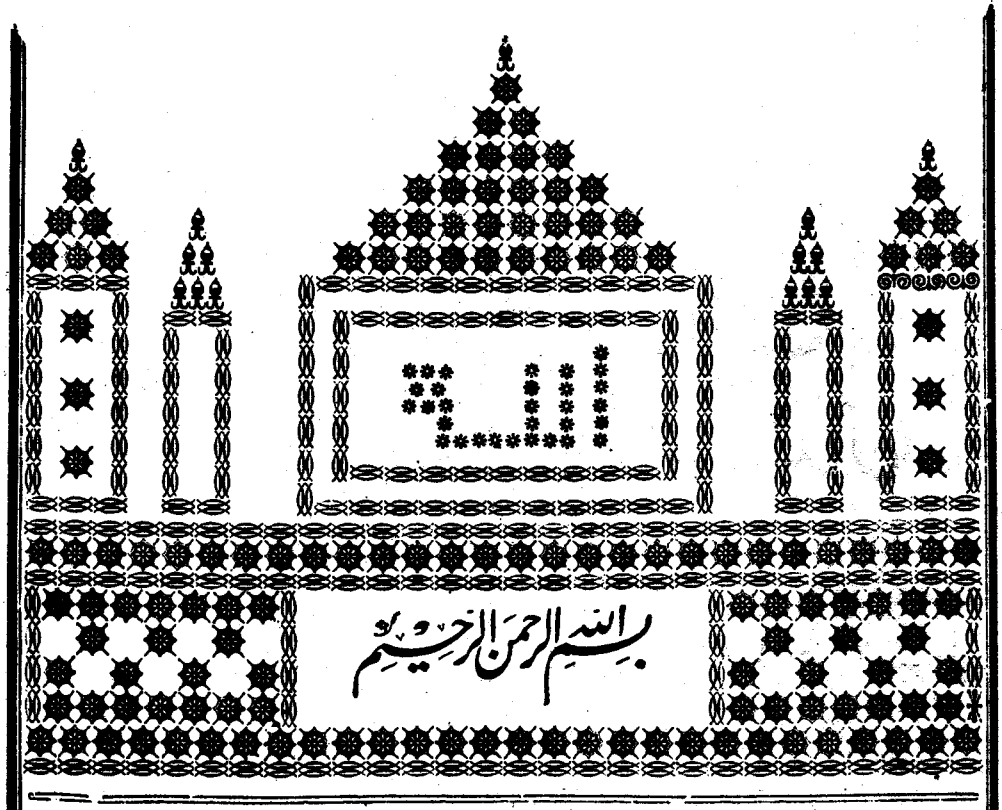

﴿ خطبة لأبي طالب ﴾

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوبا وجعلنا الحكام على الناس وان محمد بن عبدالله ابن أخي لايوازن به فتى من قريش الا رجح به بركة وفضلا وعدلا ومجدا ونبلا وان كان في المال مقلا فان المال عارية مسترجعة وظل زائل وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما أردتم من الصداق فعلي * قد نسخت لك جملا من كلام الصدر الاول ومحاوراتهم وخطبهم وأحيلك فيما لم أنسخ على التواريخ والكتب المصنفة في هذا الشأن فتأمل ذلك وسائر ماهو مسطر من الاخبار المأثورة عن

﴿ النوع الثالث والاربعون في المحكم والمتشابه ﴾

قال تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات وقد حكى ابن حبيب النيسابوري في المسئلة ثلاثة أقوال * أحدها ان القرآن كله محكم لقوله تعالى كتاب أحكمت آياته * الثاني كله متشابه لقوله تعالى كتابا متشابها مثاني * الثالث وهو الصحيح انقسامه الى محكم ومتشابه للآية المصدر بها والجواب عن الآيتين أن المراد باحكامه اتقانه وعدم تطرق النقص والاختلاف اليه و بتشابهه كونه يشبه بعضه بعضا في الحق والصدق والاعجاز وقال بعضهم الآية لاتدل على الحصر في الشيئين إذ ليس فيها شيء من طرقه وقد قال تعالى لتبين للناس مانزل اليهم والمحكم لا تتوقف معرفته على البيان والمتشابه لايرجى بيانه وقد اختلف في تعيين المحكم والمتشابه على أقوال فقيل المحكم ماعرف المراد منه اما بالظهور واما بالتأويل والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة في أوائل السور وقيل المحكم ماوضح معناه والمتشابه نقيضه وقيل المحكم مالايحتمل من التأويل الا وجها واحدا والمتشابه مااحتمل أوجها وقيل المحكم ماكان معقول المعنى والمتشابه بخلافه كاعداد الصلوات واختصاص الصيام برمضان دون شعبان قاله الماوردي وقيل المحكم ما استقل بنفسه والمتشابه مالا يستقل بنفسه الا برده إلى غيره * وقيل المحكم ماتأويله تنزيله والمتشابه مالايدرك الا بالتأويل وقيل المحكم مالم تكرر ألفاظه ومقابله المتشابه وقيل المحكم الفرائض والوعد والوعيد والمتشابه القصص والأمثال * أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه ومايؤمن به ويعمل به والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وامثاله واقسامه ومايؤمن به ولا يعمل به * وأخرج الفريابي

عن مجاهد قال المحكمات مافيه الحلال والحرام وماسوى ذلك منه متشابه يصدق بعضه بعضا * وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع قال المحكمات هي اوامره الزاجرة * وأخرج عن اسحق بن سويد ان يحيى بن يعمر وابا فاختة تراجعا في هذه الآية فقال أبو فاختة فواتح السور وقال يحيى الفرائض والامر والنهي والحلال * وأخرج الحاكم وغيره عن ابن عباس قال الثلاث آيات من آخر سورة الانعام محكمات قل تعالوا والآيتان بعدها * واخرج ابن أبي حاتم من وجه آخر عن ابن عباس في قوله تعالى فيه آيات محكمات قال من هاهنا قل تعالوا الى ثلاث آيات ومن هاهنا وقضى ربك الا تعبدوا إلا اياه الى ثلاث آيات بعدها * وأخرج عبد بن حميد عن الضحاك قال المحكمات مالم ينسخ منه والمتشابهات ماقد نسخ * واخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال المتشابهات فيما بلغنا الم والمص والمر والر قال ابن أبي حاتم وقد روى عن عكرمة وقتادة وغيرهما ان المحكم الذي يعمل به والمتشابه الذي يؤمن به ولا يعمل به ﴿فصل﴾

اختلف هل المتشابه مما يمكن الاطلاع على علمه أو لا يعلمه الا الله على قولين منشؤهما الاختلاف في قوله والراسخون في العلم هل هو معطوف و يقولون حال او مبتدأ خبره يقولون والواو للاستئناف وعلى الاول طائفة يسيرة منهم مجاهد وهو رواية عن ابن عباس * فاخرج ابن المنذر من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم قال انا ممن يعلم تأويله * وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد في قوله والراسخون في العلم قال يعلمون تأويله و يقولون آمنا به * واخرج ابن ابي حاتم عن الضحاك قال الراسخون في العلم يعلمون تأويله لو لم يعلموا تأويله لم يعلموا ناسخه من منسوخه ولا حلاله من حرامه ولا محكمه من متشابهه واختار هذا القول النووي فقال في شرح مسلم انه الاصح لانه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لاحد من الخلق الى معرفته وقال ابن الحاجب انه الظاهر وما الا كثرون من الصحابة والتابعين واتباعهم ومن بعدهم خصوصا أهل السنة فذهبوا الى الثاني وهو اصح الروايات عن ابن عباس قال ابن السمعاني لم يذهب الى القول الاول الا شرذمة قليلة واختاره العتبي قال وقد كان يعتقد مذهب أهل السنة لكنه

السلف وأهل البيان واللسان والفصاحة والفطن والالفاظ المنثور والمخاطبات الدائرة بينهم والامثال المنقولة عنهم ثم انظر بسكون طائر وخفض جناح وتفريغ لب وجمع عقل في ذلك فسيقع لك الفصل بين كلام الناس وبين كلام رب العالمين وتعلم ان نظم القرآن يخالف نظم كلام الآدميين وتعلم الحد الذي يتفاوت بين كلام البليغ والبليغ والخطيب والخطيب والشاعر والشاعر وبين نظم القرآن جملة فان خيل اليك اوشبه عليك وظننت

ابن مسعود عن النبي ﷺ قال كان الكتاب الاول ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا * وأخرج البيهقي في الشعب نحوه من حديث أبي هريرة * وأخرج ابن جرير عن ابن عباس مرفوعا أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه الا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب ثم اخرجه من وجه آخر عن ابن عباس موقوفا بنحوه * وأخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال نؤمن بالمحكم وندين به ونؤمن بالمتشابه ولا ندين به وهو من عند الله كله * وأخرج أيضا عن عائشة قالت كان رسوخهم في العلم ان آمنوا بمتشابهه ولا يعلمونه * وأخرج أيضا عن أبي الشعثاء وأبي نهيك قالا انكم تصلون هذه الآية وهي مقطوعة * وأخرج الدارمي في مسنده عن سليمان بن يسار ان رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل اليه عمر وقد أعد له عراجين النخل فقال من أنت قال انا عبد الله بن صبيغ فاخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه حتى دمى رأسه وفي رواية عنده فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دبرة ثم تركه حتى برأ ثم عاد ثم تركه حتى برأ فدعا به ليعود فقال ان كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا فاذن له الى أرضه وكتب الى أبي موسى الاشعري لا يجالسه أحد من المسلمين * واخرج الدارمي عن عمر بن الخطاب قال انه سيأتيكم ناس يجادلونكم بمشتبهات القرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله فهذه الاحاديث والآثار تدل على ان المتشابه مما لا يعلمه الا الله وان الخوض فيه مذموم وسيأتي قريبا زيادة على ذلك قال الطيبي المراد بالمحكم ما اتضح معناه والمتشابه بخلافه لان اللفظ الذي يقبل معنى اما ان يحتمل غيره أولا والثاني النص والاول اما ان تكون دلالته على ذلك الغير ارجح أولا والاول هو الظاهر والثاني اما ان يكون مساويه أولا والاول هو المجمل والثاني المؤول فالمشترك بين النص والظاهر هو المحكم والمشترك بين المجمل والمؤول هو المتشابه ويؤيد هذا التقسيم انه تعالى اوقع المحكم مقابلا للمتشابه قالوا فالواجب ان يفسر المحكم بما يقابله ويعضد ذلك أسلوب الآية وهو الجمع مع التقسيم لانه تعالى فرق ما جمع في معنى الكتاب بان قال منه آيات محكمات واخر متشابهات وأراد أن يضيف الى كل منهما ما شاء فقال أولا فاما الذين في قلوبهم زيغ الى ان قال والراسخون في العلم يقولون آمنا به وكان يمكن ان يقال واما الذين في قلوبهم استقامة فيتبعون المحكم لكنه وضع موضع ذلك والراسخون في العلم لاتيان لفظ الرسوخ لانه لا يحصل الا بعد التثبت التام والاجتهاد البليغ فاذا استقام القلب على طرق الارشاد ورسخ القدم في العلم افصح صاحبه النطق بالقول الحق وكفى بدعاء الراسخين في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الخ شاهدا على أن الراسخون في العلم مقابل لقوله والذين في قلوبهم زيغ وفيه اشارة الى ان الوقف على قوله الا الله تام والى ان علم بعض المتشابه مختص بالله تعالى وان من حاول معرفته هو الذي اشار اليه في الحديث بقوله فاحذروهم وقال بعضهم العقل مبتلى باعتقاد حقية المتشابه كابتلاء البدن باداء العبادة كالحكيم اذا صنف كتابا اجمل فيه احيانا ليكون موضع خضوع المتعلم لاستاذه وكالملك يتخذ علامة يمتاز بها من يطلعه على سره وقيل لو لم يبتل العقل الذي هو اشرف البدن لاستمر العالم في ابهة العلم على التمرد فبذلك يستأنس الى التذلل بعز العبودية والمتشابه هو موضع خضوع العقول لباريها استسلاما واعترافا بقصورها وفي ختم الآية بقوله تعالى وما يذكر إلا اولوا الالباب تعريض بزائغي ومدح للراسخين يعني من لم يتذكر ويتعظ ويخالف هواه فليس من أولي

فصل فيه نظر بين المتكلمين وكلام بين المحققين سمعت افضل من رأيت من أهل العلم بالادب والحذق بهذه الصناعة مع تقدمه في الكلام يقول ان الكلام المنثور يتأتى فيه من الفصاحة والبلاغة مالا يتأتى في الشعر لان الشعر يضيق نطاق الكلام ويمنع القول من انتهائه ويصده عن تصرفه على سننه وحضره من يتقدم في صنعة الكلام فراجعه في ذلك وذكر أنه لا يمتنع أن يكون الشعر ابلغ اذا صادف شروط الفصاحة وابدع اذا تضمن اسباب البلاغة ويشهد عندي للقول الاخير ان معظم براعة كلام العرب في الشعر ولا تجد في منثور قولهم منه ما تجد في منظومه وان كان قد احدثت البراعة في الرسائل على حد لم يعهد في سالف أيام العرب ولم ينقل من دواوينهم واخبارهم وهو وان ضيق نطاق

العقول ومن ثم قال الراسخون ربنا لا تزغ قلوبنا إلى آخر الآية فخضعوا لباريهم لاستنزال العلم اللدنى بعد ان استعاذوا به من الزيغ النفسانى وقال الخطابى المتشابه على ضربين أحدهما ما اذا رد الى المحكم واعتبر به عرف معناه والآخر ما لا سبيل الى الوقوف على حقيقته وهو الذى يتبعه أهل الزيغ فيطلبون تأويله ولا يبلغون كنهه فيرتابون فيه فيفتتنون وقال ابن الحصار قسم الله آيات القرآن الى محكم ومتشابه وأخبر عن المحكمات انها أم الكتاب لان اليها ترد المتشابهات وهى التى تعتمد فى فهم مراد الله من خلقه فى كل ما تعبدهم به من معرفته وتصديق رسله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وبهذا الاعتبار كانت أمهات ثم أخبر عن الذين فى قلوبهم زيغ أنهم هم الذين يتبعون ما تشابه منه ومعنى ذلك ان من لم يكن على يقين من المحكمات وفى قلبه شك واسترابة كانت راحته فى تتبع المشكلات المتشابهات ومراد الشارع منها التقدم الى فهم المحكمات وتقديم الامهات حتى إذا حصل اليقين ورسخ العلم لم تبل بما أشكل عليك ومراد هذا الذى فى قلبه زيغ التقدم إلى المشكلات وفهم المتشابه قبل فهم الامهات وهو عكس المعقول والمعتاد والمشروع ومثل هؤلاء مثل المشركين الذين يقترحون على رسلهم آيات غير الآيات التى جاؤا بها ويظنون انهم لو جاءتهم آيات أخر لآمنوا عندها جهلا منهم وما علموا ان الايمان باذن الله تعالى اه وقال الراغب فى مفردات القرآن الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب محكم على الاطلاق ومتشابه على الاطلاق ومحكم من وجه متشابه من وجه فالمتشابه بالجملة ثلاثة أضرب متشابه من جهة اللفظ فقط ومن جهة المعنى فقط ومن جهتهما فالأول ضربان أحدهما يرجع الى الالفاظ المفردة اما من جهة الغرابة نحو الاب ويزفون أو الاشتراك كاليد واليمين وثانيهما يرجع إلى جملة الكلام المركب وذلك ثلاثة أضرب ضرب لاختصار الكلام نحو وان خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم وضرب لبسطه نحو ليس كمثله شىء لانه لو قيل ليس مثله شىء كان أظهر للسامع وضرب لنظم الكلام نحو أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما تقديره أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا والمتشابه من جهة المعنى أوصاف الله تعالى وأوصاف القيامة فان تلك الاوصاف لا تتصور لنا إذا كان لا يحصل فى نفوسنا صورة ما لم نحسه أو ليس من جنسه والمتشابه من جهتهما خمسة أضرب الاول من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو اقتلوا المشركين والثانى من جهة الكيفية كالوجوب والندب نحو فانكحوا ما طاب لكم من النساء والثالث من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ نحو اتقوا الله حق تقاته والرابع من جهة المكان والامور التى نزلت فيها نحو وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها انما النسىء زيادة فى الكفر فان من لا يعرف عادتهم فى الجاهلية يتعذر عليه تفسير هذه الآية الخامس من جهة الشروط التى يصح بها الفعل ويفسد كشروط الصلاة والنكاح قال وهذه الجملة اذا تصورت علم ان كل ما ذكره المفسرون فى تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم ثم جمع المتشابه على ثلاثة أضرب ضرب لا سبيل الى الوقوف عليه كوقت الساعة وخروج الدابة ونحو ذلك وضرب للانسان سبيل الى معرفته كالالفاظ الغريبة والاحكام القلقة وضرب متردد بين الامرين يختص بمعرفته بعض الراسخين فى العلم ويخفى على من دونهم وهو المشار اليه بقوله ﷺ لابن عباس اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل واذا عرفت هذه الجملة عرفت أن الوقوف على قوله وما يعلم تأويله إلا الله ووصله بقوله والراسخون فى العلم جائزان وان لكل واحد منهما وجها جسيما دل عليه التفصيل المتقدم اه وقال الامام فخر الدين صرف اللفظ عن الراجح الى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل وهو إما لفظى أو عقلى فالاول لا يمكن اعتباره فى المسائل الاصولية لانه لا يكون قاطعا لانه موقوف على انتفاء الاحتمالات العشرة المعروفة وانتفاؤها مظنون والموقوف على المظنون مظنون

القول فهو يجمع حواشيه ويضم أطرافه ونواحيه فهو اذا تهذب فى بابه ووفى له جميع أسبابه لم يقاربه من كلام الآدميين كلام ولم يعارضه من خطابهم خطاب وقد حكى عن المتنبى انه كان ينظر فى المصحف فدخل اليه بعض أصحابه فانكر نظره فيه لما كان رآه عليه من سوء اعتقاده فقال له هذا المكى على فصاحته كان مفحما فان صحت هذه الحكاية عنه فى الحاده عرف بها أنه كان يعتقد أن الفصاحة فى قول الشعر أبلغ واذا كانت الفصاحة فى قول الشعر أو لم تكن وبينا أن نظم القرآن يزيد فى فصاحته على كل نظم ويتقدم فى بلاغته على كل قول بما يتضح به الامر اتضاح الشمس ويتبين به بيان الصبح وقفت على جلية هذا الشأن فانظر فيما نعرضه عليك ما نعرضه ونصور بفهمك ما نصوره ليقع لك موقع عظيم شان

والظنى لا يكتفى به فى الاصول وأما العقلى فانما يفيد صرف اللفظ عن ظاهره لكون الظاهر محالا وأما اثبات المعنى المراد فلا يمكن بالعقل لان طريق ذلك ترجيح مجاز على مجاز وتأويل على تأويل وذلك الترجيح لا يمكن الا بالدليل اللفظى والدليل اللفظى فى الترجيح ضعيف لا يفيد الظن والظن لا يعول عليه فى المسائل الاصولية القطعية فلهذا اختار الائمة المحققون من السلف والخلف بعد اقامة الدليل القاطع على ان حمل اللفظ على ظاهره محال ترك الخوض فى تعيين التأويل اه وحسبك بهذا الكلام من الامام ﴿فصل﴾ من المتشابه آيات الصفات ولابن اللبان فيها تصنيف مفرد نحو الرحمن على العرش استوى كل شىء هالك إلا وجهه ويبقى وجه ربك ولتصنع على عينى يد الله فوق أيديهم والسموات مطويات بيمينه وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الايمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها * أخرج أبو القاسم اللالكائى فى السنة من طريق قرة بن خالد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة فى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى قالت الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والاقرار به من الايمان والجحود به كفر * وأخرج أيضا عن ربيعة ابن أبى عبد الرحمن انه سئل عن قوله الرحمن على العرش استوى فقال الايمان غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق * وأخرج أيضا عن مالك انه سئل عن الآية فقال الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة * وأخرج البيهقى عنه انه قال هو كما وصف نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع * وأخرج اللالكائى عن محمد بن الحسن قال اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الايمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه وقال الترمذى فى الكلام على حديث الرؤية المذهب فى هذا عند أهل العلم من الائمة مثل سفيان الثورى ومالك وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم انهم قالوا نروى هذه الاحاديث كما جاءت ونؤمن بها ولا يقال كيف ولا نفسر ولا نتوهم وذهبت طائفة من أهل السنة الى أننا نؤولها على ما يليق بجلاله تعالى وهذا مذهب الخلف * وكان امام الحرمين يذهب اليه ثم رجع عنه فقال فى الرسالة النظامية الذى نرتضيه دينا وندين الله به عقدا اتباع سلف الامة فانهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها وقال ابن الصلاح على هذه الطريقة مضى صدر الامة وساداتها واياها اختار أئمة الفقهاء وقادتها واليها دعا أئمة الحديث واعلامه ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها ويأباها واختار ابن برهان مذهب التأويل قال ومنشأ الخلاف بين الفريقين هل يجوز أن يكون فى القرآن شىء لم نعلم معناه أولا بل يعلمه الراسخون فى العلم وتوسط ابن دقيق العيد فقال اذا كان التأويل قريبا من لسان العرب لم ينكر او بعيدا توقفنا عنه وآمنا بمعناه على الوجه الذى أريد به مع التنزيه قال وما كان معناه من هذه الالفاظ ظاهرا مفهوما من تخاطب العرب قلنا به من غير توقيف كما فى قوله تعالى ياحسرتى على ما فرطت فى جنب الله فنحمله على حق الله وما يجب له ﴿ذكر ما وقفت عليه من تأويل الآية المذكورة على طريقة أهل السنة﴾ من ذلك صفة الاستواء وحاصل ما رأيت فيها سبعة أجوبة * أحدها حكى مقاتل والكلبى عن ابن عباس ان استوى بمعنى استقر وهذا إن صح يحتاج إلى تأويل فان الاستقرار يشعر بالتجسيم * ثانيها ان استوى بمعنى استولى وردبوجهين أحدهما ان الله تعالى مستول على الكونين والجنة والنار وأهلهما فاى فائدة فى تخصيص العرش والآخر أن الاستيلاء انما يكون بعد قهر وغلبة والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك * وأخرج اللالكائى فى السنة عن ابن الاعرابى انه سئل عن معنى استوى فقال هو على عرشه كما أخبر فقيل يا أبا عبد الله معناه استولى قال اسكت لا يقال استولى على الشىء إلا إذا كان له مضاد فاذا غلب أحدهما قيل استولى * ثالثها انه بمعنى صعد قاله أبو

القرآن وتامل ما رتبته ينكشف لك الحق واذا أردنا تحقيق ما ضمناه لك فمن سبيلنا ان نعمد الى قصيدة متفق على كبر محلها وصحة نظمها وجودة بلاغتها ومعانيها واجماعهم على ابداع صاحبها فيها مع كونه من الموصوفين بالتقدم فى الصناعة والمعروفين بالحذق فى البراعة فنوقفك على مواضع خللها وعلى تفاوت نظمها وعلى اختلاف فصولها وعلى كثرة فضولها وعلى شدة تعسفها وبعض تكلفها وما نجمع من كلام رفيع يقرن بينه وبين كلام وضيع وبين لفظ سوقى يقرن بلفظ ملوكى وغير ذلك من الوجوه التى يجىء تفصيلها ونبين ترتيبها وتنزيلها * فاما كلام مسيلمة الكذاب ومازعم انه قرآن فهو أخس ومن ان نشتغل به وأسخف من أن نفكر فيه وانما نقلنا منه طرفا ليتعجب القارىء وليتبصر الناظر

عبيد ورد بأنه تعالى منزه عن الصعود أيضا * رابعها أن التقدير الرحمن علا أى ارتفع من العلو والعرش له استوى حكاه اسماعيل الضرير فى تفسيره ورد بوجهين أحدهما أنه جعل على فعلا وهى حرف هنا باتفاق فلو كانت فعلا لكتبت بالألف كقوله علا فى الأرض والآخر أنه رفع العرش ولم يرفعه أحد من القراء * خامسها أن الكلام تم عند قوله الرحمن على العرش ثم ابتدأ بقوله استوى له ما فى السموات وما فى الأرض ورد بأنه يزيل الآية عن نظمها ومرادها * قلت ولا يتأتى له فى قوله ثم استوى على العرش * سادسها أن معنى استوى أقبل على خلق العرش وعمد إلى خلقه كقوله ثم استوى إلى السماء وهى دخان أى قصد وعمد إلى خلقها قاله الفراء والاشعرى وجماعة أهل المعانى * وقال اسماعيل الضرير إنه الصواب * قلت يبعده تعديته بعلى ولو كان كما ذكروه لتعدى بالى كما فى قوله ثم استوى الى السماء * سابعها قال ابن اللبان الاستواء المنسوب اليه تعالى بمعنى اعتدل أى قام بالعدل كقوله تعالى قائما بالقسط والعدل هو استواؤه ويرجع معناه الى أنه أعطى بعزته كل شىء خلقه موزونا بحكمته البالغة * ومن ذلك النفس فى قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ووجه بأنه خرج على سبيل المشاكلة مرادا به الغيب لأنه مستتر كالنفس وقوله ويحذركم الله نفسه أى عقوبته وقيل اياه * وقال السهيلى النفس عبارة عن حقيقة الوجود دون معنى زائد وقد استعمل من لفظه النفاسة والشىء النفيس فصلحت للتعبير عنه سبحانه وتعالى * وقال ابن اللبان أولها العلماء بتأويلات منها أن النفس عبر بها عن الذات قال وهذا وان كان سائغا فى اللغة ولكن تعدى الفعل اليها بفى المفيدة للظرفية محال عليه تعالى وقد أولها بعضهم بالغيب أى ولا أعلم ما فى غيبك وسرك قال وهذا حسن لقوله فى آخر الآية انك أنت علام الغيوب * ومن ذلك الوجه وهو مؤول بالذات وقال ابن اللبان فى قوله يريدون وجهه إنما نطعمكم لوجه الله الا ابتغاء وجه ربه الأعلى المراد اخلاص النية وقال غيره فى قوله فثم وجه الله أى الجهة التى أمر بالتوجه اليها * ومن ذلك العين وهى مؤولة بالبصر أو الادراك بل قال بعضهم إنها حقيقة فى ذلك خلافا لتوهم بعض الناس أنها مجاز وانما المجاز فى تسمية العضو بها * وقال ابن اللبان نسبة العين اليه تعالى اسم لآياته المبصرة التى بها سبحانه ينظر للمؤمنين وبها ينظرون اليه قال تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة نسب البصر للآيات على سبيل المجاز تحقيقا لأنها المرادة بالعين المنسوبة اليه وقال قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها قال فقوله واصبر لحكم ربك فانك باعيننا أى بآياتنا تنظر بها الينا وننظر بها اليك ويؤيده أن المراد بالأعين هنا الآيات كونه علل بها الصبر لحكم ربه بصريحا فى قوله انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك قال وقوله فى سفينة نوح تجرى بأعيننا أى بآياتنا بدليل وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها وقال ولتصنع على عينى أى على حكم آيتى التى أوحيتها إلى أمك أن ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم الآية اه وقال غيره المراد فى الآيات كلاءته تعالى أى حفظه * ومن ذلك اليد فى قوله تعالى لما خلقت بيدى بدا لله فوق أيديهم مما عملت أيدينا وان الفضل بيد الله وهى مؤولة بالقدرة وقال السهيلى اليد فى الأصل كالبصر عبارة عن صفة الموصوف ولذلك مدح سبحانه وتعالى بالأيدى مقرونة مع الابصار فى قوله أولى الأيدى والأبصار فلم يمدحهم بالجوارح لأن المدح انما يتعلق بالصفات لا بالجواهر قال ولهذا قال الأشعرى إن اليد صفة وردبها الشرع والذى يلوح من معنى هذه الصفة أنها قريبة من معنى القدرة الا أنها أخص والقدرة أعم كالمحبة مع الارادة والمشيئة فان فى اليد تشريفا لازما وقال البغوى فى قوله بيدى فى تحقيق الله التثنية فى اليد دليل على أنها ليست بمعنى القدرة والقوة والنعمة وانما هما صفتان من صفات ذاته وقال مجاهد اليد ها هنا صلة وتأكيد كقوله ويبقى وجه ربك قال البغوى وهذا تأويل غير قوى لأنها

فانه على سخافته قد أضل وعلى ركاكته قد أذل وميدان الجهل واسع ومن نظر فيما نبهناه عنه وفهم موضع جهله كان جديرا أن يحمد الله على ما رزقه من فهم وآتاه من علم فمما كان يزعم أنه نزل عليه من السماء والليل الاطحم والذئب الادلم والجذع الأزلم ما انتهكت أسيد من محرم وذلك قد ذكر فى خلاف وقع بين قوم أتوه من أصحابه وقال أيضا والليل الدامس والذئب الهامس ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس وكان يقول والشاة والوانها وأعجبها السوداء وألبانها والشاة السوداء واللبن الابيض إنه لعجب محض وقد حرم المذق فما لكم لا تجتمعون وكان يقول صفدع بنت صفدعين نقى ما تنقين اعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين لا الشارب تمنعين ولا الماء

لو كانت صلة لكان لابليس أن يقول ان كنت خلقته فقد خلقتني وكذلك في القدرة والنعمة لا يكون لآدم في الخلق مزية على ابليس وقال ابن اللبان فان قلت فما حقيقة اليدين في خلق آدم قلت الله أعلم بما أراد ولكن الذي استثمرته من تدبر كتابه أن اليدين استعارة لنوعي قدرته القائم بصفة فضله ولنورها القائم بصفة عدله ونبه على تخصيص آدم وتكريمه بأن جمع له في خلقه بين فضله وعدله قال وصاحبة الفضل هي اليمين التي ذكرها في قوله والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى * ومن ذلك الساق في قوله يوم يكشف عن ساق ومعناه عن شدة وأمر عظيم كما يقال قامت الحرب على ساق اخرج الحاكم في المستدرك من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن قوله يوم يكشف عن ساق قال اذا اخفى عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر

اصبر عناق انه شر باق قد سن لي قومك ضرب الاعناق

* وقامت الحرب بنا على ساق * قال ابن عباس هذا يوم كرب وشدة * ومن ذلك الجنب في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله أي في طاعته وحقه لأن التفريط انما يقع في ذلك ولا يقع في الجنب المعهود * ومن ذلك صفة القرب في قوله فاني قريب ونحن أقرب اليه من حبل الوريد أي بالعلم * ومن ذلك صفة الفوقية في قوله وهو القاهر فوق عباده يخافون ربهم من فوقهم والمراد بها العلو من غير جهة وقد قال فرعون وانا فوقهم قاهرون ولا شك أنه لم يرد العلو المكاني * ومن ذلك صفة المجيء في قوله وجاء ربك ويأتي ربك أي أمره لأن الملك انما يأتي بأمره أو بتسليطه كما قال تعالى وهم بأمره يعملون فصار كما لو صرح به وكذا قوله اذهب أنت وربك فقاتلا أي اذهب بربك أي بتوفيقه وقوته * ومن ذلك صفة الحب في قوله يحبهم ويحبونه فاتبعوني يحببكم الله وصفة الغضب في قوله غضب الله عليها وصفة الرضا في قوله رضي الله عنهم وصفة العجب في قوله بل عجبت بضم التاء وقوله وان تعجب فعجب قولهم وصفة الرحمة في آيات كثيرة وقد قال العلماء كل صفة يستحيل حقيقتها على الله تعالى تفسر بلازمها قال الامام فخر الدين جميع الاعراض النفسانية أعني الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والمكر والاستهزاء لها أوائل ولها غايات مثاله الغضب فان أوله غليان دم القلب وغايته ارادة ايصال الضرر الى المغضوب عليه فلفظ الغضب في حق الله لا يحمل على أوله الذي هو غليان دم القلب بل غرضه الذي هو ارادة الاضرار وكذلك الحياء له أول وهو انكسار يحصل في النفس وله غرض وهو ترك الفعل فلفظ الحياء في حق الله يحمل على ترك الفعل لا على انكسار النفس اه وقال الحسين بن الفضل العجب من الله انكار الشيء وتعظيمه وسئل الجنيد عن قوله وان تعجب فعجب قولهم فقال ان الله لا يعجب من شيء ولكن الله وافق رسوله فقال وان تعجب فعجب قولهم أي هو كما تقول * ومن ذلك لفظة عند في قوله تعالى عند ربك ومن عنده ومعناها الاشارة إلى التمكين والزلفى والرفعة * ومن ذلك قوله وهو معكم أينما كنتم أي بعلمه وقوله وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم قال البيهقي الاصح أن معناه أنه المعبود في السموات وفي الارض مثل قوله وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله * وقال الاشعري الظرف متعلق بيعلم أي عالم بما في السموات والارض * ومن ذلك قوله سنفرغ لكم أيه الثقلان أي سنقصد لجزائكم ﴿تنبيه﴾ قال ابن اللبان ليس من المتشابه قوله تعالى ان بطش ربك لشديد لأنه فسره بعده بقوله انه هو يبدئ ويعيد تنبيها على ان بطشه عبارة عن تصرفه في بدئه واعادته وجميع تصرفاته في مخلوقاته

﴿فصل﴾ ومن المتشابه أوائل السور والمختار فيها أيضا انها من الاسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى * أخرج ابن المنذر وغيره عن الشعبي أنه سئل عن فواتح السور فقال ان لكل كتاب سرا وان سر هذا

تكدرين لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون وكان يقول والمبتديات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما اهالة وسمنا لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر ريقكم فامنعوه والمعتر فآووه والباغي فناووه وقالت سجاح بنت الحارث ابن عقبان وكانت تتنبأ فاجتمع مسيلمة معها فقالت له ما أوحى اليك فقال ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى اخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشا وقالت فما بعد ذلك قال أوحى الي أن الله خلق النساء أفواجا وجعل الرجال لهن أزواجا فنولج فيهن قعسا ايلاجا ثم نخرجها اذا شئنا اخراجا فينتجن لنا سخالا نتاجا فقالت أشهد انك نبي ولم ننقل كل

القرآن فواتح السور وخاض فى معناها آخرون * فأخرج بن أبى حاتم وغيره من طريق أبى الضحى عن ابن عباس فى قوله الم قال انا الله اعلم وفى قوله المص قال انا الله أفضل وفى قوله الر قال انا الله أرى * واخرج من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله الم وحم ون قال اسم مقطع * واخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال الر وحم ون حروف الرحمن مفرقة * وأخرج أبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظى قال الر من الرحمن * وأخرج عنه أيضا المص الالف من الله واللام من الرحمن والصاد من الصمد * وأخرج أيضا عن الضحاك فى قوله المص قال أنا الله الصادق وقيل المص معناه المصور وقيل الر معناه انا الله اعلم وارفع حكاهما الكرمانى فى غرائبه * وأخرج الحاكم وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس فى كهيعص قال الكاف من كريم والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق * وأخرج الحاكم أيضا من وجه آخر عن سعيد عن ابن عباس فى قوله كهيعص قال كاف هاد أمين عزيز صادق * واخرج ابن أبى حاتم من طريق السدى عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة فى قوله كهيعص قال هو هجاء مقطع الكاف من الملك والهاء من الله والياء والعين من العزيز والصاد من المصور * واخرج عن محمد بن كعب مثله الا أنه قال والصاد من الصمد * وأخرج سعيد بن منصور وابن مردويه من طريق آخر عن سعيد عن ابن عباس فى قوله كهيعص قال كبير هاد أمين عزيز صادق * وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله كهيعص قال الكاف الكافى والهاء الهادى والعين العالم والصاد الصادق * وأخرج من طريق يوسف ابن عطية قال سئل الكلبى فحدث عن كهيعص عن أبى صالح عن أم هانىء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كاف هاد أمين عالم صادق * وأخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة فى قوله كهيعص قال يقول أنا الكبير أنا الهادى على أمين صادق * وأخرج عن محمد بن كعب فى قوله طه قال الطاء من ذى الطول * وأخرج عنه أيضا فى قوله طسم قال الطاء من ذى الطول والسين من القدوس والميم من الرحمن * وأخرج عن سعيد بن جبير فى قوله حم قال حاء اشتقت من الرحمن وميم اشتقت من الرحيم * وأخرج عن محمد بن كعب فى قوله حمعسق قال والحاء والميم من الرحمن والعين من العليم والسين من القدوس والقاف من القاهر * وأخرج عن مجاهد قال فواتح السور كلها هجاء مقطوع وأخرج عن سالم بن عبد الله قال (الم) (وحم) (ون) ونحوها اسم الله مقطعة * وأخرج عن السدى قال فواتح السور أسماء من أسماء الرب جل جلاله فرقت فى القرآن وحكى الكرمانى فى قوله (ق) انه حرف من اسمه قادر وقاهر وحكى غيره فى قوله (ن) انه مفتاح اسمه تعالى نور وناصر وهذه الاقوال كلها راجعة إلى قول واحد وهو أنها حروف مقطعة كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى والاكتفاء ببعض الكلمة معهود فى العربية قال الشاعر

* قلت لها قفى فقالت ق * أى وقفت وقال بالخير خيرات وان شرا فا ولا أريد الشر الا ان نا

أراد وان شرا فشر والا أن تشاء وقال

نادام الا الحموا الا تا قالوا جميعا كلهم الا فا

أراد ألا تركبون ألا فاركبوا وهذا القول اختاره الزجاج وقال العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة التى هو منها وقيل انها الاسم الاعظم الا انا لا نعرف تأليفه منا كذا نقله ابن عطية * وأخرج ابن جرير بسند صحيح عن ابن مسعود قال هو اسم الله الاعظم * وأخرج ابن أبى حاتم من طريق السدى أنه بلغه عن ابن عباس قال (الم) اسم من أسماء الله تعالى الاعظم * وأخرج ابن جرير وغيره من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال (الم) (وطسم) (وص) واشباهها

ماذكر من سخفه كراهة التثقيل وروى أنه سأل أبو بكر الصديق رضى الله عنه أقواما قدموا عليه من بنى حنيفة عن هذه الالفاظ فحكوا بعض ما نقلناه فقال أبو بكر سبحان الله ويحكم ان هذا الكلام لم يخرج عن آل فاين كان يذهب بكم ومعنى قوله لم يخرج عن آل أى عن ربوبية ومن كان له عقل لم يشتبه عليه سخف هذا الكلام فنرجع الآن الى ماضمناه من الكلام على الاشعار المتفق على جودتها وتقدم أصحابها فى صناعتهم ليتبين لك تفاوت أنواع الخطاب وتباعد مواقع البلاغة وتستدل على مواضع البراعة وأنت لا تشك فى جودة شعر امرىء القيس ولا ترتاب فى براعته ولا تتوقف فى فصاحته وتعلم أنه قد أبدع فى طرق الشعر أمورا اتبع فيها من ذكر الدريا والوقوف عليها إلى ما يتصل بذلك من البديع الذى أبدعه والتشبيه الذى أحدثه والتلميح الذى يوجد فى

قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله وهذا يصلح أن يكون قولا ثالثا أى أنها برمتها أسماء الله ويصلح أن يكون من القول الأول ومن الثانى وعلى الأول مشى ابن عطية وغيره ويؤيده ما أخرجه ابن ماجه فى تفسيره من طريق نافع عن أبى نعيم القارى عن فاطمة بنت على بن أبى طالب أنها سمعت على بن أبى طالب يقول يا (كهيعص) اغفر لى وما أخرجه ابن أبى حاتم عن الربيع بن أنس فى قوله (كهيعص) قال يامن يجير ولا يجار عليه * وأخرج عن أشهب قال سألت مالك بن انس أينبغى لاحد أن يتسمى (بيس) قال ما أراه ينبغى لقول الله (يس) والقرآن الحكيم يقول هذا اسم تسميت به وقيل هى أسماء للقرآن كالفرقان والذكر أخرجه عبد الرزاق عن قتادة وأخرجه بن أبى حاتم بلفظ كل هجاء فى القرآن فهو اسم من أسماء القرآن وقيل هى أسماء للسور نقله الماوردى وغيره عن زيد بن أسلم ونسبه صاحب الكشاف الى الاكثر وقيل هى فواتح للسور كما يقولون فى أول القصائد بل ولا * أخرج ثور بن جرير من طريق الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال (الم) و(حم) و(المص) و (ص) ونحوها فواتح يفتتح الله بها القرآن * وأخرج أبو الشيخ من طريق بن جرير قال قال مجاهد (الم) (الر) (المر) فواتح افتتح الله بها القرآن * قلت ألم يكن يقول هى أسماء قال لا وقيل هذا حساب أبى جاد لتدل على مدة هذه الامة * وأخرج ابن أبى اسحق عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال مر أبو ياسر بن أخطب فى رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فأتى أخاه حيى بن أخطب فى رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل عليه الم ذلك الكتاب فقال أنت سمعته قال نعم فمشى حيى فى اولئك النفر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا الم تذكر أنك تتلو فيما أنزل عليك الم ذلك الكتاب فقال بلى فقالوا لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بين لنبى منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك الالف بواحد واللام بثلاثين والميم بار بعين فهذه احدى وسبعون سنة أفتدخل فى دين نبى انما مدة ملكه وأجل أمته احدى وسبعون سنة ثم قال يا محمد هل مع هذا غيره قال نعم (المص) قال هذه أثقل وأطول الالف بواحد واللام بثلاثين والميم بار بعين والصاد بتسعين فهذه احدى وستون ومائة سنة هل مع هذا غيره قال نعم المر قال هذه أثقل وأطول الالف بواحد واللام بثلاثين والميم بار بعين والراء بمائتين هذه احدى وسبعون ومائتا سنة ثم قال لقد لبس علينا أمرك حتى ما ندرى أقليلا أعطيت أم كثيرا ثم قال قوموا عنه ثم قال أبو ياسر لأخيه ومن معه ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد احدى وسبعون واحدى وستون ومائة واحدى وثلاثون ومائتان واحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعمائة وأربع وثلاثون سنة فقالوا لقد تشابه علينا أمره فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات * أخرجه ابن جرير من هذا الطريق وابن المنذر من وجه آخر عن ابن جريج معضلا * وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن أبى العالية فى قوله (الم) قال هذه الأحرف الثلاثة من الأحرف التسعة والعشرين دارت بها الالسن ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه تعالى وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه وليس منها حرف إلا وهو فى مدة أقوام وآجالهم فالألف مفتاح اسم الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالالف آلاء الله واللام لطف الله والميم مجد الله فالالف سنة واللام ثلاثون والميم أربعون قال الخوبى وقد استخرج بعض الأئمة من قوله تعالى (الم) غلبت الروم ان البيت المقدس يفتتحه المسلمون فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ووقع كما قاله وقال السهيلى لعل عدد الحروف التى فى أوائل السور مع حذف المكرر للاشارة إلى مدة بقاء هذه

شعره والتصرف الكثير الذى يصادفه فى قوله والوجوه التى ينقسم اليها كلامه من صناعة وطبع وسلاسة وعلو ومتانة ورقة وأسباب تحمد وأمور تؤثر وتمدح وقد ترى الادباء أولا يوازنون بشعره فلانا وفلانا ويضمون اشعارهم الى شعره حتى ربما وازنوا بين شعر من لقيناه وبين شعره فى أشياء لطيفة وأمور بديعة وربما فضلوهم عليه أو سووا بينهم وبينه أو قربوا موضع تقدمهم عليه وبروزه بين أيديهم ولما اختاروا قصيدته فى السبعيات أضافوا اليها أمثالها وقرنوا بها نظائرها ثم تراهم يقولون لفلان لامية مثلها ثم ترى أنفس الشعراء تتشوق إلى معارضته وتساويه فى طريقته وربما عثرت فى وجهه على أشياء كثيرة وتقدمت عليه فى أسباب عجيبة واذا جاؤا الى تعداد محاسن شعره كان أمرا محصورا وشيئا معروفا أنت تجد من ذلك البديع أو أحسن منه فى شعر غيره وتشاهد مثل ذلك البارع

الأمة قال ابن حجر وهذا باطل لا يعتمد عليه فقد ثبت عن ابن عباس رضى الله عنه الزجر عن عد أبى جاد والاشارة الى أن ذلك من جملة السحر وليس ذلك ببعيد فانه لا أصل له فى الشريعة وقد قال القاضى أبو بكر بن العربى فى فوائد رحلته * ومن الباطل علم الحروف المقطعة فى أوائل السور وقد تحصل لى فيها عشرون قولا وأزيد ولا أعرف أحدا يحكم عليها بعلم ولا يصل منها الى فهم والذى أقوله انه لولا ان العرب كانوا يعرفون ان لها مدلولا متداولا عنهم لكانوا أول من أنكر ذلك على النبى ﷺ بل تلا عليهم (حم) فصلت (ص) وغيرها فلم ينكروا ذلك بل صرحوا بالتسليم له فى البلاغة والفصاحة مع تشوقهم الى عثرة وحرصهم على زلة فدل على انه كان أمرا معروفا بينهم لا انكار فيه اه وقيل هى تنبيهات كما فى النداء عده ابن عطية مغاير اللقول بأنها فواتح والظاهر انه بمعناه قال أبو عبيدة (الم) افتتاح كلام وقال الحوبى القول بأنها تنبيهات جيد لان القرآن كلام عزيز وفوائده عزيزة فينبغى أن يرد على سمع متنبه فكان من الجائز أن يكون الله قد علم فى بعض الأوقات كون النبى صلى الله عليه وسلم فى عالم البشر مشغولا فأمر جبريل بأن يقول عند نزوله الم والر وحم ليسمع النبى صوت جبريل فيقبل عليه و يصغى اليه قال وانما لم يستعمل الكلمات المشهورة فى التنبيه كالا واما لانها من الألفاظ التى يتعارفها الناس فى كلامهم والقرآن كلام لا يشبه الكلام فناسب أن يؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم تعهد لتكون أبلغ فى قرع سمعه اه وقيل ان العرب كانوا اذا سمعوا القرآن لغوا فيه فانزل الله هذا النظم البديع ليعجبوا منه و يكون تعجبهم منه سببا لاستماعهم وسماعهم له سببا لاستماع ما بعده فترق القلوب وتلين الأفئدة عند هذا جاءة قولا مستقلا والظاهر خلافه وانما يصلح هذا مناسبة لبعض الأقوال لا قولا فى معناها اذ ليس فيه بيان معنى وقيل ان هذه الحروف ذكرت لتدل على ان القرآن مؤلف من الحروف التى هى ا ب ت ث فجاء بعضها مقطعا وجاء تمامها مؤلفا ليدل القوم الذين نزل القرآن بلغتهم انه بالحروف التى يعرفونها فيكون ذلك تقريعا لهم ودلالة على عجزهم أن يأتوا بمثله بعد أن يعلموا انه منزل بالحروف التى يعرفونها و يبنون كلامهم منها وقيل المقصود بها الاعلام بالحروف التى يتركب منها الكلام فذكر منها أربعة عشر حرفا وهى نصف جميع الحروف وذكر من كل جنس نصفه فمن حروف الحلق الحاء والعين والهاء ومن التى فوقها القاف والكاف ومن الحرفين الشفهيين الميم ومن المهموسة السين والحاء والكاف والصاد والهاء ومن الشديدة الهمزة والطاء والقاف والكاف ومن المطبقة الطاء والصاد ومن المجهورة الهمزة والميم واللام والعين والراء والطاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة الهمزة واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن القلقلة القاف والطاء ثم انه تعالى ذكر حروفا مفردة وحرفين حرفين وثلاثة ثلاثة وأربعة وخمسة لان تراكيب الكلام على هذا النمط ولا زيادة على الخمسة وقيل هى امارة جعلها الله لأهل الكتاب انه سينزل على محمد كتابا فى أول سور منه حروف مقطعة هذا ما وقفت عليه من الأقوال فى أوائل السور من حيث الجملة وفى بعضها أقوال أخر فقيل ان طه و يس بمعنى يا رجل أو يا محمد أو يا انسان وقد تقدم فى المعرب وقيل هما اسمان من أسماء النبى ﷺ قال الكرمانى فى غرائبه و يقويه فى يس قراءة يس بفتح النون وقوله آل ياسين وقيل طه أى طأ الارض أو اطمئن فيكون فعل أمر والهاء مفعول أو للسكت أو مبدلة من الهمزة * أخرج ابن أبى حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قول طه قال هو كقولك افعل وقيل طه أى يا بدر لان الطاء بتسعة والهاء بخمسة فذلك أربعة عشر اشارة الى البدر لانه يتم فيها ذكره الكرمانى فى غرائبه وقال فى قوله يس أى يا سيد المرسلين وفى قوله ص معناه صدق الله وقيل

فى كلام سواه وتنظر الى المحدثين كيف توغلوا الى حيازة المحاسن منهم من جمع رصانة الكلام الى سلاسته ومتانته الى عذوبته والاصابة فى معناه الى تحسين بهجته حتى ان منهم من ان قصر عنه فى بعض تقدم عليه فى بعض لان الجنس الذى يرمون اليه والغرض الذى يتواردون عليه مما للآدمى فيه مجال وللبشرى فيه مثال فكل يضرب فيه بسهم و يفوز فيه بقدح ثم قد تتفاوت السهام تفاوتا وتتباين تباينا وقد تتقارب تقاربا على حسب مشاركتهم فى الصنائع ومساهمتهم فى الحرف ونظم القرآن جنس مميز واسلوب متخصص وقبيل عن النظير متخلص فاذا شئت أن تعرف عظم شأنه فتأمل ما نقوله فى هذا الفصل لامرىء القيس فى أجود أشعاره ومانبين لك من عواره على التفصيل وذلك قوله

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

القسم بالصمد الصانع الصادق وقيل معناه صاد يا محمد عملك بالقرآن أى عارضه به فهو أمر من المصادة * وأخرج عن الحسين قال صاد حادث القرآن يعنى انظر فيه * وأخرج عن سفيان بن حسين قال كان الحسن يقرؤها صاد القرآن يقول عارض القرآن وقيل (ص) اسم بحر عليه عرش الرحمن وقيل اسم بحر يحيي به الموتى وقيل معناه صاد محمد قلوب العباد حكاها الكرمانى كلها وحكى فى قوله المص ان معناه ألم نشرح لك صدرك وفى حم انه ﷺ وقيل معناه حم ما هو كائن وفى حمعسق أنه جبل ق وقيل ق جبل محيط بالارض * أخرجه عبد الرزاق عن مجاهد وقيل اقسم بقوة قلب محمد ﷺ وقيل هى القاف من قوله قضى الأمر دلت على بقية الكلمة وقيل معناها قف يا محمد على أداء الرسالة والعمل بما أمرت حكاها الكرمانى وقيل ن هو الحوت * أخرج الطبرانى عن ابن عباس مرفوعا أول ما خلق الله القلم والحوت قال ا كتب قال ما اكتب قال كل شيء كائن إلى يوم القيامة ثم قرأ ن والقلم فالنون الحوت والقلم القلم وقيل هو اللوح المحفوظ * أخرجه ابن جرير من مرسل ابن قرة مرفوعا وقيل هو الدواة * أخرجه عن الحسن وقتادة وقيل هو المداد حكاه ابن قتيبة فى غريبه وقيل هو القلم حكاه الكرمانى عن الجاحظ وقيل هو اسم من أسماء النبي ﷺ حكاه ابن عساكر فى مبهماته وفى المحتسب لابن جنى ان ابن عباس قرأ حم سق بلا عين و يقول السين كل فرقة تكون والقاف كل جماعة تكون قال ابن جنى وفى هذه القراءة دليل على ان الفواتح فواصل بين السور ولو كانت أسماء الله لم يجز تحريف شيء منها لانها لا تكون ح اعلاما والاعلام تؤدى باعيانها ولا يحرف شيء منها وقال الكرمانى فى غرائبه فى قوله تعالى الم أحسب الناس الاستفهام هنا يدل على انقطاع الحروف عما بعدها فى هذه السورة وغيرها ﴿ خاتمة ﴾ أورد بعضهم سؤالا وهو انه هل للحكم مزية على المتشابه أولا فان قلتم بالثانى فهو خلاف الاجماع أو بالاول فقد نقضتم أصلكم فى ان جميع كلامه سبحانه وتعالى سواء وانه منزل بالحكمة * وأجاب أبو عبد الله النكزاذى بان المحكم كالمتشابه من وجه و يخالفه من وجه فيتفقان فى ان الاستدلال بهما لا يمكن الا بعد معرفة حكمة الواضع وانه لا يختار القبيح و يختلفان فى ان المحكم بوضع اللغة لا يحتمل الا الوجه الواحد فمن سمعه أمكنه أن يستدل به فى الحال والمتشابه يحتاج الى فكرة ونظر ليحمله على الوجه المطابق ولان المحكم أصل والعلم بالاصل أسبق ولان المحكم يعلم مفصلا والمتشابه لا يعلم الا مجملا وقال بعضهم ان قيل ما الحكمة فى انزال المتشابه ممن أراد لعباده البيان والهدى قلنا ان كان مما يمكن علمه فله فوائد منها الحث للعلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائقه فان استدعاء الهمم لمعرفة ذلك من أعظم القرب ومنها ظهور التفاضل وتفاوت الدرجات اذ لو كان القرآن كله محكما لا يحتاج الى تأويل ونظر لاستوت منازل الخلق ولم يظهر فضل العالم على غيره وان كان مما لا يمكن علمه فله فوائد منها ابتلاء العباد بالوقوف عنده والتوقف فيه والتفويض والتسليم والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة كالمنسوخ وان لم يجز العمل بما فيه واقامة الحجة عليهم لانه لما نزل بلسانهم ولغتهم وعجزوا عن الوقوف على معناه مع بلاغتهم وافهامهم دل على انه نزل من عند الله وانه الذى أعجزهم عن الوقوف وقال الامام فخر الدين من الملحدة من طعن فى القرآن لاجل اشتماله على المتشابهات وقال انكم تقولون ان تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن الى قيام الساعة ثم انا نراه بحيث يتمسك به صاحب كل مذهب على مذهبه فالجبرى متمسك بآيات الجبر كقوله تعالى وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا والقدرى يقول هذا مذهب الكفار بدليل انه تعالى حكى ذلك عنهم فى معرض الذم فى قوله وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر وفى موضع آخر وقالوا قلوبنا غلف ومنكر الرؤية متمسك بقوله تعالى

فتوضح فالمقرات لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمأل
الذين يتعصبون له أو يدعون محاسن الشعر يقولون هذا من البديع لانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر العهد والمنزل والحبيب وتوجع واستوجع كله فى بيت ونحو ذلك وانما بينا هذا لئلا يقع لك ذها بنا عن مواضع المحاسن ان كانت ولا غفلتنا عن مواضع الصناعة ان وجدت تأمل أرشدك الله وانظر هداك الله أنت تعلم انه ليس فى البيتين شيء قد سبق فى ميدانه شاعرا ولا تقدم به صانعا وفى لفظه ومعناه خلل فأول ذلك انه استوقف من يبكى لذكر الحبيب وذكراه لا يقتضى بكاء الخلى وانما يصح طلب الاسعاد فى مثل هذا على ان يبكى لبكائه ويرق لصديقه فى شدة برحائه فاما أن يبكى على حبيب صديقه وعشيق رفيقه

لا تدركه الابصار ومثبت الجهة متمسك بقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم الرحمن على العرش استوى والنافي متمسك بقوله تعالى ليس كمثله شيء ثم يسمي كل واحد الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والآيات المخالفة له متشابهة وانما آل في ترجيح بعضها على البعض الى ترجيحات خفية ووجوه ضعيفة فكيف يليق بالحكيم أن يجعل الكتاب الذي هو المرجوع اليه في كل الدين الى يوم القيامة هكذا قال * والجواب ان العلماء ذكروا الوقوع المتشابه فيه فوائد منها أنه يوجب مزيد المشقة في الوصول الى المراد وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب ومنها انه لو كان القرآن كله محكما لما كان مطابقا الا لمذهب واحد وكان بصريحه مبطلا لكل ماسوى ذلك المذهب وذلك مما ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به فاذا كان مشتملا على المحكم والمتشابه طمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه ما يؤيد مذهبه وينصر مقالته فينظر فيه جميع أرباب المذاهب ويجتهد في التأمل فيه صاحب كل مذهب واذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات وبهذا الطريق يتخلص المبطل من باطله ويتصل الى الحق ومنها أن القرآن اذا كان مشتملا على المتشابه افتقر الى العلم بطريق التأويلات وترجيح بعضها على بعض وافتقر في تعلم ذلك الى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو والمعاني والبيان وأصول الفقه ولو لم يكن الامر كذلك لم يحتج الى تحصيل هذه العلوم الكثيرة وكان في ايراد المتشابه هذه الفوائد الكثيرة ومنها أن القرآن مشتمل على دعوة الخواص والعوام وطبائع العوام تنفر في أكثر الامر عن درك الحقائق فمن سمع من العوام في أول الامر اثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار اليه ظن ان هذا عدم ونفي وقع في التعطيل فكان الاصلح ان يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما يناسب ما توهموه وتخيلوه ويكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح فالقسم الاول وهو الذي يخاطبون به في أول الامر يكون من المتشابهات والقسم الثاني وهو الذي يكشف لهم في آخر الامر من المحكمات

﴿ النوع الرابع والاربعون * في مقدمه ومؤخره ﴾ * وقسمان الاول ما أشكل معناه بحسب الظاهر فلما عرف انه من باب التقديم والتأخير اتضح وهو جدير ان يفرد بالتصنيف وقد تعرض السلف لذلك في آيات فاخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا قال هذا من تقاديم الكلام يقول لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة * وأخرج عنه أيضا في قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى قال هذا من تقاديم الكلام يقول لولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاما * وأخرج عن مجاهد في قوله تعالى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما قال هذا من التقديم والتأخير أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا * وأخرج عن قتادة في قوله تعالى اني متوفيك ورافعك قال هذا من المقدم والمؤخر أي رافعك الي ومتوفيك * وأخرج عن عكرمة في قوله تعالى لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب قال هذا من التقديم والتاخير يقول لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا * وأخرج ابن جرير عن ابن زيد في قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا قال هذه الآية مقدمة ومؤخرة انما هي أذاعوا به الا قليلا منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لم ينج قليل ولا كثير * وأخرج عن ابن عباس في قوله تعالى فقالوا أرنا الله جهرة قال انهم اذا رأوا الله فقد رأوه انما قالوا جهرة أرنا الله قال هو مقدم ومؤخر قال ابن جرير يعني ان سؤالهم كان جهرة * ومن ذلك قوله واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها قال البغوي هذه أول القصة وان كان مؤخرا في التلاوة وقال الواحدي كان الاختلاف في القاتل قبل ذبح البقرة وانما أخر في الكلام لانه تعالى لما قال ان الله يأمركم الآية

فامر محال فان كان المطلوب وقوفه وبكاءه أيضا عاشقا صح الكلام وفسد المعنى من وجه آخر لانه من السخف أن لا يغار على حبيبه وأن يدعو غيره الى التغازل عليه والتواجد معه فيه ثم ان في البيتين مالا يفيد من ذكر هذه المواضع وتسمية هذه الاماكن من الدخول وحومل وتوضح والمقراة وسقط اللوى وقد كان يكفيه أن يذكر في التعريف بعض هذا وهذا التطويل اذا لم يفد كان ضربا من العي ثم ان قوله لم يعف رسمها ذكر الاصمعي من محاسنه انه باق فنحن نحزن على مشاهدته فلو عفا لاسترحنا وهذا بان يكون من مساويه أولى لانه ان كان صادق الود فلا يزيده عفاء الرسوم الا جدة عهد وشدة وجد وانما فرع له الاصمعي الى افادته هذه الفائدة خشية أن يعاب عليه فيقال أي فائدة لان يعرفنا انه لم يعف رسم منازل حبيبه

علم المخاطبون أن البقرة لا تذبح الا للدلالة على قاتل فخفيت عينه عليهم فلما استقر علم هذا فى نفوسهم أتبع بقوله واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فسألتم موسى فقال إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ومنه أفرأيت من اتخذ إلهه هواه الاصل هواه الهه لان من اتخذ الهه هواه غير مذموم فقدم المفعول الثانى للعناية به وقوله أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى على تفسير أحوى بالاخضر وجعله نعتا للمرعى أى أخرجه أحوى فجعله غثاء وأخر رعاية للفاصلة وقوله غرابيب سود والاصل سود غرابيب لان الغرابيب الشديد السواد وقوله فضحكت فبشرناها أى فبشرناها فضحكت وقوله ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه أى لهم بها ولهم هذا فالهم منفى عنه الثانى مالبس كذلك وقد ألف فيه العلامة شمس الدين بن الصائغ كتابه المقدمة فى سر الالفاظ المقدمة قال فيه الحكمة الشائعة الذائعة فى ذلك الاهتمام كما قال سيبويه فى كتابه كأنهم يقدمون الذى بيانه أهم وهم ببيانه أعنى قال هذه الحكمة اجمالية واما تفاصيل أسباب التقديم وأسراره فقد ظهر لى منها فى الكتاب العزيز عشرة أنواع * الاول التبرك كتقديم اسم الله تعالى فى الامور ذات الشأن ومنه قوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم وقوله واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول الآية * الثانى التعظيم كقوله ومن يطع الله والرسول ان الله وملائكته يصلون والله ورسوله أحق أن يرضوه * الثالث التشريف كتقديم الذكر على الانثى نحو ان المسلمين والمسلمات الآية والحر فى قوله والحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى والحى فى قوله يخرج الحى من الميت الآية وما يستوى الاحياء ولا الاموات والخيل فى قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها والسمع فى قوله وعلى سمعهم وعلى أبصارهم وقوله ان السمع والبصر والفؤاد وقوله ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم حكى ابن عطية عن النقاش انه استدل بها على تفضيل السمع على البصر ولذا وقع فى وصفه تعالى سميع بصير بتقديم السمع * ومن ذلك تقديمه صلى الله عليه وسلم على نوح ومن معه فى قوله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وتقديم الرسول فى قوله من رسول ولا نبى وتقديم المهاجرين فى قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وتقديم الانس على الجن حيث ذكرا فى القرآن وتقديم النبيين ثم الصديقين ثم الشهداء ثم الصالحين فى آية النساء وتقديم اسماعيل على اسحق لانه أشرف بكون النبى ﷺ من ولده وأسن وتقديم موسى على هرون لاصطفائه بالكلام وقدم هرون عليه فى سورة طه رعاية للفاصلة وتقديم جبريل على ميكائيل فى آية البقرة لانه أفضل وتقديم العاقل على غيره فى قوله متاعا لكم ولانعامكم يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات وأما تقديم الانعام فى قوله تأكل منه أنعامهم وأنفسهم فلانه تقدم ذكر الزرع فناسب تقديم الانعام بخلاف آية عبس فانه تقدم فيها فلينظر الانسان الى طعامه فناسب تقديم لكم وتقديم المؤمنين على الكفار فى كل موضع وأصحاب اليمين على أصحاب الشمال والسماء على الارض والشمس على القمر حيث وقع الا فى قوله خلق سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا فقيل لمراعاة الفاصلة وقيل لان انتفاع أهل السموات العائد عليهن الضمير به أكثر وقال ابن الانبارى يقال ان القمر وجهه يضىء لاهل السموات وظهره لاهل الارض ولهذا قال تعالى فيهن لما كان أكثر نوره يضىء الى أهل السماء ومنه تقديم الغيب على الشهادة فى قوله عالم الغيب والشهادة لان علمه أشرف وأما يعلم السر وأخفى فاخر فيه رعاية للفاصلة * الرابع المناسبة وهى اما مناسبة المتقدم لسياق الكلام كقوله ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون فان الجمال بالجمال وان كان ثابتا حالتى السراح والاراحة الا أنها حالة اراحتها وهو مجيئها من الرعى آخر النهار يكون الجمال بها أظهر اذ هى فيه بطان وحالة سراحها للرعى أول النهار

وأى معنى لهذا الحشو فذكر مايمكن أن يذكر ولكن لم يخلصه بانتصاره له من الخلل ثم فى هذه الكلمة خلل آخر لانه عقب البيت بان قال فهل عند رسم دارس من معول فذكر أبو عبيدة أنه رجع فاكذب نفسه كما قال زهير قف بالديار التى لم يعفها القدم ثم وغيرها الارواح والديم وقال غيره أراد بالبيت الاول انه لم ينطمس اثره كله وبالثانى انه ذهب بعضه حتى لايتناقض الكلامان وليس فى هذا انتصار لان معنى عفا ودرس واحد فاذا قال لم يعف رسمها ثم قال قد عفا فهو تناقض لامحالة واعتذار أبى عبيدة أقرب لو صح ولكن لم يرد هذا القول مورد الاستدراك كما قاله زهير فهو الى الخلل أقرب وقوله لما نسجتها كان ينبغى أن يقول لما

يكون الجمال بها دون الاول اذ هي فيه خماص ونظيره قوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا واقدم نفي الاسراف لان الصرف في الانفاق وقوله يريكم البرق خوفا وطمعا لان الصواعق تقع مع أول برقة ولا يحصل المطر الا بعد توالي البرقات وقوله وجعلناها وابنها آية للعالمين قدمها على الابن لما كان السياق في ذكرها في قوله والتي احصنت فرجها ولذلك قدم الابن في قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية وحسنه تقدم موسى في الآية قبله ومنه قوله وكلا آتينا حكما وعلما قدم الحكم وان كان العلم سابقا عليه لان السياق فيه لقوله في أول الآية اذ يحكمان في الحرث واما مناسبة لفظ هو من التقدم أو التأخر كقوله الاول والآخر ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين لمن شاء منكم ان يتقدم أو يتأخر بما قدم وأخر ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لله الامر من قبل ومن بعد وله الحمد في الاولى والآخرة واما قوله فلله الآخرة والاولى فلمراعاة الفاصلة وكذا قوله جمعناكم والاولين * الخامس الحث عليه والحض على القيام به حذرا من التهاون به كتقديم الوصية على الدين في قوله من بعد وصية يوصى بها أو دين مع ان الدين مقدم عليها شرعا * السادس السبق وهو اما في الزمان باعتبار الايجاد كتقديم الليل على النهار والظلمات على النور وآدم على نوح ونوح على ابراهيم وابراهيم على موسى وهو على عيسى وداود على سليمان والملائكة على البشر في قوله الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وعاد على ثمود والازواج على الذرية في قوله قل لازواجك وبناتك والسنة على النوم في قوله لا تأخذه سنة ولا نوم أو باعتبار الانزال كقوله صحف ابراهيم وموسى وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان أو باعتبار الوجوب والتكليف نحو اركعوا واسجدوا فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الآية ان الصفا والمروة من شعائر الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نبدأ بما بدأ الله به أو بالذات نحو مثنى وثلاث ورباع ما يكون من نحوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وكذا جميع الاعداد كل مرتبة هي مقدمة على ما فوقها بالذات وأما قوله ان تقوموا لله مثنى وفرادى فللحث على الجماعة و الاجتماع على الخير * السابع السببية كتقديم العزيز على الحكيم لانه عز فحكم والعليم عليه لان الاحكام والاتقان ناشيء عن العلم وأما تقدم الحكيم عليه في سورة الانعام فلأنه مقام تشريع الاحكام ومنه تقديم العبادة على الاستعانة في سورة الفاتحة لانها سبب حصول الاعانة وكذا قوله يحب التوابين ويحب المتطهرين لان التوبة سبب الطهارة لكل أفاك اثيم لان الافك سبب الاثم غضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم لان البصر داعية الى الفرج * الثامن الكثرة كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الكفار أكثر فمنهم ظالم لنفسه الآية قدم الظالم لكثرته ثم المقتصد ثم السابق ولهذا قدم السارق على السارقة لان السرقة في الذكور أكثر والزانية على الزاني لان الزنا فيهن أكثر ومنه تقديم الرحمة على العذاب حيث وقع في القرآن غالبا ولهذ ورد ان رحمتي غلبت غضبي وقوله ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم قال ابن الحاجب في اماليه انما قدم الازواج لان المقصود الاخبار ان فيهم اعداء ووقوع ذلك في الازواج أكثر منه في الاولاد وكان أقعد في المعنى المراد فقدم ولذلك قدمت الاموال في قوله انما أموالكم وأولادكم فتنة لان الاموال لا تكاد تفارقها الفتنة ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وليست الاولاد في استلزام الفتنة مثلها فكان تقديمها أولى * التاسع الترقي من الادنى إلى الاعلى كقوله ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها الآية بدأ بالأدنى لغرض الترقي لان اليد أشرف من الرجل والعين اشرف من اليد والسمع اشرف من البصر ومن هذا النوع تأخير البلغ وقد خرج عليه تقديم الرحمن على الرحيم والرؤف على الرحيم والرسول على النبي في قوله وكان رسولا نبيا وذكر لذلك نكت اشهرها مراعاة الفاصلة * العاشر التدلي من الاعلى الى الادنى * وخرج عليه لا تأخذه سنة

نسجها ولكنه تعسف فجعل ما في تأويل التأنيث لانها في معنى الريح والاولى التذكير دون التأنيث وضرورة الشعر قد دلته على هذا التعسف وقوله لم يعف رسمها كان الاولى ان يقول لم يعف رسمه لانه ذكر المنزل فان كان رد ذلك الى هذه البقاع والاماكن التي المنزل واقع بينها فذلك خلل لانه انما يريد صفة المنزل الذي نزله حبيبه بعفائه أو بانه لم يعف دون ما جاوره وان أراد بالمنزل الدار حتى انث فذلك أيضا خلل ولو سلم من هذا كله ومما نكره ذكره كراهية التطويل لم يشك في ان شعر أهل زماننا لا يقصر عن البيتين بل يزيد عليهما ويفضلهما ثم قال

وقوفا بها صحبي علي مطيهم
يقولون لا تهلك اسى وتجمل
وان شفائي عبرة مهراقة

ولا نوم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون هذا ماذكره ابن الصائغ وزاد غيره اسبابا أخر منها كونه أدل على القدرة وأعجب كقوله ومنهم من يمشي على بطنه الآية وقوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير قال الزمخشري قدم الجبال على الطير لان تسخيرها له وتسبيحها أعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق ومنها رعاية الفواصل وسيأتي ذلك أمثلة كثيرة ومنها افادة الحصر للاختصاص وسيأتي في النوع الخامس والخمسين ﴿تنبيه﴾ قد يقدم لفظ في موضع ويؤخر في آخر ونكتة ذلك إما لكون السياق في كل موضع يقتضي ماوقع فيه كما تقدمت الاشارة اليه واما لقصد البداءة والختم به للاعتناء بشأنه كما في قوله يوم تبيض وجوه الآيات واما لقصد التفنن في الفصاحة واخراج الكلام على عدة أساليب كما في قوله وادخلوا الباب وقولوا حطة وقوله وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا وقوله انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور وقال في الانعام قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس

﴿النوع الخامس والاربعون * في عامه وخاصه﴾ العام لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر وصيغة كل مبتدأة نحو كل من عليها فان أو تابعة نحو فسجد الملائكة كلهم أجمعون والذي والتي وتثنيتهما وجمعها نحو والذي قال لوالديه أف لكما فان المراد به كل من صدر منه هذا القول بدليل قوله بعد أولئك الذين حق عليهم القول والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة للذين احسنوا الحسنى وزيادة للذين اتقوا عند ربهم جنات واللائي يئسن من المحيض الآية واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا الآية واللذان يأتيانها منكم فآذوهما وأي وماومن شرطا واستفهاما وموصولا نحو أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم من يعمل سوأ يجز به والجمع المضاف نحو يوصيكم الله في أولادكم والمعرف بال نحو قد أفلح المؤمنون واقتلوا المشركين واسم الجنس المضاف نحو فليحذر الذين يخالفون عن امره أي كل امر الله والمعرف بال نحو وأحل الله البيع أي كل بيع ان الانسان لفي خسر أي كل انسان بدليل الا الذين آمنوا والنكرة في سياق النفي والنهي نحو فلا تقل لهما آف وان من شيء الا عندنا خزائنه ذلك الكتاب لا ريب فيه فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وفي سياق الشرط نحو وان أحد المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله وفي سياق الامتنان نحو وأنزلنا من السماء ماء طهورا

﴿فصل﴾ العام على ثلاثة أقسام * الاول الباقي على عمومه قال القاضي جلال الدين البلقيني ومثاله عزيز اذا من عام الا ويتخيل فيه التخصيص فقوله يا أيها الناس اتقوا ربكم قد يخص منه غير المكلف وحرمت عليكم الميتة خص منه حالة الاضطرار ومنه السمك والجراد وحرم الربا خص منه العرايا وذكر الزركشي في البرهان أنه كثير في القرآن وأورد منه والله بكل شيء عليم ان الله لا يظلم الناس شيئا ولا يظلم ربك احدا الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة الله الذي جعل لكم الارض قرارا * قلت هذه الآيات كلها في غير الاحكام الفرعية فالظاهر ان مراد البلقيني أنه عزيز في الاحكام الفرعية وقد استخرجت من القرآن بعد الفكر آية فيها وهي قوله حرمت عليكم أمهاتكم الآية فانه لا خصوص فيها * الثاني العام المراد به الخصوص * والثالث العام المخصوص وللناس بينهما فروق ان الاول لم يرد شموله لجميع الافراد لا من جهة تناول اللفظ ولا من جهة الحكم بل هو ذو افراد استعمل في فرد منها والثاني أريد عمومه وشموله لجميع الافراد من جهة تناول اللفظ لها لا من جهة الحكم ومنها ان الاول مجاز قطعا لنقل اللفظ عن موضوعه الاصلي بخلاف الثاني فان فيه مذاهب اصحها أنه حقيقة وعليه أكثر الشافعية

فهل عند رسم دارس من معول
وليس في البيتين أيضا معنى بديع ولا لفظ حسن كالاولين والبيت الاول منهما متعلق بقوله قفا نبك فكأنه قال قفا وقوف صحبي بها على مطيهم أو قفا حال وقوف صحبي وقوله بها متأخر في المعنى وان تقدم في اللفظ ففي ذلك تكلف وخروج من اعتدال الكلام والبيت الثاني مختل من جهة أنه قد جعل الدمع في اعتقاده شافيا كافيا لما حاجته بعد ذلك الى طلب حيلة أخرى وتحمل ومعول عند الرسوم ولو أراد ان يحسن الكلام لوجب ان يدخل على ان الدمع لا يشفيه لشدة ما به من الحزن ثم يسائل هل عند الربع من حيلة أخرى وقوله
كدأبك من أم الحويرث قبلها
وجارتها أم الرباب بمأسل
اذا قامتا تضوع المسك منهما

وكثير من الحنفية وجميع الحنابلة ونقله امام الحرمين عن جميع الفقهاء وقال الشيخ أبو حامد انه مذهب الشافعي وأصحابه وصححه السبكي لان تناول اللفظ للبعض الباقي بعد التخصيص كتناوله له بلا تخصيص وذلك التناول حقيقي اتفاقا فليكن هذا التناول حقيقيا أيضا * ومنها ان قرينة الاول عقلية والثاني لفظية * ومنها ان قرينة الاول لا تنفك عنه وقرينة الثاني قد تنفك عنه * ومنها ان الاول يصح أن يراد به واحدا اتفاقا والثاني خلاف * ومن أمثلة المراد به الخصوص قوله تعالى الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم والقائل واحد نعيم بن مسعود الاشجعي أو اعرابي من خزاعة كما أخرجه ابن مردويه من حديث أبي رافع لقيامه مقام كثير في تثبيطه المؤمنين عن ملاقاة أبي سفيان قال الفارسي ومما يقوي أن المراد به واحد قوله انما ذلكم الشيطان فوقعت الاشارة بقوله ذلكم الى واحد بعينه ولو كان المعنى به جمعا لقال انما أولئكم الشيطان فهذه دلالة ظاهرة في اللفظ * ومنها قوله تعالى أم يحسدون الناس أي رسول الله ﷺ لجمعه ما في الناس من الخصال الحميدة * ومنها قوله ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس * أخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس في قوله من حيث أفاض الناس قال ابراهيم ومن الغريب قراءة سعيد بن جبير من حيث أفاض الناس قال في المحتسب يعني آدم لقوله فنسي ولم نجد له عزما ومنها قوله تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أي جبريل كما في قراءة ابن مسعود ﴿وأما المخصوص﴾ فأمثلته في القرآن كثيرة جدا وهي أكثر من المنسوخ إذ ما من عام إلا وقد خص ثم المخصص له اما متصل واما منفصل فالمتصل خمسة وقعت في القرآن أحدها الاستثناء نحو والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا والشعراء يتبعهم الغاوون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية ومن يفعل ذلك يلق أثاما إلى قوله إلا من تاب والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم كل شيء هالك الا وجهه الثاني الوصف نحو وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن الثالث الشرط نحو والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية * الرابع الغاية نحو قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر إلى قوله حتى يعطوا الجزية ولا تقربوهن حتى يطهرن ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض الآية الخامس بدل البعض من الكل نحو ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا والمنفصل آية أخرى في محل آخر أو حديث أو اجماع أو قياس فمن أمثلة ما خص بالقرآن قوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء خص بقوله إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة و بقوله وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن وحرمت عليكم الميتة والدم خص من الميتة السمك بقوله أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة ومن الدم الجامد بقوله او دما مسفوحا وقوله وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا الآية خص بقوله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة خص بقوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وقوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء خص بقوله حرمت عليكم أمهاتكم الآية ومن أمثلة ما خص بالحديث قوله تعالى وأحل الله البيع خص منه البيوع الفاسدة وهي كثيرة بالسنة وحرم الربا خص منه العرايا بالسنة وآيات المواريث خص منها القاتل والمخالف في الدين بالسنة وآيات تحريم الميتة خص منها الجراد بالسنة وآية ثلاثة قروء خص منها الامة بالسنة وقوله ماء طهور اخص منه المتغير بالسنة وقوله والسارق والسارقة فاقطعوا اخص منه من سرق دون ربع دينار بالسنة * ومن أمثلة ما خص بالاجماع آية

نسيم الصبا يأتي بريا القرنفل
أنت لا تشك في أن البيت الأول قليل الفائدة ليس له مع ذلك بهجة فقد يكون الكلام مصنوع اللفظ وان كان منزوع المعنى وأما البيت الثاني فوجه التكلف فيه قوله إذا قامتا تضوع المسك منهما ولو أراد أن يجود أفاد أن بهما طيبا على كل حال فاما في حال القيام فقط فذلك تقصير ثم فيه خلل آخر لانه بعد أن شبه عرفها بالمسك شبه ذلك بنسيم القرنفل وذكر ذلك بعد ذكر المسك نقص وقوله نسيم الصبا في تقدير المنقطع عن المصراع الاول لم يصله به وصل مثله وقوله ففاضت دموع العين مني صبابة
على النحر حتى بل دمعي محملي
الا رب يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل
قوله ففاضت دموع العين ثم استعانته بقوله مني استعانة ضعيفة عند

المتأخرين فى الصنعة وهو حشو غير مليح ولا بديع وقوله على النحر حشو آخر لان قوله بل دمعى محملى يغنى عنه و يدل عليه و ليس بحشو حسن ثم قوله حتى بل دمعى محملى اعادة ذكره الدمع حشو آخر وكان يكفيه أن يقول حتى بلت محملى فاحتاج لاقامة الوزن الى هذا كله ثم تقديره انه قد أفرط فى افاضة الدمع حتى بل محمله تفريط منه و تقصير ولو كان أبدع لكان يقول حتى بل دمعى مغانيهم وعراصهم و يشبه أن يكون غرضه اقامة الوزن والقافية اذ الدمع يبعد أن يبل المحمل وانما يقطر من الواقف والقاعد على الارض أو على الذيل وان بله فلقلته وانه لا يقطر وانت تجد فى شعر الخيزرزى ما هو أحسن من هذا البيت وأمتن وأعجب منه والبيت الثانى خال من المحاسن والبديع خلو من المعنى وليس له لفظ يروق ولا معنى يروع

المواريث خص منها الرقيق فلا يرث بالاجماع ذكره مكى ومن أمثلة ما خص بالقياس آية الزنا فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة خص منها العبد بالقياس على الأمة المنصوصة فى قوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب المخصص لعموم الآية ذكره مكى أيضا

﴿ فصل ﴾ من خاص القرآن ما كان مخصصا لعموم السنة وهو عزيز * ومن أمثلته قوله تعالى حتى يعطوا الجزية خص عموم قوله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وقوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى خص عموم نهيه ﷺ عن الصلاة فى الأوقات المكروهة باخراج الفرائض وقوله ومن أصوافها وأوبارها الآية خص عموم قوله ﷺ ما أبين من حى فهو ميت وقوله والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم خص عموم قوله عليه الصلاة والسلام لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى وقوله فقاتلوا التى تبغى خص عموم قوله عليه الصلاة والسلام إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار ﴿ فروع ﴾ منثورة تتعلق بالعموم والخصوص الأول إذا سيق العام للمدح أو الذم فهل هو باق على عمومه فيه مذاهب أحدها نعم اذ لا صارف عنه ولا تنافى بين العموم وبين المدح أو الذم والثانى لا لانه لم يسق للتعميم بل للمدح أو للذم والثالث وهو الأصح التفصيل فيعم ان لم يعارضه عام آخر لم يسق لذلك ولا يعم ان عارضه ذلك جمعا بينهما مثاله ولا معارض قوله تعالى ان الأبرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم ومع المعارض قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانه سيق للمدح وظاهره يعم الاختين بملك اليمين جمعا وعارضه فى ذلك وأن تجمعوا بين الاختين فانه شامل لجمعهما بملك اليمين ولم يسق للمدح فحمل الأول على غير ذلك بان لم يرد تناوله له ومثاله فى الذم والذين يكنزون الذهب والفضة الآية فانه سيق للذم وظاهره يعم الحلى المباح وعارضه فى ذلك حديث جابر ليس فى الحلى زكاة وحمل الاول على غير ذلك والثانى اختلف فى الخطاب الخاص به ﷺ نحو يا أيها النبى يا أيها الرسول هل يشمل الامة فقيل نعم لان أمر القدوة أمر لاتباعه معه عرفا والاصح فى الاصول المنع لاختصاص الصيغة الثالث اختلف فى الخطاب بيا أيها الناس هل يشمل الرسول ﷺ على مذاهب أصحها وعليه الاكثرون نعم لعموم الصيغة له * أخرج ابن أبى حاتم عن الزهرى قال إذا قال الله يا أيها الذين آمنوا افعلوا فالنبى ﷺ منهم والثانى لا لانه ورد فى لسانه لتبليغ غيره ولما له من الخصائص والثالث ان اقترن بقل لم يشمله لظهوره فى التبليغ وذلك قرينة عدم شموله والا فيشمله الرابع الاصح فى الاصول ان الخطاب بيا أيها الناس يشمل الكافر والعبد لعموم اللفظ وقيل لا يعم الكافر بناء على عدم تكليفه بالفروع ولا العبد لصرف منافعه الى سيده شرعا الخامس اختلف فى من هل يتناول الأنثى فالاصح نعم خلافا للحنفية لنا قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى فالتفسير بهما دال على تناول من لهما وقوله ومن يقنت منكن لله واختلف فى جمع المذكر السالم هل يتناولها فالاصح لا وانما يدخلن بقرينة اما المكسر فلا خلاف فى دخولهن فيه السادس اختلف فى الخطاب بيا أهل الكتاب هل يشمل المؤمنين فالاصح لا لان اللفظ قاصر على من ذكر وقيل ان شاركوهم فى المعنى شملهم والا فلا واختلف فى الخطاب بيا أيها الذين آمنوا هل يشمل أهل الكتاب فقيل لا بناء على أنهم غير مخاطبين بالفروع وقيل نعم واختاره ابن السمعانى قال وقوله يا أيها الذين آمنوا خطاب تشريف لا تخصيص

﴿ النوع السادس والاربعون * فى مجمله ومبينه ﴾ المجمل ما لم تتضح دلالته وهو واقع فى القرآن خلافا لداود الظاهرى وفى جواز بقائه مجملا أقوال أصحها لا يبقى المكلف بالعمل به بخلاف غيره والاجمال أسباب منها الاشتراك نحو والليل إذا عسعس فانه موضوع لاقبل وأدبر ثلاثة قروء فان القرء موضوع

للحيض والطهر أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح يحمل الزوج والولي فان كلا منهما بيده عقدة النكاح ومنها الحذف نحو وترغبون ان تنكحوهن يحمل فى وعن ومنها اختلاف مرجع الضمير نحو اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يحتمل عود ضمير الفاعل فى يرفعه الى ماعاد عليه ضمير اليه وهو الله ويحتمل عوده الى العمل والمعنى ان العمل الصالح هو الذى يرفعه الكلم الطيب ويحتمل عوده الى الكلم أى أن الكلم الطيب وهو التوحيد يرفع العمل الصالح لانه لا يصح العمل الا مع الايمان ومنها احتمال العطف والاستئناف نحو إلا الله والراسخون فى العلم يقولون ومنها غرابة اللفظ نحو فلا تعضلوهن ومنها عدم كثرة الاستعمال نحو يلقون السمع أى يسمعون ثانى عطفه أى متكبر فاصبح يقلب كفيه أى نادما ومنها التقديم والتأخير نحو ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى أى ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاما يسألونك كأنك حفى عنها أى يسألونك عنها كأنك حفى ومنها قلب المنقول نحو طور سينين أى سينا على آل ياسين أى على الياس ومنها التكريم القاطع لوصل الكلام فى الظاهر نحو للذين استضعفوا لمن آمن منهم

﴿فصل﴾ قد يقع التبيين متصلا نحو من الفجر بعد قوله الخيط الابيض من الخيط الاسود ومنفصلا فى آية اخرى نحو فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره بعد قوله الطلاق مرتان فانها بينت ان المراد به الطلاق الذى تملك الرجعة بعده ولولاها لكان الكل منحصرا فى الطلقتين * وقد أخرج احمد وأبو داود فى ناسخه وسعيد بن منصور وغيرهم عن أبى رزين الأسدى قال قال رجل يارسول الله أرأيت قول الله الطلاق مرتان فأين الثالثة قال أو تسريح باحسان * وأخرج ابن مردويه عن أنس قال قال رجل يارسول الله ذكر الله الطلاق مرتين فأين الثالثة قال امساك بمعروف أو تسريح باحسان وقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة دال على جواز الرؤية ويفسره ان المراد بقوله لا تدركه الابصار قال لا تحيط به * وأخرج عن عكرمة انه قيل له عند ذكر الرؤية أليس قد قال لا تدركه الابصار فقال ألست ترى السماء أفكلها ترى وقوله احلت لكم بهيمة الأنعام الا ما يتلى عليكم فسره قوله حرمت عليكم الميتة الآية وقوله مالك يوم الدين فسره قوله وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين الآية * وقوله فتلقى آدم من ربه كلمات فسره قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقوله واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا فسره قوله فى آية النحل بالانثى وقوله وأوفوا بعهدى اوف بعهدكم قال العلماء بيان هذا العهد قوله لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلى الخ فهذا عهده وعهدهم لأكفرن عنكم سيآتكم الخ وقوله صراط الذين أنعمت عليهم بينه قوله فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين الآية وقد يقع التبيين بالسنة مثل وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ولله على الناس حج البيت وقد بينت السنة أفعال الصلاة والحج ومقادير نصب الزكوات فى أنواعها ﴿تنبيه﴾ اختلف فى آيات هل هى من قبيل المجمل أو لا منها آية السرقة قيل إنها مجملة فى اليد لانها تطلق على العضو الى الكوع والى المرفق والى المنكب وفى القطع لانه يطلق على الابانة وعلى الجرح ولا ظهور لواحد من ذلك وابانة الشارع من الكوع تبين أن المراد ذلك وقيل لا اجمال فيها لان القطع ظاهر فى الابانة ومنها وامسحوا برؤسكم قيل انها مجملة لترددها بين مسح الكل والبعض ومسح الشارع الناصية مبين لذلك وقيل لا وإنما هى لمطلق المسح الصادق بأقل ما ينطلق عليه الاسم وبغيره ومنها حرمت عليكم امهاتكم قيل مجملة لان اسناد التحريم الى العين لا يصح لانه إنما يتعلق بالفعل فلا بد من تقديره وهو محتمل لأمور لا حاجة إلى جميعها ولا مرجح لبعضها وقيل لا لوجود المرجح وهو العرف فانه يقضي بأن المراد تحريم الاستمتاع بوطء أو نحوه ويجرى ذلك فى كل ما علق فيه التحريم والتحليل بالاعيان ومنها وأحل الله البيع وحرم الربا قيل إنها مجملة لان

من طبائع السوقة فلا يرعك تهويله باسم موضع غريب وقال
ويوم عقرت للعذارى مطيتى
فيا عجبا من رحلها المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها
وشحم كهداب الدمقس المفتل
تقديره اذكر يوم عقرت مطيتى أو يرده على قوله يوم بدارة جلجل وليس فى المصراع الأول من هذا البيت إلا سفاهته قال بعض الادباء قوله ياعجبا يحيهم من سفهه فى شبابه من تحره ناقته لهم وانما اراد ان لا يكون الكلام من هذا المصراع منقطعا عن الاول واراد ان يكون الكلام ملائما له وهذا الذى ذكره بعيد وهو منقطع عن الاول وظاهره انه يتعجب من تحمل العذارى رحله وليس فى هذا تعجب كبير ولا فى نحر الناقة لمن

الربا الزيادة وما من بيع الا وفيه زيادة فافتقر إلى بيان ما يحل وما يحرم وقيل لا لأن البيع منقول شرعا فحمل على عمومه ما لم يقم دليل التخصيص وقال الماوردي للشافعي في هذه الآية أربعة أقوال أحدها أنها عامة فان لفظها لفظ عموم يتناول كل بيع و يقتضي إباحة جميعها إلا ما خصه الدليل وهذا القول أصحها عند الشافعي وأصحابه لانه صلى الله عليه وسلم نهى عن بيوع كانوا يعتادونها ولم يبين الجائز فدل على أن الآية تناولت اباحة جميع البيوع الا ما خص منها فبين صلى الله عليه وسلم الخصوص قال فعلى هذا في العموم قولان أحدهما انه عموم اريد به العموم وان دخله التخصيص والثاني انه عموم اريد به الخصوص قال والفرق بينهما أن البيان في الثاني متقدم على اللفظ وفي الأول متأخر عنه مقترن به قال وعلى القولين يجوز الاستدلال بالآية في المسائل المختلف فيها ما لم يقم دليل تخصيص والقول الثاني أنها مجملة لا يعقل منها صحة بيع من فساده إلا ببيان النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال هل هي مجملة بنفسها أم بعارض ما نهى عنه من البيوع وجهان وهل الاجمال في المعنى المراد دون لفظها لأن لفظ البيع اسم لغوي معناه معقول لكن لما قام بازائه من السنة ما يعارضه تدافع العمومان ولم يتعين المراد إلا ببيان السنة فصار مجملا لذلك دون اللفظ وفي اللفظ أيضا لأنه لما لم يكن المراد منه ما وقع عليه الاسم وكانت له شرائط غير معقولة في اللغة كان مشكلا أيضا وجهان قال وعلى الوجهين لا يجوز الاستدلال بها على صحة بيع ولا فساده وان دلت على صحة البيع من أصله قال وهذا هو الفرق بين العام والمجمل حيث جاز الاستدلال بظاهر العموم ولم يجز الاستدلال بظاهر المجمل والقول الثالث انها عامة مجملة معا قال واختلف في وجه ذلك على أوجه أحدها أن العموم في اللفظ والاجمال في المعنى فيكون اللفظ عاما مخصوصا والمعنى مجملا لحقه التفسير والثاني أن العموم في وأحل الله البيع والاجمال في وحرم الربا والثالث انه كان مجملا فلما بينه النبي ﷺ صار عاما فيكون داخلا في المجمل قبل البيان وفي العموم بعد البيان فعلى هذا يجوز الاستدلال بظاهرها في البيوع المختلف فيها * والقول الرابع انها تناولت بيعا معهودا ونزلت بعد أن أحل النبي صلى الله عليه وسلم بيوعا وحرم بيوعا فاللام للعهد فعلى هذا لا يجوز الاستدلال بظاهرها اه ومنها الآيات التي فيها الاسماء الشرعية نحو وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فمن شهد منكم الشهر فليصمه ولله على الناس حج البيت قيل إنها مجملة لاحتمال الصلاة لكل دعاء والصيام لكل امساك والحج لكل قصد والمراد بها الا تدل عليه اللغة وافتقرا إلى البيان وقيل لا بل يحمل على كل ما ذكر الا ما خص بدليل ﴿تنبيه﴾ قال ابن الحصار من الناس من جعل المجمل والمحتمل بازاء شيء واحد قال والصواب أن المجمل اللفظ المبهم الذي لا يفهم المراد منه والمحتمل اللفظ الواقع بالوضع الأول على معنيين مفهومين فصاعدا سواء كان حقيقة في كلها أو بعضها قال والفرق بينهما أن المحتمل يدل على أمور معروفة واللفظ مشترك متردد بينهما والمبهم لا يدل على أمر معروف مع القطع بأن الشارع لم يفوض لأحد بيان المجمل بخلاف المحتمل

﴿النوع السابع والاربعون * في ناسخه ومنسوخه﴾ افرده بالتصنيف خلائق لا يحصون منهم أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو داود السجستاني وأبو جعفر النحاس وابن الانباري ومكي وابن العربي وآخرون قال الائمة لا يجوز لاحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ وقد قال علي لقاض أتعرف الناسخ ومن المنسوخ قال لا قال هلكت وأهلكت وفي هذا النوع مسائل الأولى ترد النسخ بمعنى الازالة ومنه قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته و بمعنى التبديل ومنه واذا بدلنا آية مكان آية و بمعنى التحويل كتناسخ المواريث بمعنى تحويل الميراث من واحد الى واحد و بمعنى النقل من موضع إلى موضع ومنه نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه حاكيا للفظه وخطه قال

تعجب وان كان يعني به انهن حملن رحله وان بعضهن حملته فعبر عن نفسه برحله فهذا قليلا بشبه أن يكون عجبا لكن الكلام لا يدل عليه و يتجافى عنه ولو سلم البيت من العيب لم يكن فيه شيء غريب ولا معنى بديع أكثر من سفاهته مع قلة معناه وتقارب أمره ومشاكلته طبع المتأخرين من أهل زماننا والى هذا الوضع لم يمر له بتب رائع وكلام رائق وأما البيت الثاني فيعدونه حسنا و يعدون التشبيه مليحا واقعا وفيه شيء وذلك انه عرف اللحم ونكر الشحم فلا يعلم أنه صف شحمها وذكر تشبيه أحدهما بشيء واقع وعجز عن تشبيه القسمة الاولى فمرت مرسلة وهذا نقص في الصنعة وعجز عن اعطاء الكلام حقه وفيه شيء آخر من جهة المعنى وهو أنه وصف طعامه الذي أطعم

وهذا الوجه لا يصح ان يكون فى القرآن وأنكر على النحاس أجازته ذلك محتجا بان الناسخ فيه لا يأتى بلفظ للمنسوخ وانه انما يأتى بلفظ آخر وقال السعيدى يشهد لما قاله النحاس قوله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وقال وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم ومعلوم ان ما نزل من الوحى نحو ما جميعه فى أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ كما قال تعالى فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون الثانية النسخ مما خص الله به هذه الأمة لحكم منها التيسير وقد أجمع المسلمون على جوازه وأنكره اليهود ظنا منهم أنه بداء كالذى يرى الرأى ثم يبدو له وهو باطل لانه بيان مدة الحكم كالاحياء بعد الاماتة وعكسه والمرض بعد الصحة وعكسه والفقر بعد الغنى وعكسه وذلك لا يكون بداء فكذا الأمر والنهى واختلف العلماء فقيل لا ينسخ القرآن إلا بقرآن كقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها قالوا ولا يكون مثل القرآن وخيرا منه الا قرآن وقيل بل ينسخ القرآن بالسنة لانها أيضا من عند الله قال تعالى وما ينطق عن الهوى وجعل منه آية الوصية الآتية والثالث إذا كانت السنة بأمر الله من طريق الوحى نسخت وان كانت باجتهاد فلا حكاه ابن حبيب النيسابورى فى تفسيره وقال الشافعى حيث وقع نسخ القرآن بالسنة فمعها قرآن عاضد لها وحيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له ليتبين توافق القرآن والسنة وقد بسطت فروع هذه المسئلة فى شرح منظومة جمع الجوامع فى الاصول الثالثة لا يقع النسخ الا فى الأمر والنهى ولو بلفظ الخبر أما الخبر الذى ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ ومنه الوعد والوعيد واذا عرفت ذلك عرفت فساد صنع من أدخل فى كتب النسخ كثيرا من آيات الاخبار والوعد والوعيد * الرابعة النسخ أقسام أحدها نسخ المأمور به قبل امتثاله وهو النسخ على الحقيقة كآية النجوى الثانى نسخ مما كان شرعا لمن قبلنا كآية شرع القصاص والدية أو كان أمر به أمرا إجماليا كنسخ التوجه الى بيت المقدس بالكعبة وصوم عاشوراء برمضان وانما يسمى هذا نسخا تجوزا الثالث ما أمر به لسبب ثم يزول السبب كالامر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح ثم نسخ بايجاب القتال وهذا فى الحقيقة ليس نسخا بل هو من قسم المنسأ كما قال تعالى أو ننسأها فالمنسأ هو الامر بالقتال الى أن يقوى المسلمون وفى حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الاذى وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن الآية فى ذلك منسوخة بآية السيف وليس كذلك بل هى من المنسأ بمعنى أن كل امر ورد بحب امتثاله فى وقت ما لعلة تقتضى ذلك الحكم بل ينتقل بانتقال تلك العلة الى حكم آخر وليس بنسخ انما النسخ الازالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله وقال مكى ذكر جماعة ان ما ورد من الخطاب مشعر بالتوقيت والغاية مثل قوله فى البقرة فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره محكم غير منسوخ لانه مؤجل باجل والمؤجل باجل لا نسخ فيه الخامسة قال بعضهم سور القرآن باعتبار الناسخ والمنسوخ اقسام قسم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ وهو ثلاثة وأربعون سورة الفاتحة ويوسف ويس والحجرات والرحمن والحديد والصف والجمعة والتحريم والملك والحاقة ونوح والجن والمرسلات وعم والنازعات والانفطار وثلاث بعدها والفجر وما بعدها الى آخر القرآن الا التين والعصر والكافرين * وقسم فيه الناسخ والمنسوخ وهو خمس وعشرون البقرة وثلاث بعدها والحج والنور وتاليها والاحزاب وسبأ والمؤمن والشورى والذاريات والطور والواقعة والمجادلة والمزمل والمدثر وكورت والعصر * وقسم فيه الناسخ فقط وهو ستة الفتح والحشر والمنافقون والتغابن والطلاق والاعلى * وقسم فيه المنسوخ فقط وهو الاربعون الباقية وفيه نظر يعرف مما سيأتى السادسة قال مكى الناسخ أقسام فرض نسخ فرضا ولا يجوز العمل بالاول كنسخ الحبس للزوانى بالجلد وفرض نسخ فرضا ويجوز العمل بالاول كآية المصابرة وفرض نسخ ندبا كالقتال كان ندبا ثم صار فرضا وندب نسخ فرضا كقيام الليل نسخ بالقراءة فى قوله فاقرؤا ما تيسر من

من أضاف بالجودة وحلا
قد يعاب وقد يقال ان العرب
تفتخر بذلك ولا يرونه
عيبا وانما الفرس هم الذين
يرون هذا عيبا شنيعا واما
تشبيه الشحم بالدمقس
فشىء يقع للعامة ويجرى
على ألسنتهم فليس بشىء
فدسيق اليه وانما زاد المفتل
للقافية وهذا مفيد ومع ذلك
فليست اعلم العامة تذكر
هذه الزيادة ولم يعد أهل
الصنعة ذلك من البديع
ورأيته قريبا وفيه شىء
آخر وهو ان تبجحه بما
أطعم للاحباب مذموم وان
سوغ التبجح بما أطعم
للاضياف الا ان يورد
الكلام مورد المجون
وعلى طريق أبى نواس فى
المزاح والمداعبة وقوله
ويوم دخلت الخدر خدر
عنيزة
فقالت لك الويلات انك
مرجلى
تقول وقد مال الغبيط
بنا معا
عقرت بعيرى يا امرأ القيس
فانزل

القرآن السابعة النسخ في القرآن على ثلاثة أضرب أحدها ما نسخ تلاوته وحكمه معا قالت عائشة كان فيما انزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن مما يقرأ من القرآن رواه الشيخان وقد تكلموا في قولها وهن مما يقرأ من القرآن فان ظاهره بقاء التلاوة وليس كذلك * وأجيب بان المراد قارب الوفاة أو ان التلاوة نسخت أيضا ولم يبلغ ذلك كل الناس الا بعد وفاة رسول الله ﷺ فتوفي و بعض الناس يقرؤها وقال أبو موسى الاشعري نزلت ثم رفعت وقال مكي هذا المثال فيه المنسوخ غير متلو والناسخ أيضا غير متلو ولا أعلم له نظيرا اه *الضرب الثاني ما نسخ حكمه دون تلاوته وهذا الضرب هو الذي فيه الكتب المؤلفة وهو على الحقيقة قليل جدا وان أكثر الناس من تعديد الآيات فيه فان المحققين منهم كالقاضي أبي بكر بن العربي بين ذلك واتقنه ﴿والذي أقوله﴾ ان الذي أورده المكثرون أقسام قسم ليس من النسخ في شيء ولا من التخصيص ولا له بهما علاقة بوجه من الوجوه وذلك مثل قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وانفقوا مما رزقناكم ونحو ذلك قالوا انه منسوخ بآية الزكاة وليس كذلك بل هو باق أما الأولى فانها خبر في معرض الثناء عليهم بالانفاق وذلك يصلح ان يفسر بالزكاة وبالانفاق على الأهل وبالانفاق في الأمور المندوبة كالاعانة والاضافة وليس في الآية ما يدل على أنها نفقة واجبة غير الزكاة والآية الثانية يصلح حملها على الزكاة وقد فسرت بذلك وكذا قوله تعالى أليس الله باحكم الحاكمين قيل إنها مما نسخ بآية السيف وليس كذلك لانه تعالى أحكم الحاكمين ابدا لا يقبل هذا الكلام النسخ وان كان معناه الأمر بالتفويض وترك المعاقبة وقوله في البقرة وقولوا للناس حسنا عده بعضهم من المنسوخ بآية السيف وقد غلطه ابن الحصار بان الآية حكاية عما أخذه على بني سرائيل من الميثاق فهو خبر فلا نسخ فيه وقس على ذلك وقسم هو من قسم المخصوص لا من قسم المنسوخ وقد اعتنى ابن العربي بتحريره فاجاد كقوله ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا والشعراء يتبعهم الغاوون الا الذين آمنوا فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره وغير ذلك من الآيات التي خصت باستثناء أو غاية وقد أخطأ من أدخلها في المنسوخ ومنه قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن قيل انه نسخ بقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب وانما هو مخصوص به وقسم رفع ما كان عليه الأمر في الجاهلية أو في شرائع من قبلنا أو في أول الاسلام ولم ينزل في القرآن كابطال نكاح نساء الآباء ومشروعية القصاص والدية وحصر الطلاق في الثلاث وهذا إدخاله في قسم الناسخ قريب ولكن عدم إدخاله اقرب وهو الذي رجحه مكي وغيره ووجهوه بان ذلك الوعد في الناسخ لعدد جميع القرآن منه إذ كله أو أكثره رافع لما كان عليه الكفار وأهل الكتاب قالوا وانما حق الناسخ والمنسوخ ان تكون آية نسخت آية اه نعم النوع الآخر منه وهو رافع ما كان في أول الاسلام إدخاله أوجه من القسمين قبله إذا علمت ذلك فقد خرج من الآيات التي أوردها المكثرون الجم الغفير مع آيات الصفح والعفو إن قلنا ان آية السيف لم تنسخها وبقي مما يصلح لذلك عدد يسير وقد أفردته بادلته في تأليف لطيف وها أنا اورده هنا محررا فمن البقرة قوله تعالى كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت الآية منسوخة قيل بآية المواريث وقيل بحديث ألا لا وصية لوارث وقيل بالاجماع حكاه ابن العربي قوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية قيل منسوخة بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقيل محكمة ولا مقدرة قوله أحل لكم ليلة الصيام الرفث ناسخة لقوله كما كتب على الذين من قبلكم لأن مقتضاها الموافقة فيما كان عليهم من تحريم الأكل والوطء بعد النوم ذكره ابن العربي وحكى قولا آخر أنه نسخ لما كان بالسنة قوله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام الآية منسوخة بقوله وقاتلوا المشركين كافة الآية أخرجه ابن جرير عن عطاء بن ميسرة قوله تعالى والذين يتوفون منكم الى قوله

قوله دخلت الجحر خدر عنيزة ذكره تكريرا لاقامة الوزن لا فائدة فيه غيره ولا ملاحة له ولا رونق وقوله في المصراع الأخير من هذا البيت * فقالت لك الويلات انك مرجلي * كلام مؤنث من كلام النساء نقله من جهته الى شعره وليس فيه غير هذا وتكريره بعد ذلك تقول وقد مال الغبيط يعني قتب الهودج بعد قوله * فقالت لك الويلات انك مرجلي * لا فائدة فيه غير تقدير الوزن والا فحكاية قولها الاول كاف وهو في النظم قبيح لانه ذكر مرة فقالت ومرة تقول في معنى واحد وفصل خفيف وفي مصراع الثاني أيضا تانيث من كلامهن وذكر ابو عبيدة انه قال عقرت بعيري ولم يقل ناقتي لانهم يحملون النساء على ذكور الابل لانها أقوى وفيه نظر لان الاظهر ان البعير اسم للذكر والانثى

متاعا إلى الحول منسوخة بآية أربعة أشهر وعشرا والوصية منسوخة بالميراث والسكنى ثابتة عند قوم منسوخة عند آخرين بحديث ولا سكنى قوله تعالى وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله منسوخة بقوله بعده لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ومن آل عمران قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته قيل انه منسوخ بقوله فاتقوا الله ما استطعتم وقيل لا بل هو محكم وليس فيها آية يصح فيها دعوى النسخ غير هذه الآية ومن النساء قوله تعالى والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم منسوخة بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله قوله تعالى واذا حضر القسمة الآية قيل منسوخة وقيل لا ولكن تهاون الناس فى العمل بها قوله تعالى واللاتى يأتين الفاحشة الآية منسوخة بآية النور من المائدة قوله تعالى ولا الشهر الحرام منسوخة باباحة القتال فيه قوله تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم منسوخة بقوله وان احكم بينهم بما أنزل الله قوله تعالى وآخران من غيركم منسوخ بقوله واشهدوا ذوى عدل منكم ومن الانفال قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون الآية منسوخة بالآية بعدها ومن براءة قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا منسوخة بآيات العذر وهو قوله ليس على الاعمى حرج الآية وقوله ليس على الضعفاء الآيتين وبقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ومن النور قوله تعالى الزانى لا ينكح إلا زانية الآية منسوخة بقوله وانكحوا الأيامى منكم قوله تعالى ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الآية قيل منسوخة وقيل لا ولكن تهاون الناس فى العمل بها ومن الاحزاب قوله تعالى لا تحل لك النساء الآية منسوخة بقوله إنا أحللنا لك أزواجك الآية ومن المجادلة قوله تعالى إذا ناجيتم الرسول فقدموا الآية منسوخة بالآية بعدها ومن الممتحنة قوله تعالى فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا قيل منسوخ بآية السيف وقيل بآية الغنيمة وقيل محكم ومن المزمل قوله قم الليل إلا قليلا منسوخ بآخر السورة ثم نسخ الآخر بالصلوات الخمس فهذه إحدى وعشرون آية منسوخة على خلاف فى بعضها لا يصح دعوى النسخ فى غيرها والاصح فى آية الاستئذان والقسمة الاحكام فصارت تسعة عشر ويضم اليها قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله على رأى ابن عباس انها منسوخة بقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام الآية فتمت عشرون وقد نظمتها فى أبيات فقلت

وقد أكثر الناس فى المنسوخ من عدد ... وأدخلوا فيه آيا ليس تنحصر
وهاك تحرير آى لا مزيد لها ... عشرين حررها الحذاق والكبر
آى التوجه حيث المرء كان وان ... يوصى لأهليه عند الموت محتضر
وحزمة الأكل بعد النوم مع رفث ... وفدية لمطيق الصوم مشتهر
وحق تقواه فيما صح فى أثر ... وفى الحرام قتال للاولى كفروا
والاعتداد بحول مع وصيتها ... وان يدان حديث النفس والفكر
والحلف والحبس للزانى وترك أولى ... كفروا شهادهم والصبر والنفر
ومنع عقد لزان أو لزانية ... وما على المصطفى فى العقد محتظر
ودفع مهر لمن جاءت وآية نجواه ... كذاك قيام الليل مستطر
وزيد آية الاستئذان من ملكت ... وآية القسمة الفضلى لمن حضروا

* فان قلت ما الحكمة فى رفع الحكم وبقاء التلاوة فالجواب من وجهين أحدهما ان القرآن كما يتلى ليعرف الحكم منه والعمل به فيتلى لكونه كلام الله فيثاب عليه فتركت التلاوة لهذه الحكمة والثانى ان النسخ غالبا يكون للتخفيف فابقيت التلاوة تذكيرا للنعمة ورفع المشقة وأما ما ورد فى القرآن ناسخا لما كان عليه الجاهلية أو كان فى شرع من قبلنا أو فى أول الاسلام فهو أيضا قليل العدد كنسخ

واحتاج إلى ذكر البعير لاقامة الوزن وقوله فقلت لها سيرى وارخى زمامه ولا تبعدينى من جناك المعلل فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذى تمائم مغيل البيت الأول قريب النسج ليس له معنى بديع ولا لفظ شريف كانه من عبارات المنحطين فى الصنعة وقوله فمثلك حبلى قد طرقت عابه عليه أهل العربية ومعناه عندهم حتى يستقيم الكلام فرب مثلك حبلى قد طرقت وتقديره انه زير نساء وانه يفسدهن ويلهين عن حبلهن ورضاعهن لأن الحبلى والمرضعة أبعد من الغزل وطلب الرجال والبيت الثانى فى الاعتذار والاستهتار والتهيام وغير منتظم مع المعنى الذى قدمه فى البيت الاول لأن تقديره لا تبعدينى عن نفسك فانى أغلب النساء واخد عهن عن رأيهن وأفسدهن بالتغازل وكونه مفسدة لهن لا يوجب له وصلهن

استقبال بيت المقدس بآية القبلة وصوم عاشوراء بصوم رمضان فى أشياء أخر حررتها فى كتابى المشار اليه ﴿فوائد منثورة﴾ قال بعضهم ليس فى القرآن ناسخ إلا والمنسوخ قبله فى الترتيب إلا فى آيتين آية العدة فى البقرة وقوله لا تحل لك النساء كما تقدم وزاد بعضهم ثالثة وهى آية الحشر فى الفىء على رأى من قال انها منسوخة بآية الانفال واعلموا انما غنمتم من شىء وزاد قوم رابعة وهى قوله خذ العفو يعنى الفضل من أموالهم على رأى من قال انها منسوخة بآية الزكاة وقال ابن العربى كل ما فى القرآن من الصفح عن الكفار والتولى والاعراض والكف عنهم منسوخ بآية السيف وهى فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين الآية نسخت مائة وأربعا وعشرين آية ثم نسخ آخرها أولها اه وقد تقدم ما فيه وقال أيضا من عجيب المنسوخ قوله تعالى خذ العفو الآية فان أولها وآخرها وهو وأعرض عن الجاهلين منسوخ ووسطها محكم وهو وأمر بالعرف وقال من عجيبه أيضا آية أولها منسوخ وآخرها ناسخ ولا نظير لها وهى قوله عليكم انفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم يعنى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهذا ناسخ لقوله عليكم أنفسكم وقال السعيدى لم يمكث منسوخ مدة أكثر من قوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل الآية مكثت ستة عشر سنة حتى نسخها أول الفتح عام الحديبية وذكر هبة الله بن سلامة الضرير انه قال فى قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه الآية ان المنسوخ من هذه الجملة وأسيرا والمراد بذلك أسير المشركين فقرىء عليه الكتاب وابنته تسمع فلما انتهى إلى هذا الموضع قالت له أخطأت يا أبت قال وكيف قالت أجمع المسلمون على ان الأسير يطعم ولا يقتل جوعا فقال صدقت وقال شيدلة فى البرهان يجوز نسخ الناسخ فيصير منسوخا كقوله لكم دينكم ولى دين نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين ثم نسخ هذه بقوله حتى يعطوا الجزية كذا قال وفيه نظر من وجهين أحدهما ما تقدمت الاشارة اليه والآخر أن قوله حتى يعطوا الجزية مخصص للآية لا ناسخ نعم يمثل له بآخر سورة المزمل فانه ناسخ لأولها منسوخ بفرض الصلوات وقوله انفروا خفافا وثقالا ناسخ لآيات الكف منسوخ بآيات العذر * وأخرج أبو عبيد عن الحسن وأبى ميسرة قالا ليس فى المائدة منسوخ ويشكل بما فى المستدرك عن ابن عباس ان قوله فاحكم بينهم أو أعرض عنهم منسوخ بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله * وأخرج أبو عبيد وغيره عن ابن عباس قال أول ما نسخ من القرآن نسخ القبلة * وأخرج أبو داود فى ناسخه من وجه أخذ عنه قال أول آية نسخت من القرآن القبلة ثم الصيام الاول قال مكى وعلى هذا فلم يقع فى المكى ناسخ قال وقد ذكر أنه وقع فيه فى آيات منها قوله تعالى فى سورة غافر والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا فانه ناسخ لقوله ويستغفرون لمن فى الأرض * قلت أحسن من هذه نسخ قيام الليل فى أول سورة المزمل بآخرها وبايجاب الصلوات الخمس وذلك بمكة اتفاقا ﴿تنبيه﴾ قال ابن الحصار انما يرجع فى النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله ﷺ أو عن صحابى يقول آية كذا نسخت كذا قال وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به مع علم التاريخ ليعرف المتقدم والمتأخر قال ولا يعتمد فى النسخ قول عوام المفسرين بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة لأن النسخ يتضمن رفع حكم واثبات حكم تقرر فى عهده ﷺ والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأى والاجتهاد قال والناس فى هذا بين طرفى نقيض فمن قائل لا يقبل فى النسخ أخبار الآحاد العدول ومن متساهل يكتفى فيه بقول مفسر أو مجتهد والصواب خلاف قولهما اه * الضرب الثالث ما نسخ تلاوته دون حكمه وقد أورد بعضهم فيه سؤالا وهو ما الحكمة فى رفع التلاوة مع بقاء الحكم وهلا أبقيت التلاوة ليجتمع العمل بحكمها وثواب تلاوتها * وأجاب صاحب الفنون بان ذلك ليظهر به

وترك ابعاد هن إياه بل
يوجب هجره والاستخفاف
به لسخفه ودخوله كل
مدخل فاحش وركوبه
كل مركب فاسد وفيه من
الفحش والتفحش ما
يستنكف من مثله ويأنف
من ذكره وكقوله
إذا ما بكى من خلفها
انصرفت له
بشق وتحتى شقها لم يحول
ويوما على ظهر الكثيب
تعذرت
على وآلت حلفة لم تحلل
فالبيت الأول غاية فى
الفحش ونهاية فى السخف
وأى فائدة لذكره لعشيقته
كيف كان يركب هذه القبائح
ويذهب هذه المذاهب
ويرد هذه الموارد ان هذا
ليبغضه كل من سمع كلامه
ويوجب له المقت وهو لو
صدق لكان قبيحا فكيف
ويجوز أن يكون كاذبا ثم
ليس فى البيت لفظ بديع
ولا معنى حسن وهذا البيت
متصل بالبيت الذى قبله
من ذكر المرضع التى لها
ولد محمول فاما البيت
الثانى وهو قوله ويوما

مقدار طاعة هذه الأمة فى المسارعة الى بذل النفوس بطريق الظن من غير استفصال لطلب طريق مقطوع به فيسرعون بأيسر شىء كما سارع الخليل الى ذبح ولده بمنام والمنام أدنى طريق الوحى وأمثلة هذا الضرب كثيرة قال أبو عبيد حدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال ليقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله وما يدريه ما كله قد ذهب منه قرآن كثير ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر وقال حدثنا ابن أبى مريم عن ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت كانت سورة الاحزاب تقرأ فى زمن النبى ﷺ مائتى آية فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها الا ما هو الآن وقال حدثنا اسماعيل بن جعفر عن المبارك بن فضالة عن عاصم بن أبى النجود عن ذر بن حبيش قال لى أبى بن كعب كاين تعد سورة الاحزاب قلت اثنتين وسبعين آية أو ثلاثة وسبعين آية قال ان كانت لتعدل سورة البقرة وان كنا لنقرأ فيها آية الرجم قلت وما آية الرجم قال اذا زنا الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وقال حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن مروان بن عثمان عن أبى أمامة بن سهل ان خالته قالت لقد أقرأنا رسول الله ﷺ آية الرجم الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة بما قضيا من اللذة وقال حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرنى ابن أبى حميد عن حميدة بنت أبى يونس قالت قرأ على أبى وهو ابن ثمانين سنة فى مصحف عائشة ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعلى الذين يصلون الصفوف الاول قالت قبل أن يغير عثمان المصاحف * وقال حدثنا عبد الله بن صالح عن هشام بن سعيد عن زيد ابن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى واقد الليثى قال كان رسول الله ﷺ اذا أوحى اليه أتيناه فعلمنا مما أوحى اليه قال فجئت ذات يوم فقال ان الله يقول انا أنزلنا المال لاقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو ان لابن آدم واديا لأحب أن يكون اليه الثانى ولو كان اليه الثانى لأحب أن يكون اليهما الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب * وأخرج الحاكم فى المستدرك عن أبى بن كعب قال قال لى رسول الله ﷺ ان الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن فقرأ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ومن بقيتها لو أن ابن آدم سأل واديا من مال فاعطيه سأل ثانيا وان سأل ثانيا فاعطيه سأل ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وان ذات الدين عند الله الحنيفية غير اليهودية ولا النصرانية ومن يعمل خيرا فلن يكفره وقال أبو عبيد حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أبى حرب بن أبى الأسود عن أبى موسى الأشعرى قال نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها إن الله سيؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب * وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى موسى الأشعرى قال كنا نقرأ سورة نشبهها باحدى المسبحات ما نسيناها غير أنى حفظت منها يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا ما لا تفعلون فتكتب شهادة فى أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة وقال أبو عبيد حدثنا حجاج عن سعيد عن الحكم بن عتيبة عن عدى بن عدى قال قال عمر كنا نقرأ ألا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم ثم قال لزيد ابن ثابت أكذلك قال نعم وقال حدثنا ابن أبى مريم عن نافع بن عمر الجمحى حدثنى ابن أبى مليكة عن المسور بن مخرمة قال قال عمر لعبد الرحمن بن عوف ألم تجد فيما أنزل علينا ان جاهدوا كما جاهدتم أولى مرة فانا لا نجدها قال أسقطت فيما أسقط من القرآن وقال حدثنا ابن أبى مريم عن ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافرى عن أبى سفيان الكلاعى ان مسلمة بن مخلد الانصارى قال لهم ذات يوم أخبرونى بآيتين فى القرآن لم يكتبا فى المصحف فلم يخبروه وعندهم أبو الكنود سعد بن مالك فقال ابن مسلمة ان الذين آمنوا

يتعجب منه وانما تشددت وتعسرت عليه وحلفت عليه فهو كلام ردىء النسج لا فائدة لذكره لنا ان حبيبته تمنعت عليه يوما بموضع يسميه ويصفه وأنت تجد فى شعر المحدثين من هذا الجنس فى التغزل ما يذوب معه اللب وتطرب عليه النفس وهذا مما تستنكره النفس ويشمئز منه القلب وليس فيه شىء من الاحسان والحسن وقوله أفاطم مهلا بعض هذا التدلل
وان كنت قد أزمعت صرمى فاجملى
أغرك منى ان حبك قاتلى
وانك مهما تأمرى القلب يفعل
فالبيت الأول فيه ركاكة جدا وتأنيث ورقة ولكن فيها تخنيث ولعل قائلا يقول ان كلام النساء مما يلائمهن من الطبع أوقع وأغزل وليس كذلك لانك تجد الشعراء فى الشعر المؤنث لم يعدلوا عن رصانة قولهم والمصراع التالى منقطع عن الاول لا يلائمه ولا

وها جروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وأنفسهم الا أبشروا أنتم المفلحون والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم أولئك لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون * وأخرج الطبرانى فى الكبير عن ابن عمر قال قرأ رجلان سورة أقرأهما رسول الله ﷺ فكانا يقرآن بها فقاما ذات ليلة يصليان فلم يقدرا منها على حرف فاصبحا غاديين على رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له فقال انها مما نسخ فالهوا عنها وفى الصحيحين عن أنس فى قصة أصحاب بئر معونة الذين قتلوا وقنت يدعو على قاتليهم قال أنس ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع ان بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا * وفى المستدرك عن حذيفة قال ما تقرؤن ربعها يعنى براءة قال الحسين بن المنارى فى كتابه الناسخ والمنسوخ ومما رفع رسمه من القرآن ولم يرفع من القلوب حفظه سورتا القنوت فى الوتر وتسمى سورتى الخلع والحفد * (تنبيه) * حكى القاضى أبو بكر فى الانتصار عن قوم انكار هذا الضرب لان الاخبار فيه اخبار آحاد ولا يجوز القطع على انزال قرآن ونسخه باخبار آحاد لا حجة فيها وقال أبو بكر الرازى نسخ الرسم والتلاوة وانما يكون بان ينسيهم الله اياه ويرفعه من أوهامهم ويأمرهم بالاعراض عن تلاوته وكتبه فى المصحف فيندرس على الأيام كسائر كتب الله القديمة التى ذكرها فى كتابه فى قوله ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى ولا يعرف اليوم منها شىء ثم لا يخلو ذلك من أن يكون فى زمان النبى ﷺ حتى اذا توفى لا يكون متلوا من القرآن أو يموت وهو متلو موجود بالرسم ثم ينسيه الله الناس ويرفعه من أذهانهم وغير جائز نسخ شىء من القرآن بعد وفاة النبى ﷺ اه وقال فى البرهان فى قول عمر لولا أن تقول الناس زاد عمر فى كتاب الله لكتبتها يعنى آية الرجم ظاهره ان كتابتها جائزة وانما منعه قول الناس والجائز فى نفسه قد يقوم من خارج ما يمنعه فاذا كانت جائزة لزم أن تكون ثابتة لان هذا شأن المكتوب وقد يقال لو كانت التلاوة باقية لبادر عمر ولم يعرج على مقالة الناس لان مقالة الناس لا يصلح مانعا وبالجملة هذه الملازمة مشكلة ولعله كان يعتقد انه خبر واحد ولم القرآن لا يثبت به وان ثبت الحكم ومن هنا أنكر ابن ظفر فى الينبوع عد هذا مما نسخ تلاوته قال لأن خبر الواحد لا يثبت القرآن قال وانما هذا من المنسأ لا النسخ وهما مما يلتبسان والفرق بينهما ان المنسأ لفظه قد يعلم حكمه اه وقوله لعله كان يعتقد انه خبر واحد مردود فقد صح انه تلقاها من النبى صلى الله عليه وسلم * وأخرج الحاكم من طريق كثير بن الصلت قال كان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص يكتبان المصحف فمرا على هذه الآية فقال زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما ألبتة فقال عمر لما نزلت أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت اكتبها فكانه كره ذلك فقال عمر ألا ترى ان الشيخ اذا زنى ولم يحصن جلد وان الشاب اذا زنا وقد أحصن رجم قال ابن حجر فى شرح المنهاج فيستفاد من هذا الحديث السبب فى نسخ تلاوتها لكون العمل على غير الظاهر من عمومها * قلت وخطر لى فى ذلك نكتة حسنة وهو ان سببه التخفيف على الامة بعدم اشتهار تلاوتها وكتابتها فى المصحف وان كان حكمها باقيا لانه أثقل الاحكام وأشدها وأغلظ الحدود وفيه الاشارة الى ندب الستر * وأخرج النسائى ان مروان بن الحكم قال لزيد بن ثابت الا تكتبها فى المصحف قال ألا ترى ان الشابين الثيبين يرجمان ولقد ذكرنا ذلك فقال عمر أنا أكفيكم فقال يا رسول الله اكتب لى آية الرجم قال لا تستطيع قوله اكتب لى أى ائذن لى فى كتابتها ومكنى من ذلك * وأخرج ابن الضريس فى فضائل القرآن عن يعلى بن حكيم عن زيد بن أسلم ان عمر خطب الناس فقال لا تشكوا فى الرجم فانه حق ولقد هممت أن أكتبه فى المصحف فسألت أبى ابن كعب فقال أليس أتيتنى وأنا أستقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفعت فى صدرى

يوافقه وهذا يبين لك اذا اعترضت معه البيت الذى تقدمه وكيف ينكر عليها تدللها والمتغزل يطرب على دلال الحبيب وتدلله والبيت الثانى قد عيب عليه لانه قد أخبر أن من سبيلها ان لا تغتر بما يريها من ان حبها يقتله وانها تملك قلبه فما أمرته فعله والمحب اذا أخبر عن مثل هذا صدق وان كان المعنى غير هذا الذى عيب عليه وانما ذهب مذهبا آخر وهو انه أراد أن يظهر التجلد فهذا خلاف ما أظهر من نفسه فيما تقدم من الابيات من الحب والبكاء على الأحبة فقد دخل فى وجه آخر من المناقضة والاحاطة فى الكلام ثم قوله تامرى القلب يفعل معناه تامرينى والقلب لا يؤمر والاستعارة فى ذلك غير واقعة ولا حسنة وقوله

فان كنت قد ساءتك منى خليقة
فسلى ثيابى عن ثيابك تنسل

وقلت تستقرئه آية الرجم وهم يتسافدون تسافد الحمر قال ابن حجر وفيه اشارة إلى بيان السبب فى رفع تلاوتها وهو الاختلاف ﴿تنبيه﴾ قال ابن الحصار فى هذا النوع ان قيل كيف يقع النسخ إلى غير بدل وقد قال تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها وهذا اخبار لا يدخله خلف فالجواب أن تقول كل ما ثبت الآن فى القرآن ولم ينسخ فهو بدل مما قد نسخت تلاوته فكل ما نسخه الله من القرآن مما لا نعلمه الآن فقد أبدله بما علمناه وتواتر الينا لفظه ومعناه

﴿النوع الثامن والأربعون * فى مشكله وموهم الاختلاف والتناقض﴾ أفرده بالتصنيف قطرب والمراد به ما يوهم التعارض بين الآيات وكلامه تعالى منزه عن ذلك كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافا وليس به فى الحقيقة فاحتيج لازالته كما صنف فى مختلف الحديث و بيان الجمع بين الاحاديث المتعارضة وقد تكلم فى ذلك ابن عباس وحكى عنه التوقف فى بعضها قال عبد الرزاق فى تفسيره أنبأنا معمر عن رجل عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال جاء رجل الى ابن عباس فقال رأيت أشياء تختلف على من القرآن فقال ابن عباس ما هو أشك قال ليس بشك ولكنه اختلاف قال هات ما اختلف عليك من ذلك قال أسمع الله يقول ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقال ولا يكتمون الله حديثا فقد كتموا وأسمعه يقول فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ثم قال وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقال أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين حتى بلغ طائعين ثم قال فى الآية الأخرى أم السماء بناها ثم قال والأرض بعد ذلك دحاها وأسمعه يقول وكان الله ما شانه يقول وكان الله فقال لابن عباس * أما قوله ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فانهم لما رأوا يوم القيامة وان الله يغفر لأهل الاسلام و يغفر الذنوب ولا يغفر شركا ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره جحده المشركون رجاء أن يغفر لهم فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا * وأما قوله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فانه إذا نفخ فى الصور فصعق من من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * وأما قوله خلق الأرض فى يومين فان الأرض خلقت قبل السماء وكانت السماء دخانا فسواهن سبع سموات فى يومين بعد خلق الأرض * وأما قوله والأرض بعد ذلك دحاها يقول جعل فيها جبلا وجعل فيها نهرا وجعل فيها شجرا وجعل فيها بحورا * وأما قوله كان الله فان الله كان ولم يزل كذلك وهو كذلك عزيز حكيم عليم قدير لم يزل كذلك فما اختلف عليك من القرآن فهو يشبه ما ذكرت لك وان الله لم ينزل شيئا الا وقد أصاب به الذى أراد ولكن أكثر الناس لا يعلمون أخرجه بطوله الحاكم فى المستدرك وصححه وأصله فى الصحيح قال ابن حجر فى شرحه حاصل ما فيه السؤال عن أربعة مواضع * الأول نفى المسألة يوم القيامة واثباتها * الثانى كتمان المشركين حالهم وافشاؤه * الثالث خلق الأرض أو السماء أيهما تقدم الرابع الاتيان بحرف كان الدالة على المضى مع أن الصفة لازمة * وحاصل جواب ابن عباس عن الأول ان نفى المسئلة فيما قبل النفخة الثانية واثباتها فيما بعد ذلك وعن الثانى أنهم يكتمون بألسنتهم فتنطق أيديهم وجوارحهم وعن الثالث أنه بدأ خلق الأرض فى يومين غير مدحوة ثم خلق السموات فسواهن فى يومين ثم دحا الارض بعد ذلك وجعل فيها الرواسى وغيرها فى يومين فتلك أربعة أيام للأرض وعن الرابع بأن كان وان كانت للماضى لكنها لا تستلزم الانقطاع بل المراد انه لم يزل كذلك فأما الأول فقد جاء فيه تفسير آخر أن نفى المسئلة عند تشاغلهم بالصعق والمحاسبة والجواز على الصراط

وما ذرفت عيناك الا لتضربى
بسهميك فى اعشار قلب مقتل

البيت الأول قد قيل فى تأويله إنه ذكر الثوب وأراد البدن مثل قول الله تعالى وثيابك فطهر وقال أبو عبيدة هذا مثل للهجر وتنسل تبين وهو بيت قليل المعنى ركيكه وضيعه وكل ما أضاف الى نفسه ووصف به نفسه سقوط وسفه وسخف يوجب قطعه فلم يحكم على نفسه بذلك ولكن يورده موردان ليست له خليقة توجب هجرانه والتفصى من وصله وانه مهذب الاخلاق شريف الشمائل فذلك يوجب أن لا ينفك من وصاله والاستعارة فى المصراع الثانى فيها تواضع وتقارب وان كانت غريبة وأما البيت الثانى فمعدود من محاسن القصيدة وبدائعها ومعناه ما بكيت الا لتجرحى قلبا معشرا أى مكسرا من قولهم برمة اعشار إذا كانت قطعا هذا تأويل

واثباتها فيما عداذلك وهذا منقول عن السدى أخرجه ابن جرير من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس أن نفى المسئلة عند النفخة الأولى واثباتها بعد النفخة الثانية وقد تأول ابن مسعود نفى المسألة على معنى آخر وهو طلب بعضهم من بعض العفو فأخرج ابن جرير من طريق زاذان قال أتيت ابن مسعود فقال يؤخذ بيد العبد يوم القيامة فينادى ألا ان هذا فلان بن فلان فمن كان له حق قبله فليأت قال فتود المرأة يومئذ أن يثبت لها حق على أبيها أو ابنها أو أخيها أو زوجها فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ومن طريق أخرى قال لا يسئل أحد يومئذ بنسب شيئا ولا يتساءلون به ولا يمت برحم وأما الثانى فقد ورد بأبسط منه فيما أخرجه ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم أن نافع بن الأزرق أتى ابن عباس فقال قول الله ولا يكتمون الله حديثا وقوله والله ربنا ما كنا مشركين فقال انى أحسبك قمت من عند أصحابك فقلت لهم آتى ابن عباس التى عليه متشابه القرآن فأخبرهم ان الله إذا جمع الناس يوم القيامة قال المشركون ان الله لا يقبل الا ممن وحده فيسألهم فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين قال فيختم على أفواههم وتستنطق جوارحهم ويؤيده ما أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة فى أثناء حديث وفيه ثم يلقى الثالث فيقول رب آمنت بك وبكتابك ورسولك ويثنى ما استطاع فيقول الآن نبعث شاهدا عليك فيذكر فى نفسه من الذى يشهد على فيختم على فيه وتنطق جوارحه وأما الثالث ففيه أجوبة أخرى منها ان ثم بمعنى الواو فلا يراد وقيل المراد ترتيب الخبر لا المخبر به كقوله ثم كان من الذين آمنوا وقيل على بابها وهى لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخى فى الزمان وقيل خلق بمعنى قدر وأما الرابع وجواب ابن عباس عنه فيحتمل كلامه انه أراد أنه سمى نفسه غفورا رحيما وهذه التسمية مضت لأن التعلق انقضى وأما الصفتان فلا تزالان كذلك لا ينقطعان لانه تعالى إذا أراد المغفرة والرحمة فى الحال أو الاستقبال وقع مراده قاله الشمس الكرمانى قال ويحتمل أن يكون ابن عباس أجاب بجوابين أحدهما أن التسمية هى التى كانت وانتهت والصفة لا نهاية لها والآخر أن معنى كان الدوام فانه لا يزال كذلك ويحتمل أن يحمل السؤال على مسلكين والجواب على دفعهما كأن يقال هذا اللفظ مشعر بأنه فى الزمان الماضى كان غفورا رحيما مع أنه لم يكن هناك من يغفر له أو يرحم وبانه ليس فى الحال كذلك كما يشعر به لفظ كان والجواب عن الأول بأنه كان فى الماضى يسمى به وعن الثانى بان كان تعطى معنى الدوام وقد قال النحاة كان لثبوت خبرها ماضيا دائما أو منقطعا وقد أخرج ابن أبى حاتم من وجه آخر عن ابن عباس أن يهوديا قال له انكم تزعمون ان الله كان عزيزا حكيما فكيف هو اليوم فقال انه كان فى نفسه عزيزا حكيما * موضع آخر توقف فيه ابن عباس قال أبو عبيد حدثنا اسمعيل بن ابراهيم عن أيوب عن ابن أبى مليكة قال سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة وقوله يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فقال ابن عباس هما يومان ذكرهما الله تعالى فى كتابه الله أعلم بهما * وأخرجه ابن أبى حاتم من هذا الوجه وزاد ما أدرى ما هى وأكره أن أقول فيهما ما لا أعلم قال ابن أبى مليكة فضربت البعير حتى دخلت على سعيد بن المسيب فسئل عن ذلك فلم يدر ما يقول فقلت له ألا أخبرك بما حضرت من ابن عباس فأخبرته فقال ابن المسيب للسائل هذا ابن عباس قد اتى أن يقول فيها وهو أعلم منى وروى عن ابن عباس أيضا أن يوم الألف هو مقدار سير الأمر وعروجه اليه ويوم الالف فى سورة الحج هو أحد الايام الستة التى خلق الله فيها السموات ويوم الخمسين ألف هو يوم القيامة فأخرج ابن أبى حاتم من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا قال له حدثنى ما هؤلاء الآيات فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ويدبر الأمر من السماء إلى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة قال وان يوما

ذكره الاصمعى رضى الله عنه وهو أشبه عند أكثرهم وقال غيره وهذا مثل للاعشار التى تقسم الجزور عليها ويعنى بسهميك المعلى وله سبعة انصباء والرقيب وله ثلاثة انصباء فاراد انك ذهبت بقلبى أجمع ويعنى بقوله مقتل مذال وأنت تعلم انه على ما يعنى به فهو غير موافق للابيات المتقدمة لما فيها من التناقض الذى بينا ويشبه أن يكون من قال بالتأويل الثانى فزع اليه لانه رأى اللفظ مستكرها على المعنى الاول لان القائل إذا قال ضرب فلان بسهمه فى الهدف بمعنى أصابه كان كلاما ساقطا مرذولا وهو يرى أن معنى الكلمة أن عينيها كالسهمين النافذين فى اصابة قلبه المجروح فلما بكتا وذرفتا بالدموع كانتا ضاربتين فى قلبه ولكن من حمل على التأويل الثانى سلم من الخلل الواقع فى اللفظ ولكنه إذا حمل على الثانى فسد المعنى واختل لانه ان كان محتاجا على

عندربك كالف سنة فقال يوم القيامة حساب خمسين ألف سنة والسموات فى ستة أيام كل يوم يكون ألف سنة ويدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة قال ذلك مقدار السير وذهب بعضهم الى أن المراد بها يوم القيامة وانه باعتبار حال المؤمن والكافر بدليل قوله يوم عسير على الكافرين غير يسير

﴿فصل﴾ قال الزركشى فى البرهان للاختلاف أسباب أحدها وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى كقوله فى خلق آدم من تراب ومرة من حمأ مسنون ومرة من طين لازب ومرة من صلصال كالفخار فهذه الالفاظ مختلفة ومعانيها فى أحوال مختلفة لان الصلصال غير الحمأ والحمأ غير التراب إلا أن مرجعها كلها الى جوهر وهو التراب ومن التراب درجت هذه الاحوال وكقوله فاذا هى ثعبان وفى موضع تهتز كانها جان والجان الصغير من الحيات والثعبان الكبير منها وذلك لان خلقها خلق الثعبان العظيم واهتزازها وحركتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته الثانى لاختلاف الموضع كقوله وقفوهم إنهم مسؤلون وقوله فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسئلن المرسلين مع قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان قال الحليمى فتحمل الآية الاولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل والثانية على ما يستلزمه الاقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه وحمله غيره على اختلاف الاماكن لان فى القيامة مواقف كثيرة ففى موضع يسئلون وفى آخر لا يسألون وقيل إن السؤال المثبت سؤال تبكيت وتوبيخ والمنفى سؤال المعذرة وبيان الحجة وكقوله اتقوا الله حق تقاته مع قوله فاتقوا الله ما استطعتم حمل الشيخ أبو الحسن الشاذلى الاولى على التوحيد بدليل قوله بعدها ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون والثانية على الاعمال وقيل بل الثانية ناسخة للاولى وكقوله فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة مع قوله ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فالاولى تفهم امكان العدل والثانية تنفيه * والجواب أن الاولى فى توفية الحقوق والثانية فى الميل القلبى وليس فى قدرة الانسان وكقوله ان الله لا يأمر بالفحشاء مع قوله أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فالاولى فى الامر الشرعى والثانية فى الامر الكونى بمعنى القضاء والتقدير الثالث لاختلافهما فى جهتى الفعل كقوله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت إذ رميت أضيف القتل اليهم والرمى اليه ﷺ على جهة الكسب والمباشرة ونفاه عنهم وعنه باعتبار التأثير الرابع لاختلافهما فى الحقيقة والمجاز وترى الناس سكارى وما هم بسكارى أى سكارى من الاهوال مجاز الامن الشراب حقيقة الخامس بوجهين واعتبارين كقوله فبصرك اليوم حديد مع قوله خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى قال قطرب فبصرك أى علمك ومعرفتك بها قوية من قولهم بصر بكذا أى علم وليس المراد رؤية العين قال الفارسى ويدل على ذلك قولك فكشفنا عنك غطاءك وكقوله الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله مع قوله إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فقد يظن أن الوجل خلاف الطمأنينة * وجوابه أن الطمأنينة تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد والوجل يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى فتوجل القلوب لذلك وقد جمع بينهما فى قوله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ومما استشكلوه قوله تعالى ومامنع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الاولين أو يأتيهم العذاب قبلا فانه يدل على حصر المانع من الايمان فى أحد هذين الشيئين وقال فى آية أخرى ومامنع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا فهذا حصر آخر فى غيرهما * وأجاب ابن عبد السلام بأن معنى الآية الاولى ومامنع الناس أن يؤمنوا الا ارادة أن تأتيهم سنة الأولين من الخسف أو غيره أو يأتيهم العذاب قبلا فى الآخرة فاخبر أنه أراد أن يصيبهم أحد الامرين ولا

ما وصف به نفسه من الصبابة فقلبه كله لها فكيف يكون بكاؤها هو الذى يخلص قلبه لها واعلم بعد هذا أن البيت غير ملائم للبيت الأول ولا متصل به فى المعنى وهو منقطع عنه لانه لم يسبق كلام يقتضى بكاءها ولا سبب يوجب ذلك فتركيبه هذا الكلام على ما قبله فيه اختلال ثم لو سلم له بيت من عشرين بيتا وكان بديعا ولا عيب فيه فليس بعجيب لانه لا يدعى على مثله ان كلامه كله متناقض ونظمه كله متباين وانما يكفى أن يبين أن ماسبق من كلامه الى هذا البيت مما لا يمكن أن يقال انه يتقدم فيه أحدا من المتأخرين فضلا عن المتقدمين وانما قدم فى شعره لا بيات قد برع فيها وبأن حذقه بها واتما أنكرنا أن يكون شعره متناسبا فى الجودة ومتشابها فى صحة المعنى واللفظ وقلنا انه يتصرف بين وحشى غريب مستنكر وعربية

شك ان إرادة الله مانعة من ووقوع ماينافى المراد فهذا حصر فى السبب الحقيقى لان الله هو المانع فى الحقيقة ومعنى الآية الثانية ومامنع الناس أن يؤمنوا الا استغراب بعثه بشرا رسولا لان قولهم ليس مانعا من الايمان لانه لا يصلح لذلك وهو يدل على الاستغراب بالالتزام وهو المناسب للمانعية واستغرابهم ليس مانعا حقيقيا بل عاديا لجواز وجود الايمان معه بخلاف إرادة الله تعالى فهذا حصر فى المانع العادى والاول حصر فى المانع الحقيقى فلا تنافى أيضا ومما استشكل أيضا قوله تعالى فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا فمن أظلم ممن كذب على الله مع قوله ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ماقدمت يداه ومن أظلم ممن منع مساجد الله الى غير ذلك ومن الآيات ووجهه أن المراد بالاستفهام هنا النفى والمعنى لا أحد أظلم فيكون خبرا واذا كان خبرا وأخذت الآيات على ظواهرها أدى الى التناقض وأجيب بأوجه منها تخصيص كل موضع بمعنى صلته أى لا أحد من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله ولا أحد عن المفترين أظلم ممن افترى على الله كذبا واذا تخصص بالصلاة فيهاز ال التناقض ومنها أن التخصيص بالنسبة الى السبق لما لم يسبق أحد الى مثله حكم عليهم بأنهم أظلم ممن جاء بعدهم سالكا طريقهم وهذا يؤل معناه الى ماقبله لان المراد السبق الى المانعية والافترائية ومنها وادعى أبو حيان أنه الصواب ان نفى الاظلمية لا يستدعى نفى الظالمية لان نفى المقيد لا يدل على نفى المطلق واذا لم يدل على نفى الظالمية لم يلزم التناقض لان فيها إثبات التسوية فى الاظلمية واذا ثبتت التسوية فيها لم يكن أحد ممن وصف بذلك يزيد على الآخر لانهم يتساوون فى الاظلمية وصار المعنى لا أحد أظلم ممن افترى ومن منع ونحوها ولا إشكال فى تساوى هؤلاء فى الاظلمية ولا يدل على أن أحد هؤلاء أظلم من الآخر كما اذا قلت لا أحد أفقه منهم اه وحاصل الجواب أن نفى التفضيل لا يلزم منه نفى المساواة وقال بعض المتأخرين هذا استفهام مقصود به التهويل والتفظيع من غير قصد اثبات الاظلمية للمذكور حقيقة ولا نفيها عن غيره وقال الخطابى سمعت ابن أبى هريرة يحكى عن أبى العباس بن سريج قال سأل رجل بعض العلماء عن قوله لا أقسم بهذا البلد فأخبر أنه لا يقسم به ثم أقسم به فى قوله وهذا البلد الامين فقال أيما أحب اليك أجيبك ثم أفظعك أو أفظعك ثم أجيبك فقال بل أفظعنى ثم أجبنى فقال له اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال وبين ظهرانى قوم وكانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزا وعليه مطعنا فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به وأسرعوا بالرد عليه ولكن القوم علموا وجهلت ولم ينكروا منه ما أنكرت ثم قال له ان العرب قد تدخل لا فى أثناء كلامها وتلغى معناها وأنشد فيه أبياتا ﴿تنبيه﴾ قال الاستاذ أبو اسحق الاسفرايينى اذا تعارضت الآى وتعذر فيها الترتيب والجمع طلب التاريخ وترك المتقدم بالمتأخر ويكون ذلك نسخا وان لم يعلم وكان الاجماع على العمل باحدى الآيتين علم باجماعهم أن الناسخ ما أجمعوا على العمل بها قال ولا يوجد فى القرآن آيتان متعارضتان تخلوان عن هذين الوصفين قال غيره وتعارض القراءتين بمنزلة تعارض الآيتين نحو وأرجلكم بالنصب والجر ولهذا جمع بينهما بحمل النصب على الغسل والجر على مسح الخف وقال الصيرفى جماع الاختلاف والتناقض أن كل كلام صح أن يضاف بعض ما وقع الاسم عليه الى وجه من الوجوه فليس فيه تناقض وانما التناقض فى اللفظ ماضاده من كل جهة ولا يوجد فى الكتاب والسنة شىء من ذلك أبدا وانما يوجد فيه النسخ فى وقتين وقال القاضى أبو بكر لا يجوز تعارض آى القرآن والآثار وما يوجبه العقل فلذلك لم يجعل قوله الله خالق كل شىء معارضا لقوله وتخلقون افكا وإذ تخلق من الطين لقيام الدليل العقلى أنه لا خالق غير الله فتعين تأويل ماعارضه فيؤول وتخلقون على تكذبون وتخلق

كالمهل مستنكرة وبين كلام سليم متوسط وبين عامى سوقى فى اللفظ والمعنى وبين حكمة حسنة وبين سخف مستشنع ولهذا قال الله عز اسمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فأما قوله

وبيضة خدر لا يرام خباؤها
تمتعت من لهو بها غير معجل
تجاوزت احراسا اليها ومعشرا
على حراصا لو يسرون مقتلى

فقد قالوا عنى بذلك أنها كبيضة خدر فى صفائها ورقتها وهذه كلمة حسنة ولكن لم يسبق اليها بل هى دائرة فى أفواه العرب وتشبيه سائر ويعنى بقوله غير معجل انه ليس ذلك مما يتفق قليلا وأحيانا بل يتكرر له الاستمتاع بها وقد يحمله غيره على انه رابط الجأش فلا يستعجل اذا دخلها خوف حصانتها ومنعتها وليس فى البيت كبير

على تصور ﴿فائدة﴾ قال الكرماني عند قوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا الاختلاف على وجهين اختلاف تناقض وهو ما يدعو فيه احد الشيئين الى خلاف الآخر وهذا هو الممتنع على القرآن واختلاف تلازم وهو ما يوافق الجانبين كاختلاف وجوه القراءة واختلاف مقادير السور والآيات واختلاف الأحكام من الناسخ والمنسوخ والامر والنهي والوعد والوعيد

﴿النوع التاسع والاربعون* في مطلقه ومقيده﴾ المطلق الدال على الماهية بلا قيد وهو مع القيد كالعام مع الخاص قال العلماء متى وجد دليل على تقييد المطلق صير اليه والا فلا بل يبقى المطلق على اطلاقه والمقيد على تقييده لان الله تعالى خاطبنا بلغة العرب والضابط ان الله اذا حكم في شيء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقا نظر فان لم يكن له أصل يرد اليه الا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به وان كان له أصل يرد غيره لم يكن رده الى أحدهما بأولى من الآخر فالأول مثل اشتراط العدالة في الشهود على الرجعة والفراق والوصية في قوله واشهدوا ذوي عدل منكم وقوله شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم وقد اطلق الشهادة في البيوع وغيرها في قوله واشهدوا اذا تبايعتم فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم والعدالة شرط في الجميع ومثل تقييده ميراث الزوجين بقوله من بعد وصية يوصين بها أو دين واطلاقه الميراث فيما أطلق فيه وكذلك ما أطلق من المواريث كلها بعد الوصية والدين وكذلك ما اشترط في كفارة القتل من الرقبة المؤمنة واطلاقها في كفارة الظهار واليمين والمطلق كالمقيد في وصف الرقبة وكذلك تقييد الايدي بقوله الى المرافق في الوضوء واطلاقه التيمم وتقييد احباط العمل بالردة بالموت على الكفر في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر الآية واطلق في قوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وتقييد تحريم الدم بالمسفوح في الانعام واطلق فيما عداها فذهب الشافعي حمل المطلق على المقيد في الجميع ومن العلماء من لا يحمله ويجوز اعتاق الكافر في كفارة الظهار واليمين ويكتفي في التيمم بالمسح الى الكوعين ويقول ان الردة تحبط العمل بمجردها والثاني مثل تقييد الصوم بالتتابع في كفارة القتل والظهار وتقييده بالتفريق في صوم التمتع واطلاق كفارة اليمين وقضاء رمضان فيبقى على اطلاقه من جوازه مفرقا ومتتابعا لا يمكن حمله عليهما لتنافي القيدين وهما التفريق والتتابع وعلى احدهما لعدم المرجح ﴿تنبيهات* الاول﴾ اذا قلنا يحمل المطلق على المقيد هل هو من وضع اللغة أو بالقياس مذهبان وجه الاول ان العرب من مذهبها استجباب الاطلاق اكتفاء بالقيد وطلبا للايجاز والاختصار الثاني ما تقدم محله اذا كان الحكمان بمعنى واحد وانما اختلفا في الاطلاق والتقييد فاما اذا حكم في شيء بأمور ثم في آخر ببعضها وسكت فيه عن بعضها فلا يقتضي الالحاق كالامر بغسل الاعضاء الاربعة في الوضوء وذكر في التيمم عضوين فلا يقال بالحمل ومسح الرأس والرجلين بالتراب فيه أيضا وكذلك ذكر المتق والصوم والاطعام في كفارة الظهار واقتصر في كفارة القتل على الاولين ولم يذكر الاطعام فلا يقال بالحمل وابدال الصيام بالطعام

﴿النوع الخمسون* في منطوقه ومفهومه﴾ المنطوق ما دل عليه اللفظ في محل النطق فان أفاد معنى لا يحتمل غيره فالنص نحو فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وقد نقل عن قوم من المتكلمين انهم قالوا بندور النص جدا في الكتاب والسنة وقد بالغ امام الحرمين وغيره في الرد قال لان الغرض من النص الاستقلال بافادة المعنى على قطع مع انحسام جهات التأويل والاحتمال وهذا وان عز حصوله بوضع الصيغ ردا الى اللغة فما أكثره مع القرائن الحالية والمقالية اه ومع احتمال غيره احتمالا مرجوحا فالظاهر نحو فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الباغي يطلق على الجاهل

فائدة لانه الذي حكى في سائر أبياته فلا تتضمن مطاولته في المغازلة واشتغاله بها فتكريره في هذا البيت مثل ذلك قليل المعنى الا الزيادة التي ذكر من منعتها وهو مع ذلك بيت سليم اللفظ في المصراع الأول دون الثاني والبيت الثاني ضعيف وقوله لو يسرون مقتلي أراد أن يقول لو اسروا فاذا نقله الى هذا ضعف ووقع في مضمار الضرورة والاختلال على نظمه بين حتى ان المحترز يحترز من مثله وقوله

اذا ما الثريا في السماء تعرضت
تعرض اثناء الوشاح المفصل

قد أنكر عليه قوم قوله اذا ما الثريا في السماء تعرضت وقالوا الثريا لا تتعرض حتى قال بعضهم سمى الثريا وانما أراد الجوزاء لأنها تعرض والعرب تفعل ذلك كما قال زهير

كأحمر عاد وانما هو أحمر ثمود وقال بعضهم في

وعلى الظالم وهو فيه اظهر وأغلب ونحو ولا تقربوهن حتى يطهرن فانه يقال للانقطاع طهر وللوضوء والغسل وهو فى الثانى اظهر وان حمل على المرجوح لدليل فهو تأويل ويسمى المرجوح المحمول عليه مؤولا كقوله وهو معكم أينما كنتم فانه يستحيل حمل المعية على القرب بالذات فتعين صرفه عن ذلك وحمله على القدرة والعلم والحفظ والرعاية وكقوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة فانه يستحيل حمله على الظاهر لاستحالة أن يكون للانسان أجنحة فيحمل على الخضوع وحسن الخلق وقد يكون مشتركا بين حقيقتين أو حقيقة ومجاز ويصح حمله عليهما جميعا فيحمل عليهما جميعا سواء قلنا بجواز استعمال اللفظ فى معنييه أولا ووجهه على هذا أن يكون اللفظ قد خوطب به مرتين مرة أريد هذا ومرة أريد هذا ومن أمثلته ولا يضار كاتب ولا شهيد فانه يحتمل ولا يضار الكاتب والشهيد صاحب الحق بحور فى الكتابة والشهادة ولا يضارر بالفتح أى لا يضارهما صاحب الحق بالزامهما لا يلزمهما واجبارهما على الكتابة والشهادة ثم ان توقفت صحة دلالة اللفظ على اضمار سميت دلالة اقتضاء نحو واسئل القرية أى أهلها وان لم تتوقف ودل اللفظ على ما لم تقصد به سميت دلالة اشارة كدلالة قوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم على صحة صوم من أصبح جنبا اذ اباحة الجماع الى طلوع الفجر تستلزم كونه جنبا فى جزء من النهار وقد حكى هذا الاستنباط عن محمد بن كعب القرظى ﴿فصل﴾ والمفهوم ما دل عليه اللفظ لا فى محل النطق وهو قسمان مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة فالاول ما يوافق حكمه المنطوق فان كان أولى سمى لحن الخطاب كدلالة فلا تقل لهما أف على تحريم الضرب لانه أشد وان كان مساويا سمى لحن الخطاب أى معناه كدلالة ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما على تحريم الاحراق لانه مساو للاكل فى الاتلاف * واختلف هل دلالة ذلك قياسية أو لفظية مجازية أو حقيقية على أقوال بيناها فى كتبنا الاصولية والثانى ما يخالف حكمه المنطوق وهو أنواع مفهوم صفة نعتا كان أو حالا أو ظرفا أو عددا نحو ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا مفهومه أن غير الفاسق لا يجب التبيين فى خبره فيجب قبول خبر الواحد العدل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد الحج أشهر معلومات أى فلا يصح الاحرام به فى غيرها فاذكروا الله عند المشعر الحرام أى فالذكر عند غيره ليس محصلا للمطلوب فاجلدوهم ثمانين جلدة أى لا أقل ولا أكثر وشرط نحو وان كن أولات حمل فانفقوا عليهن أى فغير أولات الحمل لا يجب الانفاق عليهن وغاية نحو فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره أى فاذا نكحته تحل للاول بشرطه وحصر نحو لا إله إلا الله إنما إلهكم الله أى فغيره ليس بالله فالله هو الولى أى فغيره ليس بولى لالى الله تحشرون أى لا الى غيره إياك نعبد أى لا غيرك واختلف فى الاحتجاج بهذه المفاهيم على أقوال كثيرة والاصح فى الجملة انها كلها حجة بشروط منها أن لا يكون المذكور خرج للغالب ومن ثم لم يعتبر الاكثرون مفهوم قوله وربائبكم اللاتى فى حجوركم فان الغالب كون الربائب فى حجور الأزواج فلا مفهوم له لأنه انما خص بالذكر لغلبة حضوره فى الذهن وان لا يكون موافقا للواقع ومن ثم لا مفهوم لقوله ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به وقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين وقوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا والاطلاع على ذلك من فوائد معرفة أسباب النزول ﴿فائدة﴾ قال بعضهم الالفاظ اما ان تدل بمنطوقها أو بفحواها ومفهومها أو باقتضائها وضرورتها أو بمعقولها المستنبط منها حكاه ابن الحصار وقال هذا كلام حسن قلت فالاول دلالة المنطوق والثانى دلالة المفهوم والثالث دلالة الاقتضاء والرابع دلالة الاشارة

﴿النوع الحادى والخمسون فى وجوه مخاطباته﴾ قال ابن الجوزى فى كتاب النفيس الخطاب

تصحيح قوله تعرض أول ما تطلع كما ان الوشاح اذا طرح يلقاك بعرضه وهو ناحيته وهذا كقول الشاعر

تعرضت لى بمجان خل
تعرض المهرة فى الطول

يقول تريك عرضها وهى فى الرسن وقال أبو عمرو يعنى اذا أخذت الثريا فى وسط السماء كما يأخذ الوشاح وسط المرأة والاشبه عندنا ان البيت غير معيب من حيث عابوه به وانه من محاسن هذه القصيدة ولولا أبيات عدة فيه لقابله ماشئت من شعر غيره ولكن لم يأت فيه بما يفوت الشأو ويستولى على الامد انت تعلم انه ليس للمتقدمين ولا للمتأخرين فى وصف شىء من النجوم مثل ما فى وصف الثريا وكل قد أبدع فيه واحسن فلما أن يكون قد عارضه أو زاد عليه فمن ذلك قول ذى الرمة

وردت اعتسافا والثريا كأنها
على قمة الرأس ابن ماء محلق

فى القرآن على خمسة عشر وجها وقال غيره على أكثر من ثلاثين وجها * أحدها خطاب العام والمراد به العموم كقوله الله الذى خلقكم * والثانى خطاب الخاص والمراد به الخصوص كقوله أكفرتم بعد ايمانكم يأيها الرسول بلغ * الثالث خطاب العام والمراد به الخصوص كقوله يأيها الناس اتقوا ربكم لم يدخل فيه الاطفال والمجانين * الرابع خطاب الخاص والمراد العموم كقوله يأيها النبى إذا طلقتم النساء افتتح الخطاب بالنبى ﷺ والمراد سائر من يملك الطلاق وقوله يأيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك الآية قال أبو بكر الصيرفى كان ابتداء الخطاب له فلما قال فى الموهوبة خالصة لك علم أن ماقبلها له ولغيره * الخامس خطاب الجنس كقوله يأيها النبى * السادس خطاب النوع نحو يابنى اسرائيل * السابع خطاب العين نحو يا آدم اسكن يانوح اهبط يا ابراهيم قد صدقت يا موسى لا تخف ياعيسى انى متوفيك ولم يقع فى القرآن الخطاب بيا محمد بل يا أيها النبى يا أيها الرسول تعظيما له وتشريفا وتخصيصا بذلك عما سواه وتعليما للمؤمنين أن لا يندوه باسمه * الثامن خطاب المدح نحو يأيها الذين آمنوا ولهذا وقع الخطاب بأهل المدينة الذين آمنوا وهاجروا * أخرج ابن أبى حاتم عن خيثمة قال ما تقرؤن فى القرآن يأيها الذين آمنوا فانه فى التوراة يأيها المساكين * وأخرج البيهقى وأبو عبيد وغيرهما عن ابن مسعود قال إذا سمعت الله يقول يأيها الذين آمنوا فاوعها سمعك فانه خير يؤمر به أو شر ينهى عنه * التاسع خطاب الذم نحو يأيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم قل يأيها الكافرون ولتضمنه الاهانة لم يقع فى القرآن فى غير هذين الموضعين وكثر الخطاب بيا أيها الذين آمنوا على المواجهة وفى جانب الكفار جىء بلفظ الغيبة اعراضا عنهم كقوله ان الذين كفروا قل للذين كفروا * العاشر خطاب الكرامة كقوله يأيها النبى يأيها الرسول قال بعضهم ونجد الخطاب بالنبى فى محل لا يليق به الرسول وكذا عكسه فى الأمر بالتشريع العام يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وفى مقام الخاص يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك قال وقد يعبر بالنبى فى مقام التشريع العام لكن مع قرينة ارادة العموم كقوله يأيها النبى إذا طلقتم ولم يقل طلقت * الحادى عشر خطاب الاهانة نحو فانك رجيم اخسؤا فيها ولا تكلمون * الثانى عشر خطاب التهكم نحو ذق انك أنت العزيز الكريم * الثالث عشر خطاب الجمع بلفظ الواحد نحو يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم * الرابع عشر خطاب الواحد بلفظ الجمع نحو يأيها الرسل كلوا من الطيبات الى قوله فذرهم فى غمرتهم فهو خطاب له ﷺ وحده اذ لا نبى معه ولا بعده وكذا قوله وان عاقبتم فعاقبوا الآية خطاب له ﷺ وحده بدليل قوله واصبر وما صبرك إلا بالله الآية وكذا قوله فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا بدليل قوله قل فائتوا وجعل منه بعضهم قال رب ارجعون أى ارجعنى وقيل رب خطاب لله تعالى وارجعون للملائكة وقال السهيلى هو قول من حضرته الشياطين وزبانية العذاب فاختلط فلا يدرى ما يقول من الشطط وقد اعتاد أمرا يقوله فى الحياة من رد الأمر الى المخلوقين * الخامس عشر خطاب الواحد بلفظ الاثنين نحو ألقيا فى جهنم والخطاب لمالك خازن النار وقيل لخزنة النار والزبانية فيكون من خطاب الجمع بلفظ الاثنين وقيل للملكين الموكلين به فى قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فيكون على الأصل وجعل المهدوى من من هذا النوع قال قد أجيبت دعوتكما قال الخطاب لموسى وحده لانه الداعى وقيل لهما لأن هرون أمن على دعائه والمؤمن أحد الداعيين * السادس عشر خطاب الاثنين بلفظ الواحد كقوله فمن ربكما يا موسى أى ويا هرون وفيه وجهان أحدهما أنه أفرده بالنداء لا دلاله عليه بالتربية والآخر لأنه صاحب الرسالة والآيات وهرون تبع له ذكره ابن عطية وذكر فى الكشاف آخر وهو أن هرون لما كان أفصح من موسى نكب فرعون عن خطابه حذرا من لسانه ومثله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى

ومن ذلك قول ابن المعتز

وترى الثريا فى السماء كأنها
بيضات ادحى يلحن بقدفد

وكقوله

كأن الثريا فى أواخر ليلها
تفتح نور أو لجام مفضفض

وقوله أيضا

فناولنيها والثريا كأنها
جنى نرجس حيا الندامى به الساقى

وقول الأشهب بن رميلة

ولاحت لساريها الثريا كأنها
لدى الافق الغربى قرط مسلسل

ولابن المعتز

وقد هوى النجم والجوزاء تتبعه
كذات قرط أرادته وقد سقطا

أخذه من ابن الرومى فى قوله

طيب ريقه إذا ذقت فاه
والثريا بجانب الغرب قرط

ولابن المعتز

قد سقانى المدام والصبح

قال ابن عطية أفرده بالشقاء لأنه المخاطب أولا والمقصود فى الكلام وقيل لأن الله جعل الشقاء فى معيشة الدنيا فى جانب الرجال وقيل اغضاء عن ذكر المرأة كما قيل من الكرم ستر الحرم * السابع عشر خطاب الاثنين بلفظ الجمع كقوله ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة * الثامن عشر خطاب الجمع بلفظ الاثنين كما تقدم فى ألقيا * التاسع عشر خطاب الجمع بعد الواحد كقوله وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل قال ابن الانبارى جمع فى الفعل الثالث ليدل على أن الأمة داخلون مع النبى ﷺ ومثله يا أيها النبى إذا طلقتم النساء * العشرون عكسه نحو وأقيموا الصلاة و بشر المؤمنين * الحادى والعشرون خطاب الاثنين بعد الواحد نحو أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الأرض * الثانى والعشرون عكسه نحو من ربكما ياموسى * الثالث والعشرون خطاب العين والمراد به الغير نحو يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين الخطاب له والمراد أمته لانه ﷺ كان تقيا وحاشاه من طاعة الكفار ومنه فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب الآية حاشاه ﷺ من الشك وانما المراد بالخطاب التعريض بالكفار * وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى هذه الآية قال لم يشك ﷺ ولم يسأل ومثله واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية فلا تكونن من الجاهلين وانحاء ذلك * الرابع والعشرون خطاب الغير والمراد به العين نحو لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم * الخامس والعشرون الخطاب العام الذى لم يقصد به مخاطب معين نحو ولو ترى إذ وقفوا على النار ألم تر أن الله يسجد له ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم ولم يقصد بذلك خطاب معين بل كل أحد وأخرج فى صورة الخطاب لقصد العموم يريد أن حالهم تناهت فى الظهور بحيث لا يختص بها راء دون راء بل كل من أمكن منه الرؤية داخل فى ذلك الخطاب * السادس والعشرون خطاب الشخص ثم العدول الى غيره نحو فان لم يستجيبوا لكم خوطب به النبى ﷺ ثم قال للكفار فاعلموا انما أنزل بعلم الله بدليل فهل أنتم مسلمون ومنه انا أرسلناك شاهدا الى قوله لتؤمنوا فى من قرأ بالفوقية * السابع والعشرون خطاب التكوين وهو الالتفات * الثامن والعشرون خطاب الجمادات خطاب من يعقل نحو فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها * التاسع والعشرون خطاب التهييج نحو وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين * الثلاثون خطاب التحنن والاستعطاف نحو يا عبادى الذين أسرفوا الآية * الحادى والثلاثون خطاب التحبب نحو يا أبت لم تعبد يا بنى انها ان تك يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى * الثانى والثلاثون خطاب التعجيز نحو فأتوا بسورة * الثالث والثلاثون خطاب التشريف وهو كل ما فى القرآن مخاطبة بقل فانه تشريف منه تعالى لهذه الامة بأن يخاطبها بغير واسطة لتفوز بشرف المخاطبة * الرابع والثلاثون خطاب المعدوم و يصح ذلك تبعا لموجود نحو يا بنى آدم فانه خطاب لأهل ذلك الزمان ولكل من بعدهم ﴿فائدة﴾ قال بعضهم خطاب القرآن ثلاثة أقسام قسم لا يصلح الا للنبى ﷺ وقسم لا يصلح الا لغيره وقسم لهما ﴿فائدة﴾ قال ابن القيم تأمل خطاب القرآن تجد ملكا له الملك كله وله الحمد كله أزمة الامور كلها بيده ومصدرها منه ومردها اليه مستويا على العرش لا تخفى عليه خافية من أقطار مملكته عالما بما فى نفوس عبيده مطلعا على أسرارهم وعلانيتهم منفردا بتدبير المملكة يسمع و يرى و يعطى و يمنع و يثيب و يعاقب و يكرم و يهين و يخلق و يرزق و يميت و يحيى و يقدر و يقضى و يدبر الامور نازلة من عنده دقيقها وجليلها وصاعدة اليه لا تتحرك ذرة الا بأذنه ولا تسقط ورقة إلا بعلمه فتأمل كيف تجده يثنى على نفسه و يمجد نفسه و يحمد نفسه و ينصح عباده و يدلهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم و يرغبهم فيه و يحذرهم مما فيه

بالليل مؤتزر
والثريا كنور غصن على
الارض قد نثر

وقوله

ونروم الثريا فى السماء مراما
كانكباب طمر كاد يلقى
لجاما

ولابن الطثرية

اذا ما الثريا فى السماء كانها
جمان وهى من مسلكه
فتبددا

ولو نسخت لك كل ما قالوا
من البديع فى وصف
الثريا لطال عليك الكتاب
وخرج عن الغرض وانما
نريد ان نبين لك ان
الابداع فى نحو هذا أمر
قريب وليس فيه شىء
غريب وفى جملة ما نقلناه
ما يزيد على تشبيهه فى
الحسن أو يساويه أو
يقاربه فقد علمت أن ما
حلق فيه وقدر المتعصب
له أنه بلغ النهاية فيه أمر
مشترك وشريعة
وموردة وباب واسع
وطريق مسلوك واذا
كان هذا بيت القصيدة
ودرة القلادة وواسطة

هلاكهم و يتعرف اليهم باسمائه وصفاته و يتحبب اليهم بنعمه وآلائه يذكرهم بنعمه عليهم و يأمرهم بما يستوجبون به تمامها و يحذرهم من نقمه و يذكرهم بما أعدلهم من الكرامة ان أطاعوه وما أعدلهم من العقوبة أن عصوه و يخبرهم بصنعه فى أوليائه وأعدائه وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء و يثنى على أوليائه بمصالح أعمالهم وأحسن أوصافهم و يذم أعداءه بسيء أعمالهم وقبيح صفاتهم و يضرب الامثال وينوع الادلة والبراهين و يجيب عن شبه أعدائه أحسن الاجوبة و يصدق الصادق و يكذب الكاذب و يقول الحق و يهدى السبيل و يدعو إلى دار السلام و يذكر أوصافها وحسنها و نعيمها و يحذر من دار البوار و يذكر عذابها وقبحها وآلامها و يذكر عباده فقرهم اليه وشدة حاجتهم اليه من كل وجه وأنهم لا غنى لهم عنه طرفة عين و يذكرهم غناه عنهم وعن جميع الموجودات وأنه الغنى بنفسه عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير اليه وأنه لا ينال أحد ذرة من الخير فما فوقها إلا بفضله ورحمته ولا ذرة من الشر فما فوقها إلا بعدله وحكمته و تشهد من خطابه عتابه لأحبابه ألطف عتاب وأنه مع ذلك مقيل عثراتهم وغافر زلاتهم ومقيم أعذارهم ومصلح فسادهم والدافع عنهم والحامى عنهم والناصر لهم والكفيل بمصالحهم والمنجى لهم من كل كرب والموفى لهم بوعده وأنه وليهم الذى لا ولى لهم سواه فهو ولاهم الحق و ينصرهم على عدوهم فنعم المولى ونعم النصير وإذا شهدت القلوب من القرآن ملكا عظيما جوادا رحيما جميلا هذا شأنه فكيف لا تحبه و تنافس فى القرب منه و تنفق انفاسها فى التودد اليه ويكون أحب اليها من كل ماسواه ورضاه آثر عندها من رضا كل من سواه وكيف لا تلهج بذكره و تصير حبه والشوق اليه والانس به هو غذاؤها وقوتها ودواؤها بحيث إن فقدت ذلك فسدت وهلكت ولم تنتفع بحياتها ﴿ فائدة ﴾ قال بعض الاقدمين أنزل القرآن على ثلاثين نحوا كل نحو منه غير صاحبه فمن عرف وجوهها تكلم فى الدين أصاب ووفق ومن لم يعرفها وتكلم فى الدين كان الخطأ اليه أقرب وهو المكى والمدنى والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والتقديم والتأخير والمقطوع والموصول والسبب والاضمار والخاص والعام والأمر والنهى والوعد والوعيد والحدود والاحكام والخبر والاستفهام والابهة والحروف المصرفة والاعذار والانذار والحجة والاحتجاج والمواعظ والامثال والقسم قال فالمكى مثل واهجرهم هجرا جميلا * والمدنى مثل وقاتلوا فى سبيل الله * والناسخ والمنسوخ واضح * والمحكم مثل ومن يقتل مؤمنا متعمدا الآية ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ونحوه مما أحكمه الله و بينه * والمتشابه مثل يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية ولم يقل ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا كما قال فى المحكم وقد ناداهم فى هذه الآية بالايمان ونهاهم عن المعصية ولم يجعل فيها وعيدا فاشتبه على أهلها ما يفعل الله بهم * والتقديم والتأخير مثل كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية التقدير كتب عليكم الوصية إذا حضر أحدكم الموت * والمقطوع والموصول مثل لا أقسم بيوم القيامة ولا مقطوع من أقسم وإنما هو فى المعنى اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة ولم يقسم * والسبب والاضمار مثل واسأل القرية أى أهل القرية * والخاص والعام مثل يا أيها النبى فهذا فى المسموع خاص إذا طلقتم النساء فصار فى المعنى عاما * والأمر وما بعده الى الاستفهام امثلتها واضحة * والابهة مثل انا أرسلنا نحن قسمنا عبر بالصيغة الموضوعة للجماعة للواحد تعالى تفخيما وتعظيما وابهة * والحروف المصرفة كالفتنة تطلق على الشرك نحو حتى لا تكون فتنة * وعلى المعذرة نحو ثم لم تكن فتنتهم أى معذرتهم * وعلى الاختبار نحو وفتنا قومك من بعدك * والاعذار نحو فما نقضهم ميثاقهم لعناهم اعتذر أنه لم يفعل ذلك الا بمعصيتهم والجوائى امثلتها واضحة

العقد وهذا محله فكيف بما تعداه ثم فيه ضرب من التكلف لأنه قال * إذا ما الثريا فى السماء تعرضت * تعرض اثناء الوشاح فقوله تعرضت من الكلام الذى يستغنى عنه لانه يشبه اثناء الوشاح سواء كان فى وسط السماء أو عند الطلوع والمغيب فالتهويل بالتعرض والتطويل بهذه الألفاظ لا معنى له وفيه ان الثريا كقطعة من الوشاح المفصل فلا معنى لقوله تعرض اثناء الوشاح وإنما أراد أن يقول تعرض قطعة من اثناء الوشاح فلم يستقم له اللفظ حتى شبه ماهو كالشيء الواحد بالجمع وقوله

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها
لدى الستر إلا لبسة المتفضل

فقالت يمين الله مالك حيلة
وما ان أرى عنك العماية تنجلى

انظر الى البيت الأول والأبيات التى قبله كيف خلط فى النظم وفرط فى

﴿ النوع الثانى والخمسون * فى حقيقته ومجازه ﴾ لا خلاف فى وقوع الحقائق فى القرآن وهى كل لفظ تنى على موضوعه ولا تقديم فيه ولا تأخير وهذا أكثر الكلام وأما المجاز فالجمهور أيضا على وقوعه فيه وأنكره جماعة منهم الظاهرية وابن القاص من الشافعية وابن خويز منداد من المالكية وشبهتهم ان المجاز أخو الكذب والقرآن منزه عنه وان المتكلم لا يعدل اليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير وذلك محال على الله تعالى وهذه شبهة باطلة ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن فقدا تفق البلغاء على أن المجاز ابلغ من الحقيقة ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها ﴿ وقد افرده بالتصنيف الامام عز الدين بن عبد السلام * ولخصته مع زيادات كثيرة فى كتاب سميته مجاز الفرسان الى مجاز القرآن ﴾ وهو قسمان * الأول المجاز فى التركيب ويسمى مجاز الاسناد والمجاز العقلى وعلاقته الملابسة وذلك أن يسند الفعل أو شبهه الى غير ما هو له اصالة لملابسته له كقوله تعالى وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا نسبت الزيادة وهى فعل الله الى الآيات لكونها سببا لها يذبح ابناءهم ياهامان ابن لى نسب الذبح وهو فعل الاعوان الى فرعون والبناء وهو فعل العملة الى هامان لكونهما آمرين به وكذا قوله واحلوا قومهم دار البوار نسب الاحلال اليهم لتسببهم فى كفرهم بأمرهم إياهم به * ومنه قوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا نسب الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه * عيشة راضية أى مرضية فاذا عزم الامر أى عزم عليه بدليل فاذا عزمت وهذا القسم أربعة أنواع * أحدها ما طرفاه حقيقيان كالآية المصدر بها * وكقوله وأخرجت الأرض اثقالها * ثانيها مجازيان نحو فما ربحت تجارتهم أى مار بحوا فيها واطلاق الربح والتجارة هنا مجاز * ثالثها * ورابعها ما أحد طرفيه حقيقى دون الآخر أما الأول أو الثانى * كقوله أم أنزلنا عليهم سلطانا أى برهانا كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعو فان الدماء من النار مجاز * وقوله حتى تضع الحرب أوزارها تؤتى أكلها كل حين فامه هاوية فاسم الأم الهاوية مجاز أى كما أن الأم كافلة لولدها وملجأله كذلك النار للكافرين كافلة ومأوى ومرجع * القسم الثانى المجاز فى المفرد ويسمى المجاز اللغوى وهو استعمال اللفظ فى غير ماوضع له أولا وأنواعه كثيرة * أحدها الحذف وسيأتى مبسوطا فى نوع المجاز فهو به أجدر خصوصا إذا قلنا إنه ليس من أنواع المجاز * الثانى الزيادة وسبق تحرير القول فيها فى نوع الاعراب * الثالث اطلاق اسم الكل على الجزء نحو يجعلون أصابعهم فى آذانهم أى أناملهم ونكتة التعبير عنها بالأصابع الاشارة الى ادخالها على غير المعتاد مبالغة من الفرار فكأنهم جعلوا الأصابع وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم أى وجوههم لانه لم ير جملتهم فمن شهد منكم الشهر فليصمه أطلق الشهر وهو اسم الثلاثين ليلة وأراد جزأ منه كذا أجاب به الامام فخر الدين عن استشكال ان الجزاء إنما يكون بعد تمام الشرط والشرط أن يشهد الشهر وهو اسم لكله حقيقة فكأنه أمر بالصوم بعد مضى الشهر وليس كذلك وقد فسره على وابن عباس وابن عمر على أن المعنى من شهد أول الشهر فليصم جميعه وان سافر فى اثنائه * أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم وغيرهما وهو أيضا من هذا النوع ويصلح أن يكون من نوع الحذف * الرابع عكسه نحو ويبقى وجه ربك أى ذاته فولوا وجوهكم شطره أى ذواتكم اذ الاستقبال يجب بالصدر وجوه يومئذ ناعمة ووجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة عبر بالوجوه عن جميع الاجساد لأن التنعم والنصب حاصل لكلها ذلك بما قدمت يداك بما كسبت أيديكم أى قدمت وكسبتم ونسب ذلك الى الايدى لان أكثر الأعمال تزاول بها قم الليل وقرآن الفجر واركعوا مع الراكعين ومن الليل فاسجد له اطلق كلا من القيام والقراءة والركوع والسجود على الصلاة وهو بعضها هديا بالغ الكعبة أى الحرم كله بدليل أنه لا يذبح فيها ﴿ تنبيه ﴾ الحق

التأليف فذكر التمتع بها وذكر الوقت والحال والحراس ثم يذكر كيف كان صفتها لما دخل عليها ووصل إليها من نزعها ثيابها الا ثوبا واحدا والمتفضل الذى فى ثوب واحد وهو الفضل فما كان من سبيله ان يقدمه إنما ذكره مؤخرا وقوله لدى السترحشو وليس بحسن ولا بديع وليس فى البيت حسن ولا شىء يفضل لاجله وأما البيت الثانى ففيه تعليق واختلال ذكر الأصمعى أن معنى قوله مالك حيلة أى ليست لك جهة تجىء فيها والناس حوالى والكلام فى المصراع الثانى منقطع عن الأول ونظمه اليه فيه ضرب من التفاوت وقوله فقمت بها أمشى تجر وراءنا على اثرنا أذيال مرط مرجل فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل

بهذين النوعين شيآن * أحدهما وصف البعض بصفة الكل كقوله ناصية كاذبة خاطئة فالخطأ صفة الكل وصف به الناصية وعكسه كقوله انا منكم وجلون والوجل صفة القلب ولملئت منهم رعبا والرعب انما يكون فى القلب * والثانى اطلاق لفظ بعض مراد به الكل ذكره أبو عبيدة وخرج عليه قوله ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه أى كله وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم وتعقب بأنه لايجب على النبى بيان كل ما اختلف فيه بدليل الساعة والروح ونحوهما و بأن موسى كان وعدهم بعذاب فى الدنيا وفى الآخرة فقال يصبكم هذا العذاب فى الدنيا وهو بعض الوعيد من غير نفى عذاب الآخرة ذكره ثعلب * قال الزركشى و يحتمل أيضا أن يقال إن الوعيد مما لا يستنكر ترك جميعه فكيف بعضه و يؤيد ماقاله ثعلب قوله فاما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم * الخامس اطلاق اسم الخاص على العام نحو إنا رسول رب العالمين أى رسله * السادس عكسه نحو و يستغفرون لمن فى الأرض أى المؤمنين بدليل قوله و يستغفرون للذين آمنوا * السابع إطلاق اسم الملزوم على اللازم * الثامن عكسه نحو هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة أى هل يفعل أطلق الاستطاعة على الفعل لأنها لازمة له * التاسع اطلاق المسبب على السبب نحو ينزل لكم من السماء رزقا قد أنزل لنا عليكم لباسا أى مطرا يتسبب عنه الرزق واللباس لايجدون نكاحا أى مؤنة من مهر ونفقة ومالا بد للمتزوج منه * العاشر عكسه نحو ما كانوا يستطيعون السمع أى القبول والعمل به لأنه مسبب عن السمع ﴿تنبيه﴾ من ذلك نسبة الفعل الى سبب السبب كقوله فأخرجهما مما كانا فيه كما أخرج أبويكم من الجنة فان المخرج فى الحقيقة هو الله تعالى وسبب ذلك أكل الشجرة وسبب الأكل وسوسة الشيطان * الحادى عشر تسمية الشىء باسم ما كان عليه نحو وآتوا اليتامى أموالهم أى الذين كانوا يتامى اذ لا يتم بعد البلوغ فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن أى الذين كانوا أزواجهن من يأت ربه مجرما سماه مجرما باعتبار ما كان فى الدنيا هن الاجرام * الثانى عشر تسميته باسم مايؤول اليه نحو إنى أرانى أعصر خمرا أى عنبا يؤول إلى الخمرية ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا أى صائرا إلى الكفر والفجور حتى تنكح زوجا غيره سماه زوجا لأن العقد يؤول إلى زوجية لانها لا تنكح الا فى حال كونه زوجا فبشرناه بغلام حليم نبشرك بغلام عليم وصفه فى حال البشارة بما يؤول اليه من العلم والحلم * الثالث عشر اطلاق اسم الحال على المحل نحو ففى رحمة الله هم فيها خالدون أى فى الجنة لانها محل الرحمة بل مكر الليل أى فى الليل اذ يكيدكم الله فى منامك أى عينك على قول الحسن * الرابع عشر عكسه نحو فليدع ناديه أى أهل ناديه أى مجلسه ومنه التعبير باليد عن القدرة نحو بيده الملك و بالقلب عن العقل نحو لهم قلوب لا يفقهون بها أى عقول و بالأفواه عن الالسن نحو و يقولون بأفواههم و بالقرية عن ساكنيها نحو واسأل القرية وقد اجتمع هذا النوع وما قبله فى قوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد فان أخذ الزينة غير ممكن لانها مصدر فالمراد محلها فاطلق عليه اسم الحال وأخذها للمسجد نفسه لا يجب فالمراد به الصلاة فأطلق اسم المحل على الحال * الخامس عشر تسمية الشىء باسم آلته نحو واجعل لى لسان صدق فى الآخرين أى ثناء حسنا لان اللسان آلته وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه أى بلغة قومه * السادس عشر تسمية الشىء باسم ضده نحو فبشرهم بعذاب أليم والبشارة حقيقة فى الخبر السار ومنه تسمية الداعى إلى الشىء باسم الصارف عنه ذكره السكاكى وخرج عليه قوله تعالى مامنعك أن لا تسجد يعنى مادعاك إلى أن لا تسجد وسلم بذلك من دعوى زيادة لا * السابع عشر اضافة الفعل الى ما يصح منه تشبيها نحو جدارا يريد أن ينقض وصفه بالارادة وهى من صفات الحى تشبيها لميله للوقوع بارادته * الثامن عشر اطلاق الفعل والمراد

البيت الاول من مساعدتها اياه حتى قامت معه ليخلوا وانما كانت تجر على الاثر اذيال مرط مرجل والمرجل ضرب من البرود يقال لو شبه الترجيل وفيه تكلف لأنه قال وراءنا على أثرنا ولو قال على أثرنا كان كافيا والذيل إنما يجر وراء الماشى فلا فائدة لذكره وراءنا وتقدير القول فقمت أمشى بها وهذا أيضا ضرب من التكلف وقوله اذيال مرط كان من سبيله أن يقول ذيل مرط على أنه لو سلم من ذلك كان قريبا ليس مما يفوت بمثله غيره ولا يتقدم به سواه وقول ابن المعتز أحسن منه

فبت افرش خدى فى الطريق له
ذلا واسحب اذيالى على الاثر

وأما البيت الثانى فقوله أجزنا بمعنى قطعنا والخبت بطن من الارض والحقف رمل منعرج والعقنقل المنعقد من الرمل الداخل بعضه فى بعض

مشارفته ومقاربته وارادته نحو فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن أى قاربن بلوغ الأجل أى انقضاء العدة لان الامساك لايكون بعده وهو فى قوله فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن حقيقة فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون أى فاذا قرب مجيئه وبه يندفع السؤال المشهور فيها أن عند مجىء الاجل لا يتصور تقديم ولا تأخير وليخش الذين لو تركوا من خلفهم الآية أى لو قاربوا أن يتركوا خافوا لأن الخطاب للاوصياء وانما يتوجه اليهم قبل الترك لانهم بعده أموات اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا أى اردتم القيام فاذا قرأت القرآن فاستعذ أى اردت القراءة لتكون الاستعاذة قبلها وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا أى أردنا اهلاكها والالم يصح العطف بالفاء وجعل منه بعضهم قوله من يهد الله فهو المهتدى أى من يرد الله هدايته وهو حسن جدا لئلا يتحد الشرط والجزاء * التاسع عشر القلب إما قلب اسناد نحو ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أى لتنوء العصبة بها لكل أجل كتاب أى لكل كتاب أجل وحرمنا عليه المراضع أى حرمناه على المراضع ويوم يعرض الذين كفروا على النار أى تعرض النار عليه لان المعروض عليه هو الذى له الاختيار وانه لحب الخير لشديد أى وان حبه للخير وان يردك بخير أى يرد بك الخير فتلقى آدم من ربه كلمات لان المتلقى حقيقة هو آدم كما قرىء بذلك أيضا أو قلب عطف نحو ثم تولوا عنهم فانظر أى فانظروا ثم تولوا ثم دنا فتدلى أى تدلى فدنا لانه بالتدلى مال إلى الدنو أو قلب تشبيه ونسيأتى فى نوعه * العشرون اقامة صيغة مقام أخرى وتحته أنواع كثيرة * منها اطلاق المصدر على الفاعل نحو فانهم عدو لى ولهذا أفرده وعلى المفعول نحو ولا يحيطون بشىء من علمه أى من معلومه صنع الله أى مصنوعه وجاؤا على قميصه بدم كذب أى مكذوب فيه لان الكذب من صفات الأقوال لا الأجسام * ومنها اطلاق البشرى على المبشر به والهوى على المهوى والقول على المقول * ومنها اطلاق الفاعل والمفعول على المصدر نحو ليس لوقعتها كاذبة أى تكذيب بأيكم المفتون أى الفتنة على أن الباء غير زائدة * ومنها اطلاق فاعل على مفعول نحو ماء دافق أى مدفوق لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم أى لا معصوم جعلنا حرما آمنا أى مأمونا فيه وعكسه نحو انه كان وعده مأتيا أى آتيا حجابا مستورا أى ساترا * وقيل هو على بابه أى مستورا عن العيون لا يحس به أحد * ومنها اطلاق فعيل بمعنى مفعول نحو وكان الكافر على ربه ظهيرا * ومنها اطلاق واحد من المفرد والمثنى والجمع على آخر منها مثال اطلاق المفرد على المثنى والله ورسوله أحق أن يرضوه أى يرضوهما فافرد لتلازم الرضاءين وعلى الجمع أن الانسان لفى خسر أى الاناسى بدليل الاستثناء منه أن الانسان خلق هلوعا بدليل إلا المصلين * ومثال اطلاق المثنى على المفرد ألقيا فى جهنم أى ألق ومنه كل فعل نسب إلى شيئين وهو لاحدهما فقط نحو يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما وهو الملح دون العذب ونظيره ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وانما تخرج الحلية من الملح وجعل القمر فيهن نورا أى فى احداهن نسيا حوتهما والناسى يوشع بدليل قوله لموسى انى نسيت الحوت وانما أضيف النسيان اليهما معا لسكوت موسى عنه فمن تعجل فى يومين والتعجيل فى اليوم الثانى على رجل من القريتين عظيم * قال الفارسى أى من احدى القريتين وليس منه ولمن خاف مقام ربه جنتان وان المعنى جنة واحدة خلافا للفراء * وفى كتاب ذا القد لابن جنى أن منه أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين وانما المتخذ الها عيسى دون مريم * ومثال اطلاقه على الجمع ثم ارجع البصر كرتين أى كرات لأن البصر لا يحسر الا بها وجعل منه بعضهم قوله الطلاق مرتان * ومثال اطلاق الجمع على المفرد قال رب ارجعون أى ارجعنى * وجعل منه ابن فارس فناظرة بم يرجع المرسلون والرسول واحد بدليل ارجع اليهم وفيه نظر لانه يحتمل أنه خاطب رئيسهم لاسيما وعادة الملوك جارية

وهذا بيت متقارب مع الابيات المتقدمة لان فيها ماهو سلس قريب يشبه كلام المولدين وكلام البذلة وهذا قد أغرب فيه وأتى بهذه اللفظة الوحشية المتعقدة وليس فى ذكرها والتفضيل بالحاقها بكلامها فائدة الكلام الغريب واللفظة الشديدة المباينة للنسج الكلام قد تحمد إذا وقعت موقع الحاجة فى وصف ما يلائمها كقوله عز وجل فى وصف يوم القيامة يوما عبوسا قمطريرا فأما إذا وقعت فى غير هذا الموقع فهى مكروهة مذمومة بحسب ما تحمد فى موضعها * وروى أن جريرا أنشد بعض خلفاء بنى أمية قصيدته

بان الخليط برامتين فودعوا
أو كلما جدوا لبين تجزع
كيف العزاء ولم أجد مذ بنتم
قلبا يقر ولا شرابا ينفع

قال وكان يزحف من حسن هذا الشعر حتى

أن لا يرسلوا واحدا * وجعل منه فنادته الملائكة ينزل الملائكة بالروح أي جبريل وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والقاتل واحد * ومثال اطلاقه على المثنى قالتا أتينا طائعين قالوا لا تخف خصمان فان كان له اخوة فلامه السدس أي أخوان فقد صغت قلوبكما أي قلبا كما وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث، الى قوله وكنا لحكمهم شاهدين * ومنها اطلاق الماضي على المستقبل لتحقق وقوعه نحو أتى أمر الله أي الساعة بدليل فلا تستعجلوه ونفخ في الصور فصعق من في السموات واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس الآية وبرزوا لله جميعا ونادى أصحاب الاعراف وعكسه لافادة الدوام والاستمرار فكأنه وقع واستمر نحو أتأمرون الناس بالبر وتنسون وا تبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان أي تلت ولقد نعلم اي علمنا قد يعلم ما أتم عليه أي علم فلم تقتلون أنبياء الله أي قتلتم وكذا فريقا كذبتم وفريقا تقتلون ويقول الذين كفروا لست مرسلا أي قالوا ومن لواحق ذلك التعبير عن المستقبل باسم الفاعل أو المفعول لأنه حقيقة في الحال لا في الاستقبال نحو وان الدين لواقع ذلك يوم مجموع له الناس * ومنها اطلاق الخبر على الطلب أمرا أو نهيا أو دعاء مبالغة في الحث عليه حتى كأنه وقع وأخبر عنه * قال الزمخشري ورود الخبر والمراد الامر أو النهي ابلغ من صريح الامر والنهي كأنه سورع فيه الى الامتثال وأخبر عنه نحو والوالدات يرضعن والمطلقات يتربصن فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج على قراءة الرفع وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله أي لا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله لا يمسه الا المطهرون أي لا يمسه واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله أي لا تعبدوا بدليل وقولوا للناس حسنا لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم أي اللهم اغفر لهم وعكسه نحو فليمدد له الرحمن مدا أي يمد اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أي ونحن حاملون بدليل وانهم لكاذبون والكذب انما يرد على الخبر فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا * قال الكواشي في الآية الاولى الامر بمعنى الخبر أبلغ من الخبر لتضمنه اللزوم نحو ان زرتنا فلنكرمك يريدون تأكيد إيجاب الاكرام عليهم * وقال ابن عبد السلام لان الامر للايجاب يشبه الخبرية في ايجابه * ومنها وضع النداء موضع التعجب نحو يا حسرة على العباد * قال الفراء معناه فيا لها حسرة * وقال ابن خالويه هذه من أصعب مسئلة في القرآن لان الحسرة لا تنادى وانما ينادى الاشخاص لان فائدته التنبيه ولكن المعنى على التعجب * ومنها وضع جمع القلة موضع الكثرة نحو وهم في الغرفات آمنون وغرف الجنة لا تحصى هم درجات عند الله ورتب الناس في علم الله أكثر من العشرة لا محالة الله يتوفى الانفس أياما معدودات ونكتة التقليل في هذه الآية التسهيل على المكلفين وعكسه نحو يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء * ومنها تذكير المؤنث على تأويله بمذكر نحو فمن جاءه موعظة من ربه أي وعظ وأحييتا به بلدة ميتا على تأويل البلدة بالمكان فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي أي الشمس أو الطالع إن رحمة الله قريب من المحسنين * قال الجوهري ذكرت على معنى الاحسان * وقال الشريف المرتضى في قوله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم ان الاشارة للرحمة وانما لم يقل ولتلك لان تأنيثها غير حقيقي ولانه يجوز أن يكون في تأويل أن يرحم * ومنها تأنيث المذكر نحو الذين يرثون الفردوس هم فيها أنث الفردوس وهو مذكر حملا على معنى الجنة من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أنث عشرا حيث حذف الهاء مع اضافتها الى الامثال وواحدها مذكر فقيل لاضافة الامثال الى مؤنث وهو ضمير الحسنات فاكتسب منه التأنيث * وقيل هو من باب مراعاة المعنى لان الامثال في المعنى مؤنثة لان مثل الحسنة حسنة والتقدير فله عشر حسنات أمثالها * وقد قدمنا في القواعد المهمة قاعدة في التذكير والتأنيث * ومنها التغليب وهو اعطاء الشيء حكم غيره * وقيل ترجيح أحد المعلومين على الآخر واطلاق لفظه عليهما اجراء للمختلفين مجرى

بلغ قوله

وتقول بوزع قد بيت على العصا

هلا هزيت بغيرنا يا بوزع

فقال أفسدت شعرك بهذا الاسم وأما قوله

هصرت بغصني دوحة فتمايلت

على هضيم الكشح ريا المخلخل

مهفهفة بيضاء غير مفاضة

ترائبها مصقولة كالسجنجل

فمعنى قوله هصرت جذبت وثنيت وقوله

بغصني دوحة تعسف ولم يكن من سبيله أن يجعلهما اثنين والمصراع الثاني أصح وليس فيه شيء إلا ما يتكرر على ألسنة الناس من هاتين الصفتين وأنت تجد ذلك في وصف كل شاعر ولكنه مع تكرره على الالسن صالح وأما معنى قوله مهفهفة انها مخففة ليست مثقلة والمفاضة التي اضطرب طولها والبيت مع مخالفته في الطبع الابيات المتقدمة ونزوعه فيه الى الالفاظ المستكرهة وما فيه من الخلل من تخصيص الترائب

المتفقين نحو وكانت من القانتين الا امرأته كانت من الغابرين والاصل من القانتات والغابرات فعدت الانثى من المذكر بحكم التغليب بل أنتم قوم تجهلون أتى بتاء الخطاب تغليبا لجانب أنتم على جانب قوم والقياس أن يؤتى بياء الغيبة لانه صفة لقوم وحسن العدول عنه وقوع الموصوف خبرا عن ضمير المخاطبين قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم غلب في الضمير المخاطب وان كان من تبعك يقتضي الغيبة وحسنه أنه لما كان الغائب تبعا للخاطب في المعصية والعقوبة جعل تبعا له في اللفظ أيضا وهو من محاسن ارتباط اللفظ بالمعنى ولله يسجد ما في السموات وما في الارض غلب غير العاقل حيث أتى بما لكثرته * وفي آية أخرى عبر بمن فغلب العاقل لشرفه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا أدخل شعيبا في لا تعودن بحكم التغليب اذ لم يكن في ملتهم أصلا حتى يعود فيها * وكذا قوله ان عدنا في ملتكم فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس عد منهم بالاستثناء تغليبا لكونه كان بينهم يا ليت بيني و بينك بعد المشرقين أي المشرق والمغرب * قال ابن الشجري وغلب المشرق لانه أشهر الجهتين مرج البحرين أي الملح والعذب والبحر خاص بالملح فغلب لكونه أعظم ولكل درجات أي من المؤمنين والكفار فالدرجات للعلو والدركات للسفل فاستعمل الدرجات في القسمين تغليبا للاشرف * قال في البرهان وانما كان التغليب من باب المجاز لان اللفظ لم يستعمل فيما وضع له ألا ترى ان القانتين موضوع للذكور الموصوفين بهذا الوصف فاطلاقه على الذكور والاناث اطلاق على غير ما وضع له وكذا باقي الامثلة * ومنها استعمال حروف الجر في غير معانيها الحقيقية كما تقدم في النوع الاربعين * ومنها استعمال صيغة افعل لغير الوجوب وصيغة لا تفعل لغير التحريم وأدوات الاستفهام لغير طلب التصور والتصديق وأداة التمني والترجي والنداء لغيرها كما سيأتي كل ذلك في الانشاء * ومنها التضمين وهو اعطاء الشيء معنى الشيء و يكون في الحروف والافعال والاسماء * أما الحروف فتقدم في حروف الجر وغيرها * وأما الافعال فان تضمن فعلا معنى فعل آخر فيكون فيه معنى الفعلين معا وذلك بأن يأتي الفعل متعديا بحرف ليس من عادته التعدي به فيحتاج الى تأويله أو تأويل الحرف ليصح التعدي به والاول تضمين الفعل والثاني تضمين الحرف * واختلفوا أيهما أولى فقال أهل اللغة وقوم من النحاة التوسع في الحرف * وقال المحققون التوسع في الفعل لانه في الافعال أكثر مثاله عينا يشرب بها عباد الله فيشرب انما يتعدى بمن فتعديته بالباء إما على تضمينه معنى يروى و يلتذ * أو تضمين الباء معنى من أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالرفث لا يتعدى بالى على تضمن معنى الافضاء هل لك إلى أن تزكى * والاصل في ان فضمن معنى أدعوك يقبل التوبة عن عباده عديت بعن لتضمنها معنى العفو والصفح * وأما في الاسماء فان يضمن اسم معنى اسم لافادة معنى الاسمين معا نحو حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق ضمن حقيق معنى حريص ليفيد أنه محقوق بقول الحق وحريص عليه وانما كان التضمين مجازا لان اللفظ لم يوضع للحقيقة والمجاز معا فالجمع بينهما مجاز

﴿ فصل ﴾ في أنواع مختلف في عدها من المجاز وهي ستة * أحدها الحذف فالمشهور أنه من المجاز وأنكره بعضهم لان المجاز استعمال اللفظ في غير موضوعه والحذف ليس كذلك * وقال ابن عطية حذف المضاف هو عين المجاز ومعظمه وليس كل حذف مجازا * وقال القرافي الحذف أربعة أقسام قسم يتوقف عليه صحة اللفظ ومعناه من حيث الاسناد نحو واسأل القرية أي أهلها اذ لا يصح اسناد السؤال اليها * وقسم يصح بدونه لكن يتوقف عليه شرعا كقوله فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام اخر أي فافطر فعدة * وقسم يتوقف عليه عادة لا شرعا نحو اضرب بعصاك البحر فانفلق أي فضربه هو قسم يدل عليه دليل غير شرعي ولا هو عادة نحو فقبضت قبضة من أثر الرسول دل الدليل

بالضوء بعد ذكر جميعها بالبياض فليس بطائل ولكنه قريب متوسط

وقوله تصد وتبدى عن أسيل وتتقى بناظرة من وحش وجرة مطفل

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش إذا هي نضته ولا بمعطل

معنى قوله عن اسيل اى باسيل وانما يريد خدا ليس بكز وقوله تتقى يقال اتقاه بترسه أى جعله بينه و بينه وقوله تصد وتبدى عن أسيل متفاوت لان الكشف عن الوجه مع الوصل دون الصد وقوله تتقى بناظرة لفظة مليحة ولكن أضافها الى ما نظم به كلامه وهو مختل وهو قوله من وحش وجرة وكان يجب أن تكون العبارة بخلاف هذا كان من سبيله أن يضيف الى عيون الظبا أو المهادون اطلاق الوحش ففيهن ما تستنكر عيونها وقوله مطفل فسروه على انها

على انه انما قبض من أثر حافر فرس الرسول وليس فى هذه الاقسام مجازا الا الاول * وقال الزنجانى فى المعيار إنما يكون مجازا اذا تغير حكم فأما اذا لم يتغير كحذف خبر المبتدأ المعطوف على جملة فليس مجازا إذ لم يتغير حكم ما بقى من الكلام * وقال القزوينى فى الايضاح متى تغير اعراب الكلمة بحذف أو زيادة فهى مجاز نحو واسأل القرية ليس كمثله شىء وان كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغير الاعراب نحو أو كصيب فيها رحمة فلا توصف الكلمة بالمجاز * الثانى التأكيد زعم قوم أنه مجاز لانه لا يفيد إلا ما أفاده الاول والصحيح أنه حقيقة * قال الطرطوشى فى العمد ومن سماه مجازا قلنا له اذا كان التأكيد بلفظ الاول نحو عجل عجل ونحوه فان جاز أن يكون الثانى مجازا جاز فى الاول لانهما فى لفظ واحد واذا بطل حمل الاول على المجاز بطل حمل الثانى عليه لانه مثل الاول * الثالث التشبيه زعم قوم أنه مجاز والصحيح أنه حقيقة * قال الزنجانى فى المعيار لانه معنى من المعانى وله ألفاظ تدل عليه وضعا فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه * وقال الشيخ عز الدين ان كان بحرف فهو حقيقة أو بحذفه فمجاز بناء على أن الحذف من باب المجاز * الرابع الكناية وفيها أربعة مذاهب * أحدها أنها حقيقة * قال ابن عبد السلام وهو الظاهر لانها استعملت فيما وضعت له وأريد بها الدلالة على غيره * الثانى أنها مجاز * الثالث أنها لا حقيقة ولا مجاز واليه ذهب صاحب التلخيص لمنعه فى المجاز أن يراد المعنى الحقيقى مع المجازى وتجويزه ذلك فيها * الرابع وهو اختيار الشيخ تقى الدين السبكى انها تقسم الى حقيقة ومجاز فان استعملت اللفظ فى معناه مرادا منه لازم المعنى أيضا فهو حقيقة وان لم يرد المعنى بل عبر بالملزوم عن اللازم فهو مجاز لاستعماله فى غير ما وضع له * والحاصل أن الحقيقة منها أن يستعمل اللفظ فيما وضع له ليفيد غير ما وضع له والمجاز منها أن يريد به غير موضوعه استعمالا وافادة * الخامس التقديم والتأخير عده قوم من المجاز لان تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل نقل لكل واحد منهما عن مرتبته وحقه قال فى البرهان والصحيح أنه ليس منه فان المجاز نقل ما وضع الى ما لم يوضع له * السادس الالتفات قال الشيخ بهاء الدين السبكى لم أر من ذكر هل هو حقيقة أو مجاز قال وهو حقيقة حيث لم يكن معه تجريد ﴿فصل﴾ فيما يوصف بانه حقيقة ومجاز باعتبارين * هو الموضوعات الشرعية كالصلاة والزكاة والصوم والحج فانها حقائق بالنظر الى الشرع مجازات بالنظر الى اللغة

﴿فصل﴾ فى الواسطة بين الحقيقة والمجاز قيل بها فى ثلاثة أشياء * أحدها اللفظ قبل الاستعمال وهذا القسم مفقود فى القرآن ويمكن أن يكون منه أوائل السور على القول بأنها للاشارة الى الحروف التى يتركب منها الكلام * ثانيها الأعلام * ثالثها اللفظ المستعمل فى المشاكلة نحو ومكروا ومكر الله وجزاء سيئة سيئة مثلها ذكر بعضهم أنه واسطة بين الحقيقة والمجاز قال لانه لم يوضع لما استعمل فيه فليس حقيقة ولا علاقة معتبرة فليس مجازا كذا فى شرح بديعية ابن جابر الفقيه * قلت والذى يظهر أنها مجاز والعلاقة المصاحبة ﴿خاتمة﴾ لهم مجاز المجاز وهو أن يجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة الى مجاز آخر فيتجوز بالمجاز الأول عن الثانى لعلاقة بينهما كقوله تعالى ولكن لا تواعدوهن سرا فانه مجاز عن مجاز فان الوطء تجوز عنه بالسر لكونه لا يقع غالبا الا فى السر وتجوز به عن العقد لانه مسبب عنه فالصحيح للمجاز الاول الملازمة والثانى السببية والمعنى لا تواعدوهن عقد نكاح * وكذا قوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله فان قوله لا إله إلا الله مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ والعلاقة السببية لأن توحيد اللسان مسبب عن توحيد الجنان والتعبير بلا إله إلا الله عن الوحدانية من مجاز التعبير بالقول عن المقول فيه * وجعل منه ابن السيد قوله أنزلنا عليكم لباسا قال المنزل عليهم ليس هو نحس اللباس بل الماء المنبت للزرع المتخذ منه الغزل

ليست بصمية وانها قد استحكمت وهذا اعتذار متعسف وقوله مطفل زيادة لا فائدة فيها على هذا التفسير الذى ذكره الاصمعى ولكن قد يحتمل عندى أن يفيد غير هذه الفائدة فيقال انها اذا كانت مطفلا لحظت أطفالها بعين رقة ففى نظر هذه رقة نظر المودة ويقع الكلام معلقا تعليقا متوسطا * وأما البيت الثانى فمعنى قوله ليس بفاحش أى ليس بفاحش الطول ومعنى قوله نضته رفعته ومعنى قوله ليس بفاحش فى مدح الاعناق كلام فاحش موضوع منه واذا نظرت فى أشعار العرب رأيت فى وصف الاعناق ما يشبه السحر فكيف وقع على هذه الكلمة ودفع الى هذه اللفظة وهلا قال كقول أبى نواس

مثل الظباء مشت الى رو
ض صوادر عن غدير
ولست أطول عليك فتستثقل ولا أكثر القول

المنسوج منه اللباس

﴿النوع الثالث والخمسون * فى تشبيهه واستعاراته﴾ التشبيه نوع من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها * قال المبرد فى الكامل لو قال قائل هو أكثر كلام العرب لم يبعد * وقد أفرد تشبيهات القرآن بالتصنيف أبو القاسم بن البندار البغدادى فى كتاب سماه الجمان وعرفه جماعة منهم السكاكى بانه الدلالة على مشاركة أمر لامر فى معنى * وقال ابن أبى الاصبع هو اخراج الاغمض الى الاظهر * وقال غيره هو الحاق شىء بذى وصف فى وصفه * وقال بعضهم هو أن تثبت للمشبه حكما من أحكام المشبه به والغرض منه تأنيس النفس باخراجها من خفى الى جلى ومن دانئه البعيد من القريب ليفيد بيانا * وقيل الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار وأدواته حروف وأسماء وأفعال فالحروف الكاف نحو كرماد وكأن نحو كأنه رؤس الشياطين والاسماء مثل وشبه ونحوهما مما يشتق من المماثلة والمشابهة قاله الطيبى ولا تستعمل مثل الا فى حال أو صفة لها شأن وفيها غرابة نحو مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر والافعال نحو يحسبه الظمآن ماء يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى * قال فى التلخيص تبعا للسكاكى وربما يذكر فعل ينبىء عن التشبيه فيؤتى فى التشبيه القريب بنحو علمت زيدا أسدا الدال على التحقيق وفى البعيد بنحو حسبت زيدا أسدا الدال على الظن وعدم التحقيق وخالفه جماعة منهم الطيبى فقالوا فى كون هذه الافعال تنبىء عن التشبيه نوع خفاء والاظهر أن الفعل ينبىء عن حال التشبيه فى القرب والبعد وأن الاداة محذوفة مقدرة لعدم استقامة المعنى بدونه ﴿ذكر أقسامه﴾ ينقسم التشبيه باعتبارات * الاول باعتبار طرفيه الى أربعة أقسام لانهما إما حسيان أو عقليان أو المشبه به حسى والمشبه عقلى أو عكسه * مثال الاول والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم كانهم أعجاز نخل منقعر * ومثال الثانى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة كذا مثل فى البرهان وكأنه ظن أن التشبيه واقع فى القسوة وهو غير ظاهر بل هو واقع بين القلوب والحجارة فهو من الأول * ومثال الثالث مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح * ومثال الرابع لم يقع فى القرآن بل منعه الامام أصلا لأن العقل مستفاد من الحس فالمحسوس أصل للمعقول وتشبيهه به يستلزم جعل الاصل فرعا والفرع أصلا وهو غير جائز * وقد اختلف فى قوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن * الثانى ينقسم باعتبار وجهه الى مفرد ومركب والمركب أن ينتزع وجه الشبه من امور مجموع بعضها الى بعض كقوله كمثل الحمار يحمل أسفارا فالتشبيه مركب من أحوال الحمار وهو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب فى استصحابه * وقوله انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء الى قوله كأن لم تغن بالأمس فان فيه عشر جمل وقع التركيب من مجموعها بحيث لو سقط منها شىء اختل التشبيه إذ المقصود تشبيه حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها واغترار الناس بها بحال ماء نزل من السماء وأنبت أنواع العشب وزين بزخرفها وجه الأرض كالعروس اذا أخذت الثياب الفاخرة حتى اذا طمع أهلها فيها وظنوا أنها مسلمة من الجوائح أتاها بأس الله فجأة فكأنها لم تكن بالأمس * وقال بعضهم وجه تشبيه الدنيا بالماء أمران * أحدهم أن الماء اذا أخذت منه فوق حاجتك تضررت وان أخذت قدر الحاجة انتفعت به فكذلك الدنيا * والثانى أن الماء اذا طبقت عليه كفك لتحفظه لم يحصل فيه شىء فكذلك الدنيا * وقوله مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية فشبه نوره الذى يلقيه فى قلب المؤمن بمصباح اجتمعت فيه أسباب الاضاءة إما بوضعه فى مشكاة وهى الطاقة التى لا تنفذ وكونها لا تنفذ لتكون أجمع للبصر * وقد جعل فيها مصباح فى داخل زجاجة تشبه الكوكب الدرى فى صفائها ودهن المصباح من أصفى الأدهان وأقواها وقود الانه من زيت شجرة فى وسط السراج لا شرقية ولا

فى ذمه فتستوحش وأكلك الآن الى جملة من القول فان كنت من أهل الصنعة فطنت واكتفيت وعرفت ما رمينا اليه واستغنيت وان كنت عن الطبقة خارجا وعن الاتقان بهذا الشأن خاليا فلا يكفيك البيان وان استقرينا جميع شعره وتتبعنا عامة ألفاظه ودللنا على ما فى كل حرف منه * اعلم أن هذه القصيدة قد ترددت بين أبيات سوقية مبتذلة وأبيات متوسطة وأبيات ضعيفة مرذولة وأبيات وحشية غامضة مستكرهة وأبيات معدودة بديعة وقد دللنا على المبتذل منها ولا يشتبه عليك الوحشى المستنكر الذى يروع السمع ويهول القلب ويكد اللسان ويعبس معناه فى وجه كل خاطر ويكفهر مطلعه على كل متأمل وناظر ولا يقع بمثله التمدح والتفاصح وهو مجانب لما وضع له أصل الافهام ومخالف

غربية ولا تصيبها الشمس فى أحد طرفى النهار بل تصيبها الشمس اعدل اصابة وهذا مثل ضربه الله للمؤمن ثم ضرب للكافر مثلين أحدهما كسراب بقيعة والآخر كظلمات فى بحر لجى الخ وهو أيضا تشبيه تركيب * الثالث ينقسم باعتبار آخر الى اقسام * أحدها تشبيه ما تقع عليه الحاسة بما لا تقع اعتمادا على معرفة النقيض والضد فان ادراكهما ابلغ من إدراك الحاسة كقوله طلعها كأنه رؤس الشياطين شبه بما لا يشك انه منكر قبيح لما حصل فى نفوس الناس من بشاعة صور الشياطين وان لم ترها عيانا * الثانى عكسه وهو تشبيه ما لا تقع عليه الحاسة بما تقع عليه كقوله والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة الآية أخرج ما لا يحس وهو الايمان الى ما يحس وهو السراب والمعنى الجامع بطلان التوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة * الثالث اخراج ما لم تجر العادة به الى ما جرت كقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة والجامع بينهما الارتفاع فى الصورة * الرابع اخراج ما لا يعلم بالبديهة الى ما يعلم بها كقوله وجنة عرضها كعرض السماء والارض والجامع العظم وفائدته التشويق الى الجنة بتحسين الصفة وافراط السعة * الخامس اخراج ما لا قوة له فى الصفة الى ما له قوة فيها كقوله تعالى وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام والجامع فيهما العظم والفائدة ابانة القدرة على تسخير الاجسام العظام فى ألطف ما يكون من الماعوم وفى ذلك من انتفاع الخلق بحمل الاثقال وقطعها الاقطار البعيدة فى المسافة القريبة وما يلازم ذلك من تسخير الرياح للانسان تتضمن الكلام بناء عظيما من الفخر وتعداد النعم وعلى هذه الاوجه الخمسة تجرى تشبيهات القرآن * السادس ينقسم باعتبار آخر الى مؤكد وهو ما حذفت فيه الاداة نحو وهى تمر مر السحاب أى مثل مر السحاب وأزواجه أمهاتهم وجنة عرضها السموات والارض ومرسل وهو ما لم تحذف كالآيات السابقة والمحذوف الاداة أبلغ لانه نزل فيه الثانى منزلة الاول تجوزا ﴿قاعدة﴾ الاصل دخول أداة التشبيه على المشبه به وقد تدخل على المشبه إما لقصد المبالغة فتقلب التشبيه وتجعل المشبه هو الاصل نحو قالوا إنما البيع مثل الربا كان الاصل ان يقولوا انما الربا مثل البيع لان الكلام فى الربا لا فى البيع فعدلوا عن ذلك وجعلوا الربا اصلا ملحقا به البيع فى الجواز وانه الخليق بالحل * ومنه قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق فان الظاهر العكس لان الخطاب لعبدة الاوثان الذين سموها آلهة تشبيها بالله سبحانه وتعالى فجعلوا غير الخالق مثل الخالق فخولف فى خطابهم لانهم بالغوا فى عبادتهم وغلو حتى صارت عندهم أصلا فى العبادة فجاء الرد على وفق ذلك * وإما لوضوح الحال نحو وليس الذكر كالانثى فان الأصل وليس الانثى كالذكر وانما عدل عن الاصل لان المعنى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت * وقيل لمراعاة الفواصل لان قبله إنى وضعتها أنثى * وقد تدخل على غيرهما اعتمادا على فهم المخاطب نحو كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم الآية المراد كونوا انصار الله خالصين فى الانقياد كشان مخاطبى عيسى اذ قالوا ﴿قاعدة﴾ القاعدة فى المدح تشبيه الادنى بالاعلى وفى الذم تشبيه الاعلى بالادنى لان الذم مقام الادنى والاعلى طارىء عليه فيقال فى المدح الحصى كالياقوت وفى الذم ياقوت كالزجاج وكذا فى السلب * ومنه يا نساء النبى لستن كأحد من النساء اى فى النزول لا فى العلو أم نجعل المتقين كالفجار أى فى سوء الحال أى لا نجعلهم كذلك نعم أورد على ذلك مثل نوره كمشكاة فانه شبه فيه الاعلى بالادنى لا فى مقام السلب وأجيب بانه للتقريب الى اذهان المخاطبين إذ لا أعلى من نوره فيشبه به ﴿فائدة﴾ قال ابن أبى الاصبع لم يقع فى القرآن تشبيه شيئين بشيئين ولا أكثر من ذلك انما وقع فيه تشبيه واحد بواحد ﴿فصل﴾ زوج المجاز بالتشبيه فقوله بينهما الاستعارة فهى مجاز علاقته المشابهة أو يقال فى تعريفها اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الاصلى والاصح انها مجاز لغوى لانها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا الاعم

لما بنى عليه التفاهم بالكلام فيجب ان يسقط عن الغرض المقصود و يلحق باللغز والاشارة المستبهمة فاما الذى زعموا أنه من بديع هذا الشعر فهو قوله

و يضحى فتيت المسك فوق فراشها
نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

والمصراع الاخير عندهم بديع ومعنى ذلك أنها مترفة متنعمة لها من يكفيها ومعنى قوله لم تنتطق عن تفضل يقول لم تنتطق وهى فضل وعن هى بمعنى بعد قال ابو عبيدة لم تنتطق فتعمل ولكنها تتفضل ومما يعدونه من محاسنها وليل كموج البحر أرخى سدوله

على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه
وأردف أعجازا وناء بكلكل

ألا ايها الليل الطويل
الا انجلى
بصبح وما الاصباح منك
بامثل

منهما فاسد فى قولك رأيت أسدا يرمى موضوع للسبع لا للشجاع وللمعنى أعم منهما كالحيوان الجرىء مثلا ليكون اطلاقه عليهما حقيقة كاطلاق الحيوان عليهما * وقيل مجاز عقلى بمعنى ان التصرف فيها فى امر عقلى لا لغوى لانها لا تطلق على المشبه الا بعد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به فكان استعمالها فيما وضعت له فيكون حقيقة لغوية ليس فيها غير نقل الاسم وحده وليس نقل الاسم المجرد استعارة لانه لا بلاغة فيه بدليل الأعلام المنقولة فلم يبق الا أن يكون مجازا عقليا * وقال بعضهم حقيقة الاستعارة أن تستعار الكلمة من شىء معروف بها الى شىء لم يعرف بها وحكمة ذلك اظهار الخفى وإيضاح الظاهر الذى ليس بجلى أو حصول المبالغة أو المجموع * مثال إظهار الخفى وانه فى أم الكتاب فان حقيقته وانه فى اصل الكتاب فاستعير لفظ الام للاصل لان الاولاد تنشأ من الام كما تنشأ الفروع من الاصول وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمرئى حتى يصير مرئيا فينتقل السامع من حد السماع الى حد العيان وذلك ابلغ فى البيان * ومثال إيضاح ما ليس بجلى ليصير جليا واخفض لهما جناح الذل فان المراد أمر الولد بالذل لوالديه رحمة فاستعير للذل أولا جانب ثم للجانب جناحا وتقدير الاستعارة القريبة واخفض لهما جانب الذل أى اخفض جانبك ذلا وحكمة الاستعارة فى هذا جعل ما ليس بمرئى مرئيا لأجل حسن البيان ولما كان المراد خفض جانب الولد للوالدين بحيث لا يبقى الولد من الذل لهما والاستكانة ممكنا احتيج فى الاستعارة الى ما هو ابلغ من الاولى فاستعير لفظ الجناح لما فيه من المعانى التى لا تحصل من خفض الجانب لان من يميل جانبه الى جهة السفل ادنى ميل صدق عليه انه خفض جانبه والمراد خفض بلصق الجنب بالارض ولا يحصل ذلك الا بذكر الجناح كالطائر * ومثال المبالغة وفجرنا الأرض عيونا وحقيقته وفجرنا عيون الارض ولو عبر بذلك لم يكن فيه من المبالغة ما فى الاول للشعر بأن الارض كلها صارت عيونا ﴿فرع﴾ أركان الاستعارة ثلاثة مستعار وهو لفظ المشبه به ومستعار منه وهو معنى اللفظ المشبه ومستعار له وهو المعنى الجامع وأقسامها كثيرة باعتبارات فتنقسم باعتبار الاركان الثلاثة الى خمسة أقسام * أحدها استعارة محسوس لمحسوس بوجه محسوس نحو واشتعل الرأس شيبا فالمستعار منه هو النار والمستعار له الشيب والوجه هو الانبساط ومشابهة ضوء النار لبياض الشيب وكل ذلك محسوس وهو ابلغ مما لو قيل اشتعل شيب الرأس لافادته عموم الشيب لجميع الرأس ومثله وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض اصل الموج حركة الماء فاستعمل فى حركتهم على سبيل الاستعارة والجامع سرعة الاضطراب وتتابعه فى الكثرة والصبيح اذا تنفس استعير خروج النفس شيئا فشيئا لخروج النور من المشرق عند انشقاق الفجر قليلا قليلا بجامع التتابع على طريق التدريج وكل ذلك محسوس * الثانى استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلى * قال ابن أبى الاصبع وهى الطف من الاولى نحو وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فالمستعار منه السلخ الذى هو كشط الجلد عن الشاة والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل وهما حسيان والجامع ما يعقل من ترتب امر على آخر وحصوله عقبه كترتب ظهور اللحم على الكشط وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل والترتب امر عقلى ومثله فجعلناها حصيدا أصل الحصيد النبات والجامع الهلاك وهو أمر عقلى * الثالث استعارة معقول لمعقول بوجه عقلى * وقال ابن أبى الاصبع وهى الطف الاستعارات نحو من بعثنا من مرقدنا فالمستعار منه الرقاد أى النوم والمستعار له الموت والجامع عدم ظهور الفعل والكل عقلى ومثله ولما سكت عن موسى الغضب فالمستعار السكوت والمستعار منه الساكت والمستعار له الغضب * الرابع استعارة محسوس لمعقول بوجه عقلى إيماء نحو مستهم الباساء والضراء استعير المس وهو حقيقة فى الاجسام وهو محسوس لمقاساة الشدة والجامع اللحوق وهما عقليان بل نقذف بالحق على الباطل

وكان بعضهم يعارض هذا بقول النابغة

كليني لهم يا أميمة ناصب
وليل اقاسيه بطى الكواكب
وصدر اراح الليل عازب همه
تضاعف فيه الحزن من كل جانب
تقاعس حتى قلت ليس بمنقض
وليس الذى يطو النجوم بآيب
وقد جرى ذلك بين يدى بعض الخلفاء فقدمت أبيات امرىء القيس واستحسن استعارتها وقد جعل الليل صدرا يثقل تنحيه ويبطىء تقضيه وجعل له ارداقا كثيرة وجعل له صلبا يمتد ويتطاول ورأوا هذا بخلاف ما يستعيره أبو تمام من الاستعارات الوحشية البعيدة المستنكرة ورأوا ان الألفاظ جميلة * واعلم ان هذا صالح جميل وليس من الباب الذى يقال انه متناه عجيب وفيه للمام بالتكلف ودخول فى التعمل وقد خرجوا له فى

فيدمغه فالقذف والدمغ مستعاران وهما محسوسان والحق والباطل مستعار لهما وهما معقولان ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استعير الحبل المحسوس للعهد وهو معقول فاصدع بما تؤمر استعير الصدع وهو كسر الزجاجة وهو محسوس للتبليغ وهو معقول والجامع التأثير وهو ابلغ من بلغ وان كان بمعناه لان تأثير الصدع ابلغ من تأثير التبليغ فقد لا يؤثر التبليغ والصدع يؤثر جزما واخفض لهما جناح الذل * قال الراغب لما كان الذل على ضربين ضرب يضع الانسان وضرب يرفعه وقصد في هذا المكان الى ما يرفع استعير لفظ الجناح فكانه قيل استعمل الذل الذى يرفعك عند الله وكذا قوله يخوضون في آياتنا فنبذوه وراء ظهورهم افمن اسس بنيانه على تقوى ويبغونها عوجا ليخرج الناس من الظلمات الى النور فجعلناه هباء منثورا في كل واد يهيمون ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك كلها من استعارة المحسوس للمعقول والجامع عقلى * الخامس استعارة معقول لمحسوس والجامع عقلى ايضا نحو انا لما طغى الماء المستعار منه التكثير وهو عقلى والمستعار له كثرة الماء وهو حسى والجامع الاستعلاء وهو عقلى ايضا ومثله تكاد تميز من الغيظ وجعلنا آية النهار مبصرة وتنقسم باعتبار اللفظ الى أصلية وهى ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس كآية بحبل من الله من الظلمات الى النور في كل واد وتبعية وهى ما كان اللفظ فيها غير اسم جنس كالفعل والمشتقات كسائر الآيات السابقة وكالحروف نحو فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا شبه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب علقة الغاية عليه ثم استعير في المشبه اللام الموضوعة للمشبه به * وتنقسم باعتبار آخر الى مرشحة ومجردة ومطلقة * فالاولى وهى ما بلغها ان تقترن بما يلائم المستعار منه نحو أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم استعير الاشتراء للاستبدال والاختيار ثم قرن بما يلائمه من الربح والتجارة * الثانية ان تقترن بما يلائم المستعار له نحو فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعير اللباس للجوع ثم قرن بما يلائم المستعار له من الاذاقة ولو أراد الترشيح لقال فكساها لكن التجريد هنا ابلغ لما في لفظ الاذاقة من المبالغة في الالم باطنا * والثالثة لا تقترن بواحد منهما وتنقسم باعتبار آخر الى تحقيقية وتخييلية ومكنية وتصريحية * فالاولى ما تحقق معناها حسا نحو فاذاقها الله الآية او عقلا نحو وانزلنا اليكم نورا مبينا اى بيانا واضحا وحجة لامعة اهدنا الصراط المستقيم اى الدين الحق فان كلا منهما يتحقق عقلا * والثانية ان يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشئ من اركانه سوى المشبه ويدل على ذلك التشبيه المضمر في النفس بان يثبت للشبه امر مختص بالمشبه به ويسمى ذلك التشبيه المضمر استعارة بالكناية ومكنيا عنها لانه لم يصرح به بل دل عليه بذكر خواصه ويقابله التصريحية ويسمى اثبات ذلك الامر المختص بالمشبه به للمشبه استعارة تخييلية لانه قد استعير للشبه ذلك الامر المختص بالمشبه به وبه يكون كمال المشبه به وقوامه في وجه الشبه لتخيل ان المشبه من جنس المشبه به * ومن امثلة ذلك الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه شبه العهد بالحبل واضمر في النفس فلم يصرح بشئ من اركان التشبيه سوى العهد المشبه ودل عليه باثبات النقض الذى هو من خواص المشبه به وهو الحبل وكذا واشتعل الرأس شيبا طوى ذكر المشبه به وهو النار ودل عليه بلازمه وهو الاشتعال فاذاقها الله الآية شبه ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر فاوقع عليه الاذاقة ختم الله على قلوبهم شبهها في ان لا تقبل الحق بالشئ الموثوق المختوم ﴿ ثم ﴾ أثبت لها الختم جدارا يريد أن ينقض شبه ميلانه للسقوط بانحرافه الحسى فاثبت له الارادة التي هى من خواص العقلاء ومن التصريحية آية مستهم البأساء من بعثنا من مرقدنا وتنقسم باعتبار آخر الى وفاقية بان يكون اجتماعهما في شئ ممكنا نحو أو من كان ميتا فاحييناه أى ضالا

البديع من القصيدة قوله
وقد اغتدى والطير في وكناتها
بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل
وقوله أيضا
له ايطلاظبي وساقا نعامة
وارخاء سرحان وتقريب تتفل
فاما قوله قيد الاوابد فهو مليح ومثله في كلام الشعراء واهل الفصاحة كثير والتعمل بمثله ممكن وأهل زماننا الآن يصنفون نحو هذا تصنيفا ويؤلفون المحاسن تأليفا ثم يوشحون به كلامهم والذين كانوا من قبل لغزارتهم وتمكنهم لم يكونوا يتصنعون لذلك انما كان يتفق لهم اتفاقا ويطرد في كلامهم اطرادا * واما قوله في وصفه مكر مفر فقد جمع فيه طباقا وتشبيها وفي سرعة جرى الفرس للشعراء ما هو أحسن من هذا واطف وكذلك

فهديناه استعير الاحياء من جعل الشيء حيا للهداية التي بمعنى الدلالة على ما يوصل الى المطلوب والاحياء والهداية مما يمكن اجتماعهما في شيء وعنادية وهي ما لا يمكن اجتماعهما كاستعارة اسم المعدوم للوجود لعدم قمعه واجتماع الوجود والعدم في شيء ممتنع ومن العنادية التهكمية والتمليحية وهما ما استعمل في ضد أو نقيض نحو فبشرهم بعذاب أليم أي انذرهم استعيرت البشارة وهي الاخبار بما يسر للانذار الذي هو ضده بادخال جنسها على سبيل التهكم والاستهزاء نحو انك لانت الحليم الرشيد عنوا الغوي السفيه تهكما ذق انك انت العزيز الكريم وتنقسم باعتبار آخر الى تمثيلية وهي أن يكون وجه الشبه فيها منتزعا من متعدد نحو واعتصموا بحبل الله جميعا شبه استظهار العبد بالله ووثوقه بحمايته والنجاة من المكاره باستمساك الواقع في مهواة بحبل وثيق مدلى من مكان مرتفع بأمن انقطاعه ﴿تنبيه﴾ قد تكون الاستعارة بلفظين نحو قواريرا قواريرا من فضة يعني تلك الاواني ليست من الزجاج ولا من الفضة بل في صفاء القارورة وبياض الفضة فصب عليهم ربك سوط عذاب فالصب كناية عن الدوام والسوط عن الايلام فالمعنى عذبهم عذابا دائما مؤلما ﴿فائدة﴾ انكر قوم الاستعارة بناء على انكارهم المجاز وقوم اطلاقها في القرآن لأن فيها إيهاما للحاجة ولانه لم يرد في ذلك إذن من الشرع وعليه القاضي عبد الوهاب المالكي * وقال الطرطوشي ان اطلق المسلمون الاستعارة فيه اطلقناها وان امتنعوا امتنعنا ويكون هذا من قبيل ان الله عالم والعلم هو العقل ثم لا نصفه به لعدم التوقيف اه ﴿فائدة ثانية﴾ تقدم ان التشبيه من أعلى أنواع البلاغة واشرفها واتفق البلغاء على ان الاستعارة أبلغ منه لانه مجاز وهو حقيقة والمجاز أبلغ فاذا الاستعارة أعلى مراتب الفصاحة وكذا الكناية أبلغ من التصريح والاستعارة أبلغ من الكناية كما قال في عروس الافراح إنه الظاهر لانها كالجامعة بين كناية واستعارة ولانها مجاز قطعا * وفي الكناية خلاف وابلغ أنواع الاستعارة التمثيلية كما يؤخذ من الكشاف ويليها المكنية صرح به الطيبي لاشتمالها على المجاز العقلي والترشيحية أبلغ من المجردة والمطلقة والتخييلية أبلغ من التحقيقية والمراد بالابلغية إفادة زيادة التأكيد والمبالغة في كمال التشبيه لا زيادة في المعنى لا توجد في غير ذلك ﴿خاتمة﴾ من المهم تحرير الفرق بين الاستعارة والتشبيه المحذوف الاداة نحو زيد أسد قال الزمخشري في قوله تعالى صم بكم عمي * فان قلت هل يسمى ما في الآية استعارة * قلت مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون وانما تطلق الاستعارة حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد المنقول عنه والمنقول له لولا دلالة الحال أو نحوى الكلام * ومن ثم ترى المفلقين السحرة يتناسون التشبيه ويضربون عنه صفحا وعلله السكاكي بان من شرط الاستعارة إمكان حمل الكلام على الحقيقة في الظاهر وتناسي التشبيه وزيد أسد لا يمكن كونه حقيقة فلا يجوز أن يكون استعارة وتابعه صاحب الايضاح * قال في عروس الافراح وما قالاه ممنوع وليس من شرط الاستعارة صلاحية الكلام لصرفه إلى الحقيقة في الظاهر قال بل لو عكس ذلك وقيل لابد من عدم صلاحيته لكان أقرب لان الاستعارة مجاز لابد له من قرينة فان لم تكن قرينة امتنع صرفه إلى الاستعارة وصرفناه الى حقيقته وانما نصرفه إلى الاستعارة بقرينة إما لفظية أو معنوية نحو زيد أسد فالاخبار به عن زيد قرينة صارفة عن ارادة حقيقته * قال والذي نختاره في نحو زيد أسد قسمان تارة يقصد به التشبيه فتكون أداة التشبيه مقدرة وتارة يقصد به الاستعارة فلا تكون مقدرة ويكون الأسد مستعملا في حقيقته وذكر زيد والاخبار عنه بما لا يصلح له حقيقة قرينة صارفة الى الاستعارة دالة عليها فان قامت قرينة على حذف الاداة صرنا اليه وان لم تقم فنحن بين اضمار

في جمعه بين أربعة وجوه من التشبيه في بيت واحد صنعة ولكن قد عورض فيه وزوحم والتوصل اليه يسير وتطلبه سهل قريب وقد بينا لك ان هذه القصيدة ونظائرها تفاوت في أبياتها تفاوتا بينا في الجودة والرداءة والسلاسة والانعقاد والسلامة والانحلال والتمكن والتسهيل والاسترسال والتوحش والاستكراه وله شركاء في نظائرها ومنازعون في محاسنها ومعارضون في بدائعها ولا سواء كلام ينحت عن الصخر تارة ويذوب تارة ويتلون تلون الحرباء ويختلف اختلاف الاهواء ويكثر في تصرفه اضطرابه وتتقاذف به أسبابه وبين قول يجري في سبكه على نظام وفي رصفه على منهاج وفي وضعه على حدو في صفائه على باب وفي بهجته ورونقه على طريق مختلفة مؤتلف ومؤتلفة متحد ومتباعدة متقارب وشاردة مطيع

واستعارة والاستعارة أولى فيصار اليها وممن صرح بهذا الفرق عبد اللطيف البغدادى فى قوانين البلاغة وكذا قال حازم الفرق بينهما أن الاستعارة وان كان فيها معنى التشبيه فتقدير حرف التشبيه لا يجوز فيها والتشبيه بغير حرف على خلاف ذلك لأن تقدير حرف التشبيه واجب فيه

﴿النوع الرابع والخمسون﴾ فى كناياته وتعريضه ﴿هما من أنواع البلاغة وأساليب الفصاحة وقد تقدم أن الكناية أبلغ من التصريح وعرفها أهل البيان بأنها لفظ أريد به لازم معناه وقال الطيبى ترك التصريح بالشىء الى ما يساويه فى اللزوم فينتقل منه إلى الملزوم وأنكر وقوعها فى القرآن من أنكر المجاز فيه بناء على أنها مجاز وقد تقدم الخلاف فى ذلك وللكناية أساليب أحدها التنبيه على عظم القدرة نحو هو الذى خلقكم من نفس واحدة كناية عن آدم ثانيها ترك اللفظ الى ما هو أجمل نحو ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فكنى بالنعجة عن المرأة كعادة العرب فى ذلك لان ترك التصريح بذكر النساء أجمل منه ولهذا لم يذكر فى القرآن امرأة باسمها على خلاف عادة الفصحاء لنكتة وهو أن الملوك والاشراف لا يذكرون حرائرهم فى ملأ ولا يبتذلون أسماءهن بل يكنون عن الزوجة بالفرش والعيال ونحو ذلك فاذا ذكروا الاماء لم يكنوا عنهن ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر فلما قالت النصارى فى مريم ما قالوا صرح الله باسمها ولم يكن تأكيداً للعبودية التى هى صفة لها وتأكيدا لان عيسى لا أب له والا لنسب اليه * ثالثها أن يكون التصريح مما يستقبح ذكره ككناية الله عن الجماع بالملامسة والمباشرة والافضاء والرفث والدخول والسر فى قوله ولكن لا تواعدوهن سرا والغشيان فى قوله فلما تغشاها * أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال المباشرة الجماع ولكن الله يكنى * وأخرج عنه قال ان الله كريم يكنى ما شاء وان الرفث هو الجماع وكنى عن طلبه بالمراودة فى قوله وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وعنه أو عن المعانقة باللباس فى قوله هن لباس لكم وأنتم لباس لهن وبالحرث فى قوله نساؤكم حرث لكم وكنى عن البول ونحوه بالغائط فى قوله أو جاء أحد منكم من الغائط وأصله المكان المطمئن من الارض وكنى عن قضاء الحاجة بأكل الطعام فى قوله فى مريم وابنها كانا يأكلان الطعام وكنى عن الاستاه بالادبار فى قوله يضربون وجوههم وأدبارهم أخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد فى هذه الآية قال يعنى استاههم ولكن الله يكنى وأورد على ذلك التصريح بالفرج فى قوله والتى أحصنت فرجها * وأجيب بأن المراد به فرج القميص والتعبير به من ألطف الكنايات وأحسنها أى لا يعلق ثوبها بريبة فهى طاهرة الثوب كما يقال نقى الثوب وعفيف الذيل كناية عن العفة ومنه وثيابك فطهر وكيف يظن أن نفخ جبريل وقع فى فرجها وانما نفخ فى جيب درعها ونظيره أيضا ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن * قلت وعلى هذا ففى الآية كناية عن كناية ونظيره ما تقدم من مجاز المجاز * رابعها قصد البلاغة والمبالغة نحو أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين كنى عن النساء بأنهن ينشأن فى الترفه والتزين الشاغل عن النظر فى الامور ودقيق المعانى ولو أتى بلفظ النساء لم يشعر بذلك والمراد نفى ذلك عن الملائكة وقوله بل يداه مبسوطتان كناية عن سعة جوده وكرمه جدا * خامسها قصد الاختصار كالكناية عن ألفاظ متعددة بلفظ فعل نحو ولبئس ما كانوا يفعلون فان لم تفعلوا ولن تفعلوا أى فان لم تأتوا بسورة من مثله * سادسها التنبيه على مصيره نحو تبت يدا أبى لهب أى جهنمى مصيره الى اللهب حمالة الحطب فى جيدها حبل أى نمامة مصيرها الى أن تكون حطبا لجهنم فى جيدها غل قال بدر الدين بن مالك فى المصباح إنما يعدل عن الصرائح الى الكناية لنكتة كالايضاح أو بيان حال الموصوف أو مقدار حاله أو القصد الى المدح أو الذم أو الاختصار أو الستر أو الصيانة أو التعمية والالغاز والتعبير عن الصعب بالسهل وعن المعنى القبيح باللفظ الحسن واستنبط

ومطيعة وهو على متصرفانه واحد لا يستصعب فى حال ولا يتعقد فى شأن وكنا أردنا أن نتصرف فى قصائد مشهورة فنتكلم عليها وندل على معانيها ومحاسنها ونذكر لك من فضائلها ونقائصها ونبسط لك القول فى هذا الجنس ونفتح عليك فى هذا النهج ثم رأينا هذا خارجا عن غرض كتابنا والكلام فيه يتصل بنقد الشعر وعياره ووزنه بميزانه ومعياره ولذلك كتب وان لم تكن مستوفاة وتصانيف وان لم تكن مستقصاة وهذا القدر يكفى فى كتابنا ولم نحب أن ننسخ لك ما سطره الادباء فى خطأ امرىء القيس فى العروض والنحو والمعانى وما عابوه عليه فى أشعاره وتكلموا به على ديوانه لان ذلك أيضا خارج عن غرض كتابنا ومجانب لمقصوده وانما أردنا أن نبين الجملة التى بيناها لتعرف أن طريقة الشعر شريعة

الزمخشري نوعا من الكناية غريبا وهو أن تعمد الى جملة معناها على خلاف الظاهر فتأخذ الخلاصة من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة والمجاز فتعبر بها عن المقصود كما تقول في نحو الرحمن على العرش استوى انه كناية عن الملك فان الاستواء على السرير لا يحصل إلا مع الملك فجعل كناية عنه وكذا قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه كناية عن عظمته وجلالته من غير ذهاب بالقبض واليمين الى جهتين حقيقة ومجاز ﴿تذنيب﴾ من أنواع البديع التي تشبه الكناية الارداف وهو أن يريد المتكلم معنى ولا يعبر عنه بلفظ الموضوع له ولا بدلالة الاشارة بل بلفظ يرادفه كقوله تعالى وقضى الامر والاصل وهلك من قضى الله هلاكه ونجا من قضى الله نجاته وعدل عن ذلك الى لفظ الارداف لما فيه من الايجاز والتنبيه على أن هلاك الهالك ونجاة الناجي كان بامر آمر مطاع وقضاء من لا يرد قضاؤه والامر يستلزم آمرا فقضاؤه يدل على قدرة الآمر به وقهره وان الخوف من عقابه ورجاء ثوابه يحضان على طاعة الامر ولا يحصل ذلك كله في اللفظ الخاص وكذا قوله واستوت على الجودي حقيقة ذلك جلست فعدل عن اللفظ الخاص المعنى الى مرادفه لما في الاستواء من الاشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل وهذا لا يحصل من لفظ الجلوس وكذا فيهن قاصرات الطرف الاصل عفيفات وعدل عنه للدلالة على أنهن مع العفة لا تطمح أعينهن الى غير أزواجهن ولا يشتهين غيرهم ولا يؤخذ ذلك من لفظ العفة قال بعضهم والفرق بين الكناية والارداف أن الكناية انتقال من لازم الى ملزوم والارداف من مذكور الى متروك ومن أمثلته أيضا ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى عدل في الجملة الاولى عن قوله بالسوء أي مع أن فيه مطابقة كالجملة الثانية الى بما عملوا تأدبا أن يضاف السوء الى الله تعالى

﴿فصل﴾ للناس في الفرق بين الكناية والتعريض عبارات متقاربة فقال الزمخشري الكناية ذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض أن تذكر شيئا يدل به على شيء لم تذكره وقال ابن الاثير الكناية ما دل على معنى يجوز حمله على الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما والتعريض اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازي كقول من يتوقع صلة والله إني محتاج فانه تعريض بالطلب مع أنه لم يوضع له حقيقة ولا مجازا وانما فهم من عرض اللفظ أي جانبه وقال السبكي في كتاب الاغريض في الفرق بين الكناية والتعريض الكناية لفظ استعمل في معناه مرادا منه لازم المعنى فهي بحسب استعمال اللفظ في المعنى حقيقة والتجوز في إرادة إفادة ما لم يوضع له وقد لا يراد بها المعنى بل يعبر بالملزوم عن اللازم وهي حينئذ مجاز ومن أمثلته قل نار جهنم أشد حرا فانه لم يقصد إفادة ذلك لانه معلوم بل افادة لازمه وهو أنهم يردونها ويجدون حرها إن لم يجاهدوا وأما التعريض فهو لفظ استعمل في معناه للتلويح بغيره نحو بل فعله كبيرهم هذا نسب الفعل الى كبير الأصنام المتخذة آلهة كأنه غضب أن تعبد الصغار معه تلويحا لما بديهيا بانها لا تصلح أن تكون آلهة لما يعلمون اذا نظروا بعقولهم من عجز كبيرها عن ذلك الفعل والا له لا يكون عاجزا فهو حقيقة أبدا وقال السكاكي التعريض ما سيق لاجل موصوف غير مذكور ومنه أن يخاطب واحد ويراد غيره وسمي به لانه أميل الكلام الى جانب مشارا به الى آخر يقال نظر اليه بعرض وجهه أي جانبه قال الطيبي وذلك يفعل اما لتنويه بجانب الموصوف ومنه ورفع بعضهم درجات أي محمدا صلى الله عليه وسلم اعلاء لقدره أي أنه العلم الذي لا يشتبه واما التلطف به واحتراز عن المخاشنة نحو ومالي لا أعبد الذي فطرني أي ومالكم لا تعبدون بدليل قوله واليه ترجعون وكذا قوله أأتخذ من دونه آلهة ووجه حسنه اسماع من يقصد خطابه الحق على وجه يمنع غضبه إذ لم يصرح بنسبته للباطل والاجابة على قبوله إذ لم يرد له إلا ما أراده لنفسه وانما

مورودة ومنزلة مشهودة يأخذ منها أصحابها على مقادير أسبابهم ويتناول منها ذووها على حسب أحوالهم وأنت تجد للمقدم معنى قد طمسه المتأخر بما أبر عليه فيه وتجد للتأخر معنى قد أغفله المتقدم وتجد معنى قد توافدا عليه وتوافيا اليه فهما فيه شريكا عنان وكأنهما فيه رضيعا لبان والله يؤتي فضله من يشاء ﴿فاما منهج القرآن ونظمه وتأليفه ورصفه﴾ فان العقول تتيه في جهته وتحار في بحره وتضل دون وصفه ونحن نذكر لك في تفصيل هذا ما تستدل به على الغرض وتستولي به على الامد وتصل به الى المقصد وتصور اعجازه كما تتصور الشمس وتتيقن تناهي بلاغته كما تتيقن الفجر واقرب عليك الغامض وأسهل لك العسير واعلم أن هذا علم شريف المحل عظيم المكان قليل الطلاب ضعيف الاصحاب ليست

لاستدراج الخصم الى الاذعان والتسليم ومنه لئن أشركت ليحبطن عملك خوطب النبي صلى الله عليه وسلم وأريد غيره لاستحالة الشرك عليه شرعا واما اللذم نحو ما يتذكر أولوا الالباب فانه تعريض لذم الكفار وانهم فى حكم البهائم الذين لا يتذكرون وإما للاهانة والتوبيخ نحو واذا الموؤدة سئلت باى ذنب قتلت فان سؤالها للاهانة قائلها وتوبيخه وقال السبكى التعريض قسمان قسم يراد به معناه الحقيقى ويشار به الى المعنى الآخر المقصود كما تقدم وقسم لا يراد به بل يضرب مثلا للمعنى الذى هو مقصود التعريض كقول ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا

﴿النوع الخامس والخمسون فى الحصر والاختصاص﴾ اما الحصر ويقال له القصر فهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص ويقال أيضا اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه وينقسم الى قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف وكل منهما إما حقيقى واما مجازى مثال قصر الموصوف على الصفة حقيقيا نحو ما زيد الا كاتب أى لا صفة له غيرها وهو عزيز لا يكاد يوجد لتعذر الاحاطة بصفات الشىء حتى يمكن اثبات شىء منها ونفى ما عداها بالكلية وعلى عدم تعذرها يبعد أن تكون للذات صفة واحدة ليس لها غيرها ولذا لم يقع فى التنزيل ومثاله مجازيا وما محمد إلا رسول أى أنه مقصور على الرسالة لا يتعداها الى التبرى من الموت الذى استعظموه الذى هو من شأن الاله ومثال قصر الصفة على الموصوف حقيقيا لا اله الا الله ومثاله مجازيا قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الآية لما قال الشافعى فيما تقدم نقله من أسباب النزول ان الكفار لما كانوا يحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وكانوا يحرمون كثيرا من المباحات وكانت سجيتهم تخالف وضع الشرع ونزلت الآية مسوقة بذكر شبههم فى البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وكان الغرض اباتة كذبهم فكانه قال لا حرام الا ما أحللتموه والغرض الرد عليهم والمضادة لا الحصر الحقيقى وقد تقدم بأبسط من هذا وينقسم الحصر باعتبار آخر الى ثلاثة أقسام قصر افراد وقصر قلب وقصر تعيين فالاول يخاطب به من يعتقد الشركة نحو انما الله اله واحد خوطب به من يعتقد اشتراك الله والأصنام فى الألوهية والثانى يخاطب به من يعتقد اثبات الحكم لغير من أثبته المتكلم له نحو ربى الذى يحيى ويميت خوطب به نمروذ الذى اعتقد انه هو المحيى المميت دون الله ألا انهم هم السفهاء خوطب به من اعتقد من المنافقين ان المؤمنين سفهاء دونهم وأرسلناك للناس رسولا خوطب به من يعتقد من اليهود اختصاص بعثته بالعرب والثالث يخاطب به من تساوى عنده الامران فلم يحكم باثبات الصفة لواحد بعينه ولا لواحد باحدى الصفتين بعينها

﴿فصل﴾ طرق الحصر كثيرة * أحدها النفى والاستثناء سواء كان النفى بلا أو ما أو غيرهما والاستثناء بالا أو غير نحو لا اله الا الله وما من اله الا الله ما قلت لهم الا ما أمرتنى به ووجه افادة الحصر ان الاستثناء المفرغ لا بد أن يتوجه النفى فيه الى مقدر وهو مستثنى منه لان الاستثناء اخراج فيحتاج الى مخرج منه والمراد التقدير المعنوى لا الصناعى ولا بد أن يكون عاما لان الاخراج لا يكون الا من عام ولا بد أن يكون مناسبا للمستثنى منه فى جنسه مثل ما قام الا زيد أى لا أحد وما أكلت الا تمرا أى ما كولا ولا بد أن يوافقه فى صفته أى اعرابه وحينئذ يجب القصر اذا وجب منه شىء بالاضرورة فيبقى ما عداه على صفة الانتفاء وأصل استعمال هذا الطريق أن يكون المخاطب جاهلا بالحكم وقد يخرج عن ذلك فينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب نحو وما محمد الا رسول فانه خطاب للصحابة وهم لم يكونوا يجهلون رسالة النبى صلى الله عليه وسلم لانه نزل استعظامهم له عن الموت منزلة من يجهل رسالته لان كل رسول فلا بد من موته فمن استبعد موته فكانه استبعد رسالته ﴿الثانى انما﴾ الجمهور على

له عشيرة تحميه ولا أدل عصمة تفطن لما فيه وهو أدق من السحر وأهول من البحر وأعجب من الشعر وكيف لا يكون كذلك وأنت تحسب ان وضع الصبح فى موضع الفجر يحسن فى كل كلام الا أن يكون شعرا أو سجعا وليس كذلك فان إحدى اللفظتين قد تنفر فى وضع وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الاخرى بل تمكن فيه وتضرب بجرانها وتراها فى مظانها وتجدها فيه غير منازعة الى أوطانها وتجد الاخرى لو وضعت موضعها فى محل نفار ومرمى شراد ونابية عن استقرار ولا أكثر عليك المثال ولا أضرب لك فيه الامثال وأرجع بك الى ما وعدتك من الدلالة وضمنت لك من تقريب المقالة فان كنت لا تعرف الفصل الذى بينا بين اللفظتين على اختلاف مواقع الكلام ومصرفات مجارى النظام لم تستفد مما نقربه عليك شيئا

انها للحصر فقيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم وأنكر قوم افادتها منهم أبو حيان واستدل مثبتوه بامور منها قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة بالنصب فان معناه ما حرم عليكم الا الميتة لانه المطابق فى المعنى لقراءة الرفع فانها للقصر فكذا قراءة النصب والاصل استواء معنى القراءتين ومنها أن ان للاثبات وما للنفى فلا بد أن يحصل القصر للجمع بين النفى والاثبات لكن تعقب بأن ما زائدة كافة لا نافية ومنها أن ان للتأكيد وما كذلك فاجتمع تأكيدان فافاد الحصر قاله السكاكى وتعقب بانه لو كان اجتماع تأكيدين يفيد الحصر لافاده نحو ان زيداً لقائم * وأجيب بان مراده لا يجتمع حرفا تأكيد متواليان الا للحصر ومنها قوله تعالى قال انما العلم عند الله قال انما يأتيكم به الله قل انما علمها عند ربى فانه انما تحصل مطابقة الجواب اذا كانت انما للحصر ليكون معناها لا آتيكم به انما يأتى به الله ولا أعلمها انما يعلمها الله وكذا قوله ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ما على المحسنين من سبيل الى قوله انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما أتبع ما يوحى الى من ربى وان تولوا فانما عليك البلاغ لا يستقيم المعنى فى هذه الآيات ونحوها الا بالحصر وأحسن ما يستعمل انما هو من مواقع التعريض نحو انما يتذكر أولو الالباب * الثالث أنما بالفتح عدها من طرق الحصر الزمخشرى والبيضاوى فقالا فى قوله تعالى قل انما يوحى الى أنما إلهكم إله واحد إنما القصر الحكم على شىء أو لقصر الشىء على حكم نحو انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع الامران فى هذه الآية لان انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الحكم بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحى الى الرسول صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية وصرح التنوخى فى الاقصى القريب بكونها للحصر فقال كلما أوجب ان انما بالكسر للحصر أوجب ان انما بالفتح للحصر لانها فرع عنها وما ثبت للاصل ثبت للفرع ما لم يثبت مانع منه والاصل عدمه ورد أبو حيان على الزمخشرى مازعمه بانه يلزمه انحصار الوحى فى الوحدانية وأجيب بانه حصر مجازى باعتبار المقام * الرابع العطف بلا أو بل ذكره أهل البيان ولم يحكوا فيه خلافا ونازع فيه الشيخ بهاء الدين فى عروس الافراح فقال أى قصر فى العطف بلا انما فيه نفى واثبات فقولك زيد شاعر لا كاتب لا تعرض فيه لنفى صفة ثالثة والقصر انما يكون بنفى جميع الصفات غير المثبت حقيقة أو مجازا وليس هو خاصا بنفى الصفة التى يعتقدها المخاطب وأما العطف ببل فما بعدها منه لانه لا يستمر فيها النفى والاثبات * الخامس تقديم المعمول نحو اياك نعبد لا الله تحشرون وخالف فيه قوم وسيأتى بسط الكلام فيه قريبا * السادس ضمير الفصل نحو فالله هو الولى أى لا غيره وأولئك هم المفلحون ان هذا لهو القصص الحق ان شانئك هو الابتر وممن ذكر أنه للحصر البيانيون فى بحث المسند اليه واستدل له السهيلى بانه أتى به فى كل موضع ادعى فيه نسبة ذلك المعنى الى غير الله ولم يؤت به حيث لم يدع وذلك فى قوله وأنه هو أضحك وأبكى الى آخر الآيات فلم يؤت به فى وانه خلق الزوجين وان عليه النشأة وأنه أهلك لان ذلك لم يدع لغير الله وأتى به فى الباقى لادعائه لغيره قال فى عروس الافراح وقد استنبطت دلالته على الحصر من قوله فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم لانه لو لم يكن للحصر لما حسن لان الله لم يزل رقيبا عليهم وانما الذى حصل بتوفيته انه لم يبق لهم رقيب غير الله تعالى ومن قوله لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون فانه ذكر لتبيين عدم الاستواء وذلك لا يحسن الا بان يكون الضمير للاختصاص * السابع تقديم المسند اليه على ما قاله الشيخ عبد القاهر قد يقدم المسند اليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلى والحاصل على رأيه ان له أحوالا أحدها ان يكون المسند اليه معرفة والمسند

وكان التقليد أولى بك والاتباع فوجب عليك ولكل شىء سبب ولكل علم طريق ولا سبيل الى الوصول الى الشىء من غير طريقه ولا بلوغ غايته من غير سبيله خذ الآن هداك الله فى تفريغ الفكر وتخلية البال وانظر فيما نعرض عليك ونهديه اليك متوكلا على الله ومعتصما به ومستعيذا به من الشيطان الرجيم حتى تقف على اعجاز القرآن العظيم سماه الله عز ذكره حكيما وعظيما ومجيدا وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وقال ولو ان قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا وقال قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم

مثبتا فيأتى للتخصيص نحو أنا قمت وأنا سعيت فى حاجتك فان قصد به قصر الافراد أكد بنحو وحدى أو قصر القلب أكد بنحو لا غيرى ومنه فى القرآن بل أنتم بهديتكم تفرحون فان ماقبله من قوله أتمدوننى بمال ولفظ بل المشعر بالاضراب يقضى بان المراد بل أنتم لا غيركم على أن المقصود نفى فرحه هو بالهدية لا اثبات الفرح لهم بهديتهم قاله فى عروس الافراح قال وكذا قوله لا تعلمهم نحن نعلمهم أى لا يعلمهم إلا نحن وقد يأتى للتقوية والتأكيد دون التخصيص قال الشيخ بهاء الدين ولا يتميز ذلك الا بما يقتضيه الحال وسياق الكلام ثانيها أن يكون المسند منفيا نحو أنت لا تكذب فانه أبلغ فى نفى الكذب من لا تكذب ومن لا تكذب أنت وقد يفيد التخصيص ومنه فهم لا يتساءلون ثالثها ان يكون المسند اليه نكرة مثبتا نحو رجل جاءنى فيفيد التخصيص إما بالجنس أى لا امرأة أو الوحدة أى لا رجلان رابعها أن يلى المسند اليه حرف النفى فيفيده نحو ما أنا قلت هذا أى لم أقله مع أن غيرى قاله ومنه وما أنت علينا بعزيز أى العزيز علينا رهطك لا أنت ولذا قال أرهطى أعز عليكم من الله هذا حاصل رأى الشيخ عبد القاهر ووافقه السكاكى وزاد شروطا وتفاصيل بسطناها فى شرح ألفية المعانى (الثامن) تقديم المسند ذكر ابن الاثير وابن النفيس وغيرهما ان تقديم الخبر على المبتدأ يفيد الاختصاص ورده صاحب الفلك الدائر بانه لم يقل به أحد وهو ممنوع فقد صرح السكاكى وغيره بان تقديم مارتبته التأخير يفيده ومثلوه بنحو تميمى أنا * التاسع ذكر المسند اليه ذكر السكاكى أنه قد يذكر ليفيد التخصيص وتعقبه صاحب الايضاح وصرح الزمخشرى بانه أفاد الاختصاص فى قوله الله يبسط الرزق فى سورة الرعد وفى قوله الله نزل أحسن الحديث وفى قوله والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ويحتمل أنه أراد أن تقديمه أفاده فيكون من أمثلة الطريق السابع * العاشر تعريف الجزأين ذكر الامام فخر الدين فى نهاية الايجاز أنه يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة نحو المنطلق زيد ومنه فى القرآن فيما ذكر الزملكانى فى اسرار التنزيل الحمد لله قال انه يفيد الحصر كما فى إياك نعبد أى الحمد لله لا لغيره * الحادى عشر نحو جاءنى زيد نفسه نقل بعض شراح التلخيص عن بعضهم أنه يفيد الحصر * الثانى عشر نحو أن زيدا لقائم نقله المذكور أيضا * الثالث عشر نحو قائم فى جواب زيد اما قائم أو قاعد ذكره الطيبى فى شرح البيان * الرابع عشر قلب بعض حروف الكلمة فانه يفيد الحصر على ما نقله فى الكشاف فى قوله والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها قال القلب للاختصاص بالنسبة الى لفظ الطاغوت لان وزنه على قول فعلوت من الطغيان كملكوت ورحموت قلب بتقديم اللام على العين فوزنه فلعوت ففيه مبالغات التسمية بالمصدر والبناء بناء مبالغة والقلب وهو للاختصاص إذ لا يطلق على غير الشيطان ﴿تنبيه﴾ كاد اهل البيان يطبقون على أن تقديم المعمول يفيد الحصر سواء كان مفعولا أو ظرفا أو مجرورا ولهذا قيل فى إياك نعبد وإياك نستعين معناه نخصك بالعبادة والاستعانة وفى لا الى الله تحشرون معناه اليه لا الى غيره وفى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا أخرت الصلة فى الشهادة الأولى وقدمت فى الثانية لان الغرض فى الأول اثبات شهادتهم وفى الثانى اثبات اختصاصهم بشهادة النبى ﷺ وخالف فى ذلك ابن الحاجب فقال فى شرح المفصل الاختصاص الذى يتوهمه كثير من الناس من تقديم المعمول وهم واستدل على ذلك بقوله فاعبد الله مخلصا له الدين ثم قال بل الله فاعبد وردهذا الاستدلال بان مخلصا له الدين أغنى عن اداة الحصر فى الآية الأولى ولو لم يكن فما المانع من ذكر المحصور فى محل بغير صيغة الحصر كما قال تعالى واعبدوا ربكم وقال أمر أن لا تعبدوا الا إياه بل قوله بل الله فاعبد من أقوى ادلة الاختصاص فان قبلها لئن أشركت ليحبطن عملك فلو لم يكن للاختصاص وكان معناها اعبد الله لما جعل الاضراب

لبعض ظهيرا وأخبرنا احمد ابن محمد بن الحسين القزوينى حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن عثمان حدثنا أبو يوسف الصيدلانى حدثنا محمد بن سلمة عن أبى سنان عن عمرو بن مرة عن أبى البحترى الطائى عن الحارث الأعور عن على رضى الله عنه قال قيل يارسول الله ان أمتك ستفتتن من بعدك فسأل أوسئل ما المخرج من ذلك فقال بكتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد من ابتغى العلم فى غيره أضله الله ومن ولى هذا من جبار فحكم بغيره قصمه الله وهو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم فيه خبر من قبلكم وتبيان من بعدكم وهو فصل ليس بالهزل وهو الذى سمعته الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به لا يخلق على طول الرد ولا تنقضى عبره ولا تفنى عجائبه وأخبرنى أحمد بن على

الذى هو معنى بل واعترض أبو حيان على مدعى الاختصاص بنحو أفغير الله تأمرونى اعبد وأجيب بانه لما كان من أشرك بالله غيره كانه لم يعبد الله كان أمرهم بالشرك كانه أمر بتخصيص غير الله بالعبادة ورد صاحب الفلك الدائر الاختصاص بقوله كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل وهو أقوى ما رد به وأجيب بانه لا يدعى فيه اللزوم بل الغلبة وقد يخرج الشىء عن الغالب قال الشيخ بهاء الدين وقد اجتمع الاختصاص وعدمه فى آية واحدة وهى اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فان التقديم فى الاول قطعا ليس للاختصاص وفى اياه قطعا للاختصاص وقال والده الشيخ تقى الدين فى كتاب الاقتناص فى الفرق بين الحصر والاختصاص اشتهر كلام الناس فى أن تقديم المعمول يفيد الاختصاص ومن الناس من ينكر ذلك ويقول انما يفيد الاهتمام وقد قال سيبويه فى كتابه وهم يقدمون ما هم به اعنى والبيانيون على افادته الاختصاص ويفهم كثير من الناس من الاختصاص الحصر وليس كذلك وانما الاختصاص شىء هو الحصر شىء آخر والفضلاء لم يذكروا فى ذلك لفظة الحصر وانما عبروا بالاختصاص والفرق بينهما أن الحصر نفى غير المذكور واثبات المذكور والاختصاص قصد الخاص من جهة خصوصه وبيان ذلك ان الاختصاص افتعال من الخصوص والخصوص مركب من شيئين احدهما عام مشترك بين شيئين أو أشياء والثانى معنى منضم اليه يفصله عن غيره كضرب زيد فانه أخص من مطلق الضرب فاذا قلت ضربت زيدا أخبرت بضرب عام وقع منك على شخص خاص فصار ذلك الضرب المخبر به خاصا لما انضم اليه منك ومن زيد وهذه المعانى الثلاثة أعنى مطلق الضرب وكونه واقعا منك وكونه واقعا على زيد قد يكون قصد المتكلم لها ثلاثتها على السواء وقد يترجح قصده لبعضها على بعض ويعرف ذلك بما ابتدأ به كلامه فان الابتداء بالشىء يدل على الاهتمام به وأنه هو الارجح فى غرض المتكلم فاذا قلت زيدا ضربت علم أن خصوص الضرب على زيد هو المقصود ولا شك فى أن كل مركب من خاص وعام له جهتان فقد يقصد من جهة عمومه وقد يقصد من جهة خصوصه والثانى هو الاختصاص وانه هو الاهم عند المتكلم وهو الذى قصد افادته السامع من غير تعرض ولا قصد لغيره باثبات ولا نفى ففى الحصر معنى زائد عليه وهو نفى ما عدا المذكور وانما جاء هذا فى اياك نعبد للعلم بان قائليه لا يعبدون غير الله تعالى ولذا لم يطرد فى بقية الآيات فان قوله افغير دين الله يبغون لو جعل فى معنى ما يبغون الا غير دين الله وهمزة الانكار داخلة عليه لزم أن يكون المنكر الحصر لا مجرد بغيهم غير دين الله وليس المراد وكذلك آلهة دون الله تريدون المنكر ارادتهم آلهة دون الله من غير حصر وقد قال الزمخشرى فى وبالآخرة هم يوقنون فى تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وما كانوا عليه من اثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته وان قولهم ليس بصادر عن ايقان وان اليقين ما عليه من آمن بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وهذا الذى قاله الزمخشرى فى غاية الحسن وقد اعترض عليه بعضهم فقال تقديم الآخرة أفاد أن ايقانهم مقصور على أنه ايقان بالآخرة لا بغيرها وهذا الاعتراض من قائله مبنى على ما فهمه من أن تقديم المعمول يفيد الحصر وليس كذلك ثم قال المعترض وتقديمهم افاد أن هذا القصر مختص بهم فيكون ايقان غيرهم بالآخرة ايمانا بغيرها حيث قالوا لن تمسنا النار وهذا منه أيضا استمرار على ما فى ذهنه من الحصر أى أن المسلمين لا يوقنون الا بالآخرة وأهل الكتاب يوقنون بها وبغيرها وهذا فهم عجيب الجأه اليه فهمه الحقير وهو ممنوع وعلى تقدير تسليمه فالحصر على ثلاثة أقسام * احدها بما والا كقولك ما قام الا زيد صريح فى نفى القيام عن غير زيد ويقتضى اثبات القيام لزيد قيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم وهو الصحيح لكنه أقوى المفاهيم لان الاموضوعة للاستثناء وهو

ابن الحسن أخبرنا أبى اخبرنا بشر بن عبد الوهاب اخبرنا هشام بن عبيد الله حدثنا المسيب بن شريك عن عبيدة عن اسامة بن أبى عطاء قال أرسل النبى صلى الله عليه وسلم الى على رضى الله عنه فى ليلة فذكر نحو ذلك فى المعنى وفى بعض ألفاظه اختلاف وأخبرنا احمد بن على بن الحسن أخبرنا أبى اخبرنا بشر بن عبد الوهاب أخبرنا هشام ابن عبيد الله حدثنا المسيب ابن شريك عن بشر بن تمير عن القاسم عن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ثلث القرآن أعطى ثلث النبوة ومن قرأ نصف القرآن أعطى نصف النبوة ومن قرأ القرآن كله أعطى النبوة كلها غير انه لا يوحى اليه وذكر الحديث ولو لم يكن من عظم شأنه الا أنه طبق الأرض أنواره وجلل الآفاق ضياؤه وتقذف العالم حكمه وقبل فى الدنيا رسمه وطمس

الاخراج فدلالتها على الاخراج بالمنطوق لا بالمفهوم ولكن الاخراج من عدم القيام ليس هو عين القيام بل قد يستلزمه فلذلك رجحنا أنه بالمفهوم والتبس على بعض الناس لذلك فقال إنه بالمنطوق * والثانى الحصر بانما وهو قريب من الأول فيما نحن فيه وان كان جانب الاثبات فيه أظهر فكانه يفيد اثبات قيام زيد اذا قلت انما قام زيد بالمنطوق ونفيه عن غيره بالمفهوم * الثالث الحصر الذى قد يفيده التقديم وليس هو على تقدير تسليمه مثل الحصرين الأولين بل هو فى قوة جملتين احداهما ماصدر به الحكم نفيا كان أو اثباتا وهو المنطوق والاخرى مافهم من التقديم والحصر يقتضى نفى المنطوق فقط دون مادل عليه من المفهوم لان المفهوم لا مفهوم له فاذا قلت أنا لا أكرم الا اياك افاد التعريض بان غيرك يكرم غيره ولا يلزم انك لا تكرمه وقد قال تعالى الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة افاد أن العفيف قد ينكح غير الزانية وهو ساكت عن نكاحه الزانية فقال سبحانه وتعالى بعده والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك بيانا لما سكت عنه فى الاول فلو قال بالآخرة يوقنون أفاد بمنطوقه ايقانهم بها ومفهومه عند من يزعم أنهم لا يوقنون بغيرها وليس ذلك مقصودا بالذات والمقصود بالذات قوة إيقانهم بالآخرة حتى صار غيرها عندهم كالمدحوض فهو حصر مجازى وهو دون قولنا يوقنون بالآخرة لا بغيرها فاضبط هذا وإياك أن تجعل تقديره لا يوقنون الا بالآخرة اذا عرفت هذا فتقديم هم أفاد أن غيرهم ليس كذلك فلو جعلنا التقدير لا يوقنون الا بالآخرة كان المقصود المهم النفى فيتسلط المفهوم عليه فيكون المعنى افادة أن غيرهم يوقن بغيرها كما زعم المعترض ويطرح افهام انه لا يوقن بالآخرة ولا شك أن هذا ليس بمراد بل المراد إفهام أن غيرهم لا يوقن بالآخرة فلذلك حافظنا على أن الغرض الأعظم اثبات الايقان بالآخرة ليتسلط المفهوم عليه وان المفهوم لا يتسلط على الحصر لأن الحصر لم يدل عليه بجملة واحدة مثل ما والا ومثل انما وانما دل عليه بمفهوم مستفاد من منطوق وليس أحدهما متقيداً بالآخر حتى تقول إن المفهوم أفاد نفى الايقان المحصور بل أفاد نفى الايقان مطلقا عن غيرهم وهذا كله على تقدير تسليم الحصر ونحن نمنع ذلك ونقول انه اختصاص وان بينهما فرقا هكذا كلام السبكى (النوع السادس والخمسون فى الايجاز والاطناب) اعلم أنهما من أعظم أنواع البلاغة حتى نقل صاحب سر الفصاحة عن بعضهم أنه قال البلاغة هى الايجاز والاطناب قال صاحب الكشاف كما أنه يجب على البليغ فى مظان الاجمال أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه فى موارد التفصيل أن يفصل ويشبع أنشد الجاحظ

يرمون بالخطب الطوال وتارة ... وحى الملاحظ خيفة الرقباء

واختلف هل بين الايجاز والاطناب واسطة وهى المساواة أولا وهى داخلة فى قسم الايجاز فالسكاكى وجماعة على الأول لكنهم جعلوا المساواة غير محمودة ولا مذمومة لانهم فسروها بالمتعارف من كلام أوساط الناس الذين ليسوا فى رتبة البلاغة وفسروا الايجاز باداء المقصود باقل من عبارة المتعارف والاطناب أداؤه بأكثر منها لكون المقام خليقاً بالبسط وابن الاثير وجماعة على الثانى فقالوا الايجاز التعبير عن المراد بلفظ غير زائد والاطناب بلفظ أزيد وقال القزوينى الاقرب أن يقال ان المنقول من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله إما بلفظ مساو للاصل المراد أو ناقص عنه واف أو زائد عليه لفائدة والاول المساواة والثانى الايجاز والثالث الاطناب واحترز بواف عن الاخلال وبقولنا لفائدة عن الحشو والتطويل فعنده ثبوت المساواة واسطة وانها من قسم المقبول فان قلت عدم ذكرك المساواة فى الترجمة لما ذا هل هو لرجحان نفيها أو عدم قبولها أو لامر غير ذلك قلت لهما ولامر ثالث وهو أن المساواة

ظلام الكفر بعد ان كان مضروب الرواق ممدود الاطناب مبسوط الباع مرفوع العماد ليس على الارض من يعرف الله حق معرفته أو يعبده حق عبادته أو يدين بعظمته أو يعلم علو جلالته أو يتفكر فى حكمته فكان كما وصفه الله تعالى جل ذكره من أنه نور فقال وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم فانظر إن شئت الى شريف هذا النظم وبديع هذا التأليف وعظيم هذا الرصف كل كلمة من هذه الآية تامة وكل لفظ بديع واقع قوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا يدل على صدوره من الربوبية ويبين عن وروده عن الالهية وهذه الكلمة بمفردها وأخواتها كل واحدة منها لو وقعت بين كلام كثير تميز عن جميعه وكان واسطة

لا تكاد توجد خصوصا في القرآن وقد مثل لها في التلخيص بقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله وفي الايضاح بقوله وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا وتعقب بان في الآية الثانية حذف موصوف الذين وفي الأولى إطناب بلفظ السيء لأن المكر لا يكون الا سيأ وإيجازا بالحذف ان كان الاستثناء غير مفرغ أي بأحد وبالقصر في الاستثناء وبكونها حادثة على كف الأذى عن جميع الناس محذرة عن جميع ما يؤدي اليه وبان تقديرها يضر بصاحبه مضرة بليغة فأخرج الكلام مخرج الاستعارة التبعية الواقعة على سبيل التمثيل لأن يحيق بمعنى يحيط فلا يستعمل الا في الأجسام ﴿ تنبيه ﴾ الايجاز والاختصار بمعنى واحد كما يؤخذ من المفتاح وصرح به الطيبي وقال بعضهم الاختصار خاص بحذف الجمل فقط بخلاف الايجاز قال الشيخ بهاء الدين وليس بشيء والاطناب قيل بمعنى الاسهاب والحق أنه أخص منه فان الاسهاب التطويل لفائدة أولا لفائدة ذكره التنوخي وغيره

﴿ فصل ﴾ الايجاز قسمان ايجاز قصر وايجاز حذف فالاول هو الوجيز بلفظه قال الشيخ بهاء الدين الكلام القليل ان كان بعضا من كلام أطول منه فهو ايجاز حذف وان كان كلاما يعطي معنى أطول منه فهو إيجاز قصر وقال بعضهم ايجاز القصر هو تكثير المعنى بتقليل اللفظ وقال آخر هو أن يكون اللفظ بالنسبة الى المعنى أقل من القدر المعهود عادة وسبب حسنه أنه يدل على التمكن في الفصاحة ولهذا قال ﷺ أوتيت جوامع الكلم وقال الطيبي في التبيان الايجاز الخالي من الحذف ثلاثة أقسام أحدها ايجاز القصر وهو أن تقصر اللفظ على معناه كقوله انه من سليمان إلى قوله وائتوني مسلمين جمع في أحرف العنوان والكتاب والحاجة وقيل في وصف بليغ كانت ألفاظه قوالب معناه * قلت وهذا رأي من يدخل المساواة في الايجاز * الثاني ايجاز التقدير وهو أن يقدر معنى زائد على المنطوق ويسمى بالتضييق أيضا وبه سماه بدر الدين بن مالك في المصباح لانه نقص من الكلام ما صار لفظه أضيق من قدر معناه نحو فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف أي خطاياه غفرت فهي له لا عليه هدى للمتقين أي الضالين الصائرين بعد الضلال الى التقوى * الثالث الايجاز الجامع وهو أن يحتوي اللفظ على معان متعددة نحو ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فان العدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط المؤدي به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والاخلاق والعبودية والاحسان هو الاخلاص في واجبات العبودية لتفسيره في الحديث بقوله أن تعبد الله كأنك تراه أي تعبده مخلصا في نيتك وواقفا في الخضوع آخذا أهبة الحذر إلى ما لا يحصى وايتاء ذي القربى هو الزيادة على الواجب من النوافل هذا في الأوامر وأما النواهي فبالفحشاء الاشارة الى القوة الشهوانية وبالمنكر الى الافراط الحاصل من آثار الغضبية أو كل محرم شرعا وبالبغي الى الاستعلاء الفائض عن الوهمية * قلت ولهذا قال ابن مسعود ما في القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية أخرجه في المستدرك وروى البيهقي في شعب الايمان عن الحسن أنه قرأها يوما ثم وقف فقال ان الله جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة فوالله ما ترك العدل والاحسان من طاعة الله شيئا الا جمعه ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئا إلا جمعه وروى أيضا عن ابن شهاب في معنى حديث الشيخين بعثت بجوامع الكلم قال بلغني ان جوامع الكلم أن الله يجمع له الامور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الامر الواحد والامرين ونحو ذلك ومن ذلك قوله تعالى خذ العفو الآية فانها جامعة لمكارم الاخلاق لان في أخذ العفو التساهل والتسامح في الحقوق واللين والرفق في الدعاء الى الدين وفي الامر بالمعروف كف الاذى وغض البصر وما شاكلهما من المحرمات وفي الاعراض الصبر والحلم والتؤدة ومن بديع الايجاز قوله تعالى قل هو الله أحد الى آخرها

عقده وفاتحة عقده وغرة شهره وعين دهره وكذلك قوله ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا فجعله روحا لانه يحيي الخلق فله فضل الارواح في الاجساد وجعله نورا لانه يضيء ضياء الشمس في الآفاق ثم أضاف وقوع الهداية به الى مشيئته ووقف وقوف الاسترشاد به على ارادته وبين أنه لم يكن ليهتدي اليه لولا توفيقه ولم يكن ليعلم ما في الكتاب ولا الايمان لولا تعليمه وانه لم يكن ليهتدي فكيف كان يهدي لولاه فقد صار يهدي ولم يكن من قبل ذلك ليهتدي فقال وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الأمور فانظر الى هذه الكلمات الثلاث فالكلمتان الاولتان مؤتلفتان وقوله ألا الى الله تصير الامور كلمة منفصلة مباينة للاولى قد صيرها شريف النظم أشد ائتلافا من

فانه نهاية التنزيه وقد تضمنت الرد على نحو أربعين فرقة كما أفرد ذلك بالتصنيف بهاء الدين بن شداد وقوله وأخرج منها ماءها ومرعاها دل بهاتين الكلمتين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتا ومتاعا للانام من العشب والشجر والحب والثمر والعصف والحطب واللباس والنار والملح لان النار من العيدان والملح من الماء وقوله لا يصدعون عنها ولا ينزفون جمع فيه جميع عيوب الخمر من الصداع وعدم العقل وذهاب المال ونفاد الشراب وقوله وقيل يا أرض ابلعي ماءك الآية أمر فيها ونهى وأخبر ونادى ونعت وسمى وأهلك وابقى وأسعد وأشقى وقص من الانباء ما لو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والايجاز والبيان لجفت الاقلام وقد أفردت بلاغة هذه الآية بالتأليف وفي العجائب للكرماني اجمع المعاندون على ان طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل هذه الآية بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والعجم فلم يجدوا مثلها في فخامة ألفاظها وحسن نظمها وجودة معانيها في تصوير الحال مع الايجاز من غير إخلال وقوله تعالى يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم الآية جمع في هذه اللفظة أحد عشر جنسا من الكلام نادت وكنت ونبهت وسمت وامرت وقصت وحذرت وخصت وعممت وأشارت وعذرت فالنداء يا والكناية أي والتنبيه ها والتسمية النمل والامر ادخلوا والقصص مساكنكم والتحذير لا يحطمنكم والتخصيص سليمان والتعميم جنوده والاشارة وهم والعذر لا يشعرون فأدت بحمس حقوق حق الله وحق رسوله وحقها وحق رعيتها وحق جنود سليمان وقوله يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد الآية جمع فيها اصول الكلام النداء والعموم والخصوص والامر والاباحة والنهي والخبر وقال بعضهم جمع الله الحكمة في شطر آية كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقوله تعالى واوحينا الى أم موسى ان ارضعيه الآية قال ابن العربي هي من أعظم آي في القرآن فصاحة إذ فيها أمران ونهيان وخبران وبشارتان وقوله فاصدع بما تؤمر قال ابن أبي الاصبع المعنى صرح بجميع ما أوحي اليك وبلغ كل ما أمرت ببيانه وان شق بعض ذلك على بعض القلوب فانصدعت والمشابهة بينهما فيما يؤثره التصريح في القلوب فيظهر اثر ذلك على ظاهر الوجوه من القبض والانبساط ويلوح عليها من علامات الانكار والاستبشار كما يظهر على ظاهر الزجاجة المصدوعة فانظر الى جليل هذه الاستعارة وعظم ايجازها وما انطوت عليه من المعاني الكثيرة وقد حكي ان بعض الاعراب لما سمع هذه الآية سجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام اه وقوله تعالى وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قال بعضهم جمع بهاتين اللفظتين ما لو اجتمع الخلق كلهم على وصف ما فيها على التفصيل لم يخرجوا عنه وقوله تعالى ولكم في القصاص حياة فان معناه كثير ولفظه قليل لان معناه ان الانسان اذا علم انه متى قتل قتل كان ذلك داعيا الى ان لا يقدم على القتل فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض وكان ارتفاع القتل حياة لهم وقد فضلت هذه الجملة على اوجز ما كان عند العرب في هذا المعنى وهو قولهم القتل أنفى للقتل بعشرين وجها أو أكثر وقد اشار ابن الاثير الى انكار هذا التفضيل وقال لا تشبيه بين كلام الخالق وكلام المخلوق وانما العلماء يقدحون أذهانهم فيما يظهر لهم من ذلك * الاول ان ما يناظره من كلامهم وهو قولهم القصاص حياة اقل حروفا فان حروفه عشرة وحروف القتل انفى للقتل اربعة عشر * الثاني ان نفي القتل لا يستلزم الحياة والآية ناصة على ثبوتها التي هي الغرض المطلوب منه * الثالث ان تنكير حياة يفيد تعظيما فيدل على ان في القصاص حياة متطاولة كقوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حياة ولا كذلك المثل فان اللام فيه للجنس ولذا فسروا الحياة فيها بالبقاء * الرابع ان الآية فيها مطردة بخلاف المثل فانه ليس كل قتل أنفى للقتل بل قد يكون أدعى له وهو القتل ظلما وانما ينفيه قتل خاص وهو القصاص ففيه حياة ابدا * الخامس

الكلام المؤلف وألطف انتظاما من الحديث الملائم وبهذا يبين فضل الكلام وتظهر فصاحته وبلاغته الامر أظهر والحمد لله والحال أبين من ان يحتاج الى كشف تأمل قوله فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم انظر الى هذه الكلمات الاربع التي الف بينها واحتج بها على ظهور قدرته ونفاذ امره أليس كل كلمة منها في نفسها غرة وبمنفردها درة وهو مع ذلك يبين انه يصدر عن علو الامر ونفاذ القهر ويتجلى في بهجة القدرة ويتحلى بخالصة العزة ويجمع السلاسة الى الرصانة والسلامة الى المتانة والرونق الصافي والبهاء الضافي ولست أقول انه شمل الاطباق المليح والايجاز اللطيف والتعديل والتمثيل والتقريب والتشكيل وان كان قد جمع ذلك واكثر منه لان العجيب ما بينا من انفراد كل

ان الآية خالية من تكرار لفظ القتل الواقع فى المثل والخالى من التكرار أفضل من المشتمل عليه وان لم يكن مخلا بالفصاحة * السادس ان الآية مستغنية عن تقدير محذوف بخلاف قولهم فان فيه حذف من التى بعدا فعل التفضيل وما بعدها وحذف قصاصا مع القتل الأول وظلما مع القتل الثانى والتقدير القتل قصاصا أنفى للقتل ظلما من تركه * السابع ان فى الآية طباقا لأن القصاص يشعر بضد الحياة بخلاف المثل * الثامن ان الآية اشتملت على فن بديع وهو جعل أحد الضدين الذى هو الفناء والموت محلا ومكانا لضده الذى هو الحياة واستقرارا الحياة فى الموت مبالغة عظيمة ذكره فى الكشاف وعبر عنه صاحب الايضاح بانه جعل القصاص كالمنبع للحياة والمعدن لها بادخال فى عليه * التاسع ان فى المثل توالى أسباب كثيرة خفيفة وهو السكون بعد الحركة وذلك مستكره فان اللفظ المنطوق به اذا توالت حركاته تمكن اللسان من النطق به وظهرت بذلك فصاحته بخلاف ما اذا تعقب كل حركة سكون فالحركات تنقطع بالسكنات نظيره اذا تحركت الدابة ادنى حركة فحبست ثم تحركت فحبست لا تطيق اطلاقها ولا تتمكن من حركتها على ما تختاره فهى كالمقيدة * العاشر ان المثل كالمتناقض من حيث الظاهر لان الشىء لا ينفى نفسه * الحادى عشر سلامة الآية من تكرير قلقلة القاف الموجب للضغط والشدة وبعدها عن غنة النون * الثانى عشر اشتمالها على حروف متلائمة لما فيها من الخروج من القاف الى الصاد اذ القاف من حروف الاستعلاء والصاد من حروف الاستعلاء والاطباق بخلاف الخروج من القاف الى التاء التى هى حرف منخفض فهو غير ملائم للقاف وكذا الخروج من الصاد الى الحاء احسن من الخروج من اللام الى الهمزة لبعد مادون طرف اللسان واقصى الحلق * الثالث عشر فى النطق بالصاد والحاء والتاء حسن الصوت ولا كذلك تكرير القاف والتاء * الرابع عشر سلامتها من لفظ القتل المشعر بالوحشة بخلاف لفظ الحياة فان الطباع اقبل له من لفظ القتل * الخامس عشر أن لفظ القصاص مشعر بالمساواة فهو منبىء عن العدل بخلاف مطلق القتل * السادس عشر الآية مبنية على الاثبات والمثل على النفى والاثبات أشرف لانه اول والنفى ثان عنه * السابع عشر أن المثل لا يكاد يفهم الا بعد فهم أن القصاص هو الحياة وقوله فى القصاص حياة مفهوم من أول وهلة * الثامن عشر ان فى المثل بناء أفعل التفضيل من فعل متعد والآية سالمة منه * التاسع عشر أن أفعل فى الغالب يقتضى الاشتراك فيكون ترك القصاص نافيا للقتل ولكن القصاص أكثر نفيا وليس الامر كذلك والآية سالمة من ذلك * العشرون ان الآية رادعة عن القتل والجرح معا لشمول القصاص لهما والحياة أيضا فى قصاص الاعضاء لان قطع العضو ينقص أو ينغص مصلحة الحياة وقد يسرى الى النفس فيزيلها ولا كذلك المثل فى أول الآية ولكم وفيها لطيفة وهى بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص وانهم المراد حياتهم لا غيرهم لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمن سواهم ﴿تنبيهات * الاول﴾ ذكر قدامة من أنواع البديع الاشارة وفسرها بالاتيان بكلام قليل ذى معان جمة وهذا هو إيجاز القصر بعينه لكن فرق بينهما ابن أبى الاصبع بان الايجاز دلالته مطابقة ودلالة الاشارة اما تضمن او التزام فعلم منه أن المراد بها ما تقدم فى مبحث المنطوق * الثانى ذكر القاضى ابو بكر فى اعجاز القرآن ان من الايجاز نوعا يسمى التضمين وهو حصول معنى فى لفظ من غير ذكر له باسم هى عبارة عنه قال وهو نوعان أحدهما ما يفهم من البينة كقوله معلوم فانه يوجب انه لا بد من عالم والثانى من معنى العبارة كبسم الله الرحمن الرحيم فانه تضمن تعليم الاستفتاح فى الامور باسمه على جهة التعظيم لله تعالى والتبرك باسمه * الثالث ذكر ابن الاثير وصاحب عروس الافراح وغيرهما ان من أنواع ايجاز القصر باب الحصر سواء كان بالا

كلمة بنفسها حتى تصلح ان تكون عين رسالة اوخطبة أووجه قصيدة أوفقرة فاذا الفت ازدادت حسنا وزادتك اذا تأملت معرفة وايمانا ثم تأمل قوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم هل تجد كل لفظة وهل تعلم كل كلمة تستقل بالاشتمال على نهاية البديع وتتضمن شرط القول البليغ فاذا كانت الآية تنتظم من لبديع وتتألف من البلاغات فكيف لا تفوت حد المعهود ولا تجوز شأو المألوف وكيف لا تحوز قصب السبق ولا تتعالى عن كلام الخلق ثم اقصد الى سورة تامة فتصرف فى معرفة قصصها وراع مافيها من براهينها وقصصها تأمل السورة التى يذكر فيها النمل وانظر فى كل كلمة كلمة وفصل فصل بدأ بذكر

أو بانما او غيرهما من أدوات لان الجملة فيها نابت مناب جملتين و باب العطف لان حرفه وضع للاغناء عن اعادة العامل و باب النائب عن الفاعل لانه دل على الفاعل باعطائه حكمه وعلى المفعول بوضعه و باب الضمير لانه وضع الاستغناء به عن الظاهر اختصارا ولذا لا يعدل الى المنفصل مع امكان المتصل و باب علمت انك قائم لانه متحمل لاسم واحد سد المفعولين من غير حذف ومنها باب التنازع اذا لم نقدر على رأى الفراء ومنها طرح المفعول اقتصارا على جعل المتعدى كاللازم وسيأتى تحريره ومنها جمع أدوات الاستفهام والشرط فان كم مالك يغنى عن قولك أهو عشرون أم ثلاثون وهكذا الى ما لا يتناهى ومنها الالفاظ اللازمة للعموم كاحد ومنها لفظ التثنية والجمع فانه يغنى عن تكرير المفرد واقيم الحرف فيهما مقامه اختصارا ومما يصلح ان يعد من أنواعه المسمى بالاتساع من أنواع البديع وهو أن يأتى بكلام يتسع فيه التأويل بحسب ما يحتمله الفاظه من المعانى كفواتح السور ذكره ابن أبى الاصبع * القسم الثانى من قسمى الايجاز ايجاز الحذف وفيه فوائد ذكر أسبابه منها مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره ومنها التنبيه على ان الزمان يتقاصر عن الاتيان بالمحذوف وان الاشتغال بذكره يفضى الى تفويتهم وهذه هى فائدة باب التحذير والاغراء وقد اجتمعا فى قوله تعالى ناقة الله وسقياها فناقة الله تحذير بتقدير ذروا وسقياها اغراء بتقدير الزموا ومنها التفخيم والاعظام لما فيه من الابهام قال حازم فى منهاج البلغاء انما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه أو يقصد به تعديد اشياء فيكون فى تعدادها طول وسآمة فيحذف و يكتفى بدلالة الحال وتترك النفس تجول فى الاشياء المكتفى بالحال عن ذكرها قال ولهذا القصد يؤثر فى المواضع التى يراد بها التعجب والتهويل على النفوس ومنه قوله فى وصف أهل الجنة حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها فحذف الجواب اذا كان وصف ما يجدونه و يلقونه عند ذلك لا يتناهى فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه وتركت النفوس تقدر ما شاءته ولا تبلغ مع ذلك كنهه ماهنالك وكذا قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار أى لرأيت أمرا فظيعا لا تكاد تحيط به العبارة ومنها التخفيف لكثرة دورانه فى الكلام كما فى حذف حرف النداء نحو يوسف اعرض ونون لم يكن والجمع السالم ومنه قراءة والمقيمى الصلاة و ياء والليل اذا يسر وسأل المورج السدوسى الاخفش عن هذه الآية فقال عادة العرب انها اذا عدلت بالشىء عن معناه نقصت حروفه والليل لما كان لا يسرى وانما يسرى فيه نقص منه حرف كما قال تعالى وما كانت أمك بغيا الاصل بغية فلما حول عن فاعل نقص منه حرف ومنها كونه لا يصلح الا له نحو عالم الغيب والشهادة فعال لما يريد ومنها شهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء قال الزمخشرى وهو نوع من دلالة الحال التى لسانها انطق من لسان المقال وحمل عليه قراءة حمزة تساءلون به والارحام لان هذا مكان شهر بتكرر الجار فقامت الشهرة مقام الذكر ومنها صيانته عن ذكره تشريفا كقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات الآيات حذف فيها المبتدأ فى ثلاثة مواضع قبل ذكر الرب أى هو رب والله ربكم والله رب المشرق لان موسى استعظم حال فرعون واقدامه على السؤال فاضمر اسم الله تعظيما وتفخيما ومثله فى عروس الافراح بقوله تعالى رب أرنى انظر اليك أى ذاتك ومنها صيانة اللسان عنه تحقيرا له نحو صم بكم أى هم أو المنافقون ومنها قصد العموم نحو واياك نستعين أى على العبادة وعلى أمورنا كلها والله يدعو الى دار السلام أى كل واحد ومنها رعاية الفاصلة نحو ماودعك ربك وما قلى أى وما قلاك ومنها قصد البيان بعد الابهام كما فى فعل المشيئة نحو فلو شاء لهداكم أى فلو شاء هدايتكم فانه اذا سمع السامع فلو شاء تعلقت نفسه بم شاء انهم عليه لا يدرى ما هو فلما ذكر

السورة الى ان بين ان القرآن من عنده فقال وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ثم وصل بذلك قصة موسى عليه السلام وانه رأى نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون وقال فى سورة طه فى هذه القصة لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى وفى موضع لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون قد تصرف فى وجوه وأتى بذكر القصة على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك ولهذا قال فليأتوا بحديث مثله ليكون أبلغ فى تعجيزهم وأظهر للحجة عليهم وكل كلمة من هذه الكلمات وان أنبأت عن قصة فهى بليغة بنفسها تامة فى معناها ثم قال فلما جاءها نودى ان بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين فانظر الى ما أجرى له الكلام

الجواب استبان بعد ذلك وأكثر ما يقع ذلك بعد اداة شرط لأن مفعول المشيئة مذكور في جوابها وقد يكون مع غيرها استدلالا بغير الجواب نحو ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وقد ذكر أهل البيان ان مفعول المشيئة والارادة لا يذكر الا اذا كان غريبا أو عظيما نحو لمن شاء منكم أن يستقيم لو أردنا أن نتخذ لهوا لما اطرد أو كثر حذف مفعول المشيئة دون سائر الافعال لانه يلزم من وجود المشيئة وجود المشاء فالمشيئة المستلزمة لمضمون الجواب لا يمكن أن تكون الا مشيئة الجواب ولذلك كانت الارادة مثلها في اطراد حذف مفعولها ذكره الزملكاني والتنوخي في الاقصى القريب قالوا واذا حذف بعد لو فهو المذكور في جوابها أبدا وورد في عروس الافراح وقالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فان المعنى لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة لأن المعنى معين على ذلك ﴿فائدة﴾ قال الشيخ عبد القاهر ما من اسم حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها الا وحذفه أحسن من ذكره وسمى ابن جني الحذف شجاعة العربية لانه يشجع على الكلام ﴿قاعدة﴾ في حذف المفعول اختصارا واقتصارا قال ابن هشام جرت عادة النحويين ان يقولوا بحذف المفعول اختصارا واقتصارا وير يدون بالاختصار الحذف لدليل و يريدون بالاقتصار الحذف لغير دليل و يمثلونه بنحو كلوا واشربوا أي أوقعوا هذين الفعلين والتحقيق ان يقال يعني كما قال أهل البيان تارة يتعلق الغرض بالاعلام بمجرد وقوع الفعل من غير تعيين من أوقعه ومن أوقع عليه فيجاء بمصدره مسندا الى فعل كون عام فيقال حصل حريق أو نهب وتارة يتعلق بالاعلام بمجرد إيقاع الفعل للفاعل فيقتصر عليهما ولا يذكر المفعول ولا ينوى اذ المنوى كالثابت ولا يسمى محذوفا لان الفعل ينزل لهذا القصد منزلة مالا مفعول له ومنه ربي الذي يحيي و يميت هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون كلوا واشربوا ولا تسرفوا واذا رأيت ثم اذ المعنى ربي الذي يفعل الاحياء والاماتة وهل يستوي من يتصف بالعلم ومن ينتفي عنه العلم وأوقعوا الأكل والشرب وذروا الاسراف واذا حصلت منك رؤية ومنه ولما ورد ماء مدين الآية ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام رحمهما اذا كانتا على صفة الذياد وقومهما على السقي لا لكون مذودهما غنما وسقيهم ابلا وكذلك المقصود من لا نسقي السقي لا المسقي ومن لم يتأمل قدر يسقون ابلهم وتذودان غنمهما ولا نسقي غنما وتارة يقصد اسناد الفعل الى فاعله وتعليقه بمفعوله فيذكران نحو لا تأكلوا الربا ولا تقربوا الزنا وهذا النوع الذي اذا لم يذكر محذوفه قيل محذوف وقد يكون في اللفظ ما يستدعيه فيحصل الجزم بوجوب تقديره نحو أهذا الذي بعث الله رسولا وكلا وعد الله الحسنى وقد يشتبه الحال في الحذف وعدمه نحو قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن قد يتوهم أن معناه نادوا فلا حذف أو سموا فالحذف واقع * ذكر شروطه هي ثمانية احدها وجود دليل اما حالي نحو قالوا سلاما أي سلمنا سلاما أو مقالي نحو وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا أي أنزل خيرا قال سلام قوم منكرون أي سلام عليكم أنتم قوم منكرون ومن الادلة العقل حيث يستحيل صحة الكلام عقلا الا بتقدير محذوف ثم تارة يدل على أصل الحذف من غير دلالة على تعيينه بل يستفاد التعيين من دليل آخر نحو حرمت عليكم الميتة فان العقل يدل على انها ليست المحرمة لان التحريم لا يضاف الى الاجرام وانما هو والحل يضافان الى الافعال فعلم بالعقل حذف شيء وأما تعينه وهو التناول فمستفاد من الشرع وهو قوله صلى الله عليه وسلم انما حرم أكلها لان العقل لا يدرك محل الحل ولا الحرمة واما قول صاحب التلخيص انه من باب دلالة العقل أيضا فتابع فيه السكاكي من غير تأمل انه مبني على أصول المعتزلة وتارة يدل العقل أيضا على التعيين نحو وجاء ربك أي أمره بمعنى عذابه لان العقل دل على استحالة مجيء الباري لانه من سمات الحادث

من علو امر هذا النداء وعظم شأن هذا الثناء وكيف انتظم مع الكلام الاول وكيف اتصل بتلك المقدمة وكيف وصل بها ما بعدها من الاخبار عن الربوبية ومادل به عليها من قلب العصا حية وجعلها دليلا يدله عليه ومعجزة تهديه اليه وانظر الى الكلمات المفردة القائمة بأنفسها في الحسن وفيما تتضمنه من المعاني الشريفة ثم ما شفع به هذه الآية وقرن به هذه الدلالة من اليد البيضاء عن نور البرهان من غير سوء ثم انظر في آية آية وكلمة كلمة هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم وبديع الرصف فكل كلمة لو افردت كانت في الجمال غاية وفي الدلالة آية فكيف اذا قارنتها اخواتها وضامتها فواتها تجري في الحسن مجراها وتأخذ في معناها ثم من قصة الى قصة ومن باب الى باب من غير خلل يقع في نظم الفصل الى الفصل وحتى يصور لك الفصل

وعلى ان الجانى أمره أوفوا بالعقود واوفوا بعهد الله أى بمقتضى العقود و بمقتضى عهد الله لأن العقد والعهد قولان قد دخلا فى الوجود وانقضيا فلا يتصور فيهما وفاء ولا نقض وإنما الوفاء والنقض بمقتضاهما وما ترتب عليهما من أحكامهما وتارة تدل على التعيين العادة نحو فذلكن الذى لمتننى فيه دل العقل على الحذف لأن يوسف لا يصح ظرفا للوم ثم يحتمل ان يقدر لمتننى فى حبه لقوله قد شغفها حبا وفى مراودتها لقوله تراود فتاها والعادة دلت على الثانى لأن الحب المفرط لا يلام صاحبه عليه عادة لانه ليس اختياريا بخلاف المراودة للقدرة على دفعها وتارة يدل عليه التصريح به فى موضع آخر وهو أقواها نحو هل ينظرون الا ان يأتيهم الله أى أمره بدليل أو يأتى أمر ربك وجنة عرضها السموات أى كعرض بدليل التصريح به فى آية الحديد رسول من الله أى من عند الله و بدليل ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم * ومن الادلة على أصل الحذف العادة بأن يكون العقل غير مانع من اجراء اللفظ على ظاهره من غير حذف نحو لو نعلم قتالا لا تبعناكم أى مكان قتال والمراد مكانا صالحا للقتال وإنما كان كذلك لأنهم كانوا أخبر الناس بالقتال و يتعيرون بأن ينفوهوا بأنهم لا يعرفونه فالعادة تمنع ان يريدوا لو نعلم حقيقة القتال فلذلك قدره مجاهد مكان قتال و يدل عليه أنهم أشاروا على النبى صلى الله عليه وسلم ان لا يخرج من المدينة ومنها الشروع فى الفعل نحو بسم الله فيقدر ما جعلت التسمية مبدأ له فان كانت عند الشروع فى القراءة قدرت اقرأ أو الأكل قدرت آكل وعلى هذا أهل البيان خلافا لقول النحاة انه يقدر ابتدأت أو ابتدائى كائن بسم الله و يدل على صحة الأول التصريح به فى قوله وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها وفى حديث باسمك ربى وضعت جنبى ومنها الصناعة النحوية كقولهم فى لا اقسم التقدير لا انا أقسم لأن فعل الحال لا يقسم عليه وفى تالله تفتؤ التقدير لا تفتؤ لأنه لو كان الجواب مثبتا دخلت اللام والنون كقوله وتالله لأكيدن وقد توجب الصناعة التقدير وان كان المعنى غير متوقف عليه كقولهم فى لا إله إلا الله ان الخبر محذوف أى موجود وقد انكره الامام فخر الدين وقال هذا كلام لا يحتاج إلى تقدير و تقدير النحاة فاسد لأن نفى الحقيقة مطلقة أعم من نفيها مقيدة فانها إذا انتفت مطلقة كان ذلك دليلا على سلب الماهية مع القيد وإذا انتفت مقيدة بقيد مخصوص لم يلزم نفيها مع قيد آخر ورد بأن تقديرهم موجود يستلزم نفى كل اله غير الله قطعا فان العدم لا كلام فيه فهو فى الحقيقة نفى للحقيقة مطلقة لا مقيدة ثم لا بد من تقدير خبر لاستحالة مبتدإ بلا خبر ظاهر أو مقدر وإنما يقدر النحوى ليعطى القواعد حقها وان كان المعنى مفهوما ﴿تنبيه﴾ قال ابن هشام إنما يشترط الدليل فيما إذا كان المحذوف الجملة بأسرها أو أحد ركنيها أو يفيد معنى فيها هى مبنية عليه نحو تالله تفتؤ أما الفضلة فلا يشترط لحذفها وجدان دليل بل يشترط أن لا يكون فى حذفها ضرر معنوى أو صناعى قال و يشترط فى الدليل اللفظى أن يكون طبق المحذوف ورد قول الفراء فى أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين ان التقدير بلى ليحسبنا قادرين لأن الحسبان المذكور بمعنى الظن والمقدر بمعنى العلم لأن التردد فى الاعادة كفر فلا يكون مأمورا به قال والصواب فيها قول سيبويه ان قادرين حال أى بلى نجمعها قادرين اذ فعل الجمع أقرب من فعل الحسبان ولأن بلى لا يجاب المنفى وهو فيها فعل الجمع * الشرط الثانى ان لا يكون المحذوف كالجزء ومن ثم لم يحذف الفاعل ولا نائبه ولا اسم كان واخواتها قال ابن هشام وأما قول ابن عطية فى بئس مثل القوم ان التقدير بئس المثل مثل القوم فان أراد تفسير الاعراب وان الفاعل لفظ المثل محذوف فمردود وان أراد تفسير المعنى وان فى بئس ضمير المثل مستترا فسهل * الثالث أن لا يكون مؤكدا لأن الحذف مناف للتأكيد إذ الحذف مبنى على الاختصار والتأكيد مبنى على الطول ومن ثم رد الفارسى

وصلا ببديع التأليف و بليغ التنزيل وان أردت أن تتبين ما قلناه فضل تبين وتحقق بما ادعيناه من زيادة تحقق فان كنت من أهل الصنعة فاعمد الى قصة من هذه القصص وحديث من هذه الأحاديث فعبر عنه بعبارة من جهتك وأخبر عنه بألفاظ من عندك حتى ترى فيما جئت به النقص الظاهر وتتبين فى نظم القرآن الدليل الباهر ولذلك أعاد قصة موسى فى سور وعلى طرق شتى وفواصل مختلفة مع اتفاق المعنى فلعلك ترجع الى عقلك وتستر ما عندك ان غلطت فى أمرك أو ذهبت فى مذاهب وهمك أو سلطت على نفسك وجه ظنك متى تهيأ لبليغ أن يتصرف فى قدر آية فى أشياء مختلفة فيجعلها مؤتلفة من غير ان يبين على كلامه اعياء الخروج والتنقل أو يظهر على خطابه آثار التكلف والتعمل وأحسب أنه يسلم من هذا وعمالى ان يسلم منه حتى يظفر بمثل

على الزجاج فى قوله فى ان هذا لساحران أن التقدير ان هذان لهما ساحران فقال الحذف والتوكيد باللام متنافيان وأما حذف الشىء لدليل وتوكيده فلا تنافى بينهما لأن المحذوف لدليل كالثابت * الرابع أن لا يؤدى حذفه الى اختصار المختصر ومن ثم لم يحذف اسم الفعل لأنه اختصار للفعل * الخامس ان لا يكون عاملا ضعيفا فلا يحذف الجار والناصب للفعل والجازم الا فى مواضع قويت فيها الدلالة وكثر فيها استعمال تلك العوامل * السادس أن لا يكون المحذوف عوضا عن شىء ومن ثم قال ابن مالك ان حرف النداء ليس عوضا عن ادعو ولا جازة العرب حذفه ولذا أيضا لم تحذف التاء من اقامة واستقامة وأما وأقام الصلاة فلا يقاس عليه ولا خبر كان لأنه عوض أو كالعوض من مصدرها * السابع أن لا يؤدى حذفه الى تهيئة العامل القوى ومن ثم لم يقس على قراءة وكلا وعد الله الحسنى ﴿ فائدة ﴾ اعتبر الاخفش فى الحذف التدريج حيث أمكن ولهذا قال فى قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ان الأصل لا تجزى فيه فحذف حرف الجر فصار تجزيه ثم حذف الضمير فصار تجزى وهذه ملاطفة فى الصناعة ومذهب سيبويه أنهما حذفا معا قال ابن جنى وقول الأخفش أوفق فى النفس وآنس من ان يحذف الحرفان معا فى وقت واحد ﴿ قاعدة ﴾ الأصل ان يقدر الشىء فى مكانه الأصلى لئلا يخالف الأصل من وجهين الحذف ووضع الشىء فى غير محله فيقدر المفسر فى نحو زيدا رأيته مقدما عليه وجوز البيانيون تقديره مؤخرا عنه لافادة الاختصاص كما قاله النحاة إذا منع منه مانع نحو وأما ثمود فهديناهم إذ لا يلى أما فعل ﴿ قاعدة ﴾ ينبغى تقليل المقدر مهما أمكن لتقل مخالفة الأصل ومن ثم ضعف قول الفارسى فى واللائى لم يحضن ان التقدير فعدتهن ثلاثة أشهر والأولى أن يقدر كذلك قال الشيخ عز الدين ولا يقدر من المحذوفات الا أشدها موافقة للغرض وافصحها لأن العرب لا يقدرون الا ما لو لفظوا به لكان أحسن وأنسب لذلك الكلام كما يفعلون ذلك فى الملفوظ به نحو جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس قدر أبو على جعل الله نصب الكعبة وقدر غيره حرمة الكعبة وهو أولى لان تقدير الحرمة فى الهدى والقلائد والشهر الحرام لا شك فى فصاحته وتقدير النصب فيها بعيد من الفصاحة قال ومهما تردد المحذوف بين الحسن والأحسن وجب تقدير الأحسن لأن الله وصف كتابه بأنه أحسن الحديث فليكن محذوفه أحسن المحذوفات كما ان ملفوظه أحسن الملفوظات قال ومتى تردد بين أن يكون مجملا أو مبينا فتقديره المبين أحسن ونحو وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث لك ان تقدر فى أمر الحرث وفى تضمين الحرث وهو أولى لتعينه والأمر مجمل لتردده بين أنواع ﴿ قاعدة ﴾ إذا دار الأمر بين كون المحذوف فعلا والباقى فاعلا وكونه مبتدا والباقى خبرا فالثانى أولى لأن المبتدا عين الخبر وحينئذ فالمحذوف عين الثابت فيكون حذفا كلا حذف فاما الفعل فانه غير الفاعل اللهم الا أن يعتضد الاول برواية أخرى فى ذلك الموضع أو بموضع آخر يشبهه فالاول كقراءة يسبح له فيها بفتح الباء كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله بفتح الحاء فان التقدير يسبحه رجال ويوحيه الله ولا يقدر ان مبتدآن بحذف خبرهما لثبوت فاعلية الاسمين فى رواية من بنى الفعل للفاعل والثانى نحو ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فتقدير خلقهم الله أولى من الله خلقهم لمجىء خلقهن العزيز العليم ﴿ قاعدة ﴾ إذا دار الامر بين كون المحذوف أولا أو ثانيا فكونه ثانيا أولى ومن ثم رجح ان المحذوف فى نحو اتحاجونى نون الوقاية لا نون الرفع ولى فارا تظى التاء الثانية لا تاء المضارعة وفى والله ورسوله أحق ان يرضوه ان المحذوف خبر الثانى لا الاول وفى نحو الحج اشهر ان المحذوف مضاف للثانى أى حج أشهر لا الاول أى أشهر الحج وقد يجب كونه من الاول نحو ان الله وملائكته يصلون على النبى فى قراءة من رفع ملائكته لاختصاص الخبر بالثانى لورود بصيغة الجمع وقد يجب كونه

تلك الكلمات الافراد والالفاظ الاعلام حتى يجمع بينها فيجلو فيها فقرة من كلامه وقطعة من قوله ولو انفق له فى أحرف معدودة وأسطر قليلة فمتى يتفق له فى قدر ما نقول انه من القرآن معجز هيهات هيهات ان الصبح يطمس النجوم وان كانت زاهرة والبحر يغمز الانهار وان كانت زاخرة متى تهيأ للآدمى ان يقول فى وصف كتاب سليمان عليه السلام بعد ذكر العنوان والتسمية هذه الكلمة الشريفة العالية ألا تعلوا على وائتونى مسلمين والخلوص من ذلك الى ماصارت اليه من التدبير واشتغلت به من المشورة ومن تعظيمها أمر المستشار ومن تعظيمهم أمرها وطاعتها بتلك الالفاظ البديعة والكلمات العجيبة البليغة ثم كلامها بعد ذلك لتعلم تمكن قولها يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون وذكر قولهم قالوا نحن

من الثانى نحو إن الله برىء من المشركين ورسوله أى برىء أيضا لتقدم الخبر على الثانى
﴿فصل﴾ الحذف على أنواع * أحدها مايسمى بالاقتطاع وهو حذف بعض حروف الكلمة وأنكر
ابن الأثير ورود هذا النوع فى القرآن ورد بأن بعضهم جعل منه فواتح السور على القول بأن كل حرف
منها من اسم من أسمائه كما تقدم وادعى بعضهم أن الباء فى وامسحوا برؤسكم أول كلمة بعض ثم حذف
الباقى ومنه قراءة بعضهم ونادوا يامال بالترخيم ولما سمعها بعض السلف قال ماأغنى أهل النار عن
الترخيم وأجاب بعضهم بأنهم لشدة مابهم فيه عجزوا عن إتمام الكلمة ويدخل فى هذا النوع حذف
همزة انا فى قوله لكنا هو الله ربى إذ الاصل لكن أنا حذفت همزة أنا تخفيفا وأدغمت النون فى النون
ومثله ماقرىء ويمسك السماء أن تقع على الارض بما أنزل اليك فمن تعجل فى يومين فلم عليه انها
لحدى الكبر * النوع الثانى مايسمى بالاكتفاء وهو أن يقتضى المقام ذكر شيئين بينهما تلازم
وارتباط فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة ويختص غالبا بالارتباط العطفى كقوله سرابيل تقيكم
الحر أى والبرد وخص الحر بالذكر لان الخطاب للعرب وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم
لانه أشد عندهم من البرد وقيل لان البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته صريحا فى قوله ومن أصوافها
وأوبارها وأشعارها وفى قوله وجعل لكم من الجبال أكنانا وفى قوله تعالى والانعام خلقها لكم فيها
دفء ومن أمثلة هذا النوع بيدك الخير أى والشر وانما خص الخير بالذكر لانه مطلوب العباد
ومرغوبهم أولانه أكثر وجودا فى العالم أولان اضافة الشر الى الله تعالى ليس من باب الآداب كما
قال ﷺ والشر ليس اليك ومنها وله ماسكن فى الليل والنهار أى وما تحرك وخص السكون بالذكر
لانه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد ولان كل متحرك يصير الى السكون * ومنها
والذين يؤمنون بالغيب أى والشهادة لان الايمان بكل منهما واجب وآثر الغيب لانه أمدح ولانه
يستلزم الايمان بالشهادة من غير عكس * ومنها ورب المشارق أى والمغارب * ومنها هدى
للمتقين أى وللكافرين قاله ابن الانبارى ويؤيده قوله هدى للناس * ومنها ان امرؤ هلك ليس له
ولد أى ولا والد بدليل أنه أوجب للأخت النصف وانما يكون ذلك مع فقد الاب لانه يسقطها *
النوع الثالث مايسمى بالاحتباك وهو من ألطف الانواع وأبدعها وقل من تنبه له أو نبه عليه
من أهل فن البلاغة ولم أره الا فى شرح بديعية الاعمى لرفيقه الاندلسى وذكره الزركشى فى البرهان
ولم يسمه هذا الاسم بل سماه الحذف المقابلى وأفرده بالتصنيف من أهل العصر العلامة برهان الدين
البقاعى قال الاندلسى فى شرح البديعية من أنواع البديع الاحتباك وهو نوع عزيز وهو أن يحذف
من الاول ماأثبت نظيره فى الثانى ومن الثانى ماأثبت نظيره فى الاول كقوله تعالى ومثل الذين كفروا
كمثل الذى ينعق الآية التقدير ومثل الانبياء والكفار كمثل الذى ينعق والذى ينعق به فحذف
من الاول الانبياء لدلالة الذى ينعق عليه ومن الثانى الذى ينعق به لدلالة الذين كفروا عليه وقوله
وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء التقدير تدخل غير بيضاء وأخرجها تخرج بيضاء فحذف
من الاول تدخل غير بيضاء ومن الثانى وأخرجها وقال الزركشى هو أن يجتمع فى الكلام متقابلان
فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه كقوله تعالى أم يقولون افتراه قل ان افتريته
فعلى اجرامى وأنا برىء مما تجرمون التقدير إن افتريته فعلى اجرامى وأنتم برآء منه وعليكم اجرامكم
وأنا برىء مما تجرمون وقوله ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم التقدير ويعذب المنافقين ان شاء
فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم فلا يعذبهم وقوله فلا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن أى
حتى يطهرن من الدم ويتطهرن بالماء فاذا طهرن وتطهرن فأتوهن وقوله وخلطوا عملا صالحا وآخر

أولو قوة وألو بأس شديد والأمر اليك فانظرى ماذا تأمرين لاتجد فى صفتهم أنفسهم أبدع مما وصفهم به وقوله والأمر اليك تعلم براعته بنفسه وعجيب معناه وموضع اتفاقه فى هذا الكلام وتمكن الفاصلة وملاءمته لماقبله وذلك قوله فانظرى ماذا تأمرين ثم الى هذا الاختصار والى البيان مع الايجاز فان الكلام قد يفسد الاختصار ويعميه التخفيف منه والايجاز وهذا مما يزيده الاختصار بسطا لتمكنه ووقوعه موقعه ويتضمن الايجاز منه تصرفا يتجاوز محله وموضعه وكم جئت الى كلام مبسوط يضيق عن الافهام ووقعت على حديث طويل يقصر عما يراد به من التمام ثم لو وقع على الافهام(١) فما يجب فيه من شروط الأحكام أو بمعانى القصة وما تقتضى من الاعظام ثم لو ظفرت بذلك كله رأيته ناقصا فى وجه الحكمة أو مدخولا فى

(١) هكذا بياض بالأصل

سيئا أى عملا صالحا بسيء وآخر سيئا بصالح * قلت ومن لطيفه قوله فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة أى فئة مؤمنة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل فى سبيل الطاغوت * وفى الغرائب للكرمانى فى الآية الأولى التقدير مثل الذين كفروا معك يا محمد كمثل الناعق مع الغنم فحذف من كل طرف ما يدل عليه الطرف الآخر وله فى القرآن نظائر وهو أبلغ ما يكون من الكلام انتهى ومأخذ هذه التسمية من الحبك الذى معناه الشد والاحكام وتحسين أثر الصنعة فى الثوب فحبك الثوب سد ما بين خيوطه من الفرج وشده واحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق * وبيان أخذه منه أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر فى نظمه وحوكه فوضع المحذوف مواضعه كان حائكا له مانعا من خلل يطرقه فسد بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق * النوع الرابع ما يسمى بالاختزال وهو ما ليس واحدا مما سبق وهو أقسام لأن المحذوف اما كلمة اسم أو فعل أو حرف أو أكثر * أمثلة حذف الاسم حذف المضاف وهو كثير فى القرآن جدا حتى قال ابن جنى فى القرآن منه زهاء ألف موضع وقد سردها الشيخ عز الدين فى كتابه المجاز على ترتيب السور والآيات ومنه الحج أشهر أى حج أشهر أو أشهر الحج ولكن البر من آمن اى ذا البر أو بر من حرمت عليكم أمهاتكم أى نكاح أمهاتكم لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات أى ضعف عذاب وفى الرقاب أى وفى تحرير الرقاب وحذف المضاف اليه يكثر فى ياء المتكلم نحو رب اغفر لى وفى الغايات نحو لله الأمر من قبل ومن بعد أى من قبل الغلب ومن بعده وفى كل وأى وبعض وجاء فى غيرهن كقراءة فلا خوف عليهم بضم بلا تنوين أى فلا خوف شىء عليهم حذف المبتدأ يكثر فى جواب الاستفهام نحو وما أدراك ماهيه نار أى هى نار وبعد فاء الجواب نحو من عمل صالحا فلنفسه أى فعمله لنفسه ومن أساء فعليها أى فاساءته عليها وبعد القول نحو وقالوا أساطير الأولين قالوا أضغاث أحلام وبعد ما الخبر صفة له فى المعنى نحو التائبون العابدون ونحو صم بكم عمى ووقع فى غير ذلك نحو لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ أى هذا سورة أنزلناها أى هذه ووجب فى النعت المقطوع الى الرفع حذف الخبر أكلها دائم وظلها أى دائم وقد يحتمل الأمرين فصبر جميل أى أجمل أو فأمرى صبر فتحرير رقبة أى عليه أو قالوا يجب حذف الموصوف وعندهم قاصرات الطرف أى حور قاصرات ان اعمل سابغات أى دروعا سابغات أيها المؤمنون أى القوم المؤمنون حذف الصفة يأخذ كل سفينة أى صالحة بدليل أنه قرىء كذلك وان تعيبها لا يخرجها عن كونها سفينة الآن جئت بالحق أى الواضح والا لكفروا بمفهوم ذلك فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا أى نافعا حذف المعطوف عليه ان اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فضرب فانفلق وحيث دخلت واو العطف على لام التعليل ففى تخريجه وجهان أحدهما أن يكون تعليلا معلله محذوف كقوله وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا فالمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ذلك والثانى انه معطوف على علة أخرى مضمرة لتظهر صحة العطف أى فعل ذلك ليذيق الكافرين بأسه وليبلى حذف المعطوف مع العاطف لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أى ومن أنفق بعده بيدك الخير أى والشر حذف المبدل منه خرج عليه ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب أى لما تصفه والكذب بدل من الهاء حذف الفاعل لا يجوز الا فى فاعل المصدر نحو لا يسأم الانسان من دعاء الخير أى من دعائه الخير وجوزه الكسائى مطلقا لدليل وخرج عليه اذا بلغت التراقى أى الروح حتى توارت بالحجاب أى الشمس حذف المفعول تقدم أنه كثير فى مفعول المشيئة والارادة ويرد فى غيرهما نحو ان الذين اتخذوا العجل أى إلها كلا سوف تعلمون أى عاقبة أمركم حذف الحال يكثر اذا كان قولا نحو والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام أى قائلين

حذف

فى باب السياسة أو مصفوفا فى طريق السيادة أو مشترك العبارات ان كان مستجود المعنى أو جيد البلاغة مستجلب المعنى أو مستجلب البلاغة جيد المعنى أو مستنكر اللفظ وحشى العبارة أو مستبهم الجانب مستكره الوضع وأنت لا تجد فى جميع ما تلونا عليك الا ما إذا بسط أفاد واذا اختصر كمل فى بابه وجادوا اذا سرح الحكيم فى جوانبه طرف خاطبه وبعث العليم فى أطرافه عيون مباحثه لم يقع إلا على محاسن تتوالى وبدائع تترى ثم فكر بعد ذلك فى آيه آية أو كلمة كلمة فى قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون هذه الكلمات الثلاث كل واحدة منها كالنجم فى علوه ونوره وكالياقوتة فى بهائه وصفائه ثم تأمل تمكن الفاصلة وهى الكلمة الثالثة وحسن موقعها وعجيب حكمها وبارع معناها وان شرحت لك

حذف المنادى الا يا اسجدوا أى يا هؤلاء يا ليت أى يا قوم حذف العائد يقع فى أربعة أبواب الصلة نحو أهذا الذى بعث الله رسولا أى بعثه والصفة نحو واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس أى فيه والخبر نحو وكلا وعد الله الحسنى أى وعده والحال حذف مخصوص نعم انا وجدناه صابرا نعم العبد أى أيوب فقدرنا فنعم القادرون أى نحن ولنعم دار المتقين أى الجنة حذف الموصول آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم أى والذى أنزل اليكم لان الذى أنزل الينا ليس هو الذى أنزل إلى من قبلنا ولهذا أعيدت ما فى قوله قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم أمثلة حذف الفعل يطرد اذا كان مفسرا نحو وان أحد من المشركين استجارك إذا السماء انشقت قل لو أنتم تملكون ويكثر فى جواب الاستفهام نحو واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا أى أنزل وأكثر منه حذف القول نحو واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا أى يقولان ربنا قال أبو على حذف القول من حديث البحر قل ولا حرج ويأتى فى غير ذلك نحو انتهوا خيرا لكم أى وائتوا والذين تبوؤا الدار والايمان أى وألفوا الايمان أو اعتقدوا أسكن أنت وزوجك الجنة أى وليسكن زوجك وامرأته حمالة الحطب أى اذم والمقيمين الصلاة أى أمدح ولكن رسول الله أى كان وان كلا لما أى يوفوا أعمالهم * أمثلة حذف الحرف قال ابن جنى فى المحتسب أخبرنا أبو على قال قال أبو بكر حذف الحرف ليس بقياس لان الحروف انما دخلت الكلام لضرب من الاختصار فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصرا لها هى أيضا واختصارا المختصر اجحاف به حذف همزة الاستفهام قرأ ابن محيصن سواء عليهم أنذرتهم وخرج عليه هذا رب فى المواضع الثلاثة وتلك نعمة تمنها أى أوتلك حذف الموصول الحرفى قال ابن مالك لا يجوز الا فى أن نحو ومن آياته يريكم البرق حذف الجار يطرد مع ان وان نحو يمنون عليك ان اسلموا بل الله يمن عليكم ان هداكم اطمع أن يغفر لى أيعدكم أنكم أى بأنكم وجاء مع غيرهما نحو قدرناه منازل أى قدرنا له ويبغونها عوجا أى لها يخوف أولياءه أى يخوفكم بأوليائه واختار موسى قومه أى من قومه ولا تعزموا عقدة النكاح أى على عقدة النكاح حذف العاطف خرج عليه الفارسى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا أى وقلت وجوه يومئذ ناعمة أى و وجوه عطفا على وجوه يومئذ خاشعة حذف فاء الجواب خرج عليه الاخفش إن ترك خيرا الوصية للوالدين حذف حرف النداء كثيرها أنتم أولاء يوسف أعرض قال رب انى وهن العظم منى فاطر السموات والارض وفى العجائب للكرمانى كثر حذف يا فى القرآن من الرب تنزيها وتعظيما لان فى النداء طرفا من الامر حذف قد فى الماضى اذا وقع حالا نحو أوجاؤكم حصرت صدورهم أنؤمن لك واتبعك الارذلون حذف لا النافية يطرد فى جواب القسم اذا كان المنفى مضارعا نحو تالله تفتؤا وورد فى غيره نحو وعلى الذين يطيقونه فدية أى لا يطيقونه وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم أى لئلا تميد حذف لام التوطئة وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن وان أطعتموهم إنكم لمشركون حذف لام الامر خرج عليه قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا أى ليقيموا حذف لام لقد يحسن مع طول الكلام نحو قد أفلح من زكاها حذف نون التوكيد خرج عليه قراءة ألم نشرح بالنصب حذف نون الجمع خرج عليه قراءة وما هم بضارى به من أحد حذف التنوين خرج عليه قراءة قل هو الله أحد الله الصمد ولا الليل سابق النهار بالنصب حذف حركة الاعراب والبناء خرج عليه قراءة فتوبوا إلى بارئكم ويأمركم وبعولتهن أحق بسكون الثلاثة وكذا أو يعفوا الذى بيده عقدة النكاح فاوارى سوءة أخى ما يبقى من الربا أمثلة حذف أكثر من كلمة حذف مضافين فانها من تقوى القلوب أى فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فقبضت قبضة من أثر الرسول أى من أثر حافر فرس الرسول تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت أى كدوران

مافى كل آية طال عليك الامر ولكنى قد بينت بما فسرت وقررت بما فصلت الوجه الذى سلكت والنحو الذى قصدت والغرض الذى اليه رميت والسمت الذى اليه دعوت ثم فكر بعد ذلك فى شىء أدلك عليه وهو تعادل هذا النظم فى الاعجاز فى مواقع الآيات القصيرة والطويلة والمتوسطة فاجل الرأى فى سورة سورة وآية آية وفاصلة فاصلة وتدبر لخواتم والفواتح والبوادىء والمقاطع ومواضع الفصل والوصل ومواضع التنقل والتحول ثم اقض ما أنت قاض وان طال عليك تأمل الجميع فاقتصر على سورة واحدة أو على بعض سورة أيك فى قوله ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين هذه تشتمل على ست كلمات سناؤها وضياؤها على ما ترى وسلاستها وماؤها على

عين الذى وتجعلون رزقكم أى بدل شكر رزقكم حذف ثلاثة متضايفات فكان قاب قوسين أى فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب حذف ثلاثة من اسم كان وواحد من خبرها حذف مفعولى باب ظن أين شركائى الذين كنتم تزعمون أى تزعمونهم شركائى حذف الجار مع المجرور وخلطوا عملا صالحا أى بسىء وآخر سيئا أى بصالح حذف العاطف مع المعطوف تقدم حذف حرف الشرط وفعله يطرد بعد الطلب نحو فاتبعونى يحببكم الله أى ان اتبعتمونى قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة أى ان قلت لهم يقيموا وجعل منه الزمخشرى فلن يخلف الله عهده أى ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله وجعل منه أبو حيان فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أى ان كنتم آمنتم بما أنزل اليكم فلم تقتلون حذف جواب الشرط فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الارض أو سلما فى السماء أى فافعل واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون أى أعرضوا بدليل ما بعده أثن ذكرتم أى تطيرتم ولو جئنا بمثله مددا أى لنفدوا ولو ترى إذا المجرمون ناكسوا رؤسهم أى لرأيت أمرا فظيعا ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم أى لعذبكم لولا ان ربطنا على قلبها أى لأبدت به ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم أى لسلطكم على أهل مكة حذف جملة القسم لاعذبنه عذابا شديدا أى والله حذف جوابه والنازعات غرقا الآيات أى لتبعثن ص والقرآن ذى الذكر أى انه لمعجز ق والقرآن المجيد أى ما الامر كازعموا حذف جملة مسببة عن المذكور نحو ليحق الحق ويبطل الباطل أى فعل ما فعل حذف جمل كثيرة نحو فارسلون يوسف أيها الصديق أى فارسلون إلى يوسف لاستعبره الرؤيا ففعلوا فأتاه فقال له يا يوسف ﴿خاتمة﴾ تارة لا يقام شىء مقام المحذوف كما تقدم وتارة يقام ما يدل عليه نحو فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم فليس الا بلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم وانما التقدير فان تولوا فلا لوم على أو فلا عذر لكم لانى أبلغتكم وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك أى فلا تحزن واصبر وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين أى يصيبهم مثل ما أصابهم

﴿فصل﴾ كما انقسم الايجاز الى ايجاز قصر وايجاز حذف كذلك انقسم الاطناب إلى بسط وزيادة فالاول الاطناب بتكثير الجمل كقوله تعالى ان فى خلق السموات والارض الآية فى سورة البقرة اطنب فيها أبلغ إطناب لكون الخطاب مع الثقلين وفى كل عصر وحين للعالم منهم والجاهل والموافق منهم والمنافق وقوله الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به فقوله ويؤمنون به اطناب لان ايمان حملة العرش معلوم وحسنه اظهار شرف الايمان ترغيبا فيه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وليس من المشركين مزك والنكتة الحث للمؤمنين على اداتها والتحذير من المنع حيث جعل من أوصاف المشركين والثانى يكون بأنواع * أحدها دخول حرف فأكثر من حروف التأكيد السابقة فى نوع الادوات وهى ان وان ولام الابتداء والقسم وألا الاستفتاحية وأما وهاء التنبيه وان وكأن فى تأكيد التشبيه ولكن فى تأكيد الاستدراك وليت فى تأكيد التمنى ولعل فى تأكيد الترجى وضمير الشأن وضمير الفصل واما فى تأكيد الشرط وقد والسين وسوف والنونان فى تأكيد الفعلية ولا التبرئة ولن ولما فى تأكيد النفى وانما يحسن تأكيد الكلام بها إذا كان المخاطب به منكرا أو مترددا ويتفاوت التأكيد بحسب قوة الانكار وضعفه كقوله تعالى حكاية عن رسل عيسى اذ كذبوا فى المرة الاولى انا اليكم مرسلون فاكدبان واسمية الجملة وفى المرة الثانية ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون فاكد بالقسم وان واللام واسمية الجملة لمبالغة المخاطبين فى الانكار حيث قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شىء ان أنتم الا تكذبون وقد يؤكد بها والمخاطب به غير منكر لعدم جريه على مقتضى اقراره فينزل منزلة المنكر وقد يترك التأكيد وهو معه منكر لان معه أدلة

ما تشاهد ورونقها على ما تعاين وفصاحتها على ما تعرف وهى تشتمل على جملة وتفصيل وتفسير ذكر العلو فى الارض باستضعاف الخلق بذبح الولدان وسبى النساء واذا تحكم فى هذين الامرين فما ظنك بما دونهما لان النفوس لا تطمئن على هذا الظلم والقلوب لا تقر على هذا الجور ثم ذكر الفاصلة التى أوغلت فى التأكيد وكفت فى التظليم وردت آخر الكلام على أوله وعطفت عجزه على صدره ثم ذكر وعده تخليصهم بقوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وهذا من التأليف بين المؤتلف والجمع بين المستأنس كما أن قوله وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين وهى خمس كلمات متباعدة فى المواقع نائية المطارح قد

ظاهرة لو تأملها الرجع عن انكاره ولذلك يخرج قوله ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون أكد الموت تأكيدين وان لم ينكر لتنزيل المخاطبين لتماديهم في الغفلة تنزيل من ينكر الموت وأكد اثبات البعث تأكيدا واحدا وان كان أشد نكيرا لانه لما كانت أدلته ظاهرة كان جديرا بان لا ينكر فنزل المخاطبون منزلة غير المنكر حثا لهم على النظر في أدلته الواضحة ونظيره قوله تعالى لا ريب فيه نفى عنه الريبة بلا على سبيل الاستغراق مع انه ارتاب فيه المرتابون لكن نزل منزلة العدم تعويلا على ما يزيله من الادلة الباهرة كما نزل الانكار منزلة عدمه لذلك وقال الزمخشري بولغ في تأكيد الموت تنبيها للانسان على أن يكون الموت نصب عينيه ولا يغفل عن ترقبه فان ما آله اليه فكأنه أكدت جملته ثلاث مرات لهذا المعنى لان الانسان في الدنيا يسعى فيها غاية السعي حتى كأنه يخلد ولم يؤكد جملة البعث الا بأن لانه أبرز في صورة المقطوع به الذي لا يمكن فيه نزاع ولا يقبل انكارا وقال التاج بن الفركاح أكد الموت ردا على الدهرية القائلين ببقاء النوع الانساني خلفا عن سلف واستغنى عن تأكيد البعث هنا لتأكيده والرد على منكره في مواضع كقوله قل بلى وربي لتبعثن وقال غيره لما كان العطف يقتضي الاشتراك استغنى عن اعادة اللام لذكرها في الأول وقد يؤكد بها أي باللام للمستشرف الطالب الذي قدم له ما يلوح بالخبر فاستشرفت نفسه اليه نحو ولا تخاطبني في الذين ظلموا أي لا تدعني يا نوح في شأن قومك فهذا الكلام يلوح بالخبر تلويحا ويشعر بأنه قد حق عليهم العذاب فصار المقام مقام أن يتردد المخاطب في أنهم هل صاروا محكوما عليهم بذلك أولا فقيل انهم مغرقون بالتأكيد وكذا قوله يا أيها الناس اتقوا ربكم لما أمرهم بالتقوى وظهور ثمرتها والعقاب على تركها محله الآخرة تشوقت نفوسهم الى وصف حال الساعة فقال ان زلزلة الساعة شيء عظيم بالتأكيد ليتقرر عليه الوجوب وكذا قوله وما أبرئ نفسي فيه تحيير للخاطب وتردد في أنه كيف لا يبرىء نفسه وهي بريئة زكية ثبتت عصمتها وعدم مواقعتها السوء فأكده بقوله ان النفس لأمارة بالسوء وقد يؤكد لقصد الترغيب نحو فتاب عليه انه هو التواب الرحيم أكد بأربع تأكيدات ترغيبا للعباد في التوبة وقد سبق الكلام على أدوات التأكيد المذكورة ومعانيها ومواقعها في النوع الأربعين ﴿فائدة﴾ اذا اجتمعت ان واللام كان بمنزلة تكرير الجملة ثلاث مرات لان ان أفادت التكرير مرتين فاذا دخلت اللام صارت ثلاثا وعن الكسائي أن اللام لتوكيد الخبر وان لتوكيد الاسم وفيه تجوز لان التوكيد للنسبة لا للاسم ولا للخبر وكذلك نون التوكيد الشديدة بمنزلة تكرير الفعل ثلاثا والخفيفة بمنزلة تكريره مرتين وقال سيبويه في نحو يا أيها الألف والهاء لحقتا أيا توكيدا فكأنك كررت يا مرتين وصارا الاسم تنبيها هذا كلامه وتابعه الزمخشري ﴿فائدة﴾ قوله تعالى ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا قال الجرجاني في نظم القرآن ليست اللام فيه للتأكيد فانه منكر فكيف يحقق ما ينكر وانما قاله حكاية لكلام النبي ﷺ الصادر منه باداء التأكيد فحكاه فنزلت الآية على ذلك

﴿النوع الثاني﴾ دخول الأحرف الزائدة قال ابن جني كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام اعادة الجملة مرة أخرى وقال الزمخشري في كشافه القديم الباء في خبر ما وليس لتأكيد النفي كما أن اللام لتأكيد الايجاب وسئل بعضهم عن التأكيد بالحرف وما معناه اذا سقاطه لا يخل بالمعنى فقال هذا يعرفه أهل الطباع يجدون من زيادة الحرف معنى لا يجدونه باسقاطه قال ونظيره العارف بوزن الشعر طبعا اذا تغير عليه البيت بنقص أنكره وقال أجد نفسي على خلاف ما أجدها باقامة الوزن فكذلك هذه الحروف تتغير نفس المطبوع بنقصانها ويجد نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بنقصانه ثم باب الزيادة في الحروف وزيادة الأفعال قليل والاسماء أقل اما الحروف فيزاد منها ان وان واذ واذا والى

جعلها النظم البديع أشد تالفا من الشيء المؤتلف في الأصل وأحسن تواقفا من المتطابق في أول الوضع ومثل هذه الآية قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون ومثلها وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين ومن المؤتلف قوله فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وهذه ثلاث كلمات كل كلمة منها أعز من الكبريت الأحمر * ومن الباب الآخر قوله تعالى ولا تدع مع الله الها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون كل سورة من هذه السور تتضمن من القصص مالو تكلفت العبارة عنها باضعاف كلماتها لم تستوف ما استوفته ثم تجد فيما تنظم ثقل

وأم والباء والفاء وفى والكاف واللام ولا وما ومن والواو وتقدمت فى نوع الأدوات مشروحة وأما الأفعال فزيد منها كان وخرج عليه كيف نكلم من كان فى المهد صبيا وأصبح وخرج عليه فأصبحوا خاسرين وقال الرمانى العادة أن من به علة تزاد بالليل أن يرجو الفرج عند الصباح فاستعمل أصبح لان الخسران حصل لهم فى الوقت الذى يرجون فيه الفرج فليست زائدة وأما الأسماء فنص أكثر النحويين على أنها لا تزاد ووقع فى كلام المفسرين الحكم عليها بالزيادة فى مواضع كلفظ مثل فى قوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به أى بما * النوع الثالث لتأكيد الصناعى وهو أربعة أقسام أحدها التوكيد المعنوى بكل وأجمع وكلا وكلتا نحو فسجد الملائكة كلهم أجمعون وفائدته رفع توهم المجاز وعدم الشمول وادعى الفراء أن كلهم افادت ذلك وأجمعون افادت اجتماعهم على السجود وانهم لم يسجدوا متفرقين ثانيها التأكيد اللفظى وهو تكرار اللفظ الأول اما بمراده نحو ضيقا حرجا بكسر الراء غرابيب سود وجعل منه الصفار فى ما ان مكناهم فيه على القول بان كليهما للنفى وجعل منه غيره قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ليس وراء ههنا ظرفا لان لفظ ارجعوا ينبىء عنه بل هو اسم فعل بمعنى ارجعوا فكأنه قال ارجعوا ارجعوا واما بلفظه ويكون فى الاسم والفعل والحرف والجملة فالاسم نحو قوارير قوارير ركادكا والفعل فمهل الكافرين أمهلهم واسم الفعل نحو هيهات هيهات لما توعدون والحرف نحو ففى الجنة خالدين فيها أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم والجملة نحو ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا والاحسن افتراق الثانية بثم نحو وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ومن هذا النوع تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل نحو اسكن أنت وزوجك الجنة اذهب أنت وربك واما أن نكون نحن الملقين ومنه تأكيد المنفصل بمثله وهم بالآخرة هم كافرون ثالثها تأكيد الفعل بمصدره وهو عرض من تكرار الفعل مرتين وفائدته رفع توهم المجاز فى الفعل بخلاف التوكيد السابق فانه لرفع توهم المجاز فى المسند اليه كذا فرق به ابن عصفور وغيره ومن ثم رد بعض أهل السنة على بعض المعتزلة فى دعواه نفى التكليم حقيقة بقوله وكلم الله موسى تكليما لان التوكيد رفع المجاز فى الفعل ومن أمثلته وسلموا تسليما تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا جزاؤكم جزاء موفورا وليس منه وتظنون بالله الظنونا بلى موجع ظن لاختلاف أنواعه وما الا أن يشاء ربى شيئا فيحتمل أن يكون منه وأن يكون الشىء بمعنى الأمر والشأن والأصل فى هذا النوع أن ينعت بالوصف المراد نحو اذكروا الله ذكرا كثيرا وسرحوهن سراحا جميلا وقد يضاف وصفه اليه نحو اتقوا الله حق تقاته وقد يؤكد بمصدر فعل آخر واسم عين نيابة عن المصدر نحو وتبتل اليه تبتيلا والمصدر تبتلا والتبتيل مصدر بتل أنبتكم من الأرض نباتا أى انباتا إذ النبات اسم عين رابعها الحال المؤكدة نحو يوم أبعث حيا ولا تعثوا فى الأرض مفسدين وأرسلناك للناس رسولا ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد وليس منه ولى مدبرا لان التولية قد لا تكون ادبارا بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام ولا تبسم ضاحكا لان التبسم قد لا يكون ضحكا ولا وهو الحق مصدقا لاختلاف المعنيين اذ كونه حقا فى نفسه غير كونه مصدقا لما قبله * النوع الرابع التكرير وهو أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة خلافا لبعض من غلط وله فوائد منها التقرير وقد قيل الكلام إذا تكرر تقرر وقد نبه تعالى على السبب الذى لاجله كرر الاقاصيص والانذار فى القرآن بقوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ومنها التأكيد ومنها زيادة التنبيه على ما ينمى النهمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول ومنه وقال الذى آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع

النظم ونفور الطبع وشراه الكلام وتهافت القول وتمنع جانبه وقصورك فى الايضاح عن واجبه ثم لا تقدر على أن تنتقل من قصة الى قصة وفصل الى فصل حتى تبين عليك مواضع الوصل ويستصعب عليك أماكن الفصل ثم لا يمكنك أن تصل بالقصص مواعظ زاجرة وأمثالا سائرة وحكما جليلة وأدلة على التوحيد بينة وكلمات فى التنزيه والتحميد شريفة وان أردت أن تحقق ما وصفت لك فتأمل شعر من شئت من الشعراء المفلقين هل تجد كلامه فى المديح والغزل والفخر والهجو يجرى مجرى كلامه فى ذكر القصص انك لتراه إذا جاء الى وصف واقعة أو نقل خبر عاى الكلام سوقى الخطاب مسترسلا فى أمره متساهلا فى كلامه عادلا عن المألوف من طبعه ونكبا عن المعهود من سجيته فان

فانه كرر فيه النداء لذلك ومنها إذا طال الكلام وخشى تناسى الاول أعيد ثانيا تطريةله وتجديدا لعهده ومنه ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها ولما جاءهم كتاب من عند الله الى قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم ومنها التعظيم والتهويل نحو الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين * فان قلت هذا النوع أحد أقسام النوع الذى قبله فان منها التأكيد بتكرار اللفظ فلا يحسن عده نوعا مستقلا قلت هو يجامعه ويفارقه ويزيد عليه وينقص عنه فصار أصلا برأسه فانه قد يكون التأكيد تكريرا كما تقدم فى أمثلته وقد لا يكون تكريرا كما تقدم أيضا وقد يكون التكرير غير تأكيد صناعة وان كان مفيد التأكيد معنى ومنه ما وقع فيه الفصل بين المكررين فان التأكيد لا يفصل بينه وبين مؤكده نحو اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين فان هذه الآيات من باب التكرير لا التأكيد اللفظي الصناعي ومنه الآيات المتقدمة فى التكرير للطول ومنه ما كان لتعدد المتعلق بأن يكون المكرر ثانيا متعلقا بغير ما تعلق به الاول وهذا القسم يسمى بالترديد كقوله الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى وقع فيها الترديد أربع مرات وجعل منه قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان فانها وان تكررت نيفا وثلاثين مرة فكل واحدة تتعلق بما قبلها ولذلك زادت على ثلاثة ولو كان الجميع عائدا الى شىء واحد لما زاد على ثلاثة لان التأكيد لا يزيد عليها قاله ابن عبد السلام وغيره وان كان بعضها ليس بنعمة فذكر النقمة للتحذير نعمة ﴿وقد سئل﴾ أى نعمة فى قوله كل من عليها فان فاجيب باجوبة أحسنها النقل من دار الهموم الى دار السرور واراحة المؤمن والبار من الفاجر وكذا قوله ويل يومئذ للمكذبين فى سورة المرسلات لانه تعالى ذكر قصصا مختلفة واتبع كل قصة بهذا القول فكانه قال عقب كل قصة ويل يومئذ للمكذبين بهذه القصة وكذا قوله فى سورة الشعراء ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كررت ثمان مرات كل مرة عقب كل قصة فالاشارة فى كل واحدة بذلك الى قصة النبي المذكور قبلها وما اشتملت عليه من الآيات والعبر وقوله وما كان أكثرهم مؤمنين إلى قومه خاصة وما كان مفهومه ان الاقل من قومه آمنوا أتى بوصفى العزيز الرحيم للاشارة إلى ان العزة على من لم يؤمن منهم والرحمة لمن آمن وكذا قوله فى سورة القمر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وقال الزمخشرى كرر ليجددوا عند سماع كل نبأ منها اتعاظا وتنبيها وان كلا من تلك الانباء يستحق لاعتبار يختص به وان يتنبهوا كى لا يغلبهم السرور والغفلة قال فى عروس الافراح فان قلت إذا كان المراد بكل ما قبله فليس ذلك باطناب بل هى ألفاظ كل أريد به غير ما أريد الآخر قلت إذا قلنا العبرة بعموم اللفظ فكل واحد أريد به ما أريد بالآخر ولكن كرر ليكون نصا فيما يليه وظاهرا فى غيره فان قلت يلزم التأكيد قلت والامر كذلك ولا يرد عليه ان التأكيد لا يزاد به على ثلاثة لان ذاك فى التأكيد الذى هو تابع أما ذكر الشىء فى مقامات متعددة أكثر من ثلاثة فلا يمتنع اه ويقرب من ذلك ما ذكره ابن جرير فى قوله تعالى ولله ما فى السموات وما فى الارض ولقد وصينا الذين الى قوله وكان الله غنيا حميدا ولله ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا قال فان قيل ما وجه تكرار قوله ولله ما فى السموات وما فى الارض فى آيتين أحدهما فى أثر الاخرى قلنا لاختلاف معنى الخبرين عما فى السموات والارض وذلك لان الخبر عنه

اتفق له فى قصة كلام جيد كان قدر ثنتين أو ثلاثة وكان ما زاد عليها حشوا وما تجاوزها لغوا ولا أقول انها تخرج من عادته عفوا لانه يقصر عن العفو ويقف دون العرف ويتعرض للركاكة فان لم تقنع بما قلت لك من الابيات فتأمل غير ذلك من السور هل تجد الجميع على ما وصفت لك لو لم تكن الا سورة واحدة لكفت فى الاعجاز فكيف بالقرآن العظيم ولو لم يكن الا حديث من سورة لكفى واقنع وشفى ولو عرفت قدر قصة موسى وحدها من سورة الشعراء لما طلبت بينة سواها بل قصة من قصصه وهى قوله وأوحينا الى موسى ان اسر بعبادى انكم متبعون الى قوله فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بنى اسرائيل فاتبعوهم مشرقين حتى قال فاوحينا إلى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق

فى احدى الآيتين ذكر حاجته إلى بارئه وغنى بارئه عنه وفى الاخرى حفظ بارئه إياه وعلمه به
و بتدبيره قال فان قيل أفلا قيل وكان الله غنيا حميدا وكفى بالله وكيلا قيل ليس فى الآية الاولى ما يصلح
أن يختم بوصفه معه بالحفظ والتدبير اه وقال تعالى وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه
من الكتاب وما هو من الكتاب قال الراغب الكتاب الأول ما كتبوه بأيديهم المذكور فى قوله تعالى
فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم والكتاب الثانى فى التورة والثالث لجنس كتب الله كلها أى ما هو
من شيء من كتب الله وكلامه ومن أمثلة ما يظن تكرارا وليس منه قل يا أيها الكافرون لا أعبد
ما تعبدون إلى آخرها فان لا أعبد ما تعبدون أى فى المستقبل ولا أنتم عابدون ما أعبد أى فى الحال ما أعبد فى
المستقبل ولا أنا عابد أى فى الحال ما عبدتم فى الماضى ولا أنتم عابدون أى فى المستقبل ما أعبد أى فى
الحال * فالحاصل ان القصد نفى عبادته لآلهتهم فى الأزمنة الثلاثة وكذا فاذكروا الله عند المشعر الحرام
واذكروه كما هداكم ثم قال فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم ثم قال واذكروا الله فى
أيام معدودات فان المراد بكل واحد من هذه الاذكار غير المراد بالآخر فالاول الذكر فى مزدلفة عند
الوقوف بقزح وقوله واذكروه كما هداكم اشارة الى تكريره ثانيا وثالثا ويحتمل ان يراد به طواف
الافاضة بدليل تعقيبه بقوله فاذا قضيتم والذكر الثالث اشارة الى رمى جمرة العقبة والذكر الأخير
لرمى أيام التشريق ومنه تكرير حرف الاضراب فى قوله بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر
وقوله بل ادارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون ومنه قوله ومتعوهن على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين ثم قال وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على
المتقين فكرر الثانى ليعم كل مطلقة فان الآية الاولى فى المطلقة قبل الفرض والمسيس خاصة وقيل لان
الاولى لا تشعر بالوجوب ولهذا لما نزلت قال بعض الصحابة ان شئت أحسنت وان شئت فلا فنزلت
الثانية أخرجهما بن جرير ومن ذلك تكرير الامثال كقوله وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات
ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات وكذلك ضرب مثل المنافقين أول
البقرة بالمستوقد نارا ثم ضرب به أصحاب الصيب قال الزمخشرى والثانى أبلغ من الأول لانه أدل على
فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته قال ولذلك أخروهم يتدرجون فى نحو هذا من الاهون الى الاغلظ
ومن ذلك تكرير القصص كقصة آدم وموسى ونوح وغيرهم من الأنبياء قال بعضهم ذكر الله موسى
فى مائة وعشرين موضعا من كتابه وقال ابن العربى فى القواصم ذكر الله قصة نوح فى خمس وعشرين
آية وقصة موسى فى تسعين آية وقد ألف البدر بن جماعة كتابا سماه المقتنص فى فوائد تكرار القصص
وذكر فى تكرير القصص فوائد منها ان فى كل موضع زيادة شيء لم يذكر فى الذى قبله أو ابدال كلمة
بأخرى لنكتة وهذه عادة البلغاء ومنها أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود إلى أهله ثم يهاجر
بعده آخرون يحكون ما نزل بعد صدور من تقدمهم فلولا تكرار القصص لوقعت قصة موسى إلى قوم
وقصة عيسى إلى آخرين وكذا سائر القصص فأراد الله اشتراك الجميع فيها فيكون فيه إفادة لقوم
وزيادة تأكيد لآخرين ومنها ان فى ابراز الكلام الواحد فى فنون كثيرة وأساليب مختلفة مالا يخفى من
الفصاحة ومنها ان الدواعى لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الاحكام فلهذا كررت القصص دون
الاحكام ومنها أنه تعالى أنزل هذا القرآن وعجز القوم عن الاتيان بمثله ثم أوضح الامر فى عجزهم بأن كرر
ذكر القصة فى مواضع اعلاما بأنهم عاجزون عن الاتيان بمثله بأى نظم جاؤا و بأى عبارة عبروا
ومنها انه لما تحداهم قال فأتوا بسورة من مثله فلو ذكرت القصة فى موضع واحد واكتفى بها لقال
العربى ائتونا أنتم بسورة من مثله فأنزلها الله سبحانه وتعالى فى تعداد السور فعجزهم من كل

فكان كل فرق كالطود
العظيم ثم قصة ابراهيم عليه
السلام ثم لو لم تكن الا
الآيات التى انتهى اليها
القول فى ذكر القرآن وهى
قوله وانه لتنزيل رب
العالمين نزل به الروح
الامين على قلبك لتكون
من المنذرين بلسان عربى
مبين وهذه كلمات مفردة
بفواصلها منها ما يتضمن
فاتحة وفاصلة ومنها ما هى
فاتحة وواصلة وفاصلة
ومنها كلمة بفاصلتها تامة
دل على أنه نزله على قلبه
ليكون نذيرا و بين أنه آية
لكونه نبيا ثم وصل بذلك
كيفية النذارة فقال وأنذر
عشيرتك الأقربين
واخفض جناحك لمن
اتبعك من المؤمنين فتأمل
آية آية لتعرف الاعجاز
وتتبين التصرف البديع
والتنقل فى الفصول الى آخر
السورة ثم راع المقطع
العجيب وهو قوله وسيعلم
الذين ظلموا أى منقلب
ينقلبون هل يحسن ان تأتى
بمثل هذا الوعيد وان تنظم

وجه ومنها ان القصة الواحدة لما كررت كان فى ألفاظها فى كل موضع زيادة ونقصان وتقديم وتأخير وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى فأفاد ذلك ظهور الامر العجيب فى اخراج المعنى الواحد فى صور متباينة فى النظم وجذب النفوس إلى سماعها لما جبلت عليه من حب التنقل فى الاشياء المتجددة واستلذاذها بها واظهار خاصة القرآن حيث لم يحصل مع تكريرذلك فيه هجنة فى اللفظ ولا ملل عند سماعه فباين ذلك كلام المخلوقين * وقد سئل ما الحكمة فى عدم تكرير قصة يوسف وسوقها مساقا واحدا فى موضع واحد دون غيرها من القصص * وأجيب بوجوه أحدها ان فيها تشبيب النسوة به وحال امرأة ونسوة افتتنوا بابدع الناس جمالا فناسب عدم تكرارها لما فيه من الاغضاء والستر وقد صحح الحاكم فى مستدركه حديث النهى عن تعليم النساء سورة يوسف ثانيها انها اختصت بحصول الفرج بعد الشدة بخلاف غيرها من القصص فان مآلها إلى الوبال كقصة ابليس وقوم نوح وهود وصالح وغيرهم فلما اختصت بذلك اتفقت الدواعى على نقلها لخروجها عن سمت القصص ثالثها قال الاستاذ أبو اسحق الاسفرايينى انما كرر الله قصص الانبياء وساق قصة يوسف مساقا واحدا إشارة إلى عجز العرب كان النبى ﷺ قال لهم ان كان من تلقاء نفسى فافعلوا فى قصة يوسف مافعلت فى سائر القصص * قلت وظهر لى جواب رابع وهو ان سورة يوسف نزلت بسبب طلب الصحابة أن يقص عليهم كما رواه الحاكم فى مستدركه فنزلت مبسوطة تامة ليحصل لهم مقصود القصص من استيعاب القصة وترويح النفس بها والاحاطة بطرفيها وجواب خامس وهو أقوى ما يجاب به ان قصص الانبياء انما كررت لان المقصود بها إفادة اهلاك من كذبوا رسلهم والحاجة داعية إلى ذلك لتكرير تكذيب الكفار للرسول ﷺ فكلما كذبوا نزلت قصة منذرة بحلول العذاب كما حل على المكذبين ولهذا قال تعالى فى آيات فقد مضت سنة الاولين ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن وقصة يوسف لم يقصد منها ذلك وبهذا أيضا يحصل الجواب عن حكمة عدم تكرير قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين وقصة موسى مع الخضر وقصة الذبيح فان قلت قد تكررت قصة ولادة يحيى وولادة عيسى مرتين وليس من قبيل ماذكرت * قلت الاولى فى سورة كهيعص وهى مكية أنزلت خطابا لاهل مكة والثانية فى سورة آل عمران وهى مدنية أنزلت خطابا للهود ولنصارى نجران حين قدموا ولهذا اتصل بها ذكر المحاجة والمباهلة * النوع الخامس الصفة وترد لاسباب * أحدها التخصيص فى النكرة نحو فتحرير رقبة مؤمنة * الثانى التوضيح فى المعرفة أى زيادة البيان نحو ورسوله النبى الامى * الثالث المدح والثناء ومنه صفات الله تعالى نحو بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين هو الله الخالق البارىء المصور ومنه يحكم به النبيون الذين أسلموا للذين هادوا فهذا الوصف للمدح واظهار شرف الاسلام والتعريض باليهود وانهم بعداء من ملة الاسلام الذى هو دين الانبياء كلهم وانهم بمعزل عنها قاله الزمخشرى * الرابع الذم نحو فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم * الخامس التأكيد لرفع الابهام نحو لا تتخذوا إلهين اثنين فان إلهين للتثنية فاثنين بعده صفة مؤكدة للنهى عن الاشراك ولافادة أن النهى عن اتخاذ إلهين انما هو لمحض كونهما اثنين فقط لا لمعنى آخر من كونهما عاجزين أو غير ذلك ولان الوحدة تطلق ويراد بها النوعية كقوله ﷺ انما نحن وبنو المطلب شىء واحد وتطلق ويراد بها نفى العدة فالتثنية باعتبارها فلو قيل لا تتخذوا إلهين فقط لتوهم انه نهى عن اتخاذ جنسى آلهة وان جاز أن يتخذ من نوع واحد عدد آلهة ولهذا أكد بالواحدة فى قوله إنما هو إله واحد ومثله فاسلك فيها من كل زوجين اثنين على قراءة تنوين كل وقوله فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة فهو تأكيد لرفع توهم

مثل هذا النظم وان تجد مثل هذه النظائر السابقة وتصادف مثل هذه الكلمات المتقدمة ولولا كراهة الاملال لحثت إلى كل فصل فاستقريت على الترتيب كلماته وبينت لك ما فى كل واحد منها من البراعة ومن عجيب البلاغة ولعلك تستدل بما قلنا على ما بعده وتستضىء بنوره وتهتدى بهداه ونحن نذكر آيات أخر لتزداد استبصارا وتتقدم تيقنا تأمل من الكلام المؤتلف قوله حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله الا هو إليه المصير أنت قد تدربت الآن بحفظ أسماء الله تعالى وصفاته فانظر متى وجدت فى كلام البشر وخطبهم مثل هذا النظم فى هذا القدر وما يجمع ما تجمع هذه الآية من شريف المعانى وحسن الفاتحة والخاتمة واتل ما بعدها من الآى واعرف وجه الخلوص

تعدد النفخة لان هذه الصيغة قد تدل على الكثرة بدليل وان تعدوا نعمه الله لا تحصوها ومن ذلك قوله فان كانتا اثنتين فان لفظ كانتا يفيد التثنية فتفسيره باثنتين لم يفد زيادة عليه وقد أجاب عن ذلك الاخفش والفارسي بانه افاد العدد المحض مجردا عن الصفة لانه قد كان يجوز أن يقال فان كانتا صغيرتين أو كبيرتين أو صالحتين أو غير ذلك من الصفات فلما قال اثنتين افهم أن فرض الثنتين تعلق بمجرد كونهما ثنتين فقط وهي فائدة لا تحصل من ضمير المثنى وقيل أراد فان كانتا اثنتين فصاعدا فعبر بالأدنى عنه وعما فوقه اكتفاء ونظيره فان لم يكونا رجلين والاحسن فيه ان الضمير عائد على الشهيدين المطلقين ومن الصفات المؤكدة قوله ولا طائر يطير بجناحيه فقوله يطير لتأكيد أن المراد بالطائر حقيقته فقد يطلق مجازا على غيره وقوله بجناحيه لتأكيد حقيقة الطيران لانه يطلق مجازا على شدة العدو والاسراع في المشي ونظيره يقولون بألسنتهم لأن القول يطلق مجازا على غير اللساني بدليل ويقولون في أنفسهم وكذا ولكن تعمى القلوب التي في الصدور لان القلب قد يطلق مجازا على العين كما أطلقت العين مجازا على القلب في قوله الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري ﴿قاعدة﴾ الصفة العامة لا تأتي بعد الخاصة لا يقال رجل فصيح متكلم بل متكلم فصيح واشكل على هذا قوله تعالى في اسمعيل وكان رسولا نبيا وأجيب بأنه حال لا صفة أي مرسلا في حال نبوته وقد تقدم في نوع التقديم والتأخير أمثلة من هذه ﴿قاعدة﴾ إذا وقعت الصفة بعد متضايفين أولهما عدد جازا جراؤها على المضاف وعلى المضاف اليه فمن الاول سبع سموات طباقا ومن الثاني سبع بقرات سمان ﴿فائدة﴾ إذا تكررت النعوت لواحد فالأحسن أن تباعد معنى الصفات العطف نحو هو الاول والآخر والظاهر والباطن والاتركه نحو ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم ﴿فائدة﴾ قطع النعوت في مقام المدح والذم أبلغ من اجرائها قال الفارسي إذا ذكرت صفات في معرض المدح أو الذم فالاحسن أن يخالف في اعرابها لان المقام يقتضي الاطناب فاذا خولف في الاعراب كان المقصود أكمل لان المعاني عند الاختلاف تتنوع وتتفنن وعند الاتحاد تكون نوعا واحدا مثاله في المدح والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة ولكن البر من آمن بالله إلى قوله والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين وقرئ شاذا الحمد لله رب العالمين برفع رب ونصبه ومثاله في الذم وامرأته حمالة الحطب * النوع السادس البدل والقصد به الايضاح بعد الابهام وفائدته البيان والتأكيد أما الأول فواضح انك إذا قلت رأيت زيدا أخاك بينت انك تريد بزيد الأخ لا غير وأما التأكيد فلانه على نية تكرار العامل فكأنه من جملتين ولانه دل على ما دل عليه الأول اما بالمطابقة في بدل الكل واما بالتضمين في بدل البعض أو بالالتزام في بدل الاشتمال * مثال الاول اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم إلى صراط العزيز الحميد الله للسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة * ومثال الثاني ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض * ومثال الثالث وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير قتل أصحاب الاخدود النار الحطب لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وزاد بعضهم بدل الكل من البعض وقد وجدت له مثالا في القرآن وهو قوله يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا جنات عدن فجنات عدن بدل من الجنة التي هي بعض وفائدته تقرير انها جنان كثيرة لا جنة واحدة قال ابن السيد وليس كل بدل يقصد به رفع الاشكال الذي يعرض في المبدل منه بل من البدل ما يراد به التأكيد وان كان ما قبله غنيا عنه كقوله وانك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله ألا ترى انه لو لم يذكر الصراط الثاني لم يشك أحد في ان الصراط المستقيم هو صراط الله وقد نص سيبويه

من شيء إلى شيء من احتجاج إلى وعيد ومن اعذار إلى انذار ومن فنون من الامر شتى مختلفة تأتلف بشريف النظم ومتباعدة تتقارب بحلي الضم ثم جاء إلى قوله كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار الآية الاولى أربعة فصول والثانية فصلان وجه الوقوف على شرف الكلام أن تتأمل موقع قوله وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وهل تقع في الحسن موقع قوله ليأخذوه كلمة وهل تقوم مقامه في الجزالة لفظة وهل يسد مسده في الاصالة نكتة لو وضع موضع ذلك ليقتلوه أو ليرجموه أو لينفوه أو ليطردوه أو ليهلكوه أو ليذلوه ونحو هذا ما كان

على ان من البدل ما الغرض منه التأكيد اه وجعل منه ابن عبد السلام واذ قال ابراهيم لابيه آزر قال ولا بيان فيه لان الأب لا يلتبس بغيره وردبانه يطلق على الجد فابدل لبيان ارادة الأب حقيقة

﴿النوع السابع﴾ عطف البيان وهو كالصفة فى الايضاح لكن يفارقها فى انه وضع البدل على الايضاح باسم يختص به بخلافها فانها وضعت لتدل على معنى حاصل فى متبوعها وفرق ابن كيسان بينه وبين البدل بأن البدل هو المقصود وكأنك قررته فى موضع المبدل منه وعطف البيان وما عطف عليه كل منهما مقصود وقال ابن مالك فى شرح الكافية عطف البيان يجرى مجرى النعت فى تكميل متبوعه ويفارقه فى ان تكميل متبوعه بشرح وتبيين لا بدلالة على معنى فى المتبوع أو سببية ويجرى التأكيد فى تقوية دلالته ويفارقه فى انه لا يرفع توهم مجاز ويجرى البدل فى صلاحيته للاستقلال ويفارقه فى انه غير منوى الاطراح ومن امثلته فيه آيات بينات مقام ابراهيم من شجرة مباركة زيتونة وقد يأتى لمجرد المدح بلا إيضاح ومنه جعل الله الكعبة البيت الحرام فالبيت الحرام عطف بيان لمدح لا للايضاح

﴿النوع الثامن﴾ عطف أحد المترادفين على الآخر والقصد منه التأكيد ايضا وجعل منه انما اشكو بثى وحزنى فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا فلا يخاف ظلما ولا هضما لا تخاف دركا ولا تخشى لا ترى فيها عوجا ولا امتا قال الخليل العوج والأمت بمعنى واحد سرهم ونجواهم شرعة ومنها جالا تبقى ولا تذر الادعاء ونداء أطعنا سادتنا وكبراءنا لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب فان نصب كاتعب وزنا ومعنى صلوات من ربهم ورحمة عذرا او نذرا قال ثعلب هما بمعنى وانكر المبرد وجود هذا النوع فى القرآن وأول ما سبق على اختلاف المعنيين وقال بعضهم المخلص فى هذا أن تعتقد ان مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفرادهما فان التركيب يحدث معنى زائدا واذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الالفاظ ﴿النوع التاسع﴾ عطف الخاص على العام وفائدته التنبيه على فضله حتى كانه ليس من جنس العام تنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات وحكى ابو حيان عن شيخه أبى جعفر بن الزبير انه كان يقول هذا العطف يسمى بالتجريد كانه جرد من الجملة وأفرد بالذكر تفضيلا * ومن امثلته حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة فان إقامتها من جملة التمسك بالكتاب وخصت بالذكر اظهارا لرتبتها لكونها عماد الدين وخص جبريل وميكائيل بالذكر ردا على اليهود فى دعوى عدوته وضم اليه ميكائيل لانه ملك الرزق الذى هو حياة الاجساد كما ان جبريل ملك الوحى الذى هو حياة القلوب والارواح وقيل ان جبريل وميكائيل لما كانا أميرى الملائكة لم يدخلا فى لفظ الملائكة اولا كما ان الامير لا يدخل فى مسمى الجند حكاه الكرمانى فى العجائب ومن ذلك ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اوقال أوحى الى ولم يوح اليه شىء بناء على انه لا يختص بالواو كما هو رأى ابن مالك فيه وفيما قبله وخص المعطوف فى الثانية بالذكر تنبيها على زيادة قبحه ﴿تنبيه﴾ المراد بالخاص والعام هنا ما كان فيه الاول شاملا للثانى لا المصطلح عليه فى الاصول ﴿النوع العاشر﴾ عطف العام على الخاص وانكر بعضهم وجوده فاخطأ والفائدة فيه واضحة وهو التعميم وافرد الاول بالذكر اهتماما بشأنه * ومن امثلته ان صلاتى ونسكى والنسك العبادة فهو أعم آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وجعل منه الزمخشرى ومن يدبر الأمر بعد قوله قل من يرزقكم ﴿النوع الحادى عشر﴾ الايضاح بعد الابهام قال أهل البيان

ذلك بعيدا ولا بارعا ولا عجيبا ولا بالغا فانقد موضع هذه الكلمة وتعلم بها ماتذهب اليه من نخب الكلام وجميل الالفاظ والاهتداء للمعانى فان كنت تقدر ان شيئا من هذه الكلمات التى عددناها عليك أو غيرها لا تقف بك على غرضنا من هذا الكتاب فلا سبيل لك الى الوقوف على تصاريف الخطاب فافزع الى التقليد واكف نفسك مؤنة التفكير وان فطنت فانظر الى ماقال من رد عجز الخطاب الى صدره بقوله فاخذتهم فكيف كان عقاب ثم ذكر عقيبها العذاب فى الآخرة واتلاها تلو العذاب فى الدنيا على الاحكام الذى رأيت ثم ذكر المؤمنين بالقرآن بعد ذكر المكذبين بالآيات والرسل فقال الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به الى ان ذكر ثلاث آيات وهذا

اذا أردت ان تبهم ثم توضح فانك تطنب وفائدته إمار ؤية المعنى فى صورتين مختلفتين الابهام والايضاح اولتمكن المعنى فى النفس تمكنا زائدا لوقوعه بعد الطلب فانه أعز من المنساق بلا تعب أولتكمل لذة العلم به فان الشيء اذا علم من وجه ما تشوقت النفس للعلم به من باقى وجوهه وتالمت فاذا حصل العلم من بقية الوجوه كانت لذته أشد من علمه من جميع وجوهه دفعة واحدة * ومن امثلته رب اشرح لى صدرى فان اشرح يفيد طلب شرح شيء ماله وصدرى يفيد تفسيره و بيانه كذلك و يسر لى أمرى والمقام يقتضى التأكيد للارسال المؤذن بتلقى الشدائد وكذلك ألم نشرح لك صدرك فان المقام يقتضى التأكيد لانه مقام امتنان وتفخيم وكذا وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ومنه التفصيل بعد الاجمال نحو ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا الى قوله منها أربعة حرم وعكسه كقوله ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشر كاملة اعيد ذكر العشرة لرفع توهم ان الواو فى وسبعة بمعنى أو فتكون الثلاثة داخلة فيها كما فى قوله خلق الارض فى يومين ثم قال وجعل فيها رواسى من فوقها و بارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام فان من جملتها اليومين المذكورين أولا وليست أربعة غيرهما وهذا أحسن الاجوبة فى الآية وهو الذى أشار اليه الزمخشرى ورجحه ابن عبد السلام وجزم به الزملكانى فى اسرار التنزيل قال ونظيره وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فانه رافع لاحتمال أن تكون تلك العشرة من غير مواعدة قال ابن عسكر وفائدة الوعد بثلاثين أولا ثم بعشر ليتجدد له اقرب انقضاء المواعدة و يكون فيه متأهبا مجتمع الرأى حاضر الذهن لانه لو وعد بالأربعين أولا كانت متساوية فلما فصلت استشعرت النفس قرب التمام وتجدد بذلك عزم لم يتقدم وقال الكرمانى فى العجائب فى قوله تلك عشرة كاملة ثمانية أجوبة جوابان من التفسير وجواب من الفقه وجواب من النحو وجواب من اللغة وجواب من المعنى وجوابان من الحساب وقد سقتها فى أسرار التنزيل * النوع الثانى عشر التفسير قال أهل البيان وهو أن يكون فى الكلام لبس وخفاء فيؤتى بما يزيله و يفسره * ومن امثلته ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا فقوله اذا مسه الخ تفسير للهلوع كما قال أبو العالية وغيره القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم قال البيهقى فى شرح الاسماء الحسنى قوله لا تأخذه سنة تفسير للقيوم يسومونكم سوء العذاب يذبحون الآية فيذبحون وما بعده تفسير للسوم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب الآية فخلقه وما بعده تفسير للمثل لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة فتلقون الخ تفسير لاتخاذهم أولياء الصمد لم يلد ولم يولد الآية قال محمد بن كعب القرظى لم يلد الخ تفسير للصمد وهو فى القرآن كثير قال ابن جنى ومتى كانت الجملة تفسيرا لم يحسن الوقف على ما قبلها دونها لان تفسير الشيء لاحق به ومتمم له وجار مجرى بعض اجزائه * النوع الثالث عشر وضع الظاهر موضع المضمر ورأيت فيه تأليفا مفردا لابن الصائغ وله فوائد منها زيادة التقرير والتمكين نحو قل هو الله أحد الله الصمد والاصل هو الصمد وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب و يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله * ومنها قصد التعظيم نحو واتقوا الله و يعلمكم الله والله بكل شيء عليم أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ولباس التقوى ذلك خير * ومنها قصد الاهانة والتحقير نحو أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان الخ * ومنها ازالة اللبس حيث يوهم الضمير انه غير الاول نحو قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك لو قال تؤتيه لأوهم أنه الاول قاله ابن الخشاب يظنون بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء لانه لو قال عليهم دائرته لاوهم ان الضمير

كلام مفصول تعلم عجيب اتصاله بما سبق ومضى وانتسابه الى ماتقدم وتقضى وعظم موضعه فى معناه ورفيع مايتضمن من تحميدهم وتسبيحهم وحكاية كيفية دعاء الملائكة بقوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما هل تعرف شرف هذه الكلمة لفظا ومعنى ولطيف هذه الحكاية وتلاؤم هذا الكلام وتشاكل هذا النظام وكيف يهتدى الى وضع هذه المعانى بشرى والى تركيب مايلائمها من الالفاظ انسي ثم ذكر ثلاث آيات فى أمر الكافرين على ماترى ثم نبه على امر القرآن وانه من آياته بقوله هو الذى يريكم آياته و ينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب ونما ذكر هذين الامرين اللذين يختص بالقدرة عليهما لتناسبهما فى انهما من تنزيله من السماء ولان الرزاق الذى لو لم يرزق

عائد الى الله تعالى فبدأ باوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه لم يقل منه لئلا يتوهم عود الضمير الى الأخ فيصير كأنه مباشر بطلب خروجها وليس كذلك لما فى المباشرة من الأذى الذى تأباه النفوس الآبية فأعيد لفظ الظاهر لنفى هذا ولم يقل من وعائه لئلا يتوهم عود الضمير الى يوسف لانه العائد عليه ضميرا استخراجها * ومنها قصد تربية المهابة وادخال الروع على ضمير السامع بذكر الاسم المقتضى لذلك كما تقول الخليفة أمير المؤمنين يأمرك بكذا ومنه ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ان الله يأمر بالعدل * ومنها قصد تقوية داعية الأمور ومنه فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ومنها تعظيم الأمر نحو أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان * ومنها الاستلذاذ بذكره ومنه وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة لم يقل منها ولهذا عدل عن ذكر الأرض الى الجنة * ومنها قصد التوسل من الظاهر الى الوصف ومنه فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله بعد قوله انى رسول الله لم يقل فآمنوا بالله بى ليتمكن من اجراء الصفات التى ذكرها ليعلم ان الذى وجب الايمان به والاتباع له هو من وصف بهذه الصفات ولو أتى بالضمير لم يمكن ذلك لانه لا يوصف * ومنها التنبيه على علية الحكم نحو فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا فان الله عدو للكافرين لم يقل لهم اعلاما بان من عادى هؤلاء فهو كافر وان الله انما عاداه لكفره فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا للصلاة انا لا نضيع أجر المصلحين ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا * ومنها قصد العموم نحو وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة لم يقل انها لئلا يفهم تخصيص ذلك بنفسه أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا * ومنها قصد الخصوص نحو وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى لم يقل لك تصريحا بانه خاص به * ومنها الاشارة الى عدم دخول الجملة فى حكم الأولى نحو فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل فان ويمح الله استئناف لا داخل فى حكم الشرط * ومنها مراعاة الجناس ومنه قل أعوذ برب الناس السورة ذكره الشيخ عز الدين ومثله ابن الصائغ بقوله خلق الانسان من علق ثم قال علم الانسان ما لم يعلم كلا ان الانسان ليطغى فان المراد بالانسان الأول الجنس وبالثانى آدم أو من يعلم الكتابة أو ادريس وبالثالث أبو جهل * ومنها مراعاة الترصيع وتوازن الالفاظ فى التركيب ذكره بعضهم فى قوله أن تضل إحداهما فتذكر احداهما الأخرى * ومنها أن يتحمل ضميرا لا بد منه ومنه أتيا أهل قرية استطعما أهلها لو قال استطعماها لم يصح لانهما لم يستطعما القرية أو استطعماهم فكذلك لان جملة استطعما صفة لقرية النكرة لا لأهل فلا بد أن يكون فيها ضمير يعود عليها ولا يمكن الامع التصريح بالظاهر كذا حرره السبكى فى جواب سؤال سأله الصلاح الصفدى فى ذلك حيث قال

أسيدنا قاضى القضاة ومن اذا ... بدا وجهه استحيا له القمران
ومن كفه يوم الندى ويراعه ... على طرسه بحران يلتقيان
ومن ان دجت فى المشكلات مسائل ... جلاها بفكر دائم اللمعان
رأيت كتاب الله أكبر معجز ... لأفضل من يهدى به الثقلان
ومن جملة الاعجاز كون اختصاره ... بايجاز ألفاظ وبسط معان
ولكننى فى الكهف أبصرت آية ... بها الكفر فى طول الزمان عيان
وما هى الا استطعما أهلها فقد ... نرى استطعماهم مثله ببيان

لم يمكن بقاء النفس تجب طاعته والنظر فى آياته ثم قال فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قف على هذه الدلالة وفكر فيها وراجع نفسك فى مراعاة معانى هذه الصفات العالية والكلمات السامية والحكم البالغة والمعانى الشريفة تعلم ورودها عن الالهية ودلالتها على الربوبية وتحقق أن الخطب المنقولة عنهم والأخبار المأثورة فى كلماتهم الفصيحة من الكلام الذى تعلق به الهمم البشرية وما تحرم عليه الافكار الآدمية وتعرف مباينتها لهذا الضرب من القول أى خاطر يتشوف إلى أن يقول يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق

فما الحكمة الغراء فى وضع ظاهر ... مكان ضمير ان ذاك لشان

فارشد على عادات فضلك حيرتى ... لعالى بها عند البيان يدان

﴿تنبيه﴾ اعادة الظاهر بمعناه أحسن من اعادته بلفظه كما مر فى آيات انما الانفيع أجر المصلحين أجر من أحسن عملا ونحوها ومنه ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء فان انزال الخير مناسب للربوبية واعاده بلفظ الله لان تخصيص الناس بالخير دون غيرهم مناسب للالهية لان دائرة الربوبية أوسع ومنه الحمد لله الذى خلق السموات والأرض الى قوله بربهم يعدلون واعادته فى جملة أخرى أحسن منه فى الجملة الواحدة لانفصالها وبعد الطول أحسن من الاضمار لئلا يبقى الذهن متشاغلا بسبب ما يعود عليه فيفوته ما شرع فيه كقوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه بعد قوله واذ قال ابراهيم لأبيه آزر * النوع الرابع عشر الايغال وهو الاعتناء وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها وزعم بعضهم انه خاص بالشعر ورد بانه وقع فى القرآن من ذلك يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون فقوله وهم مهتدون ايغال لانه يتم المعنى بدونه اذ الرسول مهتد لا محالة لكن فيه زيادة مبالغة فى الحث على اتباع الرسل والترغيب فيه وجعل ابن أبى الأصبع منه ولا يسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فان قوله اذا ولوا مدبرين زائد على المعنى مبالغة فى عدم انتفاعهم ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون زائد على المعنى لمدح المؤمنين والتعريض بالذم لليهود وانهم بعيدون عن الايقان انه لحق مثل ما أنكم تنطقون فقوله مثل ما الخ ايغال زائد على المعنى لتحقيق هذا الوعد وانه واقع معلوم ضرورة لا يرتاب فيه أحد * النوع الخامس عشر التذييل وهو أن يأتى بجملة عقب جملة والثانية تشتمل على المعنى الأول لتأكيد منطوقه أو مفهومه ليظهر المعنى لمن لم يفهمه و يتقرر عند من فهمه نحو ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفأن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت و يوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير * النوع السادس عشر الطرد والعكس قال الطيبى وهو أن يؤتى بكلامين يقرر الاول بمنطوقه مفهوم الثانى و بالعكس كقوله تعالى ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات الى قوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن فمنطوق الامر بالاستئذان فى تلك الاوقات خاصة مقرر لمفهوم رفع الجناح فيما عداها و بالعكس وكذا قوله لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون * قلت وهذا النوع يقابله فى الايجاز نوع الاحتباك * النوع السابع عشر التكميل و يسمى بالاحتراس وهو أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم نحو أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين فانه لو اقتصر على أذلة لتوهم انه لضعفهم فدفعه بقوله أعزة ومثله أشداء على الكفار رحماء بينهم اذ لو اقتصر على أشداء لتوهم انه لغلظهم تخرج بيضاء من غير سوء لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون احتراس لئلا يتوهم نسبة الظلم الى سليمان ومثله فصيكم منهم عمرة بغير علم وكذا قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فالجملة الوسطى احتراس لئلا يتوهم ان التكذيب مما فى نفس الأمر قال فى عروس الأفراح * فان قيل كل من ذلك أقام معنى جديدا فلا يكون اطنابا * قلنا هو اطناب لما قبله من حيث رفع توهم غيره وان كان له معنى فى نفسه * النوع الثامن عشر التتميم وهو أن يؤتى فى كلام لا يوهم غير المراد بفضلة تفيد نكتة كالمبالغة فى قوله و يطعمون الطعام على حبه أى مع حب الطعام أى اشتهائه فان الاطعام حينئذ أبلغ وأكثر أجرا ومثله وآتى المال على حبه وممن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف

يوم هم بارزون وأى لفظ يدرك هذا المضمار وأى حكيم يهتدى الى ما لهذا من الغور وأى فصيح يهتدى الى هذا النظم ثم استقرىء الآية الى آخرها واعتبر كلماتها وراع بعدها قوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب من يقدر على تأليف هذه الكلمات الثلاث على قربها وعلى خفتها فى النظم وموقعها من القلب ثم تأمل قوله وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء ان الله هو السميع البصير كل كلمة من ذلك على ما قد وصفتها من انه اذا رأها الانسان فى رسالة كانت عينها أو فى خطبة كانت وجهها أو قصيدة كانت غرة فرتها وبيت قصيدتها

فقوله وهو مؤمن تتميم فى غاية الحسن * النوع التاسع عشر الاستقصاء وهو أن يتناول المتكلم معنى فيستقصيه فيأتى بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصى جميع أوصافه الذاتية بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالا كقوله تعالى أيود أحدكم ان تكون له جنة الآية فانه تعالى لو اقتصر على قوله جنة لكان كافيا فلم يقف عند ذلك حتى قال فى تفسيرها من نخيل وأعناب فان مصاب صاحبها بها أعظم ثم زاد تجرى من تحتها الانهار متمما لوصفها بذلك ثم كمل وصفها بعد التتميمين فقال له فيها من كل الثمرات فاتى بكل ما يكون فى الجنان ليشتد الاسف على إفسادها ثم قال فى وصف صاحبها وأصابه الكبر ثم استقصى المعنى فى ذلك بما يوجب تعظيم المصاب بقوله بعد وصفه بالكبر وله ذرية ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعفاء ثم ذكر استئصال الجنة التى ليس لهذا المصاب غيرها بالهلاك فى أسرع وقت حيث قال فاصابها إعصار ولم يقتصر على ذكره للعلم بانه لا يحصل به سرعة الهلاك فقال فيه نار ثم لم يقف عند ذلك حتى أخبر باحتراقها لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تفى باحتراقها لما فيه من الانهار ورطوبة الاشجار فاحترس عن هذا الاحتمال بقوله فاحترقت فهذا احسن استقصاء وقع فى كلام وأتمه وأكمله * قال ابن أبى الأصبع والفرق بين الاستقصاء والتتميم والتكميل أن التتميم يرد على المعنى الناقص ليتم فيكمل والتكميل يرد على المعنى التام أوصافه والاستقصاء يرد على المعنى التام الكامل فيستقصى لوازمه وعوارضه وأوصافه وأسبابه حتى يستوعب جميع ما تقع الخواطر عليه فيه فلا يبقى لاحد فيه مساغ * النوع العشرون الاعتراض وسماه قدامة التفاتا وهو الاتيان بجملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب فى أثناء كلام أو كلامين اتصالا معنى لنكتة غير دفع الايهام كقوله ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون فقوله سبحانه اعتراض لتنزيه الله سبحانه وتعالى عن البنات والشناعة على جاعليها وقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين فجملة الاستثناء اعتراض للتبرك ومن وقوعه باكثر من جملة قائلوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فقوله نساؤكم متصل بقوله فائتوهن لانه بيان له وما بينهما اعتراض للحث على الطهارة وتجنب الادبار وقوله يا أرض ابلعى ماءك الى قوله وقيل بعدا فيه اعتراض بثلاث جمل وهى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى قال فى الاقصى القريب ونكتته افادة أن هذا الأمر واقع بين القولين لا محالة ولو أتى به آخرا لكان للظاهر تأخره فبتوسطه ظهر كونه غير متأخر ثم فيه اعتراض فى اعتراض فان وقضى الأمر معترض بين وغيض واستوت لأن الاستواء يحصل عقب الغيض وقوله ولن يخاف مقام ربه جنتان الى قوله متكئين على فرش فيه اعتراض بسبع جمل إذا أعرب حالا منه ومن وقوع اعتراض فى اعتراض فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم اعتراض بين القسم وجوابه بقوله وانه لقسم الآية بين القسم وصفته بقوله لو تعلمون تعظيما للقسم به وتحقيقا لاجلاله واعلاما لهم بان له عظمة لا يعلمونها قال الطيبى فى التبيان ووجه حسن الاعتراض حسن الافادة مع ان مجيئه مجيء مما لا يترقب فيكون كالحسنة تأتيك من حيث لا تحتسب * النوع الحادى والعشرون التعليل وفائدته التقرير والا بلغية فان النفوس ابعث على قبول الاحكام المعللة من غيرها وغالب التعليل فى القرآن على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الاولى وحروفه اللام وإن وان وإذ والباء وكى ومن ولعل وقد مضت امثلتها فى نوع الادوات ومما يقتضى التعليل لفظ الحكمة كقوله حكمة بالغة وذكر الغاية من الخلق نحو قوله جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا

﴿النوع السابع والخمسون * فى الخبر والانشاء﴾ اعلم ان الحذاق من النحاة وغيرهم وأهل البيان قاطبة

كاليا قوتة التى تكون فريدة العقد وعين القلادة ودرة الشذر إذا وقع بين كلام وشحه وإذا ضمن فى نظام زينه وإذا اعترض فى خطاب تميز عنه وبان بحسنه منه واست أقول هذا لك فى آية دون آية وسورة دون سورة وفصل دون فصل وقصة دون قصة ومعنى دون معنى لأنى قد شرحت لك ان الكلام فى حكاية القصص والاخبار وفى الشرائع والاحكام وفى الديانة والتوحيد وفى الحجج والتثبيت هو خلاف الكلام فيما عدا هذه الأمور الا ترى أن الشاعر المفلق إذا جاء إلى الزهد قصر والاديب إذا تكلم فى بيان الأحكام وذكر الحلال والحرام لم يكن كلامه على حسب كلامه فى غيره ونظم القرآن لا يتفاوت فى شىء ولا يتباين فى أمر ولا يختل فى حال بل له المثل الاعلى والفضل الاسنى وفيما شرحنا لك كفاية وفيما بيناه

على انحصار الكلام فيهما وانه ليس له قسم ثالث وادعى قوم أن أقسام الكلام عشرة نداء ومسئلة وأمر وتشفع وتعجب وقسم وشرط ووضع وشك واستفهام وقيل تسعة باسقاط الاستفهام لدخوله فى المسئلة وقيل سبعة باسقاط الشك لانه من قسم الخبر وقال الاخفش هى ستة خبر واستخبار وامر ونهى ونداء وتمن وقال بعضهم خمسة خبر وأمر وتصريح وطلب ونداء وقال قوم أربعة خبر واستخبار وطلب ونداء وقال كثيرون ثلاثة خبر وطلب وانشاء قالوا الان الكلام إما ان يحتمل التصديق والتكذيب أولا الأول الخبر والثانى ان اقترن معناه بلفظه فهو الانشاء وان لم يقترن بل تأخر عنه فهو الطلب والمحققون على دخول الطلب فى الانشاء وان معنى اضرب مثلا وهو طلب الضرب مقترن بلفظه وأما الضرب الذى يوجد بعد ذلك فهو متعلق الطلب لا نفسه وقد اختلف الناس فى حد الخبر فقيل لا يحد لعسره وقيل لأنه ضرورى لان الانسان يفرق بين الانشاء والخبر ضرورة ورجحه الامام فى المحصول والاكثر على حده فقال القاضى أبو بكر والمعتزلة الخبر الكلام الذى يدخله الصدق والكذب فاورد عليه خبر الله تعالى فانه لا يكون الا صادقا فاجاب القاضى بانه يصح دخوله لغة وقيل الذى يدخله التصديق والتكذيب وهو سالم من الايراد المذكور وقال ابو الحسن البصرى كلام يفيد بنفسه نسبة فاورد عليه قم فانه يدخل فى الحد لان القيام منسوب والطلب منسوب وقيل الكلام المفيد بنفسه اضافة أمر من الأمور الى أمر من الامور نفيا أو اثباتا وقيل القول المقتضى بصريحه نسبة معلوم الى معلوم بالنفى أو الاثبات وقال بعض المتأخرين الانشاء ما يحصل مدلوله فى الخارج بالكلام والخبر خلافه وقال بعض من جعل الاقسام ثلاثة الكلام ان أفاد بالوضع طلبا فلا يخلو إما ان يكون بطلب ذكر الماهية أو تحصيلها أو الكف عنها والاول الاستفهام والثانى الأمر والثالث النهى وان لم يفد طلبا بالوضع فان لم يحتمل الصدق والكذب سمى تنبيها وانشاء لانك نبهت به على مقصودك وانشأته أى ابتكرته من غير ان يكون موجودا فى الخارج سواء أفاد طلبا باللازم كالتمنى والترجى والنداء والقسم أم لا كانت طالق وان احتملهما من حيث هو فهو خبر

﴿فصل﴾ القصد بالخبر افادة المخاطب وقد يرد بمعنى الأمر نحو والوالدات يرضعن والمطلقات يتربصن وبمعنى النهى نحو لا يمسه الا المطهرون وبمعنى الدعاء نحو وإياك نستعين أى اعنا ومنه تبت يدا أبى لهب وتب فانه دعاء عليه وكذا قاتلهم الله غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا وجعل منه قوم حصرت صدورهم قالوا هو دعاء عليهم بضيق صدورهم عن قتال أحد ونازع ابن العربى فى قولهم ان الخبر يرد بمعنى الامر أو النهى قال فى قوله تعالى فلا رفث ليس نفيا لوجود الرفث بل نفى لمشروعيته فان الرفث يوجد من بعض الناس واخبار الله تعالى لا يجوز ان تقع بخلاف مخبره وانما يرجع النفى الى وجوده مشروعا الى وجوده محسوسا كقوله والمطلقات يتربصن ومعناه مشروعا لا محسوسا فانا نجد مطلقات لا يتربصن فعاد النفى الى الحكم الشرعى لا الى الوجود الحسى وكذا لا يمسه الا المطهرون أى لا يمسه أحد منهم شرعا فان وجد المس فعلى خلاف حكم الشرع قال وهذه الدفينة التى فاتت العلماء فقالوا ان الخبر يكون بمعنى النهى وما وجد ذلك قط ولا يصح أن يوجد فانهما مختلفان حقيقة ويتباينان وضعا انتهى (فرع) من أقسامه على الأصح التعجب قال ابن فارس وهو تفضيل شىء على اضرابه وقال ابن العائع استعظام صفة خرج بها المتعجب منه عن نظائره وقال الزمخشرى معنى التعجب تعظيم الأمر فى قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شىء خارج عن نظائره واشكاله وقال الرمانى المطلوب فى التعجب الابهام لان من شأن الناس أن يتعجبوا مما لا يعرف سببه فكل ما استبهم السبب كان التعجب أحسن قال واصل التعجب انما هو للعنى الحق سببه والصيغة الدالة عليه تسمى تعجبا مجازا قال ومن أجل الابهام لم تعمل نعم إلا فى الجنس من أجل التفخيم ليقع التفسير على نحو التفخيم بالاضمار قبل الذكر

بلاغ ونذكر فى الاحكاميات وغيرها آيات أخر منها قوله يسئلونك ماذا أحل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب انت تجد فى هذه الآية من الحكمة والتصرف العجيب والنظم البارع ما يدل لك ان شئت على الاعجاز مع هذا الاختيار والايجاز فكيف إذا بلغ ذلك آيات وكانت سورة ونحو هذه الآية قوله الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون

ثم قد وضعوا للتعجب صيغا من لفظه وهى ما أفعل وافعل به وصيغا من غير لفظه نحو كبر كقوله كبرت كلمة تخرج من أفواههم كبر مقتا عند الله كيف تكفرون بالله ﴿قاعدة﴾ قال المحققون اذا ورد التعجب من الله صرف الى المخاطب كقوله فما أصبرهم على النار أى هؤلاء يجب ان يتعجب منهم وانما لا يوصف تعالى بالتعجب لانه استعظام يصحبه الجهل وهو تعالى منزه عن ذلك ولهذا تعبر جماعة بالتعجب بدله أى انه تعجيب من الله للمخاطبين ونظير هذا مجىء الدعاء والترجى منه تعالى انما هو بالنظر الى ما تفهمه العرب أى هؤلاء مما يجب ان يقال لهم عندكم هذا ولذلك قال سيبويه فى قوله لعله يتذكر أو يخشى المعنى اذهبا على رجائكما وطمعكما وفى قوله ويل للمطففين ويل يومئذ للمكذبين لا تقل هذا دعاء لان الكلام بذلك قبيح ولكن العرب انما تكلموا بكلامهم وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون فكأنه قيل لهم ويل للمطففين اى هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم لان هذا الكلام انما يقال لصاحب الشر وروا الهلكة فقيل هؤلاء ممن دخل فى الهلكة ﴿فرع﴾ من أقسام الخبر الوعد والوعيد نحو سنريهم آياتنا فى الآفاق وسيعلم الذين ظلموا وفى كلام ابن قتيبة ما يوهم أنها انشاء ﴿فرع﴾ من أقسام الخبر النفى بل هو شطر الكلام كله والفرق بينه وبين الجحد ان النافى ان كان صادقا سمى كلامه نفيا ولا يسمى جحدا وان كان كاذبا سمى جحدا ونفيا ايضا فكل جحد نفى وليس كل نفى جحدا ذكره ابو جعفر النحاس وابن الشجرى وغيرهما مثال النفى ما كان محمد أبا احد من رجالكم ومثال الجحد نفى فرعون وقومه آيات موسى قال تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وادوات النفى لا ولات وليس وما وان ولم ولما وقد تقدمت معانيها وما افترقت فيه فى نوع الادوات ونورد هنا فائدة زائدة قال الحوفى أصل ادوات النفى لا وما لان النفى اما فى الماضى واما فى المستقبل والاستقبال أكثر من الماضى ابدا ولا اخف من ما فوضعوا الاخف للاكثر ثم إن النفى فى الماضى اما ان يكون نفيا واحدا مستمرا او نفيا فيه أحكام متعددة وكذلك النفى فى المستقبل فصار النفى على أربعة أقسام واختاروا له أربع كلمات ما ولم ولن ولا واما ان ولما فليسا باصلين فما ولا فى الماضى والمستقبل متقابلان ولم كأنه مأخوذ من لا وما لان لم تنفى للاستقبال لفظا والمضى معنى فأخذ اللام من لا التى هى لنفى المستقبل والميم من ما التى هى لنفى الماضى وجمع بينهما اشارة الى ان فى لم اشارة الى المستقبل والماضى وقدم اللام على الميم اشارة الى ان لا هى أصل النفى ولهذا ينفى بها فى اثناء الكلام فيقال لم يفعل زيد ولا عمرو وأما الافتراق بعد تركيب كأنه قال لم وما لتوكيد معنى النفى فى الماضى وتفيد الاستقبال أيضا ولهذا تفيد لما الاستمرار ﴿تنبيهات * الأول﴾ زعم بعضهم ان شرط صحة النفى عن الشىء صحة اتصاف المنفى عنه بذلك الشىء وهو مردود بقوله تعالى وما ربك بغافل عما يعملون وما كان ربك نسيا لا تأخذه سنة ولا نوم ونظائره والصواب ان انتفاء الشىء عن الشىء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلا وقد يكون لكونه لا يقع منه مع امكانه * الثانى نفى الذات الموصوفة قد يكون نفيا للصفة دون الذات وقد يكون نفيا للذات أيضا من الأول وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام أى بل هم جسد يأكلون ومن الثانى لا يسئلون الناس الحافا أى لا سؤال لهم أصلا فلا يحصل منهم الحاف ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع أى لا شفيع لهم أصلا فما تنفعهم شفاعة الشافعين أى لا شافعين لهم تنفعهم شفاعتهم بدليل فما لنا من شافعين ويسمى هذا النوع عند أهل البديع نفى الشىء بإيجابه وعبارة ابن رشيق فى تفسيره ان يكون الكلام ظاهره إيجاب الشىء وباطنه نفيه بأن ينفى ما هو من سببه كوصفه وهو المنفى فى الباطن وعبارة غيره ان ينفى الشىء مقيدا والمراد نفيه مطلقا مبالغة فى النفى وتأكيدا له ومنه ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فان اله مع الله لا يكون الا عن غير برهان

وكالآية التى بعدها فى التوحيد واثبات النبوة وكالآيات الثلاث فى المواريث اى بارع يقدر على جمع أحكام الفرائض فى قدرها من الكلام ثم كيف يقدر على ما فيها من بديع النظم وان جئت الى آيات الاحتجاج كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وكالآيات فى التوحيد كقوله هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وكقوله تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديرا وكقوله تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير الى آخرها وكقوله والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب

ويقتلون النبيين بغير حق فان قتلهم لا يكون الا بغير حق رفع السموات بغير عمد ترونها فانها لا عمد لها أصلا * الثالث تقدير دبه نفى الشيء رأسا لعدم كمال وصفه وانتفاء ثمرته كقوله فى صفة أهل النار لا يموت فيها ولا يحيا فنفى عنه الموت لانه ليس بموت صريح ونفى عنه الحياة لانها ليست بحياة طيبة ولا نافعة وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فان المعتزلة احتجوا بها على نفى الرؤية فان النظر فى قوله تعالى الى ربها ناظرة لا يستلزم الابصار ورد بان المعنى انها تنتظر اليه باقبالها عليه وليست تبصر شيئا ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون فانه وصفهم أولا بالعلم على سبيل التوكيد القسمى ثم نفاه آخرا عنهم لعدم جريهم على موجب العلم قاله السكاكى * الرابع قالوا المجاز يصح نفيه بخلاف الحقيقة وأشكل على ذلك ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى فان المنفى فيه الحقيقة وأجيب بان المراد بالرمى هنا المترتب عليه وهو وصوله الى الكفار قالوا ورد عليه النفى هنا مجازا لحقيقة والتقدير ومارميت خلقا اذ رميت كسبا اومارميت انتهاء اذ رميت ابتداء * الخامس نفى الاستطاعة قدير ادبه نفى القدرة والامكان وقد يراد نفى الامتناع وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة من الاول فلا يستطيعون توصية فلا يستطيعون ردها فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ومن الثانى هل يستطيع ربك على القراءتين أى هل يفعل أو هل تجيبنا الى أن تسأل فقد علموا أنه قادر على الانزال وأن عيسى قادر على السؤال ومن الثالث انك لن تستطيع معى صبرا

﴿قاعدة﴾ نفى العام يدل على نفى الخاص وثبوته لا يدل على ثبوته وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام ونفيه لا يدل على نفيه ولا شك ان زيادة المفهوم من اللفظ توجب الالتذاذ به فلذلك كان نفى العام أحسن من نفى الخاص واثبات الخاص احسن من إثبات العام فالاول كقوله فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم لم يقل بضوئهم بعد قوله اضاءت لان النور أعم من الضوء اذ يقال على القليل والكثير وانما يقال الضوء على النور الكثير ولذلك قال هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ففى الضوء دلالة على النور فهو أخص منه فعدمه يوجب عدم الضوء بخلاف العكس والقصد ازالة النور عنهم أصلا ولذا قال عقبه وتركهم فى ظلمات ومنه ليس بى ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا إنا لنراك فى ضلال لأنها أعم منه فكان أبلغ فى نفى الضلال وعبر عن هذا بأن نفى الواحد يلزم منه نفى الجنس ألبتة وبأن نفى الادنى يلزم منه نفى الاعلى والثانى كقوله وجنة عرضها السموات والأرض ولم يقل طولها لأن العرض أخص اذ كل ماله عرض فله طول ولا ينعكس ونظير هذه القاعدة ان نفى المبالغة فى الفعل لا يستلزم نفى أصل الفعل وقد اشكل على هذا آيتان قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وقوله وما كان ربك نسيا * وأجيب عن الآية الاولى باجوبة * أحدها ان ظلاما وان كان للكثرة لكنه جىء به فى مقابلة العبيد الذى هو جمع كثرة ويرشحه انه تعالى قال علام الغيوب فقابل صيغة فعال بالجمع وقال فى آية اخرى عالم الغيب فقابل بل صيغة فاعل الدالة على أصل الفعل بالواحد * الثانى انه نفى الظلم الكثير لينتفى القليل ضرورة لان الذى يظلم إنما يظلم لانتفاعه بالظلم فاذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فلان يترك القليل اولى * الثالث انه على النسبة أى بذى ظلم حكاه ابن مالك عن المحققين * الرابع انه أتى بمعنى فاعل لا كثرة فيه * الخامس ان اقل القليل لو ورد منه تعالى لكان كثيرا كما يقال زلة العالم كبيرة * السادس انه اراد ليس بظلام ليس بظالم تأكيدا للنفى فنبه عن ذلك بليس بظلام * السابع انه ورد جوابا لمن قال ظلام والتنكير اذا ورد جوابا للكلام خاص لم يكن له مفهوم * الثامن ان صيغة المبالغة وغيرها فى صفات الله سواء فى الاثبات فجرى النفى على ذلك * التاسع انه قصد التعريض بأن ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور ويجاب عن الثانية بهذه الاجوبة

السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب هذه من الآيات التى قال فيها الله تعالى ذكره الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد وانظر بعين عقلك وراجع جلية بصيرتك اذا تفكرت فى كلمة كلمة مما نقلناه إليك وعرضناه عليك ثم فيما ينتظم من الكلمات ثم إلى أن يتكامل فصلا وقصة أو يتم حديثا وسورة لا بل فكر فى جميع القرآن على هذا الترتيب وتدبره على نحو هذا التنزيل فلم تدع ما ادعيناه

و بعاشروه ومناسبة رؤس الآى ﴿ فائدة ﴾ قال صاحب اليواقوتة قال ثعلب والمبرد العرب اذا جاءت بين الكلامين بجحدين كان الكلام اخبارا نحو وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام والمعنى انما جعلناهم جسدا يأكلون الطعام واذا كان الجحد فى أول الكلام كان جحدا حقيقيا نحو ما زيد بخارج واذا كان فى أول الكلام جحدان كان احدهما زائدا وعليه فى ما ان مكنا كم فيه فى احد الاقوال ﴿فصل﴾ من اقسام الانشاء الاستفهام وهو طلب الفهم وهو بمعنى الاستخبار وقيل الاستخبار ما سبق أولا ولم يفهم حق الفهم فاذا سألت عنه ثانيا كان استفهاما حكاه ابن فارس فى فقه اللغة وأدواته الهمزة وهل وما ومن وأى وكم وكيف وأين وانى ومتى وايان ومرت فى الأدوات قال ابن مالك فى المصباح وما عدا الهمزة نائب عنها ولكونه طلب ارتسام صورة ما فى الخارج فى الذهن لزم أن لا يكون حقيقة الا اذا صدر من شاك مصدق بامكان الاعلام فان غير الشاك اذا استفهم يلزم منه تحصيل الحاصل واذا لم يصدق بامكان الاعلام انتفت عنه فائدة الاستفهام قال بعض الأئمة وما جاء فى القرآن على لفظ الاستفهام فانما يقع فى خطاب الله على معنى ان المخاطب عنده علم ذلك الاثبات أو النفى حاصل وقد تستعمل صيغة الاستفهام فى غيره مجازا وألف فى ذلك العلامة شمس الدين بن الصائغ كتابا سماه روض الافهام فى أقسام الاستفهام قال فيه قد توسعت العرب فأخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعان أواشر بته تلك المعانى ولا يختص التجوز فى ذلك بالهمزة خلافا للصفار * الاول الانكار والمعنى فيه على النفى وما بعده منفى ولذلك تصحبه الا كقوله فهل يهلك الا القوم الفاسقون وهل يجازى الا الكفور وعطف عليه المنفى فى قوله فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين أى لا يهدى ومنه أنؤمن لك واتبعك الأرذلون أنؤمن لبشرين مثلنا أى لا نؤمن أم له البنات ولكم البنون أى لكم الذكور وله الأنثى أى لا يكون هذا أشهدوا خلقهم أى ما شهدوا ذلك وكثيرا ما يصحبه التكذيب وهو فى الماضى بمعنى لم يكن وفى المستقبل بمعنى لا يكون نحو أفاصفاكم ربكم بالبنين الآية أى لم يفعل ذلك انلزمكموها وأنتم لها كارهون أى لا يكون هذا الالزام * الثانى التوبيخ وجعله بعضهم من قبيل الانكار الا ان الأول انكار ابطال وهذا انكار توبيخ والمعنى على ان ما بعده واقع جدير بأن ينفى فالنفى هنا غير قصدى والاثبات قصدى عكس ما تقدم ويعبر عن ذلك بالتقريع أيضا نحو أفعصيت امرى اتعبدون ما تنحتون اتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين وأكثر ما يقع التوبيخ فى أمر ثابت ووبخ على فعله كاذكر ويقع على ترك فعل كان ينبغى أن يقع كقوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها * الثالث التقرير وهو حمل المخاطب على الاقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده قال ابن جنى ولا يستعمل ذلك بهل كما يستعمل بغيرها من أدوات الاستفهام وقال الكندى ذهب كثير من العلماء فى قوله هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم الى ان هل تشارك الهمزة فى معنى التقرير أو التوبيخ الا انى رأيت أبا على أبى ذلك وهو معذور فان ذلك من قبيل الانكار ونقل أبو حيان عن سيبويه ان استفهام التقرير لا يكون بهل انما يستعمل فيه الهمزة ثم نقل عن بعضهم ان هل تأتى تقريرا كما فى قوله تعالى هل فى ذلك قسم لذى حجر والكلام مع التقرير موجب ولذلك يعطف عليه صريح الموجب ويعطف على صريح الموجب فالأول كقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل والثانى نحو اكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما على ما قرره الجرجانى من جعلها مثل وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وحقيقة استفهام التقرير انه استفهام انكار والانكار نفى وقد دخل على النفى ونفى النفى اثبات

لبعضه ولم نصف ما وصفناه إلا فى كله وان كانت الدلالة فى البعض أبين وأظهر والآية اكشف وأبهر واذا تأملت على ما هديناك اليه ووقفناك عليه فانظر هل ترى وقع هذا النور فى قلبك واشتماله على لبك وسريانه فى حسك ونفوذه فى عروقك وامتلاءك به ايقانا واحاطة واهتداءك به إيمانا وبصيرة أم هل تجد الرعب يأخذ منك مأخذه من وجهه والهزة تعمل فى جوانبك من لون والاريحية تستولى عليك من باب وهل تجد الطرب يستفزك للطيف ما فطنت له والسرور يحركك من عجيب ما وقفت عليه وتجد فى نفسك من المعرفة التى حدثت لك عزة وفى اعطافك ارتياحا وهزة وترى لك فى الفضل تقدما وتبريزا وفى اليقين سبقا وتحقيقا وترى مطارح الجهال تحت أقدام الغفلة ومناهجهم فى ظلال القلة والذلة واقدامهم بالمين

* ومن أمثلته اليس الله بكاف عبده الست بربكم وجعل منه الزمخشري ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير * الرابع التعجب أو التعجيب نحو كيف تكفرون بالله مالي لا أرى الهدهد وقد اجتمع هذا القسم وسابقاه في قوله أتأمرون الناس بالبر قال الزمخشري الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم ويحتمل التعجب والاستفهام الحقيقي ماولاهم عن قبلتهم * الخامس العتاب كقوله ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قال ابن مسعود ما كان بين اسلامهم وبين ان عوتبوا بهذه الآية إلا اربع سنين * أخرجه الحاكم ومن لطفه ما عاتب الله به خير خلقه بقوله عفا الله عنك لم أذنت لهم ولم يتأدب الزمخشري بادب الله في هذه الآية على عادته في سوء الادب * السادس التذكير وفيه نوع اختصار كقوله ألم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان ألم أقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه * السابع الافتخار نحو اليس لي ملك مصر * الثامن التفخيم نحو مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة * التاسع التهويل والتخويف نحو الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة * العاشر عكسه وهو التسهيل والتخفيف نحو وماذا عليهم لو آمنوا * الحادي عشر التهديد والوعيد نحو ألم نهلك الأولين * الثاني عشر التكثير نحو وكم من قرية أهلكناها * الثالث عشر التسوية وهو الاستفهام الداخل على جملة يصح حلول المصدر محلها نحو سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم * الرابع عشر الامر نحو أأسلمتم أي اسلموا فهل أنتم منتهون أي انتهوا أتصبرون أي اصبروا * الخامس عشر التنبيه وهو من أقسام الامر نحو ألم تر الى ربك كيف مد الظل أي انظر ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ذكره صاحب الكشاف عن سيبويه ولذلك رفع الفعل في جوابه وجعل منه قوله فاين تذهبون للتنبيه على الضلال وكذا من يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه * السادس عشر الترغيب نحو من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا هل أدلكم على تجارة تنجيكم * السابع عشر النهي نحو أتخشونهم فالله أحق ان تخشوه بدليل فلا تخشوا الناس واخشوني ما غرك بربك الكريم أي لا تغتر * الثامن عشر الدعاء وهو كالنهي إلا أنه من الادنى الى الاعلى نحو اتهلكنا بما فعل السفهاء أي لا تهلكنا * التاسع عشر الاسترشاد نحو اتجعل فيها من يفسد فيها * العشرون التمني نحو فهل لنا من شفعاء * الحادي والعشرون الاستبطاء نحو متى نصر الله * الثاني والعشرون العرض الا تحبون ان يغفر الله لكم * الثالث والعشرون التحضيض نحو الا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم * الرابع والعشرون التجاهل نحو أأنزل عليه الذكر من بيننا * الخامس والعشرون التعظيم نحو من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه * السادس والعشرون التحقير نحو أهذا الذي يذكر آلهتكم أهذا الذي بعث الله رسولا ويحتمله وما قبله قراءة من قرعون * السابع والعشرون الاكتفاء نحو اليس في جهنم مثوى للمتكبرين * الثامن والعشرون الاستبعاد نحو أنى لهم الذكرى * التاسع والعشرون الايناس نحو وما تلك بيمينك يا موسى * الثلاثون التهكم والاستهزاء نحو أصلواتك تأمرك الا تأكلون مالكم لا تنطقون * الحادي والثلاثون التأكيد لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله كقوله أفمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار قال الموفق عبد اللطيف البغدادي أي من حق عليه كلمة العذاب فانك لا تنقذه فمن للشرط والفاء جواب الشرط والهمزة في افأنت دخلت معادة لطول الكلام وهذا نوع من أنواعها وقال الزمخشري الهمزة الثانية هي الاولى كررت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد * الثاني والثلاثون الاخبار نحو أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا هل أتى على الانسان ﴿تنبيهات * الاول﴾ هل يقال ان معنى الاستفهام في هذه الاشياء موجود وانضم اليه معنى آخر أو تجرد عن الاستفهام بالكلية قال في عروس الافراح محل

التي يجب ان تلحظ بها مراتبهم بحيث يجب ان ترتبها هذا كله في تأمل الكلام ونظامه وعجيب معانيه واحكامه فان جئت الى ما انبسط في العالم من بركته وانواره وتمكن في الآفاق من يمنه وأضوائه وثبت في القلوب من إكباره وإعظامه وتقرر في النفوس من حتم أمره ونهيه ومضى في الدماء من مفروض حكمه والى أنه جعل عماد الصلاة التي هي تلو الايمان في التأكيد وثانية التوحيد في الوجوب وفرط حفظه ووكل الصغار والكبار بتلاوته وأمر عند افتتاحه بما أمر به لتعظيمه من قوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم لم يؤمر بالتعوذ لافتتاح أمر كما أمر به لافتتاحه فهل يدلك هذا على عظيم شانه وراجح ميزانه وعالي مكانه وجملة الامر ان نقد الكلام شديد وتمييزه صعب * ومما كتب الى الحسن بن عبد الله العسكري أخبرني أبو

نظر قال والذى يظهر الاول قال ويساعده قول التنوخى فى الأقصى القريب ان لعل تكون للاستفهام مع بقاء الترجى قال ومما يرجحه ان الاستبطاء فى قولك كم ادعوك معناه ان الدعاء وصل الى حد لا أعلم عدده فانا أطلب أن أعلم عدده والعادة تقضى بان الشخص انما يستفهم عن عدد ما صدر منه اذا كثر فلم يعلمه وفى طلب فهم عدده ما يشعر بالاستبطاء وأما التعجب فالاستفهام معه مستمر فمن تعجب من شىء فهو بلسان الحال سائل عن سببه فكأنه يقول أى شىء عرض لى فى حال عدم رؤية الهدهد وقد صرح فى الكشاف ببقاء الاستفهام فى هذه الآية وأما التنبيه على الضلال فالاستفهام فيه حقيقى لان معنى أين تذهب أخبرنى الى أى مكان تذهب فانى لا أعرف ذلك وغاية الضلال لا يشعر الى أين تنتهى وأما التقرير فان قلنا المراد به الحكم بثبوته فهو خبر بان المذكور عقيب الاداة واقع أو طلب اقرار المخاطب به مع كون السائل يعلم فهو استفهام يقرر المخاطب أى يطلب منه أن يكون مقرا به وفى كلام أهل الفن ما يقتضى الاحتمالين والثانى أظهر وفى الايضاح تصريح به ولا بدع فى صدور الاستفهام ممن يعلم المستفهم عنه لانه طلب الفهم أما طلب فهم المستفهم أو وقوع فهم لمن لم يفهم كائنا من كان وبهذا تنحل اشكالات كثيرة فى مواقع الاستفهام ويظهر بالتأمل بقاء معنى الاستفهام مع كل أمر من الامور المذكورة انتهى ملخصا * الثانى القاعدة ان المنكر يجب أن يلى الهمزة وأشكل عليها قوله تعالى أفأصفاكم ربكم بالبنين فان الذى يليها هنا الاصفاء بالبنين وليس هو المنكر انما المنكر قولهم انه اتخذ من الملائكة إناثا * وأجيب بان لفظ الاصفاء مشعر بزعم ان البنات لغيرهم أو بان المراد مجموع الجملتين وينحل منهما كلام واحد والتقدير أجمع بين الاصفاء بالبنين واتخاذ البنات وأشكل منه قوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ووجه الاشكال انه لا جائز أن يكون المنكر أمر الناس بالبر فقط كما تقتضيه القاعدة المذكورة لان امر البر ليس مما ينكر ولا نسيان النفس فقط لانه يصير ذكر أمر الناس بالبر لا مدخل له ولا مجموع الامرين لانه يلزم أن تكون العبادة جزء المنكر ولا نسيان النفس بشرط الامر لأن النسيان منكر مطلقا ولا يكون نسيان النفس حال الأمر أشد منه حال عدم الأمر لان المعصية لا تزداد بشاعتها بانضمامها الى الطاعة لان جمهور العلماء على ان الأمر بالبر واجب وان كان الانسان ناسيا لنفسه وأمره لغيره بالبر كيف يضاعف بمعصية نسيان ولا يأتى الخير بالشر قال فى عروس الافراح ويجاب بان فعل المعصية مع النهى عنها أفحش لانها تجعل حال الانسان كالمتناقض ويجعل القول كالمخالف للفعل ولذلك كانت المعصية مع العلم أفحش منها مع الجهل قال ولكن الجواب على ان الطاعة الصرفة كيف تضاعف المعصية المقارنة لها من جنسها فيه دقة

﴿ فصل من أقسام الانشاء الأمر ﴾ وهو طلب فعل غير كف وصيغته افعل ولتفعل وهى حقيقة فى الايجاب نحو أقيموا الصلاة فليصلوا معك وترد مجازا لمعان أخر منها الندب نحو واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا والاباحة نحو فكاتبوهم نص الشافعى على ان الامر فيه للاباحة ومنه واذا حللتم فاصطادوا والدعاء من السافل للعالى نحو رب اغفر لى والتهديد نحو اعملوا ما شئتم إذ ليس المراد الأمر بكل عمل شاؤا والاهانة نحو ذق انك أنت العزيز الكريم والتسخير أى التذليل نحو كونوا قردة عبر به عن نقلهم من حالة الى حالة إذ لا الهم فهو اخص من الاهانة والتعجيز نحو فائتوا بسورة من مثله اذ ليس المراد طلب ذلك منهم بل اظهار عجزهم والامتنان نحو كلوا من ثمره إذا أثمر والعجب نحو انظر كيف ضربوا لك الأمثال والتسوية نحو فاصبروا أو لا تصبروا والارشاد نحو واشهدوا إذا تبايعتم والاحتقار نحو ألقوا ما أنتم ملقون والانذار نحو قل تمتعوا والاكرام نحو ادخلوها بسلام والتكوين وهو أعم من التسخير نحو

بكر بن دريد قال سمعت أبا حاتم يقول سمعت الأصمعى يقول فرسان الشعراء أقل من فرسان الحرب وقال سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول العلماء بالشعر أعز من الكبريت الأحمر واذا كان الكلام المتعارف المتداول بين الناس يشق تمييزه ويصعب نقده يذهب عن محاسنه الكثير وينظرون الى كثير من قبيحه بعين الحسن وكثير من حسنه بعين القبيح ثم يختلفون فى الأحسن منه اختلافا كثيرا وتتباين آراؤهم فى تفضيل ما تفضل منه فكيف لا يتحيرون فيما لا يحيط به علمهم ولا يتأتى فى مقدورهم ولا يمل بخواطرهم وقد حير القوم الذين لم يكن أحد أفصح منهم ولا أتم بلاغة ولا أحسن براعة حتى دهشوا حين ورد عليهم وولهت عقولهم ولم يكن عندهم فيه جواب غير ضرب الامثال والتحرض عليه والتوهم فيه وتقسيمه أقساما وجعله

كن فيكون والانعام أى تذكير النعمة نحو كلوا مما رزقكم الله والتكذيب نحو قل فائتوا بالتوراة فاتلوها قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا والمشورة نحو فانظر ماذا ترى والاعتبار نحو فانظروا الى ثمره والتعجب نحو أسمع بهم وأبصر ذكره السكاكى فى استعمال الانشاء بمعنى الخبر

﴿فصل﴾ ومن أقسامه النهى وهو طلب الكف عن فعل وصيغته لا تفعل وهى حقيقة فى التحريم وترد مجازا لمعان منها الكراهة نحو ولا تمش فى الأرض مرحا والدعاء نحو ربنا لا تزغ قلوبنا والارشاد نحو لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم والتسوية نحو أولا تصبروا والاحتقار والتقليل نحو ولا تمدن عينيك الآية أى فهو قليل حقير وبيان العاقبة نحو ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء أى عاقبة الجهاد الحياة لا الموت واليأس نحو لا تعتذروا والاهانة نحو اخسؤا فيها ولا تكلمون

﴿فصل﴾ ومن أقسامه التمنى وهو طلب حصول شىء على سبيل المحبة ولا يشترط امكان المتمنى بخلاف المترجى لكن نوزع فى تسمية تمنى الحال طلبا بان مالا يتوقع كيف يطلب قال فى عروس الأفراح فالأحسن ماذكره الامام وأتباعه من أن التمنى والترجى والنداء والقسم ليس فيها طلب بل هو تنبيه ولا بدع فى تسميته انشاء اه وقد بالغ قوم فجعلوا التمنى من قسم الخبر وان معناه النفى والزمخشرى ممن جزم بخلافه ثم استشكل دخول التكذيب فى جوابه فى قوله يا ليتنا نرد ولا نكذب الى قوله وانهم لكاذبون وأجاب بتضمنه معنى العدة فتعلق به التكذيب وقال غيره التمنى لا يصح فيه الكذب وانما الكذب فى المتمنى الذى يترجح عند صاحبه وقوعه فهو اذن وارد على ذلك الاعتقاد الذى هو ظن وهو خبر صحيح قال وليس المعنى فى قوله وانهم لكاذبون ان ما تمنوا ليس بواقع لانه ورد فى معرض الذم لهم وليس فى ذلك المتمنى ذم بل التكذيب ورد على أخبارهم عن أنفسهم انهم لا يكذبون وانهم يؤمنون وحرف التمنى الموضوع له ليت نحو يا ليتنا نرد يا ليت قومى يعلمون يا ليتنى كنت معهم فأفوز وقد يتمنى بهل حيث يعلم فقده نحو فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا وبلو نحو فلو أن لنا كرة فنكون ولذا نصب الفعل فى جوابها وقد يتمنى بلعل فى البعيد فتعطى حكم ليت فى نصب الجواب نحو لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع

﴿فصل﴾ ومن أقسامه الترجى نقل القرافى فى الفروق الاجماع على انها انشاء وفرق بينه وبين التمنى بانه فى الممكن والتمنى فيه وفى المستحيل وبان الترجى فى القريب والتمنى فى البعيد وبأن الترجى فى المتوقع والتمنى فى غيره وبأن التمنى فى المشقوق للنفس والترجى فى غيره وسمعت شيخنا العلامة الكافيجى يقول الفرق بين التمنى وبين الغرض هو الفرق بينه وبين الترجى وحرف الترجى لعل وعسى وقد ترد مجازا لتوقع محذور ويسمى الاشفاق نحو لعل الساعة قريب

﴿فصل ومن أقسامه النداء﴾ وهو طلب اقبال المدعو على الداعى بحرف نائب مناب ادعو ويصحب فى الاكثر الأمر والنهى والغالب تقدمه نحو يا أيها الناس اعبدوا ربكم يا عبادى فاتقون يا أيها المزمل قم الليل يا قوم استغفروا ربكم يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا وقد يتأخر نحو وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون وقد يصحب الجملة الخبرية فتعقبها جملة الأمر نحو يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له يا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها وقد لا يعقبها نحو يا عباد لا خوف عليكم اليوم يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله يا أبت هذا تأويل رؤياى وقد تصحبه الاستفهامية نحو يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر يا أيها النبى لم تحرم يا قوم مالى أدعوكم وقد ترد صورة النداء لغيره مجازا كالاغراء والتحذير وقد اجتمعا فى قوله تعالى ناقة الله وسقياها والاختصاص كقوله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت والتنبيه كقوله ألا يسجدوا والتعجب

عضين وكيف لا يكون أحسن الكلام وقد قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ومن يضلل الله فماله من هاد استفهم فهم هذه الآية وكفاك استفد علم هذه الكلمات وقد اغناك فليس يوقف على حسن الكلام بطوله ولا تعرف براعته بكثرة فصوله ان القليل يدل على الكثير والقريب قد يهجم بك على البعيد ثم انه سبحانه وتعالى لما علم من عظم شأن هذه المعرفة وكبر محلها وذها بها على أقوام ذكر فى آخر هذه الآية ماذكر وبين ما بين فقال ذلك هدى الله يهدى به من يشاء فلا يعلم ما وصفنا لك الا بهداية من العزيز الحميد وقال ومن يضلل الله فماله من هاد وقال يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وقد بسطنا لك

كقوله ياحسرة على العباد والتحسر كقوله ياليتنى كنت ترابا ﴿ قاعدة ﴾ أصل النداء يا أن تكون للبعيد حقيقة أوحكما وقد ينادى بها القريب لنكت منها اظهار الحرص فى وقوعه على اقبال المدعو نحو ياموسى اقبل ومنها كون الخطاب المتلو معتنى به نحو يا أيها الناس اعبدوا ربكم ومنها قصد تعظيم شان المدعو نحو يارب وقد قال تعالى انى قريب ومنها قصد انحطاطه كقول فرعون وانى لأظنك ياموسى مسحورا ﴿ فائدة ﴾ قال الزمخشرى وغيره كثر فى القرآن النداء بيا أيها دون غيره لأن فيه أوجها من التأكيد وأسبابا من المبالغة منها مافى يا من التأكيد والتنبيه ومافى ها من التنبيه ومافى التدرج من الابهام فى أى إلى التوضيح والمقام يناسب المبالغة والتأكيد لأن كل مانادى له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده ومن اقتصاص اخبار الأمم الماضية وغير ذلك مما أنطق الله به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعان واجب عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم غافلون فاقتضى الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ

﴿ فصل ﴾ ومن أقسامه القسم نقل القرافى الاجماع على أنه انشاء وفائدته تأكيد الجملة الخبرية وتحقيقها عند السامع وسيأتى بسط الكلام فيه فى النوع السابع والستين

﴿ فصل ﴾ ومن أقسامه الشرط

﴿النوع الثامن والخمسون * فى بدائع القرآن﴾ أفرده بالتصنيف ابن أبى الأصبع فاورد فيه نحو مائة نوع وهى المجاز والاستعارة والكناية والارداف والتمثيل والتشبيه والايجاز والاتساع والاشارة والمساواة والبسط والايغال والتشريع والتتميم والاتضاح ونفى الشىء بايجابه والتكميل والاحتراس والاستقصاء والتذييل والزيادة والترديد والتكرار والتفسير والمذهب الكلامى والقول بالموجب والمناقضة والانتقال والاسجال والتسليم والتمكين والتوشيح والتسهيم ورد العجز على الصدر وتشابه الأطراف ولزوم مالايلزم والتخيير والايهام وهو التورية والاستخدام والالتفات والاستطراد والاطراد والانسجام والادماج والافتنان والاقتدار وائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلاف اللفظ مع المعنى والاستدراك والاستثناء والاقتصاص والابدال وتأكيد المدح بما يشبه الذم والتخويف والتغاير والتقسيم والتدبيج والتبكيت والتجريد والتعديد والترتيب والترقى والتدلى والتضمين والجناس والجمع والتفريق والجمع والتقسيم والجمع مع التفريق والتقسيم وجمع المؤتلف والمختلف وحسن النسق وعتاب المرء نفسه والعكس والعنوان والفرائد والقسم واللف والنشر والمشاكلة والمزاوجة والمواربة والمراجعة والنزاهة والابداع والمقارنة وحسن الابتداء وحسن الختام وحسن التخلص والاستطراد فاما المجاز وما بعده الى الايضاح فقد تقدم بعضها فى أنواع مفردة وبعضها فى نوع الايجاز والاطناب مع أنواع أخر كالتعريض والاحتباك والاكتفاء والطرد والعكس وأما نفى الشىء بايجابه فقد تقدم فى النوع الذى قبل هذا وأما المذهب الكلامى والخمسة بعده فستأتى فى نوع الجدل مع أنواع أخر مزيدة وأما التمكين والثمانية بعده فستأتى فى أنواع الفواصل وأما حسن التخلص والاستطراد فسيأتيان فى نوع المناسبات وأما حسن الابتداء وبراعة الختام فسيأتيان فى نوعى الفواتح والخواتم وها أنا أورد الباقى مع زوائد ونفائس لا توجد مجموعة فى غير هذا الكتاب *

الايهام ويدعى التورية أن يذكر لفظ له معنيان اما بالاشتراك أو التواطؤ أو الحقيقة والمجاز أحدهما قريب والآخر بعيد ويقصد البعيد ويورى عنه بالقريب فيتوهمه السامع من أول وهلة قال الزمخشرى لاترى بابا فى البيان أدق ولا ألطف من التورية ولا أنفع ولا أعون على تعاطى تأويل المتشابهات فى كلام الله ورسوله قال ومن أمثلتها الرحمن على العرش استوى فان الاستواء على

القول رجاء افهامك وهذا المنهاج الذى رأيته ان سلكته يأخذ بيدك ويدلك على رشدك ويغنيك عن ذكر براعته آية آية لك * واعلم انا لم نقصد فيما سطرناه من الآيات وسميناه من السور والدلالات ذكر الاحسن والاكشف والاظهر لأنا نعتقد فى كل سورة ذكرناها أو اضربنا عن ذكرها اعتقادا واحدا فى الدلالة على الاعجاز والكفاية فى التمنع والبرهان ولكن لم يكن بد من ذكر بعض فذكرنا ماتيسر وقلنا فيما انجه فى الحال وخطر وان كنا نعتقد أن الاعجاز فى بعض القرآن اظهر وفى بعض أدق وأغمض والكلام فى هذا الفصل يجىء بعد هذا فاحفظ عنا فى الجملة ما كررنا والسير بعد ذلك فى التفصيل اليك وحصل ما أعطيناك من العلامة ثم النظر عليك قد اعتمدنا على أن الآيات تنقسم الى قسمين أحدهما مايتم

معنيين الاستقرار فى المكان وهو المعنى القريب الموري به الذى هو غير مقصود لتنزيهه تعالى عنه والثانى الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذى ورى به عنه بالقريب المذكور انتهى وهذه التورية تسمى مجردة لأنها لم يذكر فيها شىء من لوازم الموري به ولا الموري عنه ومنها ما يسمى مرشحة وهى التى ذكر فيها شىء من لوازم هذا أو هذا كقوله تعالى والسماء بنيناها بأيد فانه يحتمل الجارحة وهو الموري به وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود قال ابن أبى الأصبع فى كتابه الاعجاز ومنها قالوا تالله إنك لفى ضلالك القديم فالضلال يحتمل الحب وضد الهدى فاستعمل أولاد يعقوب ضد الهدى تورية عن الحب فاليوم ننجيك ببدنك على تفسيره بالدرع فان البدن يطلق عليه وعلى الجسد والمراد البعيد وهو الجسد قال ومن ذلك قوله بعد ذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى حيث قال ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم ولما كان الخطاب لموسى من الجانب الغربى وتوجهت اليه اليهود وتوجهت النصارى الى المشرق كانت قبلة الاسلام وسطا بين القبلتين قال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أى خيارا وظاهر اللفظ يوهم التوسط مع ما يعضده من توسط قبلة المسلمين صدق على لفظه وسط هاهنا أن يسمى تعالى به لاحتمالها المعنيين ولما كان المراد أبعدهما وهو الخيار صلحت أن تكون من أمثلة التورية * قلت وهى مرشحة تلازم الموري عنه وهو قوله لتكونوا شهداء على الناس فانه من لوازم كونهم خيارا أى عدولا والاتيان قبلها من قسم المجردة ومن ذلك قوله والنجم والشجر يسجدان فان النجم يطلق على الكوكب ويرشحه له ذكر الشمس والقمر وعلى ما لا ساق له من النبات وهو المعنى البعيد له وهو المقصود فى الآية * ونقلت من خط شيخ الاسلام ابن حجر أن من التورية فى القرآن قوله تعالى وما ارسلناك إلا كافة للناس فان كافة بمعنى مانع أى تكفهم عن الكفر والمعصية والهاء للمبالغة وهذا معنى بعيد والمعنى القريب المتبادر أن المراد جامعة بمعنى جميعا لكن منع من حمله على ذلك أن التأكيد يتراخى عن المؤكد فكما لا تقول رأيت جميعا الناس لا تقول رأيت كافة الناس * الاستخدام هو والتورية أشرف أنواع البديع وهما سيان بل فضله بعضهم عليها ولهم فيه عبارتان احداهما أن يؤتى بلفظ له معنيان فأكثر مرادا به أحد معانيه ثم يؤتى بضمير مرادا به المعنى الآخر وهذه طريقة السكاكى وأتباعه والأخرى أن يؤتى بلفظ مشترك ثم بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين ومن الآخر الآخر وهذه طريقة بدر الدين بن جماعة فى المصباح ومشى عليها ابن أبى الأصبع ومثله بقوله تعالى لكل أجل كتاب الآية فلفظ كتاب يحتمل الأمد المحتوم والكتاب المكتوب فلفظ أجل يخدم المعنى الأول ويمحو يخدم الثانى ومثل غيره بقوله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فالصلاة يحتمل أن يراد بها فعلها وموضعها وقوله حتى تعلموا ما تقولون يخدم الأول والاطارى سبيل يخدم الثانى قيل ولم يقع فى القرآن على طريقة السكاكى * قلت وقد استخرجت بفكرى آيات على طريقته منها قوله تعالى أتى أمر الله فأمر الله يراد به قيام الساعة والعذاب وبعثة النبى صلى الله عليه وسلم وقد أريد بلفظه الأخير كما أخرج ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس فى قوله تعالى أتى أمر الله قال محمد وأعيد الضمير عليه فى تستعجلوه مرادا به قيام الساعة والعذاب ومنها وهى أظهرها قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فان المراد به آدم ثم أعاد عليه الضمير مرادا به ولده ثم قال ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ومنها قوله تعالى لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم ثم قال قد سألها قوم من قبلكم أى أشياء أخر لأن الاولين لم يسألوا عن الأشياء التى سأل عنها الصحابة فنهوا عن سؤالها

بنفسه او بنفسه وفاصلته فينير فى الكلام انارة النجم فى الظلام والثانى ما يشتمل على كلمتين أو كلمات اذا تأملتها وجدت كل كلمة منها فى نهاية البراعة وغاية البلاغة وانما يبين ذلك بأن تتصور هذه الكلمة مضمنة بين اضعاف كلام كثير أو خطاب طويل فتراها ما بينها تدل على نفسها وتعلو على ما قد قرن منها لعلو جنسها فاذا ضمت الى اخواتها وجاءت فى ذواتها ارتك القلائد منظومة كما كانت تريك عند تأمل الافراد منها اليواقيت منثورة والجواهر مبثوثة ولولا ما أكره من تضمين القرآن فى الشعر لأنشدتك ألفاظا وقعت مضمنة لتعلم كيف تلوح عليه وكيف ترى بهجتها فى أثنائه وكيف تمتاز منه حتى انه لو تأمله من لم يقرأ القرآن لتبين أنه أجنبى من الكلام الذى تضمنه والباب الذى توسطه وأنكر مكانه واستكبر موضعه ثم

* الالتفات نقل الكلام من أسلوب الى آخر أعنى من التكلم أو الخطاب أو الغيبة الى آخر منها بعد التعبير بالأول هذا هو المشهور وقال السكاكى اما ذلك أو التعبير باحدها فيما حقه التعبير بغيره وله فوائد منها تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات والسلامة من الاستمرار على منوال واحد هذه فائدته العامة ويختص كل موضع بنكت ولطائف باختلاف محله كما سنبينه مثاله من التكلم الى الخطاب ووجهه حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه واعطاه فضل عناية تختص بالمواجهة قوله تعالى ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون الاصل واليه أرجع فالتفت من التكلم الى الخطاب ونكتته انه أخرج الكلام فى معرض مناصحته لنفسه وهو يريد نصح قومه تلطفا واعلاما انه يريد لهم ما يريد لنفسه ثم التفت اليهم لكونه فى مقام تخويفهم ودعوتهم الى الله تعالى كذا جعلوا هذه الآية من الالتفات وفيه نظر لانه انما يكون منه اذا قصد الاخبار عن نفسه فى كلا الجملتين وهنا ليس كذلك لجواز أن يريد بقوله ترجعون المخاطبين لا نفسه * واجيب بانه لو كان المراد ذلك لما صح الاستفهام الانكارى لان رجوع العبد إلى مولاه ليس بمستلزم أن يعيده غير ذلك الراجع فالمعنى كيف لا أعبد من اليه رجوعى وانما عدل عن واليه أرجع الى واليه ترجعون لانه داخل فيهم ومع ذلك أفاد فائدة حسنة وهى تنبيههم على انه مثلهم فى وجوب عبادة من اليه الرجوع من أمثلته أيضا قوله تعالى وامرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة * ومثاله من التكلم إلى الغيبة ووجهه أن يفهم السامع ان هذا نمط المتكلم وقصده من السامع حضر أو غاب وانه ليس فى كلامه ممن يتلون ويتوجه ويبدى فى الغيبة خلاف ما نبديه فى الحضور قوله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله والاصل لنغفر لك إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك والاصل لنا أمر امن عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك والاصل منا إنى رسول الله اليكم جميعا الى قوله فآمنوا بالله ورسوله والاصل وبى وعدل عنه لنكتتين احداهما دفع التهمة عن نفسه بالعصبية لها والاخرى تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما تصف به من الصفات المذكورة والخصائص المتلوة ومثاله من الخطاب الى التكلم لم يقع فى القرآن ومثل له بعضهم بقوله فاقض ما أنت قاض ثم قال انا آمنا بربنا وهذا المثال لا يصح لأن شرط الالتفات أن يكون المراد به واحدا ومثاله من الخطاب الى الغيبة حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم والاصل بكم ونكتة العدول عن خطابهم الى حكاية حالهم لغيرهم التعجب من كفرهم وفعلهم إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة وقيل لان الخطاب أولا كان مع الناس مؤمنهم وكافرهم بدليل هو الذى يسيركم فى البر والبحر فلو كان وجرين بكم للزم الذم للجميع فالتفت عن الاول للاشارة الى اختصاصه بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم فى آخر الآية عدولا من الخطاب العام الى الخاص * قلت ورأيت عن بعض السلف فى توجيهه عكس ذلك وهو ان الخطاب أوله خاص وآخره عام فاخرج ابن أبى حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم انه قال فى قوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم قال ذكر الحديث عنهم ثم حدث عن غيرهم ولم يقل وجرين بكم لأنه قصد أن يجمعهم وغيرهم وجرين بهؤلاء وغيرهم من الخلق هذه عبارته فلله در السلف ما كان أوقفهم على المعانى اللطيفة التى يدأب المتأخرون فيها زمانا طويلا ويفنون فيها أعمارهم ثم غايتهم أن يحوموا حول الحمى * ومما ذكر فى توجيهه أيضا انهم وقت الركوب حضروا الا انهم خافوا الهلاك وغلبة الرياح فخاطبهم خطاب الحاضرين ثم لما جرت الرياح بما تشتهى السفن وأمنوا الهلاك لم يبق حضورهم كما كان على عادة الانسان انه اذا أمن غاب قلبه عن ربه فلما غابوا ذكرهم الله بصيغة الغيبة وهذه إشارة صوفية ومن أمثلته أيضا وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون وكره إليكم الكفر والفسوق

تناسبها فى البلاغة والابداع وتماثلها فى السلاسة والاغراب ثم انفرادها بذلك الاسلوب وتخصصها بذلك الترتيب ثم سائر ما قدمنا ذكره مما نكره اعادته وأنت ترى غيره من الكلام يضطرب فى مجاريه ويختل تصرفه فى معانيه ويتفاوت التفاوت الكثير فى طرقه ويضيق به النطاق فى مذاهبه ويرتبك فى اطرافه وجوانبه ويسلمه للتكلف الوحش كثرة تصرفه ويحيله على التصنع الظاهر موارد تنقله وتخلصه ونظم القرآن فى مؤتلفه ومختلفه وفى فصله ووصله وافتتاحه واختتامه وفى كل نهج يسلكه وطريق يأخذ فيه وباب يتهجم عليه ووجه يؤمه على ما وصفه الله تعالى به لا يتفاوت كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا يخرج عن تشابهه وتماثله كما قال قرآنا عربيا غير ذى عوج وكما قال كتابا متشابها

والعصيان اولئك هم الراشدون ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم والاصل عليكم ثم قال وأنتم فيها خالدون فكرر الالتفات ومثاله من الغيبة إلى التكلم الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا سبحان الذى أسرى بعبده الى قوله باركنا حوله لنريه من آياتنا ثم التفت ثانيا الى الغيبة فقال انه هو السميع البصير وعلى قراءة الحسن ليريه بالغيبة يكون التفاتا ثانيا من باركنا وفى آياتنا التفات ثالث وفى انه التفات رابع قال الزمخشرى وفائدته فى هذه الآيات وأمثالها التنبيه على التخصيص بالقدرة وانه لا يدخل تحت قدرة أحد ومثاله من الغيبة إلى الخطاب وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك * ومن محاسنه ماوقع فى سورة الفاتحة فان العبد اذا ذكر الله تعالى وحده ثم ذكر صفاته التى كل صفة منها تبعث على شدة الاقبال وآخرها مالك يوم الدين المفيد انه مالك الامر كله فى يوم الجزاء يجد من نفسه حاملا لا يقدر على دفعه على خطاب من هذه صفاته بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات وقيل انما اختير لفظ الغيبة للحمد وللعبادة الخطاب للاشارة إلى أن الحمد دون العبادة فى الرتبة لانك تحمد نظيره ولا تعبده فاستعمل لفظ الحمد مع الغيبة ولفظ العبادة مع الخطاب لينسب الى العظيم حال المخاطبة والمواجهة ماهو أعلى رتبة وذلك على طريقة التأدب وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال الذين أنعمت عليهم مصرحا بذكر المنعم واسناد الانعام اليه لفظا ولم يقل صراط المنعم عليهم فلما صار الى ذكر الغضب زوى عنه لفظه فلم ينسبه اليه لفظا وجاء باللفظ منحرفا عن ذكر الغاضب فلم يقل غير الذين غضبت عليهم تفاديا عن نسبة الغضب اليه فى اللفظ حال المواجهة وقيل لانه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه الصفات العظيمة من كونه ربا للعالمين ورحمانا ورحيما ومالكا ليوم الدين تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بان يكون معبودا دون غيره مستعانا به فخوطب بذلك لتميزه بالصفات المذكورة تعظيما لشأنه حتى كأنه قيل اياك يامن هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لاغيرك قيل ومن لطائفه التنبيه على ان مبتدأ الخلق للغيبة منهم عنه سبحانه وتعالى وقصورهم عن محاضرته ومخاطبته وقام حجاب العظمة عليهم فاذا عرفوه بماهوله وتوسلوا للقرب بالثناء عليه وأقروا بالمحامد له تعبدوا له بما يليق بهم وتأهلوا لمخاطباته ومناجاته فقالوا إياك نعبد و إياك نستعين

﴿ تنبيهات * الاول ﴾ شرط الالتفات أن يكون الضمير فى المنتقل اليه عائدا فى نفس الامر الى المنتقل عنه ولا يلزم عليه أن يكون فى أنت صديق التفات * الثانى شرطه أيضا أن يكون فى جملتين صرح به صاحب الكشاف وغيره والا يلزم عليه أن يكون نوعا غريبا * الثالث ذكر التنوخى فى الأقصى القريب وابن الاثير وغيرهما نوعا غريبا من الالتفات وهو بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه كقوله غير المغضوب عليهم بعد أنعمت فان المعنى غير الذين غضبت عليهم وتوقف فيه صاحب عروس الأفراح * الرابع قال ابن أبى الأصبع جاء فى القرآن من الالتفات قسم غريب جدا لم أظفر فى الشعر بمثاله وهو أن يقدم المتكلم فى كلامه مذكورين مرتبين ثم يخبر عن الاول منهما وينصرف عن الاخبار عنه الى الاخبار عن الثانى ثم يعود الى الاخبار عن الاول كقوله ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد انصرف عن الاخبار عن الانسان الى الاخبار عن ربه تعالى ثم قال منصرفا عن الاخبار عن ربه تعالى الى الاخبار عن الانسان وانه لحب الخير لشديد قال وهذا يحسن أن يسمى التفات الضمائر * الخامس يقرب من الالتفات نقل الكلام من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجمع لخطاب الآخر ذكره التنوخى وابن الاثير وهو ستة

ولا يخرج عن ابانته كما قال بلسان عربى مبين وغيره من الكلام كثيرا التلون دائم التغير يقف بك على بديع مستحسن ويعقبه قبح مستهجن ويطلع عليك بوجه الحسناء ثم يعرض للهجر بخد القبيحة الشوهاء ويأتيك باللفظة المستنكرة بين الكلمات التى هى كاللآلىء الزهر وقد يأتيك باللفظة الحسنة بين الكلمات البهم قد يقع اليك منه الكلام المشبج والنظم المشوش والحديث المشوه وقد تجد منه مالا يتناسب ولا يتشابه ولا يتالف ولا يتماثل وقد قيل فى وصف ماجرى هذا المجرى

وشعر كبعر الكبش فرق بينه
لسان دعى فى القريض دخيل

(وقال آخر)

وبعض قريض القوم أولاد علة
يكد لسان الناطق المتحفظ

فان قال قائل فقد نجد فى آيات القرآن مايكون نظمه بخلاف ماوصفت

اقسام أيضا مثاله من الواحد إلى الاثنين قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض والى الجمع يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ومن الاثنين إلى الواحد فمن ربكما يا موسى فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى والى الجمع وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة ومن الجمع إلى الواحد وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين والى الاثنين يا معشر الجن والانس ان استطعتم إلى قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان * السادس ويقرب منه أيضا الانتقال من الماضي أو المضارع أو الامر إلى آخر مثاله من الماضي إلى المضارع أرسل الرياح فتثير خرمن السماء فتخطفه الطير إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والى الامر قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم وأحلت لكم الانعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا ومن المضارع إلى الماضي ويوم ينفخ في الصور فصعق ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم والى الامر قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء ومن الامر إلى الماضي واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا والى المضارع وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون * الاطراد هو أن يذكر المتكلم أسماء آباء الممدوح مرتبة على حكم ترتيبها في الولادة قال ابن أبي الاصبع ومنه في القرآن قوله تعالى حكاية عن يوسف واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب قال وانما لم يأت به على الترتيب المألوف فان العادة الابتداء بالأب ثم الجد ثم الجد الاعلى لانه لم يرد هنا مجرد ذكر الآباء وانما ذكرهم ليذكر ملتهم التي اتبعها فبدأ بصاحب الملة ثم بمن أخذها عنه أولا فاولا على الترتيب ومثله قول أولاد يعقوب نعبد إلهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق * الانسجام هو أن يكون الكلام لخلوه من العقادة منحدرا كتحدر الماء المنسجم ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسهل رقة والقرآن كله كذلك قال أهل البديع واذا قوى الانسجام في النثر جاءت قراءته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه ومن ذلك ما وقع في القرآن موزونا فمنه من بحر الطويل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر * ومن المديد واصنع الفلك بأعيننا * ومن البسيط فاصبحوا لا ترى إلا مساكنهم * ومن الوافر ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ومن الكامل والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ومن الهزج فالقوه على وجه أبي يأت بصيرا ومن الرجز ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ومن الرمل وجفان كالجواب وقدور راسيات ومن السريع أو كالذي مر على قرية ومن المنسرح انا خلقنا الانسان من نطفة ومن الخفيف لا يكادون يفقهون حديثا ومن المضارع يوم التناد يوم تولون مدبرين ومن المقتضب في قلوبهم مرض ومن المجتث نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم ومن المتقارب وأملي لهم ان كيدي متين * الادماج قال ابن أبي الاصبع هو أن يدمج المتكلم غرضا في غرض أو بديعا في بديع بحيث لا يظهر في الكلام الا احد الغرضين أو أحد البديعين كقوله تعالى وله الحمد في الاولى والآخرة أدمجت المبالغة في المطابقة لان انفراده تعالى بالحمد في الآخرة وهي الوقت الذي لا يحمد فيه سواه مبالغة في الوقت بالانفراد بالحمد وهو وان خرج مخرج المبالغة في الظاهر فالامر فيه حقيقة في الباطن فانه رب الحمد والمنفرد به في الدارين اه * قلت والاولى يقال في هذه الآية انها من ادماج غرض في غرض فان الغرض منها تفرده تعالى بوصف الحمد وأدمج فيه الاشارة الى البعث والجزاء * الافتنان هو الاتيان في كلام بفنين مختلفين كالجمع بين الفخر والعزيزة في قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فانه تعالى عزى جميع المخلوقات من الانس والجن والملائكة وسائر أصناف ما هو قابل للحياة وتمدح بالبقاء بعد فناء الموجودات في عشر لفظات مع وصفه ذاته بعد انفراده بالبقاء بالجلال والاكرام سبحانه وتعالى ومنه ثم ننجي الذين اتقوا الآية جمع فيها بين هنا وعزاء * الاقتدار هو أن

ولا تتميز الكلمات بوجه البراعة وانما تكون البراعة عندك منه في مقدار يزيد على الكلمات المفردة وحد يتجاوز حد الألفاظ المستبدة وان كان الاكثر على ما وصفته به قيل له نحن نعلم ان قوله حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم إلى آخر الآية ليس من القبيل الذي يمكن اظهار البراعة فيه وإبانة الفصاحة وذلك يجري عندنا مجرى ما يحتاج إلى ذكره من الاسماء والالقاب فلا يمكن اظهار البلاغة فيه فطلبها في نحو هذا ضرب من الجهالة بل الذي يعتبر في نحو ذلك تنزيل الخطاب وظهور الحكمة في الترتيب والمعنى وذلك حاصل في هذه الآية ان تأملت ألا ترى انه بدأ بذكر الام لعظم حقها وادلائها بنفسها ومكان بعضيتها فهي أصل لكل من يدلي بنفسه منهن لانه ليس في ذوات الانساب أقرب

يبرز المتكلم المعنى الواحد فى عدة صورا قتدارا منه على نظم الكلام وتركيبه على صياغة قوالب المعانى والاغراض فتارة يأتى به فى لفظ الاستعارة وتارة فى صورة الارداف وحينا فى مخرج الايجاز ومرة فى قالب الحقيقة قال ابن أبى الاصبع وعلى هذا أتت جميع قصص القرآن فانك ترى فى الصفة الواحدة التى لا تختلف معانيها تأتى فى صورة مختلفة وقوالب من الالفاظ متعددة حتى لا تكاد تشتبه فى موضعين منه ولا بد أن تجد الفرق بين صورها ظاهرا * ائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه مع المعنى الاول أن تكون الالفاظ يلائم بعضها بعضا بان يقرن الغريب بمثله والمتداول بمثله رعاية لحسن الجوار والمناسبة والثانى أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد وان كان نحيما كانت ألفاظه مفخمة أو جزلة أو غريبا فغريبة أو متداولا فمتداولة أو متوسطا بين الغرابة والاستعمال فكذلك فالاول كقوله تعالى تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أتى باغرب ألفاظ القسم وهى التاء فانها أقل استعمالا وأبعد من افهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو و بأغرب صيغ الافعال التى ترفع الاسماء وتنصب الاخبار فان تزال أقرب إلى الافهام وأكثر استعمالا منها و بأغرب الالفاظ الهلاك وهو الحرض فاقتضى حسن الوضع فى النظم ان تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها فى الغرابة توخيا لحسن الجوار ورعاية فى ائتلاف المعانى بالالفاظ ولتتعادل الالفاظ فى الوضع وتتناسب فى النظم ولما أراد غير ذلك قال وأقسموا بالله جهد أيمانهم فاتى بجميع الالفاظ متداولة لاغرابة فيها ومن الثانى قوله تعالى ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار لما كان الركون إلى الظالم وهو الميل اليه والاعتماد عليه دون مشاركته فى الظلم وجب أن يكون العقاب عليه دون العقاب على الظلم فأتى بلفظ المس الذى هو دون الاحراق والاصطلاء وقوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت أتى بلفظ الاكتساب المشعر بالكلفة والمبالغة فى جانب السيئة لثقلها وكذا قوله فكبكبوا فيها فانه أبلغ من كبوا للاشارة الى أنهم مكبون كبا عنيفا فظيعا وهم يصطرخون فانه أبلغ من يصرخون للاشارة إلى أنهم يصرخون صراخا منكرا خارجا عن الحد المعتاد وأخذ عزيز مقتدر فانه أبلغ من قادر للاشارة إلى زيادة التمكن فى القدرة وانه لا رد له ولا معقب ومثل ذلك واصطبر فانه أبلغ من اصبر والرحمن فانه أبلغ من الرحيم فانه يشعر باللطف والرفق كما ان الرحمن يشعر بالفخامة والعظمة ومنه الفرق بين سقى وأسقى فانه سقى لما لا كلفة معه فى السقيا ولهذا أورده تعالى فى شراب الجنة فقال وسقاهم ربهم شرابا طهورا وأسقى لما فيه كلفة ولهذا أورده فى شراب الدنيا فقال وأسقيناكم ماء فراتا لأسقيناهم ماء غدقا لان السقيا فى الدنيا لا تخلو من الكلفة أبدا * الاستدراك والاستثناء شرط كونهما من البديع أن يتضمنا ضربا من المحاسن زائدا على ما يدل عليه المعنى اللغوى مثال الاستدراك قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا فانه لو اقتصر على قوله لم تؤمنوا لكان منفردا لهم لانهم ظنوا الاقرار بالشهادتين من غير اعتقاد ايمانا فأوجبت البلاغة ذكر الاستدراك ليعلم ان الايمان موافقة القلب اللسان وان انفرد اللسان بذلك يسمى اسلاما ولا يسمى ايمانا وزاد ذلك إيضاحا بقوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم فلما تضمن الاستدراك إيضاح ما عليه ظاهر الكلام من الاشكال عد من المحاسن ومثال الاستثناء فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فان الاخبار عن هذه المدة بهذه الصيغة يمهد عذر نوح فى دعائه على قومه بدعوة أهلكتهم عن آخرهم إذ لو قيل فلبث فيهم تسعمائة وخمسين عاما لم يكن فيه من التهويل ما فى الأول لأن لفظ الالف فى الاول أول ما يطرق السمع فيشتغل بها عن سماع بقية الكلام واذا جاء الاستثناء لم يبق له بعد ما تقدمه وقع يزيل ما حصل عنده من ذكر الالف * الاقتصاص ذكره ابن فارس وهو أن يكون كلام فى سورة مقتصا من كلام فى سورة أخرى أو فى تلك السورة كقوله تعالى وآتيناه

منها ولما جاء إلى ذوات الاسباب الحق لها حكم الام من الرضاع لان اللحم ينشره اللبن بما يغذوه فيحصل بذلك أيضا لها حكم البعضية فنشر الحرمة بهذا المعنى والحقها بالوالدة وذكر الاخوات من الرضاعة فنبه بها على كل من يدلى بغيرها وجعلها تلو الام من الرضاع والكلام فى اظهار حكم هذه الآية وفوائدها يطول ولم نضع كتابنا لهذا وسبيل هذا ان نذكره فى كتاب معانى القرآن ان سهل الله لنا ملاءه وجمعه فلم تنفك هذه الآية من الحكم التى تخلف حكمة الايجاز فى النظم والتأليف والفائدة التى تنوب مناب العدول عن البراعة فى وجه الترصيف فقد علم السائل انه لم يأت بشىء ولم يهتد للاغراض فى دلالات الكلام وفوائده ومتصرفاته وفنونه ومتوجهاته وقد يتفق فى الشعر ذكر الاسامى فيحسن موقعه كقول ابى داود الاسدى

أجره فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين والآخرة دار ثواب لا عمل فيها فهذا مقتص من قوله تعالى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ومنه ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين مأخوذ من قولهم فأولئك فى العذاب محضرون وقوله ويوم يقوم الاشهاد مقتص من أربع آيات لان الاشهاد أربعة الملائكة فى قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والانبياء فى قوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وأمة محمد فى قوله لتكونوا شهداء على الناس والاعضاء فى قوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم الآية وقوله ويوم التناد قرىء مخففا ومشددا فالأول مأخوذ من قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار والثانى من قوله يوم يفر المرء من أخيه * الابدال هو اقامة بعض الحروف مقام بعض وجعل منه ابن فارس فانفلق أى انفرق ولهذا قال فكان كل فرق فالراء واللام متعاقبان وعن الخليل فى قوله تعالى فجاسوا خلال الديار أنه أريد فجاسوا فجاءت الجيم مقام الحاء وقد قرىء بالحاء أيضا وجعل منه الفارسى انى أحببت حب الخير أى الخيل وجعل منه أبو عبيدة الامكاء وتصدية * تأكيد المدح بما يشبه الذم قال ابن أبى الاصبع هو غاية العزة فى القرآن قال ولم أجد منه فى القرآن الا آية واحدة وهى قوله قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله الآية فان الاستثناء بعد الاستفهام الخارج مخرج التوبيخ على ما عابوا به المؤمنين من الايمان يوهم أن ما يأتى بعده مما يوجب أن ينتقم على فاعله مما يذم فلما أتى بعد الاستثناء بما يوجب مدح فاعله كان الكلام متضمنا تأكيد المدح بما يشبه الذم * قلت ونظيرها قوله وما نقموا إلا ان أغناهم الله ورسوله من فضله وقوله الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله فان ظاهر الاستثناء ان ما بعده حق يقتضى الاخراج فلما كان صفة مدح يقتضى الاكرام لا الاخراج كان تأكيدا للمدح بما يشبه الذم وجعل منه التنوخى فى الاقصى القريب لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما استثنى سلاما سلاما الذى هو ضد اللغو والتأثيم فكان ذلك مؤكدا لانتفاء اللغو والتأثيم انتهى * التفويت هو اتيان المتكلم بمعان شتى من المدح والوصف وغير ذلك من الفنون كل فن فى جملة منفصلة عن أختها مع تساوى الجمل فى الزنة وتكون فى الجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة فمن الطويلة الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين ومن المبسوطة يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى قال ابن أبى الاصبع ولم يأت المركب من القصيرة فى القرآن * التقسيم هو استيفاء أقسام الشىء الموجودة الا الممكنة عقلا نحو هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا إذ ليس فى رؤية البرق الا الخوف من الصواعق والطمع فى الامطار ولا ثالث لهذين القسمين وقوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فان العالم لا يخلوا من هذه الاقسام الثلاثة اما عاص ظالم لنفسه وإما سابق مبادر للخيرات وإما متوسط بينهما مقتصد فيها ونظيرها كنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون وكذا قوله تعالى له ما بين أيدينا وما بين خلفنا وما بين ذلك استوفى أقسام الزمان ولا رابع لها وقوله والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع استوفى أقسام الخلق فى المشى وقوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم استوفى جميع هيآت الذاكر وقوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما استوفى جميع أحوال المتزوجين ولا خامس لها * التدبيج هو ان يذكر المتكلم ألوانا يقصد التورية بها والكناية قال ابن أبى الاصبع كقوله تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف

ان يقتلوك فقد ثلمت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب بأشدهم كلبا على اعدائه وأعزهم فقدا على الاصحاب وقد يتفق ذكر الأسامى فيفسد النظم ويقبح الوزن والآيات الاحكاميات التى لابد فيها من أمر البلاغة يعتبر فيها من الالفاظ ما يعتبر فى غيرها وقد يمكن فيها وكل موضع أمكن ذلك فقد وجد فى القرآن فى بابه ما ليس عليه مزيد فى البلاغة ويجيب النظم ثم فى جملة الآيات ما ان لم تراع البديع البليغ فى الكلمات الافراد والالفاظ الآحاد فقد نجد ذلك مع تركب الكلمتين والثلاث ويطرد ذلك فى الابتداء والخروج والفواصل وما يقع بين الفاتحة والخاتمة من الواسطة أو باجتماع ذلك أو فى بعض ذلك ما يخلف الابداع فى أفراد الكلمات وان كانت الجملة والمعظم على ما سبق الوصف فيه

ألوانها وغرايب سود قال المراد بذلك والله أعلم الكناية عن المشتبه والواضح من الطرق لان الجادة البيضاء هي الطريق التي كثر السلوك عليها جدا وهي أوضح الطرق وأبينها ودونها الحمراء ودون الحمراء السوداء كأنها في الخفاء والالتباس ضد البيضاء في الظهور والوضوح ولما كانت هذه الألوان الثلاثة في الظهور للعين طرفين وواسطة فالطرف الأعلى في الظهور البيضاء والطرف الأدنى في الخفاء السواد والأحمر بينهما على وضع الالوان في التركيب وكانت ألوان الجبال لا تخرج عن هذه الألوان الثلاثة والهداية بكل علم نصب للهداية منقسمة هذه القسمة أتت الآية الكريمة منقسمة كذلك فحصل فيها التدبيج وصحة التقسيم * التنكيت هو ان يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره مما يسد مسده لأجل نكتة في المذكور ترجح مجيئه على سواه كقوله تعالى وانه هو رب الشعرى خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم وهو تعالى رب كل شيء لأن العرب كان ظهر فيهم رجل يعرف بابن أبي كبشة عبد الشعرى ودعا خلقا إلى عبادتها فأنزل الله تعالى وانه هو رب الشعرى التي ادعيت فيها الربوبية * التجريد هو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله مبالغة في كمالها فيه نحو لي من فلان صديق حميم جرد من الرجل الصديق آخر مثله متصفا بصفة الصداقة نحو مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة جردوا من الرجل الكريم آخر مثله متصفا بصفة البركة وعطفوه عليه كأنه غيره وهو هو ومن أمثلته في القرآن لهم فيها دار الخلد ليس المعنى أن الجنة فيها دار الخلد وغير دار خلد بل هي نفسها دار الخلد فكأنه جرد من الدار داراً ذكره في المحتسب وجعل منه يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي على أن المراد بالميت النطفة قال الزمخشري وقرأ عبيد بن عمير فكانت وردة كالدهان بالرفع بمعنى حصلت منها وردة قال وهو من التجريد وقرىء أيضا يرثني وارث من آل يعقوب قال ابن جني هذا هو التجريد وذلك أنه يريد وهب لي من لدنك وليا يرثني وارث من آل يعقوب وهو الوارث نفسه فكأنه جرد منه وارثا * التعديد هو ايقاع الالفاظ المفردة على سياق واحد وأكثر ما يوجد في الصفات كقوله هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وقوله التائبون العابدون الحامدون الآية وقوله مسلمات مؤمنات الآية * الترتيب هو أن يورد أوصاف الموصوف على ترتيبها في الخلقة الطبيعية ولا يدخل فيها وصفا زائدا ومثله عبد الباقي اليمني بقوله هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا وبقوله فكذبوه فعقروها الآية * الترقي والتدلي تقدما في نوع التقديم والتأخير * التضمين يطلق على أشياء احدها ايقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه وهو نوع من المجاز تقدم فيه الثاني حصول معنى فيه من غير ذكره باسم هو عبارة عنه وهذا نوع من الايجاز تقدم أيضا * الثالث تعلق ما بعد الفاصلة بها وهذا مذكور في نوع الفواصل * الرابع ادراج كلام الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى أو ترتيب النظم وهذا هو النوع البديعي قال ابن أبي الاصبع ولم أظفر في القرآن بشيء منه الا في موضعين تضمنا فصلين من التوراة والانجيل قوله وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس الآية وقوله محمد رسول الله الآية ومثله ابن النقيب وغيره بايداع حكايات المخلوقين في القرآن كقوله تعالى حكاية عن الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها وعن المنافقين أنؤمن كما آمن السفهاء وقالت اليهود وقالت النصارى قال وكذلك ما أودع فيه من اللغات الاعجمية * الجناس هو تشابه اللفظين في اللفظ قال في كنز البراعة وفائدته الميل الى الاصغاء اليه فان مناسبة الالفاظ تحدث ميلا واصغاء اليها ولان اللفظ المشترك اذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به آخر كان للنفس تشوق اليه وأنواع الجناس كثيرة منها التام بأن يتفقا في أنواع الحروف واعدادها وهيأتها

واذا عرف ما يجري اليه الكلام وينهى اليه الخطاب ويقف عليه الاسلوب ويختص به القبيل بان عند أهل الصنعة تميز بابه وانفراد سبيله ولم يشك البليغ في انتمائه إلى الجهة التي ينتمي اليها ولم يرتب الأديب البارع في انتسابه إلى ما عرف من نهجه وهذا كما يعرف طريقه مترسل في رسالته فهو لا يخفى عليه بناء قاعدته وأساسه فكأنه يرى أنه يعد عليه مجاري حركاته وانفاسه وكذلك في الشعر واختلاف ضروبه يعرف المتحقق به طبع كل أحد وسبيل كل شاعر وفي نظم القرآن أبواب كثيرة لم نستوفها وتقصيها يطول وعجائبها لا تنقضي فنهما اللفظ والاشارات واذا بلغ الكلام من هذا القبيل مبلغا ربما زاد الافهام به على الايضاح أو ساوى مواقع التفسير والشرح مع استيفائه شروطه كان النهاية

كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة قيل ولم يقع منه فى القرآن سواه واستنبط شيخ الاسلام ابن حجر موضعا آخر وهو يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الابصار وأنكر بعضهم كون الآية الاولى من الجناس وقال الساعة فى الموضعين بمعنى واحد * والتجنيس أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى ولا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازا بل يكونان حقيقتين وزمان القيامة وان طال لكنه عند الله فى حكم الساعة الواحدة فاطلاق الساعة على القيامة مجاز وعلى الآخرة حقيقة وبذلك يخرج الكلام عن التجنيس كما لو قلت ركبت حمارا ولقيت حمارا تعنى بليدا * ومنها المصحف ويسمى جناس الخط بأن تختلف الحروف فى النقط كقوله والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين * ومنها المحرف بأن يقع الاختلاف فى الحركات كقوله ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين وقد اجتمع التصحيف والتحريف فى قوله وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا * ومنها الناقص بأن يختلف فى عدد الحروف سواء كان الحرف المزيد أولا أو وسطا أو آخرا كقوله والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق كلى من كل الثمرات * ومنها المذيل بأن يزيد أحدهما أكثر من حرف فى الآخر أو الأول ويسمى بعضهم الثانى بالمتوج كقوله وانظر الى الهك ولكنا كنا مرسلين من آمن بالله ان ربهم بهم مذبذبين بين ذلك * ومنها المضارع وهو أن يختلفا بحرف مقارب فى المخرج سواء كان فى الاول أو الوسط أو الآخر كقوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه * ومنها اللاحق بأن يختلفا بحرف غير مقارب فيه كذلك كقوله ويل لكل همزة لمزة وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون واذا جاءهم أمر من الامن ومنها المرفق وهو ما تركب من كلمة وبعض أخرى كقوله جرف هار فانهار ومنها اللفظى بأن يختلفا بحرف مناسب للآخر مناسبة لفظية كالضاد والظاء كقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومنها تجنيس القلب بأن يختلفا فى ترتيب الحروف نحو فرقت بين بنى اسرائيل ومنها تجنيس الاشتقاق بأن يجتمعا فى أصل الاشتقاق ويسمى المقتضب نحو فروح وريحان فأقم وجهك للدين القيم وجهت وجهى ومنها تجنيس الاطلاق بأن يجتمعا فى المشابهة فقط كقوله وجنى الجنتين قال انى لعملكم من القالين ليريه كيف يوارى وان يردك بخير فلا راد لفضله اثاقلتم الى الأرض ارضيتم واذا أنعمنا على الانسان أعرض الى قوله فذو دعاء عريض (كذا) لكون الجناس من المحاسن اللفظية لا المعنوية ترك عند قوة المعنى كقوله تعالى وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين قيل ما الحكمة فى كونه لم يقل وما أنت بمصدق فانه يؤدى معناه مع رعاية التجنيس * وأجيب بأن فى مؤمن لنا من المعنى ما ليس فى مصدق لان معنى قولك فلان مصدق لى قال لى صدقت وأما مؤمن معناه مع رعاية التصديق اعطاء الامن ومقصودهم التصديق وزيادة وهو طلب الامن فلذلك عبر به وقد زل بعض الادباء فقال فى قوله أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين لو قال وتدعون لكان فيه مراعاة التجنيس * وأجاب الامام فخر الدين بأن فصاحة القرآن ليست لرعاية هذه التكلفات بل لاجل قوة المعانى وجزالة الالفاظ * وأجاب غيره بأن مراعاة المعانى أولى من مراعاة الالفاظ ولو قال أتدعون وتدعون لوقع الالتباس على القارىء فيجعلهما بمعنى واحد تصحيفا وهذا الجواب غير ناضج وأجاب ابن الزملكانى بأن التجنيس تحسين وانما يستعمل فى مقام الوعد والاحسان لا فى مقام التهويل وأجاب الحوبى بأن تدع أخص من تذر بمعنى ترك الشىء مع اعتنائه بشهادة الاشتقاق نحو الابداع فانه عبارة عن ترك الوديعة مع الاعتناء بحالها ولهذا يختار لها من هو مؤتمن عليها ومن ذلك الدعة بمعنى الراحة وأما تذر فمعناه الترك مطلقا أو الترك مع الاعراض

فى معناه وذلك كقوله سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير فصول هذه الآية وكلماتها على ما شرحناه من قبل البلاغة واللطف فى التقدم وفى تضمن هذا الأمر العظيم والمقام الكريم ويتلو هذه قوله وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل هذا خروج لو كان فى غير هذا الكلام لتصور فى صورة المنقطع وقد تمثل فى هذا النظم لبراعته وعجيب أمره وموقع ما لا ينفك منه القول وقد يتبرأ الكلام المتصل بعضه من بعض ويظهر عليه التنبيج والتباين للخلل الواقع فى النظم وقد تصور هذا الفصل للطفه وصلا ولم يبن عليه تميز الخروج ثم انظر كيف أجرى هذا الخطاب الى ذكر نوح وكيف أثنى عليه وكيف يليق صفته بالفاصلة ويتم النظم بها مع

والرفض الكلى قال الراغب يقال فلان يذر الشىء أى يقذفه لقلة الاعتداد به ومنه الوزرة قطعة من اللحم لقلة الاعتداد به ولا شك أن السياق انما يناسب هذا دون الاول فاريدهنا تبشيع حالهم فى الاعراض عن ربهم وانهم بلغوا الغاية فى الاعراض انتهى * الجمع هو أن يجمع بين شيئين أو أشياء متعددة فى حكم كقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا جمع المال والبنون فى الزينة وكذا قوله الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان * الجمع والتفريق هو أن تدخل شيئين فى معنى وتفرق بين جهتى الادخال وجعل منه الطيبى قوله الله يتوفى الأنفس حين موتها الآية جمع النفسين فى حكم التوفى ثم فرق بين جهتى التوفى بالحكم بالامساك والارسال أى الله يتوفى الانفس التى تقبض والتى لم تقبض فيمسك الاولى ويرسل الاخرى * الجمع والتقسيم وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه كقوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات * الجمع مع التفريق والتقسيم كقوله تعالى يوم يأت لا تكلم نفس إلا باذنه الآيات فالجمع فى قوله لا تكلم نفس إلا باذنه لانها متعددة معنى إذ النكرة فى سياق النفى تعم والتفريق قوله فمنهم شقى وسعيد والتقسيم قوله فأما الذين شقوا وأما الذين سعدوا * جمع المؤتلف والمختلف هو أن تريد التسوية بين الزوجين فتأتى بمعان مؤتلفة فى مدحها وتروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا تنقص الآخر فتأتى لأجل ذلك بمعان تخالف معنى التسوية كقوله تعالى وداود وسليمان إذ يحكمان الآية سوى فى الحكم والعلم وزاد فضل سليمان بالفهم * حسن النسق هو أن يأتى المتكلم بكلمات متتاليات معطوفات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا بحيث اذا أفردت كل جملة منه قامت بنفسها واستقل معناها بلفظها ومنه قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك الآية فان جمله معطوف بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذى تقتضيه البلاغة من الابتداء بالاسم الذى هو انحسار الماء عن الارض المتوقف عليه غاية مطلوب أهل السفينة من الاطلاق من سجنها ثم انقطاع مادة السماء المتوقف عليه تمام ذلك من دفع أذاه بعد الخروج ومنه اختلاف ما كان بالارض ثم الاخبار بذهاب الماء بعد انقطاع المادتين الذى هو متأخر عنه قطعا ثم بقضاء الأمر الذى هو هلاك من قدر هلاكه ونجاة من سبق نجاته وأخر عما قبله لان علم ذلك لاهل السفينة بعد خروجهم منها وخروجهم موقوف على ما تقدم ثم أخبر باستواء السفينة واستقرارها المفيد ذهابه الخوف وحصول الامن من الاضطراب ثم ختم بالدعاء على الظالمين لافادة أن الغرق وان عم الأرض فلم يشمل إلا من استحق العذاب لظلمه * عتاب المرء نفسه منه ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى الآيات وقوله أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله الآيات * العكس هو أن يؤتى بكلام يقدم فيه جزء ويؤخر آخر ثم يقدم المؤخر ويؤخر المقدم كقوله تعالى ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وقد سئل عن الحكمة فى عكس هذا اللفظ * فأجاب ابن المنير بأن فائدته الاشارة الى أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب الحق أن كل واحد من فعل المؤمنة والكافر منفى عنه الحل أما فعل المؤمنة فيحرم لانها مخاطبة وأما فعل الكافر فنفى عنه الحل باعتبار أن هذا الوطء مشتمل على المفسدة فليس الكفار موردا لخطاب بل الأئمة ومن قام مقامهم مخاطبون بمنع ذلك لان الشرع أمر باخلاء الوجود من المفاسد فاتضح أن المؤمنة نفى عنها الحل باعتبار والكافر نفى عنه الحل باعتبار قال ابن أبى الاصبع ومن غريب أسلوب هذا النوع قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر

خروجها مخرج البروز من الكلام الاول الى ذكره واجرائه الى مدحه بشكره وكونهم من ذريته يوجب عليهم أن يسيروا بسيرته وأن يستنوا بسنته فى أن يشكروا كشكره ولا يتخذوا من دون الله وكيلا وان يعتقدوا تعظيم تخليصه اياهم من الطوفان لما حملهم عليه ونجاهم فيه حين أهلك من عداهم به وقد عرفهم انه انما يؤاخذهم بذنوبهم وفسادهم فيما سلط عليهم من قبلهم وعاقبهم ثم عاد عليهم بالافضال والاحسان حتى يتذكروا ويعرفوا قدر نعمة الله عليهم وعلى نوح الذى ولدهم وهم من ذريته فلما عادوا الى جهالتهم وتمردوا فى طغيانهم عاد عليهم بالتعذيب ثم ذكر الله عز وجل فى ثلاث آيات بعد ذلك معنى هذه القصة التى كانت لهم بكلمات قليلة فى العدد كثيرة الفوائد لا يمكن شرحها الا بالتفصيل

أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن فان نظم الآية الثانية عكس نظم الاولى لتقديم العمل فى الاولى على الايمان وتأخيره فى الثانية عن الاسلام ومنه نوع يسمى القلب والمقلوب المستوى ومالا يستحيل بالانعكاس وهو ان تقرأ الكلمة من آخرها الى أولها كما تقرأ من أولها الى آخرها كقوله تعالى كل فى فلك وربك فكبر ولا ثالث لهما فى القرآن * العنوان قال ابن أبى الاصبع هو أن يأخذ المتكلم فى عرض فيأتى لقصد تكميله وتأكيده بامثلة فى ألفاظ تكون عنوانا لاخبار متقدمة وقصص سالفة ومنه نوع عظيم جدا وهو عنوان العلوم بان يذكر فى الكلام ألفاظا تكون مفاتيح العلوم ومداخل لها فمن الاول قوله تعالى واتل

الكثير والكلام الطويل ثم لم يخل تضاعف الكلام مما ترى من الموعظة على أعجب تدريج وأبدع تاريخ بقوله ان أحسنتم

قوله ألم يجدك يتيما فآوى وأما السائل فلا تنهر راجع الى قوله ووجدك ضالا فان المراد السائل عن العلم كما فسره مجاهد وغيره وأما بنعمة ربك فحدث راجع الى قوله ووجدك عائلا فاغنى رأيت هذا المثال فى شرح الوسيط للنووى المسمى بالتنقيح والثانى أن يكون على عكس ترتيبه كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الخ وجعل منه جماعة قوله تعالى حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب قالوا متى نصر الله قريب قول الذين آمنوا ألا إن نصر الله قريب قول الرسول وذكر الزمخشرى له قسما آخر كقوله تعالى ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله قال هذا من باب اللف وتقديره ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين منامكم وابتغاؤكم بالليل والنهار لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشىء واحد مع اقامة اللف على الاتحاد * المشاكلة ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقا أو تقديرا فالاول كقوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ومكروا ومكر الله فان اطلاق النفس والمكر فى جانب البارى تعالى لمشاكلة ما معه وكذا قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها لان الجزاء حق لا يوصف بانه سيئة فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فاليوم ننساكم كما نسيتم ويسخرون منهم سخر الله منهم انما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم ومثال التقديرى قوله تعالى صبغة الله أى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون انه تطهير لهم فعبر عن الايمان بصبغة الله للمشاكلة بهذه القرينة * المزاوجة أن يزاوج بين معنيين فى الشرط والجزاء أو ما جرى مجراها كقوله

اذا ما نهى الناهى فلج بى الهوى ... اصاخت الى الواشى فلج بها الهجر

ومنه فى القرآن آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين * المبالغة أن يذكر المتكلم وصفا فيزيد فيه حتى يكون أبلغ فى المعنى الذى قصده وهى ضربان مبالغة بالوصف بان يخرج الى حد الاستحالة ومنها يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ومبالغة بالصيغة وصيغ المبالغة فعلان كالرحمن وفعيل كالرحيم وفعال كالتواب والغفار والقهار وفعول كغفور وشكور وودود وفعل كحذر واشر وفرح وفعال بالتخفيف كعجاب وبالتشديد ككبار وفعل كلبد وكبر وفعلى كالعليا والحسنى وشورى والسوأى ﴿فائدة﴾ الاكثر على ان فعلان أبلغ من فعيل ومن ثم قيل الرحمن أبلغ من الرحيم ونصره السهيلى بانه ورد على صيغة التثنية والتثنية تضعيف فكان البناء تضاعفت فيه الصفة وذهب ابن الانبارى الى ان الرحيم أبلغ من الرحمن ورجحه ابن عسكر بتقديم الرحمن عليه وبانه جاء على صيغة الجمع كعبيد وهو أبلغ من صيغة التثنية وذهب قطرب الى انهما سواء ﴿فائدة﴾ ذكر البرهان الرشيدى ان صفات الله التى على صيغة المبالغة كلها مجاز لانها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لان المبالغة ان تثبت للشىء أكثر مما له وصفاته تعالى متناهية فى الكمال لا يمكن المبالغة فيها وأيضا فالمبالغة تكون فى صفات تقبل الزيادة والنقصان وصفات الله منزهة عن ذلك واستحسنه الشيخ تقى الدين السبكى وقال الزركشى فى البرهان التحقيق ان صيغ المبالغة قسمان أحدهما ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل والثانى بحسب تعدد المفعولات ولا شك ان تعددها لا يوجب للفعل زيادة اذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين وعلى هذا القسم تنزل صفاته تعالى ويرتفع الاشكال ولهذا قال بعضهم فى حكيم معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة الى الشرائع وقال فى الكشاف المبالغة فى التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده أو لانه بليغ فى قبول التوبة نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه وقد أورد بعض

الفضلاء

بشعر امرىء القيس لاضل من حمار أهله وأحمق من هبنقة لو كان شعره كله كالابيات المختارة التى قدمناها لأوجب البراءة من قوله

وسن كسنيق سناء وسنما ... ذعرت بمدلاج الهجير نهوض

قال الاصمعى لا أدرى ما السن ولا السنيق ولا التسنم وقال بعضهم السنيق اكمة وقال فيها له قصر باعير وساقا نعامة ... كنحل الهجان القيصرى العضوض

وقوله

عصافير وذبان ودود ... وأجرأ من مجلجلة الذباب

وزاد فى تقبيح ذلك وقوعه فى أبيات فيها

فقد طوفت فى الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالاياب

وكل مكارم الاخلاق ... صارت

اليه همتى ونما اكتسابى

وكقوله فى قصيدة قالها فى نهاية السقوط

أزمان فوها كلما نبهتها ... كالمسك فاح وظل فى القدام

الفضلاء سؤالا على قوله والله على كل شيء قدير وهو أن قديرا من صيغ المبالغة فيستلزم الزيادة على معنى قادر والزيادة على معنى قادر محال اذ الايجاد من واحد لا يمكن فيه التفاضل باعتبار كل فرد فرد * وأجيب بأن المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها إلى مجموع الأفراد التي دل السياق عليها فهي بالنسبة إلى كثرة المتعلق لا الوصف * المطابقة وتسمى الطباق الجمع بين متضادين في الجملة وهو قسمان حقيقي ومجازي والثاني يسمى التكافؤ وكل منهما إما لفظي أو معنوي واما طباق ايجاب أو سلب فمن أمثلة ذلك فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وانه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ومن أمثلة المجازي أو من كان ميتا فأحييناه أي ضالا فهديناه ومن أمثلة طباق السلب تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فلا تخشوا الناس واخشوني ومن أمثلة المعنوي ان أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون معناه ربنا يعلم انا لصادقون جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء قال أبو علي الفارسي لما كان البناء رفعا للمبنى قوبل بالفراش الذي هو على خلاف البناء ومنه نوع يسمى الطباق الخفي كقوله مما خطاياكم اغرقوا فادخلوا نارا لان الغرق من صفات الماء فكأنه جمع بين الماء والنار قال ابن منقذ وهي أخفى مطابقة في القرآن وقال ابن المعتز من أملح الطباق وأخفاه قوله تعالى ولكم في القصاص حياة لان معنى القصاص القتل فصار القتل سبب الحياة ومنه نوع يسمى ترصيع الكلام وهو اقتران الشيء بما يجتمع معه في قدر مشترك كقوله ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى أي بالجوع مع العرى وبابه أن يكون مع الظمأ وبالضحى مع الظمأ وبابه أن يكون مع العرى لكن الجوع والعرى اشتركا في الخلو فالجوع خلو الباطن من الطعام والعرى خلو الظاهر مع اللباس والظمأ والضحى اشتركا في الاحتراق فالظمأ احتراق الباطن من العطش والضحى احتراق الظاهر من حر الشمس ومنه نوع يسمى المقابلة وهي أن يذكر لفظان فأكثر ثم اضدادها على الترتيب قال ابن أبي الاصبع والفرق بين الطباق والمقابلة من وجهين أحدهما أن الطباق لا يكون الا من ضدين فقط والمقابلة لا تكون الا بما زاد من الاربعة الى العشرة والثاني أن الطباق لا يكون الا باضداد والمقابلة بالاضداد بغيرها قال السكاكي ومن خواص المقابلة أنه إذا شرط في الأول أمر شرط في الثاني ضده كقوله تعالى فأما من أعطى واتقى الآيتين قابل بين الاعطاء والبخل والاتقاء والاستغناء والتصديق والتكذيب واليسرى والعسرى ولما جعل التيسير في الأول مشتركا بين الاعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده وهو التعسير مشتركا بين اضدادها وقال بعضهم المقابلة اما الواحد بواحد وذلك قليل جدا كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم أو اثنين باثنين كقوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وثلاثة بثلاثة كقوله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث واشكروا لي ولا تكفرون أو أربعة بأربعة كقوله فأما من أعطى الآيتين أو خمسة بخمسة كقوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما الآيات قابل بين بعوضة فما فوقها وبين فأما الذين آمنوا وأما الذين كفروا وبين يضل ويهدي وبين ينقضون وميثاقه وبين يقطعون وأن يوصل أو ستة بستة كقوله زين للناس حب الشهوات الآية ثم قال قل أؤنبئكم الآية قابل الجنات والانهار والخلد والازواج والتطهير والرضوان بازاء النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث وقسم آخر المقابلة إلى ثلاثة أنواع نظيري ونقيضي وخلافي مثال الاول مقابلة السنة بالنوم في الآية الاولى فانهما جميعا من باب الرقاد المقابل باليقظة في آية وتحسبهم أيقاظا وهم رقود وهذا مثال الثاني فانهما نقيضان ومثال الثالث مقابلة الشر بالرشد في قوله افالا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا فانهما خلافان لا نقيضان فان نقيض

أفلا ترى أظعانهن بواكرا
كالنحل من شوكان حين صرام
وكان شاربها أصاب لسانه
موم يخالط جسمه بقام
وكقوله
لم يفعلوا فعل آل حنظلة
انهم جير بئسما ائتمروا
لا حميري وفي ولا عدس
ولا استعير يحكها الثفر
ان بني عوف ابتنوا حسبا
ضيعه الداخلون اذ غدوا
وكقوله
ابلغ شهابا وابلغ
هل أتاك الحيز مال
انا تركنا منكم قتلى
بخوعي وسبيا كالسعالى
يمشين بين رحالنا
معترفات بجوع وهزال
ولم يقع مثل ذلك له وحده
فقد قال الاعشى
فادخلك الله بردا الجنان
جذلان في مدخل طيب
وقال أيضا
فرميت غفلة عينه عن شأنه
فأصبت حبة قلبها وطحالها
وقال في فرسه
ويامر لليحموم كل عشية
بقت وتعليق فقد كاد يسنق
وقال
شأ ومشل شلول شلشل شول

الشر الخير والرشد الغى * المواربة براء مهملة وباء موحدة أن يقول المتكلم قولا يتضمن ما ينكر عليه فاذا حصل الانكار واستحضر بحذقه وجها من الوجوه يتخلص به اما بتحريف كلمة أو تصحيفها أو زيادة أو نقص قال ابن أبى الاصبع ومنه قوله تعالى حكاية عن أكبر أولاد يعقوب ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق فانه قرىء ان ابنك سرق ولم يسرق فأتى بالكلام على الصحة بابدال ضمة من فتحة وتشديد الراء وكسرتها * المراجعة قال ابن أبى الاصبع هى أن يحكى المتكلم مراجعة فى القول جرت بينه وبين محاور له باوجز عبارة وأعدل سبك وأعذب ألفاظ ومنه قوله تعالى قال انى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين جمعت هذه القطعة وهى بعض آية ثلاث مراجعات فيها معانى الكلام من الخبر والاستخبار والامر والنهى والوعد والوعيد بالمنطوق والمفهوم * قلت أحسن من هذا أن يقال جمعت الخبر والطلب والاثبات والنفى والتأكيد والحذف والبشارة والنذارة والوعد والوعيد * النزاهة هى خلوص ألفاظ الهجاء من الفحش حتى يكون كما قال أبو عمرو بن العلاء وقد سئل عن أحسن الهجاء هو الذى إذا أنشدته العذراء فى خدرها لا يقبح عليها ومنه قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ثم قال أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون فان ألفاظ ذم هؤلاء المخبر عنهم بهذا الخبر أتت منزهة عما يقبح فى الهجاء من الفحش وسائر هجاء القرآن كذلك * الابداع بالباء الموحدة أن يشتمل الكلام على عدة ضروب من البديع قال ابن أبى الاصبع ولم أر فى الكلام مثل قوله تعالى يا أرض ابلعى ماءك فان فيها عشرين ضربا من البديع وهى سبع عشرة لفظة وذلك المناسبة التامة فى ابلعى واقلعى والاستعارة فيهما والطباق بين الأرض والسماء والمجاز فى قوله يا سماء فان الحقيقة يا مطر السماء والاشارة فى وغيض الماء فانه عبر به عن معان كثيرة لان الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الارض ما يخرج منها من عيون الماء فينقص الحاصل على وجه الارض من الماء * والارداف فى واستوت * والتمثيل فى وقضى الأمر * والتعليل فان غيض الماء علة الاستواء * وصحة التقسيم فانه استوعب فيه اقسام الماء حالة نقصه إذ ليس إلا احتباس ماء السماء والماء النابع من الأرض وغيض الماء الذى على ظهرها * والاحتراس فى الدعاء لئلا يتوهم ان الغرق لعمومه يشمل من لا يستحق الهلاك فان عدله تعالى يمنع أن يدعو على غير مستحق * وحسن النسق وائتلاف اللفظ مع المعنى والايجاز فانه تعالى قص القصة مستوعبة باخصر عبارة * والتسهيم فان أول الآية يدل على آخرها * والتهذيب لأن مفرداتها موصوفة بصفات الحسن كل لفظة سهلة مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة وعقادة التركيب * وحسن البيان من جهة ان السامع لا يتوقف فى فهم معنى الكلام ولا يشكل عليه شىء منه * والتمكين لأن الفاصلة مستقرة فى محلها مطمئنة فى مكانها غير قلقة ولا مستدعاة * والانسجام هذا ماذكره ابن أبى الاصبع قلت وفيها أيضا الاعتراض

﴿ النوع التاسع والخمسون * فى فواصل الآى ﴾ الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع وقال الدانى كلمة آخر الجملة قال الجعبرى وهو خلاف المصطلح ولا دليل له فى تمثيل سيبويه يوم يأتى وما كنا نبغى وليسا رأس آية لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية وقال القاضى أبو بكر الفواصل حروف متشاكلة فى المقاطع يقع بها افهام المعانى وفرق الدانى بين الفواصل ورءوس الآى فقال الفاصلة هى الكلام المنفصل عما بعده والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس وكذلك الفواصل يكن رءوس آى وغيرها وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة

وهذه الألفاظ فى معنى واحد وقد وقع لزهير نحوه كقوله

فأقسمت جهدا بالمنازل من منى
وما سفحت فيه المقادم والقمل

كيف يقال هذا فى قصيدة يقول فيها

وهل ينبت الخطى الا وشيجه
وتغرس الا فى منابتها النخل
وكقول الطرماح
سوف تدنيك من لميس سبنتاة
امارات بالبول ماء الكراض
السبنتاة الناقة الصلبة والكراض ماء الفحل
أسالت ماء الفحل مع البول
فلم تعقد عليه ولم تحمل
فتضعف والمائر السائل
فان قال قائل أجدك تحاملت على امرىء القيس ورأيت ان شعره يتفاوت بين اللين والشراسة وبين اللطف والشكاسة وبين التوحش والاستئناس والتقارب والتباعد ورأيت الكلام الاعدل أفضل والنظام المستوثق أكمل وأنت تجد البحترى يسبق فى

رأس آية قال ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه فى تمثيل القوافى يوم يأت وما كنا نبغ وليسار أس آية باجماع مع اذا يسر وهو رأس آية باتفاق وقال الجعبرى لمعرفة الفواصل طريقان توقيفي وقياسى أما التوقيفى فما ثبت انه ﷺ وقف عليه دائما تحققنا انه فاصلة وماوصله دائما تحققنا انه ليس بفاصلة وماوقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة أو لتعريف الوقف التام أو للاستراحة والوصل أن يكون غير فاصلة أوفاصلة وصلها لتقدم تعريفها وأما القياسى فهو ما الحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب ولا محذور فى ذلك لأنه لازيادة فيه ولا نقصان وانما غايته انه محل فصل أو وصل والوقف على كل كلمة كلمة جائز ووصل القرآن كله جائز فاحتاج القياس الى طريق تعرفه فنقول فاصلة الآية كقرينة السجعة فى النثر وقافية البيت فى الشعر وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحركة والاشباع والتوجيه فليس بعيب فى الفاصلة وجاز الانتقال فى الفاصلة والقرينة وقافية الارجوزة من نوع الى آخر بخلاف قافية القصيدة ومن ثم ترى ترجعون مع عليم والميعاد مع الثواب والطارق مع الثاقب والأصل فى الفاصلة والقرينة المتجردة فى الآية والسجعة المساواة ومن ثم أجمع العادون على ترك عد آيات بآخرين ولا الملائكة المقربون فى النساء وكذب بها الأولون بسبحان ولتبشر به المتقين بمريم ولعلهم يتقون بطه ومن الظلمات الى النور وإن الله على كل شىء قدير بالطلاق حيث لم يشا كل طرفيه وعلى ترك عد أفغير دين الله يبغون أفحكم الجاهلية يبغون وعدوا نظائرها للمناسبة نحو يا أولى الألباب يا آل عمران وعلى الله كذبا بالكهف والسلوى بطه وقال غيره تقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها وهى الطريقة التى يباين القرآن بها سائر الكلام وتسمى فواصل لأنه ينفصل عنده الكلامان وذلك ان آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها وأخذ من قوله تعالى كتاب فصلت آياته ولا يجوز تسميتها قوافى إجماعا لأن الله تعالى لما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضا لانها منه وخاصة به فى الاصطلاح وكما يمتنع استعمال القافية فيه يمتنع استعمال الفاصلة فى الشعر لانها صفة لكتاب الله تعالى فلا تتعداه وهل يجوز استعمال السجع فى القرآن خلاف الجمهور على المنع لأن أصله من سجع الطير فشرف القرآن أن يستعار لشىء منه لفظ أصله مهمل ولاجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث فى وصفه بذلك ولأن القرآن من صفاته تعالى فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الاذن بها قال الرمانى فى اعجاز القرآن ذهب الاشعرية الى امتناع أن يقال فى القرآن سجع وفرقوا بأن السجع هو الذى يقصد فى نفسه ثم يحال المعنى عليه والفواصل التى تتبع المعانى ولا تكون مقصودة فى نفسها قال ولذلك كانت الفواصل بلاغة والسجع عيبا وتبعه على ذلك القاضى أبو بكر الباقلانى ونقله عن نص أبى الحسن الاشعرى وأصحابنا كلهم قال وذهب كثير من غير الاشاعرة الى إثبات السجع فى القرآن وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام وانه من الاجناس التى يقع بها التفاضل فى البيان والفصاحة كالجناس والالتفات ونحوهما قال وأقوى ما استدلوا به الاتفاق على ان موسى أفضل من هرون لمكان السجع قيل فى موضع هرون وموسى ولما كانت الفواصل فى موضع آخر بالواو والنون قيل موسى وهرون قالوا وهذا يفارق أمر الشعر لانه لا يجوز أن يقع فى الخطاب الامقصودا اليه واذا وقع غير مقصود اليه كان دون القدر الذى نسميه شعرا وذلك القدر مما يتفق وجوده من المفحم كما يتفق وجوده من الشاعر وأما ما جاء فى القرآن من السجع فهو كثير لا يصح أن يتفق غير مقصود اليه وبنوا الامر فى ذلك على تحديد معنى السجع فقال أهل اللغة هو موالاة الكلام على حد واحد وقال ابن دريد سجعت الحمامة معناه رددت صوتها قال القاضى

هذا الميدان ويفوت الغاية فى هذا الشان وأنت ترى الكتاب يفضلون كلامه على كل كلام ويقدمون رأيه فى البلاغة على كل رأى وكذلك تجد لأبى نواس من بهجة اللفظ ودقيق المعنى ما يتحير فيه أهل اللفظ ويقدمه الشطار والظراف على كل شاعر ويرون لنظمه روعة لا يرون لنظم غيره موزبرجا لا يتفق لسواه فكيف يعرف فضل ماسواه عليه فالجواب ان الكلام فى أن الشعر لا يجوز أن يوازن به القرآن قد تقدم واذ كنا قد بينا ان شعر امرئ القيس وهو كبيرهم الذى يقرون بتقدمه وشيخهم الذى يقرون بفضله وقائدهم الذى يأتمون به وإمامهم الذى يرجعون اليه كيف سبيله وكيف طريق منزلته عن منزلة نظم القرآن وانه لا يخلط بشعره غبار ذلك النظم وهو إذا لحظ ذلك كان كما قال فأصبحت من ليلى الغداة كناظر

وهذا غير صحيح ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك اعجاز ولو جاز أن يقال هو سجع معجز لجاز أن يقولوا شعر معجز وكيف والسجع مما كان تألفه الكهان من العرب وتنفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفى الشعر لأن الكهانة تنافى النبوات بخلاف الشعر وقد قال ﷺ أسجع كسجع الكهان فجعله مذموما وقال وما توهموا انه سجع باطل لان مجيئه على صورته لا يقتضى كونه هو ولأن السجع يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع وليس كذلك ما اتفق مما هو فى معنى السجع من القرآن لان اللفظ وقع فيه تابعا للمعنى وفرق بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود منه وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان افادة السجع كافادة غيره ومتى انتظم فى المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى قال وللسجع منهج محفوظ وطريق مضبوط من أخل به وقع الخلل فى كلامه ونسب الى الخروج عن الفصاحة كما ان الشاعر اذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئا وأنت ترى فواصل القرآن متفاوتة بعضها متدانى المقاطع وبعضها يمتد حتى يتضاعف طوله عليه وترد الفاصلة فى ذلك الوزن الاول بعد كلام كثير وهذا فى السجع غير مرضى ولا محمود قال وأما ما ذكر من تقديم موسى على هرون فى موضع وتأخيره عنه فى موضع لمكان السجع وتساوى مقاطع الكلام فليس بصحيح بل القاعدة فيه اعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدى معنى واحدا وذلك الامر الصعب الذى تظهر فيه الفصاحة وتتبين فيه البلاغة ولهذا أعيدت كثير من القصص على ترتيبات متفاوتة تنبيها بذلك على عجزهم عن الاتيان بمثله مبتدأ به ومتكررا ولو أمكنهم المعارضة لقصدوا تلك القصة وعبروا عنها بألفاظ لم تؤد الى تلك المعانى ونحوها فعلى هذا القصد بتقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرها اظهار الاعجاز دون السجع الى أن قال فبان بذلك أن الحروف الواقعة فى الفواصل متناسبة مع النظائر التى تقع فى الاسجاع لا تخرجها عن حدها ولا تدخلها فى باب السجع وقد بينا انهم يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الاجزاء فكان بعض مصاريعه كلمتين وبعضها أربع كلمات ولا يرون ذلك فصاحة بل يرونه عجزا فلو فهموا اشتمال القرآن على السجع لقالوا نحن نعارضه بسجع معتدل يزيد فى الفصاحة على طريقة القرآن اه كلام القاضى فى كتاب الاعجاز ونقل صاحب عروس الافراح عنه انه ذهب فى الانتصار الى جواز تسمية الفواصل سجعا وقال الخفاجى فى سر الفصاحة قول الرمانى ان السجع عيب والفواصل غلط فانه ان أراد بالسجع ما يتبع المعنى وهو غير مقصود بتكلف فذلك بلاغة والفواصل مثله وان أراد به ما تقع المعانى تابعة له وهو مقصود بتكلف فذلك عيب والفواصل مثله وأظن الذى دعاهم الى تسمية جل ما فى القرآن فواصل ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا رغبتهم فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم وهذا غرض فى التسمية قريب والحقيقة ما قلناه قال والتحرير أن الاسجاع حروف متماثلة فى مقاطع الفواصل قال فان قيل اذا كان عندكم ان السجع محمود فهلا ورد القرآن كله مسجوعا وما الوجه فى ورود بعضه مسجوعا وبعضه غير مسجوع * قلنا ان القرآن نزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعاداتهم وكان الفصيح منهم لا يكون كلامه كله مسجوعا لما فيه من أمارات التكلف والاستكراه لاسيما مع طول الكلام فلم يرد كله مسجوعا جريا منه على عرفهم فى اللطافة الغالبة أو الطبقة العالية من كلامهم ولم يخل من السجع لانه يحسن فى بعض الكلام على الصفة السابقة وقال ابن النفيس يكفى فى حسن السجع ورود القرآن به قال ولا يقدح فى ذلك خلوه فى بعض الآيات لأن الحسن قد يقتضى المقام الانتقال الى أحسن منه وقال بعض من الناس من يكره

مع الضبيح فى اعجاز نجم مغرب
وكما قال أيضا
راحت مشرقة ورحت مغربا
فمتى التقاء مشرق ومغرب
واذا كنا قد أبنا فى القاعدة ما علمت وفصلنا لك فى شعره ما عرفت لم نحتج الى أن نتكلم على شعر شاعر وكلام كل بليغ والقليل يدل على الكثير وقد بينا فى الجملة مباينة أسلوب نظم القرآن جميع الاساليب ومزيته عليها فى النظم والترتيب وتقدمه عليها فى كل حكمة وبراعة ثم تكلمنا على التفضيل على ما شهدت ولا يبقى علينا بعد ذلك سؤال ثم نقول أنت تعلم أن من يقول بتقدم البحترى فى الصنعة به من الشغل فى تفضيله على ابن الرومى أو تسوية ما بينهما مالا يطمع معه فى تقديمه على امرئ القيس ومن فى طبقته وكذلك أبو نواس انما يعدل شعره بشعر اشكاله ويقابل

تقطيع الكلام الى مقادير متناسبة الأطراف غير متقاربة فى الطول والقصر لما فيه من التكلف الا ما يقع إلمـاما به فى النادر من الكلام ومنهم من يرى أن التناسب الواقع بافراغ الكلام فى قالب التقفية وتحليتها بمناسبات المقاطع أكيد جدا ومنهم وهو الوسط من يرى أن السجع وان كان زينة للكلام فقد يدعو الى التكلف فرأى أن لا يستعمل فى جملة الكلام وأن لا يخلو الكلام منه جملة وانه يقبل منه ما اجتلبه الخاطر عفوا بلا تكلف قال وكيف يعاب السجع على الاطلاق وانما نزل القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب فوردت الفواصل فيه بازاء ورود الاسجاع فى كلامهم وانما لم يجىء على أسلوب واحد لانه لا يحسن فى الكلام جميعا أن يكون مستمرا على نمط واحد لما فيه من التكلف ولما فى الطبع من الملل ولان الافتنان فى ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد فلهذا وردت بعض آى القرآن متماثلة المقاطع وبعضها غير متماثلة

﴿ فصل ﴾ ألف الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفى كتابا سماه أحكام الراى فى أحكام الآى قال فيه اعلم ان المناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الاصول قال وقد تتبعت الاحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف عن الاربعين حكما أحدها تقديم المعمول إما على العامل نحو أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قيل ومنه واياك نستعين أو على معمول آخر أصله التقديم نحو لنريك من آياتنا الكبرى اذا أعربنا الكبرى مفعول نرى أو على الفاعل نحو ولقد جاء آل فرعون النذر ومنه تقديم خبر كان على اسمها نحو ولم يكن له كفوا أحد * الثانى تقديم ما هو متأخر فى الزمان نحو فلله الآخرة والاولى ولولا مراعاة الفواصل لقدمت الأولى كقوله له الحمد فى الاولى والآخرة * الثالث تقديم الفاضل على الافضل نحو برب هرون وموسى وتقدم ما فيه * الرابع تقديم الضمير على ما يفسره نحو فأوجس فى نفسه خيفة موسى * الخامس تقديم الصفة الجملة على الصفة المفردة نحو وتخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * السادس حذف ياء المنقوص المعرف نحو الكبير المتعال يوم التناد * السابع حذف ياء الفعل غير المجزوم نحو والليل إذا يسر * الثامن حذف ياء الاضافة نحو فكيف كان عذابى ونذر فكيف كان عقاب * التاسع زيادة حرف المد نحو الظنونا والرسولا والسبيلا ومنه ابقاؤه مع الجازم نحو لا تخاف دركا ولا تخشى سنقرئك فلا تنسى على القول بأنه نهى * العاشر صرف ما لا ينصرف نحو قوارير قوارير * الحادى عشر ايثار تذكير اسم الجنس كقوله أعجاز نخل منقعر * الثانى عشر ايثار تأنيثه نحو أعجاز نخل خاوية ونظيره ذين قوله فى القمر وكل صغير وكبير مستطر وفى الكهف لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها * الثالث عشر الاقتصار على أحد الوجهين الجائزين اللذين قرىء بهما فى السبع فى غير ذلك كقوله تعالى فاولئك تحروا رشدا ولم يجىء رشدا فى السبع وكذا وهيىء لنا من أمرنا رشدا الان الفواصل فى السورتين بحركة الوسط وقد جاء فى وإن يروا سبيل الرشد وبهذا يبطل ترجيح الفارسى قراءة التحريك بالاجماع عليه فيما تقدم ونظير ذلك قراءة تبت يدا أبى لهب بفتح الهاء وسكونها ولم يقرأ سيصلى نارا ذات لهب الا بالفتح لمراعاة الفاصلة * الرابع عشر ايراد الجملة التى ردبها ما قبلها على غير وجه المطابقة فى الاسمية والفعلية كقوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ولم يطابق بين قولهم آمنا وبين ما ردبه فيقول ولم يؤمنوا أو وما آمنوا لذلك * الخامس عشر إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر كذلك نحو وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ولم يقل كذبوا * السادس عشر ايراد أحد جزأى الجملتين على غير الوجه الذى أورد نظيرها من الجملة الاخرى نحو أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون

كلامه بكلام اضرابه من أهل عصره وانما يقع بينهم التباين اليسير والتفاوت القليل فاما أن يظن ظان أو يتوهم متوهم أن جنس الشعر معارض لنظم القرآن فكانما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق وانما هى خواطر يغير بعضها على بعض ويقتدى فيها بعض ببعض والغرض الذى يرمى اليه ويصح التوافى عليه فى الجملة فهو قبيل متداول وجنس متنازع وشريعة مورودة وطريقة مسلوكة ألا ترى الى ما روى عن الحسين بن الضحاك قال أنشدت أبا نواس قصيدتى التى فيها

وشاطرى اللسان مختلق التكر
يه زان المجون بالنسك
كانه * نصب كانه قمر
يكرع فى بعض أنجم الفلك

قال فانشدنى أبو نواس بعد أيام قصيدته التى يقول فيها

أعاذل أعتبت الامام واعتبا
وأعربت عما فى الضمير
وأعربا

* السابع عشر ايثار أغرب اللفظين نحو قسمة ضيزى ولم يقل جائرة ليبذن فى الحطمة ولم يقل جهنم أو النار وقال فى المدثر سأصليه سقر وفى سأل إنها لظى وفى القارعة فأمه هاوية لمراعاة فواصل كل سورة * الثامن عشر اختصاص كل من المشتركين بموضع نحو وليذكر أولو الألباب وفى سورة طه ان فى ذلك لآيات لاولى النهى * التاسع عشر حذف المفعول نحو فأما من أعطى واتقى وما ودعك ربك وما قلى ومنه حذف متعلق أفعل التفضيل نحو يعلم السر وأخفى خير وأبقى * العشرون الاستغناء بالافراد عن التثنية نحو فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى * الحادى والعشرون الاستغناء به عن الجمع نحو واجعلنا للمتقين إماما ولم يقل أئمة كما قال وجعلناهم أئمة يهدون ان المتقين فى جنات ونهر أى أنهار * الثانى والعشرون الاستغناء بالتثنية عن الافراد نحو ولمن خاف مقام ربه جنتان قال الفراء أراد جنة كقوله فان الجنة هى المأوى فثنى لأجل الفاصلة قال والقوافى تحتمل من الزيادة والنقصان مالا يحتمله سائر الكلام ونظير ذلك قول الفراء أيضا فى قوله تعالى إذا انبعث أشقاها فانهما رجلان قدار وآخر معه ولم يقل أشقياها للفاصلة وقد أنكر ذلك ابن قتيبة وأغلظ فيه وقال انما يجوز فى رؤس الآى زيادة هاء السكت أو الالف أو حذف همز أو حرف فاما أن يكون الله وعد بجنتين فنجعلهما جنة واحدة لأجل رؤس الآى معاذ الله وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنين قال ذواتا أفنان ثم قال فيهما وأما ابن الصائغ فانه نقل عن الفراء انه أراد جنات فأطلق الاثنين على الجمع لاجل الفاصلة ثم قال وهذا غير بعيد قال وانما عاد الضمير بعد ذلك بصيغة التثنية مراعاة للفظ وهذا هو الثالث والعشرون * الرابع والعشرون الاستغناء بالجمع عن الافراد نحو لا بيع فيه ولا خلال أى ولا خلة كما فى الآية الأخرى وجمع مراعاة للفاصلة * الخامس والعشرون اجراء غير العاقل مجرى العاقل نحو رأيتهم لى ساجدين كل فى فلك يسبحون * السادس والعشرون امالة مالا يمال كآى طه والنجم * السابع والعشرون الاتيان بصيغة المبالغة كقدير وعليم مع ترك ذلك فى نحو هو القاد وعالم الغيب ومنه وما كان ربك نسيا * الثامن والعشرون ايثار بعض أوصاف المبالغة على بعض نحو ان هذا لشىء عجاب أو نزل على عجيب لذلك * التاسع والعشرون الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه نحو ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى * الثلاثون ايقاع الظاهر موقع الضمير نحو والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين وكذا آية الكهف * الحادى والثلاثون وقوع مفعول موقع فاعل كقوله حجابا مستورا كان وعده مأتيا أى ساترا وآتيا * الثانى والثلاثون وقوع فاعل موقع مفعول نحو عيشة راضية ماء دافق * الثالث والثلاثون الفصل بين الموصوف والصفة نحو أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى ان أعرب أحوى صفة المرعى أى حالا * الرابع والثلاثون ايقاع حرف مكان غيره نحو بأن ربك أوحى لها والأصل اليها * الخامس والثلاثون تأخير الوصف الابلغ عن الابلغ ومنه الرحمن الرحيم رءوف رحيم لان الرأفة أبلغ من الرحمة * السادس والثلاثون حذف الفاعل ونيابة المفعول نحو وما لأحد عنده من نعمة تجزى * السابع والثلاثون اثبات هاء السكت نحو ما ليه سلطانيه ماهيه * الثامن والثلاثون الجمع بين المجرورات نحو ثم لاتجد لك به علينا تبيعا فان الأحسن الفصل بينها لا أن مراعاة الفاصلة اقتضت عدمه وتأخير تبيعا * التاسع والثلاثون العدول من صيغة المضى الى صيغة الاستقبال نحو فريقا كذبتم وفريقا تقتلون والاصل قتلتم * الأربعون تغيير بنية الكلمة نحو طور سينين والأصل سينا

﴿ تنبيه ﴾ قال ابن الصائغ لا يمتنع فى توجيه الخروج عن الأصل فى الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة فان القرآن العظيم كما جاء فى الأثر لا تنقضى عجائبه

وقلت لساقيها أجزها فلم أكد
ليأبى أمير المؤمنين وأشربا
فجوزها عنى عقارا ترى لها
الى الشرف الاعلى شعاعا مطنبا
إذا عب فيها شارب القوم خلته
يقبل فى داج من الليل كوكبا

قال فقلت له يا أبا على هذه مقالتى فقال أتظن أنه يروى لك معنى وأنا حى فأعمل هذا الأخذ وهذا الوضع وهذا الاتباع أما الخليع فقد رأى الابداع فى اللغى فاما العبارات فانها ليست على ماظنه لان قوله يكرع ليس بصحيح وفيه ثقل بين وتفاوت وفيه احالة لان القمر لا يصح تصورا أن يكرع فى نهم وأما قول أبى نواس اذا هب فيها فكلمة قد قصد فيها المتانة وكان سبيله أن يختار سواها من ألفاظ الشرب ولو فعل ذلك كان أملح وقوله شارب القوم فيه ضرب من التكلف الذى لابد له

﴿ فصل ﴾ قال ابن أبي الاصبع لاتخرج فواصل القرآن عن احد أربعة أشياء التمكين والتصدير والتوشيح والايغال فالتمكين ويسمى ائتلاف القافية ان يمهد الناثر للقرينة أو الشاعر للقافية تمهيدا تأتي به القافية أو القرينة متمكنة في مكانها مستقرة في قرارها مطمئنة في مواضعها غير نافرة ولا قلقة متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم وبحيث لو سكت عنها كملة السامع بطبعه * ومن أمثلة ذلك ياشعيب أصلواتك تأمرك أن نترك الآية فانه لما تقدم في الآية ذكر العبادة وتلاه ذكر التصرف في الأموال اقتضى ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب لأن الحلم يناسب العبادات والرشد يناسب الاموال وقوله أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون أو لم يروا انا نسوق الماء الى قوله أفلا تبصرون فاتى في الآية الأولى بيهد لهم وختمها بيسمعون لان الموعظة فيها مسموعة وهي أخبار القرون وفي الثانية بيروا وختمها ببيصرون لانها مرئية وقوله لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير فان اللطيف يناسب مالا يدرك بالبصر والخبير يناسب مايدركه وقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله فتبارك الله أحسن الخالقين فان في هذه الفاصلة التمكين التام المناسب لما قبلها وقد بادر بعض الصحابة حين نزل أول الآية الى ختمها بها قبل أن يسمع آخرها فأخرج ابن أبي حاتم من طريق الشعبي عن زيد بن ثابت قال املى علي رسول الله ﷺ هذه الآية ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله خلقا آخر قال معاذ بن جبل فتبارك الله أحسن الخالقين فضحك رسول الله ﷺ فقال له معاذ مم ضحكت يارسول الله قال بها ختمت وحكي ان اعرابيا سمع قارئا يقرأ فان زللتم من بعد ماجاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم ولم يكن يقرأ القرآن فقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لايذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه ﴿ تنبيهات * الاول ﴾ قد تجتمع فواصل في موضع واحد ويخالف بينها كأوائل النحل فانه تعالى بدأ بذكر الافلاك فقال خلق السموات والارض بالحق ثم ذكر خلق الانسان من نطفة ثم خلق الانعام ثم عجائب النبات فقال هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون فجعل مقطع هذه الآية التفكر فانه استدلال بحدوث الانواع المختلفة من النبات على وجود الاله القادر المختار ولما كان هنا مظنة سؤال وهو انه لم لا يجوز أن يكون المؤثر فيه طبائع الفصول وحركات الشمس والقمر وكان الدليل لا يتم الا بالجواب عن هذا السؤال كان مجال التفكر والنظر والتأمل باقيا فأجاب تعالى عنه من وجهين احدهما ان تغيرات العالم السفلي مربوطة بأحوال حركات الافلاك فتلك الحركات كيف حصلت فان كان حصولها بسبب افلاك أخرى لزم التسلسل وان كان من الخالق الحكيم فذاك اقرار بوجود الاله تعالى وهذا هو المراد بقوله وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون فجعل مقطع هذه الآية العقل وكأنه قيل ان كنت عاقلا فاعلم ان التسلسل باطل فوجب انتهاء الحركات الى حركة يكون موجدها غير متحرك وهو الاله القادر المختار والثاني ان نسبة الكواكب والطبائع الى جميع أجزاء الورقة الواحدة والحبة الواحدة واحدة ثم انا نرى الورقة الواحدة من الورد احد وجهيها في غاية الحمرة والآخر في غاية السواد فلو كان المؤثر موجبا بالذات لامتنع حصول هذا التفاوت في الآثار فعلمنا ان المؤثر قادر مختار وهذا هو المراد من قوله وماذرأ لكم في الارض مختلفا ألوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون كأنه قيل اذكر ما ترسخ في عقلك ان الواجب بالذات والطبع لايختلف تأثيره فاذا نظرت حصول هذا الاختلاف علمت ان المؤثر ليس هو الطبائع بل الفاعل

منه أو من مثله لاقامة الوزن ثم قوله
خلته يقبل في داج من الليل كوكبا
تشبيه بحالة واحدة من احواله وهي أن يشرب حيث لاضوء هناك وانما يتناوله ليلا فليس بتشبيه مستوفى على مافيه من الوقوع والملاحة وقد قال ابن الرومي ماهو أوقع منه وأملح وأبدع
ومهفهف تمت محاسنه
حتى تجاوز زمنية النفس
تصبو الكؤس الى مراشفه
ونحن في يده الى الحبس
ابصرته والكأس بين فم
منه و بين أنامل خمس
وكأنها وكان شاربها قمر
يقبل عارض الشمس
ولاشك في ان تشبيه ابن الرومي أحسن واعجب الا انه تمكن من ايراده في بيتين وهما مع سبقهما الى المعنى أتيا به في بيت واحد وانما أردت بهذا ان أعرفك ان هذه أمور متقاربة يقع فيها التنافس والتعارض والأطماع متعلقة بها والهمم تسمو اليها وهي الف طباعنا

المختار فلهذا جعل مقطع الآية التذكر ومن ذلك قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الآيات فان الاولى ختمت بقوله لعلكم تعقلون والثانية بقوله لعلكم تذكرون والثالثة بقوله لعلكم تتقون لان الوصايا التى فى الآية الاولى انما يحمل على تركها عدم العقل الغالب على الهوى لان الاشراك بالله لعدم استكمال العقل الدال على توحيده وعظمته وكذلك عقوق الوالدين لا يقتضيه العقل لسبق احسانهما الى الولد بكل طريق وكذلك قتل الأولاد بالوأد من الاملاق مع وجود الرازق الحى الكريم وكذلك اتيان الفواحش لا يقتضيه عقل وكذا قتل النفس لغيظ أو غضب فى القاتل فحسن بعد ذلك يعقلون واما الثانية فتعلقها بالحقوق المالية والقولية فان من علم ان له ايتاما يخلفهم من بعده لا يليق به ان يعامل أيتام غيره الا بما يحب ان يعامل به أيتامه ومن يكيل أو يزن أو يشهد لغيره لو كان ذلك الأمر له لم يحب أن يكون فيه خيانة ولا يحسن وكذا من وعد لو وعد لم يحب أن يخلف ومن أحب ذلك عامل الناس به ليعاملوه بمثله فترك ذلك إنما يكون لغفلة عن تدبر ذلك وتأمله فلذلك ناسب الختم بقوله لعلكم تذكرون واما الثالثة فلان ترك اتباع شرائع الله الدينية مؤد الى غضبه والى عقابه فحسن لعلكم تتقون أى عقاب الله بسببه ومن ذلك قوله فى الانعام أيضا وهو الذى جعل لكم النجوم الآيات فانه ختم الاولى بقوله لقوم يعلمون والثانية بقوله لقوم يفقهون والثالثة بقوله لقوم يؤمنون وذلك لان حساب النجوم والاهتداء بها يختص بالعلماء بذلك فناسب ختمه بيعلمون وانشاء الخلائق من نفس واحدة ونقلهم من صلب الى رحم ثم الى الدنيا ثم الى حياة وموت والنظر فى ذلك والفكر فيه أدق فناسب ختمه بيفقهون لان الفقه فهم الاشياء الدقيقة ولما ذكر ما أنعم به على عباده من سعة الارزاق والاموات والثمار وأنواع ذلك ناسب ختمه بالايمان الداعى الى شكره تعالى على نعمه ومن ذلك قوله تعالى وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون حيث ختم الاولى بتؤمنون والثانية بتذكرون ووجهه ان مخالفة القرآن لنظم الشعر ظاهرة واضحة لا تخفى على أحد فقول من قال شعر كفر وعناد محض فناسب ختمه بقوله قليلا ما تؤمنون واما مخالفته لنظم الكهان وألفاظ السجع فيحتاج الى تذكر وتدبر لان كلا منهما نثر فليست مخالفته له فى وضوحها لكل احد كمخالفته الشعر وانما تظهر بتدبر ما فى القرآن من الفصاحة والبلاغة والبدائع والمعانى الانيقة فحسن ختمه بقوله قليلا ما تذكرون ومن بديع هذا النوع اختلاف الفاصلتين فى موضعين والمحدث عنه واحد لنكتة لطيفة كقوله تعالى فى سورة ابراهيم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار ثم قال فى سورة النحل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم قال ابن المنير كأنه يقول اذا حصلت النعم الكثيرة فانت آخذها وأنا معطيها فحصل لك عند أخذها وصفان كونك ظلوما وكونك كفارا يعنى لعدم وفائك بشكرها ولى عند اعطائها وصفان وهما انى غفور رحيم اقابل ظلمك بغفرانى وكفرك برحمتى فلا اقابل تقصيرك الا بالتوقير ولا اجازى جفاك الا بالوفاء وقال غيره انما خص سورة ابراهيم بوصف المنعم عليه وسورة النحل بوصف المنعم لانه فى سورة ابراهيم فى مساق وصف الانسان وفى سورة النحل فى مساق صفات الله واثبات ألوهيته ونظيره قوله تعالى فى سورة الجاثية من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون وفى فصلت ختم بقوله وما ربك بظلام للعبيد ونكتة ذلك ان قبل الآية الأولى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون فناسب الختام بفاصلة البعث لان قبله وصفهم بانكاره وأما الثانية فالختام بما فيها مناسب لانه لا يضيع عملا صالحا ولا يزيد على من عمل سيأ وقال فى سورة النساء ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ثم اعادها وختم بقوله ومن يشرك بالله فقد

وطوع مدار كنا ومجانس لكلامنا واعجاب قوم بنحو هذا وما يجرى مجراها وايثار أقوام لشعر البحترى على أبى تمام وعبد الصمد وابن الرومى وتقديم قوم كل هؤلاء أو بعضهم عليه وذهاب قوم عند التفرقة ليس بأمر يضر بنا ولا سبب يعترض على أفهامنا ﴿ ونحن نعمد الى بعض قصائد البحترى فنتكلم عليها كما تكلمنا على قصيدة امرىء القيس ﴾ ليزداد الناظر فى كتابنا بصيرة ويستخلص من سر المعرفة سريرة ويعلم كيف تكون الموازنة وكيف تقع المشابهة والمقاربة ونجعل تلك القصيدة التى نذكرها أجود شعره سمعت الصاحب اسمعيل ابن عباد يقول سمعت أبا الفضل بن العميد يقول سمعت أبا مسلم الرستمى يقول سمعت البحترى يذكر ان أجود شعر قاله * أهلا بذلكم الخيال المقبل قال وسمعت أبا الفضل ابن العميد يقول أجود

ضل ضلالا بعيدا ونكتة ذلك ان الاولى نزلت فى اليهود وهم الذين افتروا على الله ما ليس فى كتابه والثانية نزلت فى المشركين ولا كتاب لهم وضلالهم أشد ونظيره قوله فى المائدة ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ثم أعادها فقال فاولئك هم الظالمون ثم قال فى الثالثة فاولئك هم الفاسقون ونكتته ان الاولى نزلت فى أحكام المسلمين والثانية فى اليهود والثالثة فى النصارى وقيل الاولى فيمن جحد ما أنزل الله والثانية فيمن خالف مع علمه ولم ينكره والثالثة فيمن خالفه جاهلا وقيل الكافر والظالم والفاسق كلها بمعنى واحد وهو الكفر عبر عنه بالفاظ مختلفة لزيادة الفائدة واجتناب صورة التكرار وعكس هذا اتفاق الفاصلتين والمحدث عنه مختلف كقوله فى سورة النور يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم الى قوله كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ثم قال واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم ﴿التنبيه الثانى﴾ من مشكلات الفواصل قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فان قوله وان تغفر لهم يقتضى ان تكون الفاصلة الغفور الرحيم وكذا نقلت عن مصحف أبى وبها قرأ ابن شنبوذ وذكر فى حكمته انه لا يغفر لمن استحق العذاب الا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو العزيز أى الغالب والحكيم هو الذى يضع الشىء فى محله وقد يخفى وجه الحكمة على بعض الضعفاء فى بعض الافعال فيتوهم أنه خارج عنها وليس كذلك فكان فى الوصف بالحكيم احتراس حسن أى وان تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد فى ذلك والحكمة فيما فعلته ونظير ذلك قوله فى سورة التوبة أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وفى سورة الممتحنة واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم وفى غافر ربنا وادخلهم جنات عدن الى قوله انك انت العزيز الحكيم وفى النور ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم فان بادىء الرأى يقتضى ثواب رحيم لان الرحمة مناسبة للتوبة لكن عبر به اشارة الى فائدة مشروعية اللعان وحكمته وهى الستر عن هذه الفاحشة العظيمة ومن خفى ذلك أيضا قوله فى سورة البقرة هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم وفى آل عمران قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما فى الارض والله على كل شىء قدير فان المتبادر الى الذهن فى آية البقرة الختم بالقدرة وفى آية آل عمران الختم بالعلم والجواب ان آية البقرة لما تضمنت الاخبار عن خلق الارض وما فيها على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم وخلق السموات خلقا مستويا محكما من غير تفاوت والخالق على الوصف المذكور يجب ان يكون عالما بما فعله كليا وجزئيا مجملا ومفصلا ناسب ختمها بصفة العلم وآية آل عمران لما كانت فى سياق الوعيد على موالاة الكفار وكان التعبير بالعلم فيها كناية عن المجازاة بالعقاب والثواب ناسب ختمها بصفة القدرة ومن ذلك قوله وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا فاختم بالحلم والمغفرة عقب تسابيح الاشياء غير ظاهر فى بادىء الرأى وذكر فى حكمته انه لما كانت الاشياء كلها تسبح ولا عصيان فى حقها وأنتم تعصون ختم به مراعاة للمقدر فى الآية وهو العصيان كما جاء فى الحديث لولا بهائم رتع وشيوخ ركع وأطفال رضع لصب عليكم العذاب صبا ولرص رصا وقيل التقدير حلما عن تفريط المسبحين غفورا لذنوبهم وقيل حلما عن المخاطبين الذين لا يفقهون التسبيح باهمالهم النظر فى الآيات والعبر ليعرفوا حقه بالتأمل فيما أودع فى مخلوقاته مما يوجب تنزيهه ﴿التنبيه الثالث﴾ فى الفواصل مالا نظير له فى القرآن كقوله عقب الامر الغض فى سورة النور إن الله خبير بما يصنعون وقوله عقب الامر بالدعاء والاستجابة لعلهم يرشدون وقيل فيه تعريض بليلة القدر حيث ذكر ذلك عقب ذكر رمضان أى لعلهم

شعره هو قوله فى الشيب
زجرله لو كان يزجر قال
وسئلت عن ذلك فقلت
البحترى اعرف بشعر نفسه
من غيره فنحن الان نقول
فى هذه القصيدة ما يصلح
فى مثل هذا قوله
أهلا بذلكم الخيال المقبل
فعل الذى نهواه أو لم
يفعل
برق سرى فى بطن وحرة
فاهتدت
بسناءا عناق الركاب الضلل
البيت الأول فى قوله
ذلكم الخيال ثقل روح
وتطويل وحشوه وغيره
أصلح له وأخف منه قول
الصنوبرى
أهلا بذاك الزور من زور
شمس بدت فى فلك الدور
وعذوبة الشعر تذهب
بزيادة حرف أو نقصان
حرف فيصير الى الكزازة
وتعود ملاحته بذلك ملوحة
وفصاحته عيا وبراعته
تكلفا وسلاسته تعسفا
وملاسته تلويا وتعقدا فهذا
فصل وفيه شىء آخر وهو
ان هذا الخطاب انما يستقيم
مها خوطب به الخيال

يرشدون الى معرفتها واما التصدير فهو ان تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت فى أول الآية وتسمى أيضا رد العجز على الصدر وقال ابن المعتز هو ثلاثة أقسام الاول توافق آخر الفاصلة وآخر كلمة فى الصدر نحو انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا والثانى ان يوافق أول كلمة منه نحو وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب قال انى لعملكم من القالين الثالث ان يوافق بعض كلماته نحو ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا الى قوله وقد خاب من افترى فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا وأما التوشيح فهو أن يكون فى أول الكلام ما يستلزم القافية والفرق بينه وبين التصدير ان هذا دلالته معنوية وذاك لفظية كقوله تعالى ان الله اصطفى آدم الآية فان اصطفى لا يدل على ان الفاصلة العالمين باللفظ لان لفظ العالمين غير لفظ اصطفى ولكن بالمعنى لانه يعلم ان من لوازم اصطفى شيء ان يكون مختارا على جنسه وجنس هؤلاء المصطفين العالمون وكقوله وآية لهم الليل نسلخ الآية قال ابن أبى الاصبع فان من كان حافظا لهذه السورة متفطنا الى ان مقاطع آيها النون المردفة وسمع فى صدر الآية انسلاخ النهار من الليل علم ان الفاصلة مظلمون لان من أسلخ النهار عن ليله اظلم أى دخل فى الظلمة ولذلك سمى توشيحا لان الكلام لما دل أوله على آخره نزل المعنى منزلة الوشاح ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يحوط عليهما الوشاح * وأما الايغال فتقدم فى نوع الاطناب

﴿فصل﴾ قسم البديعيون السجع ومثله الفواصل الى أقسام مطرف ومتوازى ومرصع ومتوازن ومتماثل فالمطرف ان تختلف الفاصلتان فى الوزن وتتفقا فى حروف السجع نحو ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا والمتوازى ان يتفقا وزنا وتقفية ولم يكن ما فى الاولى مقابلا لما فى الثانية فى الوزن والتقفية نحو فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة والمتوازن ان يتفقا فى الوزن دون التقفية نحو ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة والمرصع ان يتفقا وزنا وتقفية ويكون ما فى الاولى مقابلا لما فى الثانية كذلك نحو إن الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم والمماثل ان تساويا فى الوزن دون التقفية وتكون افراد الاولى مقابلة لما فى الثانية فهو بالنسبة الى المرصع كالمتوازن بالنسبة الى المتوازى نحو وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم فالكتاب والصراط يتوازنان وكذا المستبين والمستقيم واختلفا فى الحرف الأخير

﴿فصل﴾ بقى نوعان بديعيان متعلقان بالفواصل احدهما التشريع وسماه ابن أبى الاصبع التوأم وأصله ان يبنى الشاعر بيته على وزنين من أوزان العروض فاذا اسقط منها جزأ أو جزأين صار الباقى بيتا من وزن آخر ثم زعم قوم اختصاصه به وقال آخرون بل يكون فى النثر بان يكون مبنيا على سجعتين لو اقتصر على الاولى منهما كان الكلام تاما مفيدا وان الحقت به السجعة الثانية كان فى التمام والافادة على حاله مع زيادة معنى ما زاد من اللفظ قال ابن أبى الاصبع وقد جاء من هذا الباب معظم سورة الرحمن فان أياتها لو اقتصر فيها على أولى الفاصلتين دون فبأى آلاء ربكما تكذبان لكان تاما مفيدا وقد كمل بالثانية فافاد معنى زائدا من التقرير والتوبيخ * قلت التمثيل غير مطابق والاولى ان يمثل بالآيات التى فى اثباتها ما يصح ان يكون فاصلة كقوله لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما واشباه ذلك * الثانى الاستلزام ويسمى لزوم ما لا يلزم وهو ان يلتزم فى الشعر أو النثر حرفا أو حرفين فصاعدا قبل الروى بشرط عدم الكلفة مثال التزام حرف فاما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر التزم الهاء قبل الراء ومثله ألم نشرح لك صدرك الآيات التزم فيها الراء

حال اقباله فاما ان يحكى الحال التى كانت وسلفت على هذه العبادة ففيه عهدة وفى تركيب الكلام عن هذا المعنى عقدة وهو لبراعته وحذقه فى هذه الصنعة يعلق نحو هذا الكلام ولا ينظر فى عواقبه لان ملاحة وقوله تغطى على عيون الناظرين فيه نحو هذه الامور ثم قوله * فعل الذى نهواه أولم يفعل * ليست بكلمة رشيقة ولا لفظة ظريفة وان كانت كسائر الكلام فاما بيته الثانى فهو عظيم الموقع فى البهجة وبديع المأخذ حسن الرواء انيق المنظر والمسمع يملأ القلب والفهم ويفرح الخاطر وترى بشاشته فى العروق وكان البحترى يسمى نحو هذه الابيات عروق الذهب وفى نحو ما يدل على براعته فى الصناعة وحذقه فى البلاغة ومع هذا كله فيه ما نشرحه من الخلل مع الديباجة الحسنة والرونق المليح وذلك أنه جعل الخيال كالبرق لاشراقه

قبل الكاف فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس التزم فيها النون المشددة قبل السين والليل وعسعس والقمر إذا اتسق ومثال التزام حرفين والطور وكتاب مسطور ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون بلفت التراقي وقيل من راق وظن أنه الفراق ومثال التزام ثلاثة أحرف تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ﴿ تنبيهات * الأول ﴾ قال أهل البديع أحسن السجع ونحوه ما تساوت قرائنه نحو في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وما يليه ما طالت قرينته الثانية نحو والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى أو الثالثة نحو خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة الآية وقال ابن الأثير الاحسن في الثانية المساواة والافاطول قليلا وفي الثالثة أن تكون أطول وقال الخفاجي لا يجوز أن تكون الثانية أقصر من الأولى * الثاني قالوا أحسن السجع ما كان قصيرا لدلالته على قوة المنشئ وأقله كلمتان نحو يا أيها المدثر قم فأنذر الآيات والمرسلات عرفا الآيات والذاريات ذروا الآيات والعاديات ضبحا الآيات والطويل ما زاد عن العشر كغالب الآيات وما بينهما متوسط كآيات سورة القمر * الثالث قال الزمخشري في كشافه القديم لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها الا مع بقاء المعاني على سردها على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والتأمه فاما أن يهمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه الى مؤداه فليس من قبيل البلاغة وبنى على ذلك ان التقديم في والآخرة هم يوقنون ليس لمجرد الفاصلة بل لرعاية الاختصاص * الرابع مبنى الفواصل على الوقف ولهذا ساغ مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس كقوله انا خلقناهم من طين لازب مع قوله عذاب واصب وشهاب ثاقب وقوله بماء منهمر مع قوله قد قدر وسحر مستمر وقولهم مالهم من دونه من وال مع قوله وينشئ السحاب الثقال * الخامس كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين والحاق النون وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك كما قال سيبويه انهم إذا ترنموا يلحقون الالف والياء والنون لانهم أرادوا مد الصوت ويتركون ذلك اذا لم يترنموا وجاء في القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع * السادس حروف الفواصل اما متماثلة واما متقاربة فالاولى مثل والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والثاني مثل الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب قال الامام فخر الدين وغيره وفواصل القرآن لا تخرج عن هذين القسمين بل تنحصر في المتماثلة والمتقاربة قال وبهذا يترجح مذهب الشافعي على مذهب أبي حنيفة في عد الفاتحة سبع آيات مع البسملة وجعل صراط الذين الى آخرها آية فان من جعل آخر الآية السادسة أنعمت عليهم مردود بانه لا يشابه فواصل سائر آيات السورة لا بالمماثلة ولا بالمقاربة ورعاية التشابه في الفواصل لازمة * السابع كثر في الفواصل التضمين والايطاء لانهما ليسا بعيبين في النثر وان كانا معيبين في النظم فالتضمين أن يكون ما بعد الفاصلة متعلقا بها كقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل والايطاء تكرر الفاصلة بلفظها كقوله تعالى في الاسراء هل كنت الا بشرا رسولا وختم بذلك الآيتين بعدها

﴿ النوع الستون * في فواتح السور ﴾ أفردها بالتأليف ابن أبي الاصبع في كتاب سماه الخواطر السوانح في أسرار الفواتح وانا ألخص هنا ما ذكره مع زوائد من غيره * اعلم أن الله تعالى افتتح سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام لا يخرج شيء من السور عنها الاول الثناء عليه تعالى والثناء قسمان اثبات لصفات المدح ونفي وتنزيه من صفات النقص فالاول التحميد في خمس سور وتبارك في سورتين والثاني التسبيح في سبع سور قال الكرماني في متشابه القرآن التسبيح كلمة استأثر الله بها فبدأ بالمصدر في بني اسرائيل لانه الأصل ثم بالماضي في الحديد والحشر لانه أسبق الزمانين ثم بالمضارع في الجمعة

في مسراه كما يقال انه يسري كنسيم الصبا فيطيب ما مر به كذلك يضيء ما مر حوله وينور ما مر به وهذا غلو في الصنعة الا أن ذكره بطن وجرة حشو وفي ذكره خلل لان النور القليل يؤثر في بطون الأرض وما اطمأن منها بخلاف ما يؤثر في غيرها فلم يكن من سبيله أن يربط ذلك ببطن وجرة وتحديده المكان على الحشو أحد من تجديد امرىء القيس من ذكر سقط اللوى بين الدخول فحومل فتوضح فالمقراة يقنع بذكر حد حتى حده بأربع حدود كأنه يريد بيع المنزل فيخشى ان أخل بحدان يكون بيعه فاسدا أو شرطه باطلا فهذا باب ثم انما يذكر الخيال بخفاء الاثر ودقة المطلب ولطف المسلك وهذا الذي ذكر يضاد هذا الوجه ويخالف ما يوضع عليه أصل الباب ولا يجوز أن يقدر مقدر أن البحتري قطع الكلام الأول وابتدأ بذكر

والتغابن ثم الأمر في الأعلى استيعابا بالهذه الكلمة من جميع جهاتها الثاني حروف النهجي في تسع وعشرين سورة وقد مضى الكلام عليها مستوعبا في نوع المتشابه ويأتي الالمام بمناسباتها في نوع المناسبات * الثالث النداء في عشر سور خمس بنداء الرسول ﷺ الاحزاب والطلاق والتحريم والمزمل والمدثر وخمس بنداء الأمة النساء والمائدة والحج والحجرات والممتحنة * الرابع الجمل الخبرية نحو يسألونك عن الأنفال براءة من الله أتى أمر الله اقترب للناس حسابهم قد أفلح المؤمنون سورة أنزلناها تنزيل الكتاب الذين كفروا انا فتحنا اقتربت الساعة الرحمن قد سمع الله الحاقة سأل سائل انا أرسلنا نوحا أقسم في موضعين عبس انا أنزلناه لم يكن القارعة ألهاكم انا أعطيناك فتلك ثلاث وعشرون سورة * الخامس القسم في خمس عشرة سورة أقسم فيها بالملائكة وهي والصافات وسورتان بالافلاك البروج والطارق وست سور بلوازمها فالنجم قسم بالثريا والفجر بمبدأ النهار والشمس بآية النهار والليل بشطر الزمان والضحى بشطر النهار والعصر بالشطر الآخر أو بجملة الزمان وسورتان بالهواء الذي هو أحد العناصر والذاريات والمرسلات وسورة بالتربة التي هي منها أيضا وهي الطور وسورة بالنبات وهي والتين وسورة بالحيوان الناطق وهي والنازعات وسورة بالبهيم وهي والعاديات السادس الشرط في سبع سور الواقعة والمنافقون والتكوير والانفطار والانشقاق والزلزلة والنصر * السابع الأمر في ست سور قل أوحي اقرأ قل يا أيها الكافرون قل هو الله أحد قل أعوذ المعوذتين * الثامن الاستفهام في ست هل أتى عم يتساءلون هل أتاك ألم نشرح ألم تر أرأيت * التاسع الدعاء في ثلاث ويل للمطففين ويل لكل همزة تبت * العاشر التعليل في لئيلاف قريش هكذا جمع أبو شامة قال وماذكرناه في قسم الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر وكذا الثناء كله خبر الا سبح فانه يدخل في قسم الامر وسبحان يحتمل الامر والخبر ثم نظم ذلك في بيتين فقال

اثنى على نفسه سبحانه بثبو ... ت الحمد والسلب لما استفتح السورا
والامر والشرط والتعليل والقسم الد ... عا حروف النهجي استفهم الخبرا

* وقال أهل البيان من البلاغة حسن الابتداء وهو أن يتأنق في أول الكلام لانه أول ما يقرع السمع فان كان محرراً أقبل السامع على الكلام ووعاه والا أعرض عنه ولو كان الباقي في نهاية الحسن فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب لفظ وأجزله وأرقه وأسلسه وأحسنه نظما وسبكا وأصحه معنى وأوضحه وأحلاه من التعقيد والتقديم والتأخير الملبس أو الذي لا يناسب قالوا وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها كالتحميدات وحروف الهجاء والنداء وغير ذلك ومن الابتداء الحسن نوع أخص منه يسمى براعة الاستهلال وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير الى ما سبق الكلام لاجله والعلم الاسنى في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن فانها مشتملة على جميع مقاصده كما قال البيهقي في شعب الايمان أخبرنا أبو القاسم بن حبيب أنبأنا محمد بن صالح بن هانيء أنبأنا الحسين بن الفضل حدثنا عفان بن مسلم عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال أنزل الله تعالى مائة وأربعة كتب أودع علومها أربعة منها التوراة والانجيل والزبور والفرقان ثم أودع علوم التوراة والانجيل والزبور والفرقان ثم أودع علوم القرآن المفصل ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب فمن تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة وقد وجه ذلك بان العلوم التي احتوى عليها القرآن وقامت بها الاديان أربعة علم الأصول ومداره على معرفة الله تعالى وصفاته واليه الاشارة برب العالمين الرحمن الرحيم ومعرفة النبوات واليه الاشارة بالذين أنعمت عليهم ومعرفة المعاد واليه الاشارة بملك يوم الدين وعلم العبادات واليه الاشارة بإياك نعبد وعلم السلوك وهو حمل النفس

برق لمع من ناحية حبيبه من جهة بطن وجرة لان هذا القطع ان كان فعله كان خارجا به عن النظم المحمود ولم يكن مبدعا ثم كان لا تكون فيه فائدة لان كل برق شعل وتكرر وقع الاهتداء به في الظلام وكان لا يكون بما نظمه مفيدا ولا متقدما وهو على ما كان من مقصده فهو ذو لفظ محمود ومعنى مستحب غير مقصود ويعلم بمثله انه طلب العبارات وتعليق القول بالاشارات وهذا من الشعر الحسن الذي يحلو لفظه وتقل فوائده كقول القائل

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحالنا
ولا ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا
وسالت باعناق المطي الاباطح

على الآداب الشرعية والانقياد لرب البرية واليه الاشارة بإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم وعلم القصص وهو الاطلاع على اخبار الامم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه واليه الاشارة بقوله صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فنبه فى الفاتحة على جميع مقاصد القرآن وهذا هو الغاية فى براعة الاستهلال مع ما اشتملت عليه من الالفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة وكذلك أول سورة اقرأ فانها مشتملة على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال لكونها أول ما أنزل فان فيها الامر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله وفيه الاشارة الى علم الاحكام وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب واثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل وفى هذه الاشارة الى أصول الدين وفيها ما يتعلق بالاخبار من قوله علم الانسان ما لم يعلم ولهذا قيل انها جديرة أن تسمى عنوان القرآن لان عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة فى أوله ﴿ النوع الحادى والستون * فى خواتم السور ﴾ هى أيضا مثل الفواتح فى الحسن لانها آخر ما يقرع الاسماع فلهذا جاءت متضمنة للمعانى البديعة مع ايذان السامع بانتهاء الكلام حتى لا يبقى معه للنفوس تشوف الى ما يذكر بعد لانها بين أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ووعد ووعيد إلى غير ذلك كتفصيل جملة المطلوب فى خاتمة الفاتحة اذ المطلوب الاعلى الايمان المحفوظ من المعاصى المسببة لغضب الله والضلال ففصل جملة ذلك بقوله الذين أنعمت عليهم والمراد المؤمنون ولذلك أطلق الانعام ولم يقيده ليتناول كل انعام لأن من أنعم الله عليه بنعمة الايمان فقد أنعم الله عليه بكل نعمة لأنها مستتبعة لجميع النعم ثم وصفهم بقوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين يعنى أنهم جمعوا بين النعم المطلقة وهى نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله تعالى والضلال المسببين عن معاصيه وتعدى حدوده وكالدعاء الذى اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة وكالوصايا التى ختمت بها سورة آل عمران يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا الآية والفرائض التى ختمت بها سورة النساء وحسن الختم بها لما فيها من أحكام الموت الذى هو آخر أمر كل حى ولانها آخر ما نزل من الاحكام وكالتبجيل والتعظيم الذى ختمت به المائدة وكالوعد والوعيد الذى ختمت به الانعام وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذى ختمت به الاعراف وكالحض على الجهاد وصلة الارحام الذى ختم به الانفال وكوصف الرسول ومدحه والتهليل الذى ختمت به براءة وتسليته عليه الصلاة والسلام الذى ختم به يونس ومثلها خاتمة هود ووصف القرآن ومدحه الذى ختم به يوسف والوعيد والرد على من كذب الرسول الذى به ختم الرعد ومن أوضح ما آذن بالختام خاتمة ابراهيم هذا بلاغ للناس الآية ومثلها خاتمة الاحقاف وكذا خاتمة الحجر بقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وهو مفسر بالموت فانها فى غاية البراعة وانظر الى سورة الزلزلة كيف بدئت باهوال القيامة وختمت بقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وانظر الى براعة آخر آية نزلت وهى قوله واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله وما فيها من الاشعار بالآخرية المستلزمة للوفاة وكذا آخر سورة نزلت وهى سورة النصر فيها الاشعار بالوفاة كما أخرج البخارى من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس أن عمر سألهم عن قوله إذا جاء نصر الله والفتح فقالوا فتح المدائن والقصور قال ما تقول يا ابن عباس قال أجل ضرب لمحمد نعيت له نفسه * وأخرج أيضا عنه قال كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد فى نفسه فقال لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله فقال عمر انه من قد علمتم ثم دعاهم ذات يوم فقال ما تقولون فى قول الله اذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا جاء نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم

هذه ألفاظ بعيدة المطالع والمقاطع حلوة المجانى والمواقع قليلة المعانى والفوائد فما قول البحترى بعد ذلك

من غادة منعت وتمنع نيلها ... فلوأنها بذلت لنا لم تبذل

كالبدر غير مخبل والغصن غـ * ـير مميل والدعص غير مهيل

فالبيت الأول على ما تكلف فيه من المطابقة وتجشم الصنعة ألفاظه أوفر من معانيه وكلماته أكثر من فوائده وتعلم أن القصد وضع العبارات فى مثله ولو قال هى ممنوعة مانعة كان ينوب عن تطويله وتكثيره الكلام وتهويله ثم هو معنى متداول مكرر على كل لسان * وأما البيت الثانى فانت تعلم أن التشبيه بالبدر والغصن والدعص أمر منقول متداول ولا فضيلة فى التشبيه بنحو ذلك وانما يبقى تشبيهه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فى البيت وهذا أيضا قريب لأن المعنى مكرر ويبقى له

فلم يقل شيئا فقال لى أكذلك تقول يا ابن عباس فقلت لا قال فما تقول قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له قال اذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر انى لا أعلم منها إلا ما تقول

﴿ النوع الثانى والستون * فى مناسبة الآيات والسور ﴾ أفرده بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبى حيان فى كتاب سماه البرهان فى مناسبة ترتيب سور القرآن ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعى فى كتاب سماه نظم الدرر فى تناسب الآى والسور وكتابى الذى صنفته فى أسرار التنزيل كافل بذلك جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الاعجاز وأساليب البلاغة وقد لخصت منه مناسبة السور خاصة فى جزء لطيف سميته تناسق الدرر فى تناسب السور وعلم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته وممن أكثر منه الامام فخر الدين فقال فى تفسيره أكثر لطائف القرآن مودعة فى الترتيبات والروابط وقال ابن العربى فى سراج المريدين ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعانى منتظمة المبانى علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطالة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله وردد ناه اليه وقال غيره أول من أظهر علم المناسبة الشيخ أبو بكر النيسابورى وكان غزير العلم فى الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسى اذا قرىء عليه لم جعلت هذه الآية الى جنب هذه وما الحكمة فى جعل هذه السورة الى جنب هذه السورة وكان يزرى على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام المناسبة علم حسن لكن يشترط فى حسن ارتباط الكلام أن يقع فى أمر متحد مرتبط اوله بآخره فان وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه فان القرآن نزل فى نيف وعشرين سنة فى أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض وقال الشيخ ولى الدين الملوى قد وهم من قال لا يطلب للآى الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة وفصل الخطاب انها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا فالمصحف على وفق ما فى اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة الى بيت العزة ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر والذى ينبغى فى كل آية أن يبحث أول كل شىء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففى ذلك علم جم وهكذا فى السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له اه وقال الامام الرازى فى سورة البقرة ومن تأمل فى لطائف نظم هذه السورة وفى بدائع ترتيبها علم ان القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته ولعل الذين قالوا انه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أنى رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار وليس الأمر فى هذا الباب إلا كما قيل

والنجم تستصغر الأبصار صورته ... والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

﴿ فصل ﴾ المناسبة فى اللغة المشاكلة والمقاربة ومرجعها فى الآيات ونحوها الى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلى أو حسى أو خيالى أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهنى كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا باعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء فنقول ذكر الآية بعد الاخرى اما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه بالاولى فواضح وكذلك اذا كانت الثانية للاولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل وهذا القسم لا كلام فيه واما أن لا يظهر

بعد ذلك شىء آخر وهو تعمله للترصيع فى البيت كله الا أن هذه الاستثناءات فيها ضرب من التكلف لان التشبيه بالغصن كاف فاذا زاد فقال كالغصن غير معوج كان ذلك من باب التكلف خللا وكان ذلك زيادة يستغنى عنها وكذلك قوله كالدعص غير مهيل لانه اذا انهال خرج عن أن يكون مطلق التشبيه مصروفا اليه فلا يكون لتقييده معنى وأما قوله

ما الحسن عندك يا سعاد بمحسن
فيما أتاه ولا الجمال بمجمل

عذل المشوق وان من سيما الهوى
فى حيث نجهله لجاج العذل

قوله فى البيت الاول عندك حشو وليس بواقع ولا بديع وفيه كلفة والمعنى الذى قصده أنت تعلم أنه متكرر على لسان الشعراء وفيه شىء آخر لانه يذكر أن حسنها لم يحسن فى تهييج وجده وتهييم قلبه وضد هذا المعنى هو الذى يميل

الارتباط بل يظهر ان كل جملة مستقلة عن الاخرى وانها خلاف النوع المبدوء به فاما أن تكون معطوفة على الاولى بحرف من حروف العطف المشركة فى الحكم أولا فان كانت معطوفة فلابد أن يكون بينهما جهة جامعة على ماسبق تقسيمه كقوله تعالى يعلم مايلج فى الارض ومايخرج منها ومايترل من السماء ومايعرج فيها وقوله والله يقبض ويبسط واليه ترجعون للتضاد بين القبض والبسط والولوج والخروج والنزول والعروج وشبه التضاد بين السماء والارض ومما الكلام فيه التضاد ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب والرغبة بعد الرهبة وقد جرت عادة القرآن اذا ذكر أحكاما ذكر بعدها وعدا ووعيدا ليكون باعثا على العمل بما سبق ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الآمر والناهى وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة تجده كذلك وان لم تكن معطوفة فلابد من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهى قرائن معنوية تؤذن بالربط وله أسباب أحدها التنظير فان إلحاق النظير بالنظير من شأن العقلاء كقوله كما أخرجك ربك من بيتك بالحق عقب قوله أولئك هم المؤمنون حقا فانه تعالى أمر رسوله أن يمضى لأمره فى الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لأمره فى خروجه من بيته لطلب العير أوللقتال وهم له كارهون والقصد ان كراهتهم لما فعله من قسمة الغنائم ككراهتهم للخروج وقد تبين فى الخروج الخير من الظفر والنصر والغنيمة وعز الاسلام فكذا يكون فيما فعله فى القسمة فليطيعوا ماامروا به ويتركوا هوى أنفسهم الثانى المضادة كقوله فى سورة البقرة ان الذين كفروا سواء عليهم الآية فان أول السورة كان حديثا عن القرآن وان من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالايمان فلما أكمل وصف المؤمنين عقب بحديث الكافرين فبينهما جامع وهمى ويسمى بالتضاد من هذا الوجه وحكمته التشويق والثبوت على الأول كما قيل * وبضدها تتبين الأشياء * فان قيل هذا جامع بعيد لان كونه حديثا عن المؤمنين بالعرض لا بالذات والمقصود بالذات هو الذى مساق الكلام انما هو الحديث عن القرآن لانه مفتتح القول قيل لا يشترط فى الجامع ذلك بل يكفى التعلق على أى وجه كان ويكفى فى وجه الربط ماذكرنا لان القصد تأكيد أمر القرآن والعمل به والحث على الايمان ولهذا لما فرغ من ذلك قال وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فرجع الى الاول * الثالث الاستطراد كقوله تعالى يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير قال الزمخشرى هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليهما اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما فى العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بأن الستر اب عظيم من أبواب التقوى وقد خرجت على الاستطراد قوله تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون فان أول الكلام ذكر للرد على النصارى الزاعمين نبوة المسيح ثم استطرد للرد على العرب الزاعمين نبوة الملائكة ويقرب من الاستطراد حتى لا يكاد ان يفترقان حسن التخلص وهو أن ينتقل مما ابتدىء به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول الا وقد وقع عليه الثانى لشدة الالتئام بينهما وقد غلط أبو العلاء محمد بن غانم فى قوله لم يقع منه فى القرآن شىء لما فيه من التكلف وقال ان القرآن انما ورد على الاقتضاب الذى هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم وليس كما قال ففيه من التخلصات العجيبة مايحير العقول وانظر إلى سورة الاعراف كيف ذكر فيها الأنبياء والقرون الماضية والامم السالفة ثم ذكر موسى الى أن قص حكاية السبعين رجلا ودعائه لهم ولسائر امته بقوله واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة وجوابه تعالى عنه ثم تخلص بمناقب سيد المرسلين بعد تخلصه لأمته بقوله قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها الذين من صفاتهم

اليه أهل الهوى والحب وبيت كشاجم اسلم من هذا وابعد من الخلل وهو قوله

بحياة حسنك احسنى وبحق من
جعل الجمال عليك وقفا اجمل

وأما البيت الثانى فان قوله فى حيث حشا بقوله فى ووقع ذلك مستنكرا وحشيا نافرا عن طبعه جافيا فى وضعه فهو كرقعة من جلد فى ديباج حسن فهو يمحو حسنه ويأتى على جماله ثم فى المعنى شىء لان لجاج العذل لا يدل على هوى مجهول ولو كان مجهولا لم يهتد والعذل عليه فعلم ان المقصد استجلاب العبارات دون المعانى ثم لو سلم من هذا الخلل لم يكن فى البيت معنى بديع ولا شىء يفوت قول الشعراء فى العذل فان ذلك جلهم الذلول وقولهم المكرر واما قوله

ماذا عليك من انتظار متيم

كيت وكيت وهم الذين يتبعون الرسول النبي الأمي وأخذ في صفاته الكريمة وفضائله وفي سورة الشعراء حكى قول ابراهيم ولا تخزني يوم يبعثون فتخلص منه إلى وصف المعاد بقوله يوم لا ينفع مال ولا بنون الخ وفي سورة الكهف حكى قول ذي القرنين في السد بعد ذكره الذي هو من اشراط الساعة ثم النفخ في الصور وذكر الحشر ووصف ما للكفار والمؤمنين وقال بعضهم الفرق بين التخلص والاستطراد انك في التخلص تركت ما كنت فيه بالكلية وأقبلت على ما تخلصت اليه وفي الاستطراد تمر بذكر الامر الذي استطردت اليه مرورا كالبرق الخاطف ثم تتركه وتعود إلى ما كنت فيه كأنك لم تقصده وانما عرض عروضا قيل وبهذا يظهر ان ما في سورتي الاعراف والشعراء من باب الاستطراد لا التخلص لعوده في الاعراف الى قصة موسى بقوله ومن قوم موسى امة الخ وفي الشعراء الى ذكر الانبياء والامم ويقرب من حسن التخلص الانتقال من حديث الى آخر تنشيطا للسامع مفصولا بهذا كقوله في سورة ص بعد ذكر الانبياء هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب فان هذا القرآن نوع من الذكر لما انتهى ذكر الأنبياء وهو نوع من التنزيل أراد أن يذكر نوعا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها ثم لما فرغ قال هذا وان للطاغين لشر مآب فذكر النار وأهلها قال ابن الاثير هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن من الوصل وهي علاقة أكيدة بين الخروج من كلام الى آخر ويقرب منه أيضا حسن المطلب قال الزنجاني والطيبي وهو ان يخرج الى الغرض بعد تقدم الوسيلة كقوله اياك نعبد واياك نستعين قال الطيبي ومما اجتمع فيه حسن التخلص والمطلب معا قوله حكاية عن ابراهيم فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين الى قوله رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين ﴿ قاعدة ﴾ قال بعض المتأخرين الامر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو انك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة وتنظر ما يحتاج اليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر الى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات الى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع الى الاحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف الى الوقوف عليها فهذا هو الامر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن فاذا عقلته تبين لك وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة انتهى ﴿ تنبيه ﴾ من الآيات ما اشكلت مناسبتها لما قبلها من ذلك قوله تعالى في سورة القيامة لا تحرك به لسانك لتعجل به الآيات فان وجه مناسبتها لأول السورة وآخرها عسر جدا فان السورة كلها في أحوال القيامة حتى زعم بعض الرافضة انه سقط من السورة شيء وحتى ذهب القفال فيما حكاه الفخر الرازي انها نزلت في الانسان المذكور قبل في قوله ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر قال يعرض عليه كتابه فاذا أخذ في القراءة تلجلج خوفا فاسرع في القراءة فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا أن نجمع عملك وان نقرأه عليك فاذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه بالاقرار بأنك فعلت ثم ان علينا بيان أمر الانسان وما يتعلق بعقوبته اه وهذا يخالف ما ثبت في الصحيح انها نزلت في تحريك النبي ﷺ لسانه حالة نزول الوحي عليه وقد ذكر الأئمة لها مناسبات منها انه تعالى لما ذكر القيامة وكان من شأن من يقصر عن العمل لها حب العاجلة وكان من أصل الدين ان المبادرة الى أفعال الخير مطلوبة فنبه على انه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجل منه وهو الاصغاء الى الوحي وتفهم ما يرد منه والتشاغل بالحفظ قد يصد عن ذلك فأمر بأن لا يبادر الى التحفظ لان تحفيظه مضمون على ربه وليصغ الى ما يرد عليه الى أن ينقضي فيتبع ما اشتمل عليه ثم لما انقضت الجملة المعترضة رجع الكلام الى ما يتعلق بالانسان المبدأ بذكره ومن هو من جنسه فقال كلا وهي كلمة ردع كأنه قال بل أنتم يا بني آدم لكونكم خلقتم من عجل تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون

بل ما يضرك وقفة في منزل
ان سيل عي عن الجواب فلم يطق
رجعا فكيف يكون ان لم يسئل

لست أنكر حسن البيتين وظرفهما ورشاقتهما ولطفهما وماءهما وبهجتهما الا ان البيت الأول منقطع عن الكلام المتقدم ضربا من الانقطاع لانه لم يجر لمشافهة العاذل ذكر وانما جرى ذكر العذال على وجه لا يتصل هذا البيت به ولا يلائم ثم الذي ذكره من الانتظار وان كان مليحا في اللفظ فهو في المعنى متكلف لان الواقف في الدار لا ينتظر امرا وانما يقف تحسرا وتذللا وتحيرا والشطر الأخير من البيت واقع والاول مستجلب وفيه تعليق على أمر لم يجر له ذكر لان وضع البيت يقتضي تقدم عذل على الوقوف ولم يحصل ذلك مذكورا في شعره من قبل واما

العاجلة ومنها أن عادة القرآن اذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد حيث يعرض يوم القيامة أردفه بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينية فى الدنيا التى تنشأ عنها المحاسبة عملا وتركا كما قال فى الكهف ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه إلى أن قال ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل الآية وقال فى سبحان فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم إلى أن قال ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن الآية وقال فى طه يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا إلى أن قال فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه * ومنها أن أول السورة لما نزل الى ولو ألقى معاذيره صادف أنه ﷺ فى تلك الحالة بادر الى تحفظ الذى نزل وحرك به لسانه من عجلته خشية من تفلته فنزل لا تحرك به لسانك لتعجل به إلى قوله ثم ان علينا بيانه ثم عاد الكلام إلى تكملة ما ابتدىء به قال الفخر الرازى ونحوه مالو ألقى المدرس على الطالب مثلا مسئلة فتشاغل الطالب بشىء عرض له فقال له ألق الى بالك وتفهم ما أقول ثم كمل المسئلة فمن لا يعرف السبب يقول ليس هذا الكلام مناسبا للمسئلة بخلاف من عرف ذلك * ومنها أن النفس لما تقدم ذكرها فى أول السورة عدل إلى ذكر نفس المصطفى كأنه قيل هذا شأن النفوس وأنت يا محمد نفسك أشرف النفوس فلتأخذ بأكمل الأحوال * ومن ذلك قوله تعالى يسئلونك عن الأهلة الآية فقد يقال أى رابط بين أحكام الاهلة وبين حكم اتيان البيوت * وأجيب بأنه من باب الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج وكان هذا من أفعالهم فى الحج كما ثبت فى سبب نزولها ذكر معه من باب الزيادة فى الجواب على ما فى السؤال كما سئل عن ماء البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته * ومن ذلك قوله تعالى ولله المشرق والمغرب الآية فقد يقال ما وجه اتصاله بما قبله وهو قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله الآية وقال الشيخ أبو محمد الجوينى فى تفسيره سمعت أبا الحسن الدهان يقول وجه اتصاله هو ان ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق أى فلا يجر منكم ذلك واستقبلوه فان لله المشرق والمغرب

﴿ فصل ﴾ من هذا النوع مناسبة فواتح السور وخواتمها وقد أفردت فيه جزأ لطيفا سميته مراصد المطالع فى تناسب المقاطع والمطالع وانظر إلى سورة القصص كيف بدئت بأمر موسى ونصرته وقوله فلن أكون ظهيرا للمجرمين وخروجه من وطنه وختمت بأمر النبى ﷺ بأن لا يكون ظهيرا للكافرين وتسليته عن اخراجه من مكة ووعده بالعود اليها لقوله فى أول السورة إنا رادوه قال الزمخشرى وقد جعل الله فاتحة سورة قد أفلح المؤمنون وأورد فى خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة وذكر الكرمانى فى العجائب مثله وقال فى سورة ص بدأها بالذكر وختمها به فى قوله ان هو إلا ذكر للعالمين وفى سورة ن بدأها بقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون وختمها بقوله انه لمجنون ومنه مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها حتى ان منها ما يظهر تعلقها به لفظا كما فى فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش فقد قال الاخفش اتصالها بما من باب فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقال الكواشى فى تفسير المائدة لما ختم سورة النساء أمرا بالتوحيد والعدل بين العباد أكد ذلك بقوله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال غيره اذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته فى غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى كافتتاح سورة الأنعام بالحمد فانه مناسب لختام المائدة من فصل القضاء كما قال تعالى وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وكافتتاح سورة فاطر بالحمد لله فانه مناسب لختام ما قبلها من قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل كما قال تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح فانه مناسب

البيت الثانى فانه معلق بالأول لا يستقل إلا به وهم يعيبون وقوف البيت على غيره ويرون أن البيت التام هو المحمود والمصراع التام بنفسه بحيث لا يقف على المصراع الآخر أفضل وأتم وأحسن وقوله فكيف يكون ان لم يسئل مليح جدا ولا تستمر ملاحة ما قبله عليه ولا يطرد فيه الماء اطراده فيه وفيه شىء آخر لانه لا يصلح أن يكون السؤال سببا لأن يعيا عن الجواب وظاهر القول يقتضيه فأما قوله

لا تكلفى الدموع فان لى
دمعا ينم عليه ان لم يفضل
ولقد سكنت إلى الصدود من النوى
والشرى اريا عند طعم الحنظل
وكذاك طرفه حين أوجس ضربة
فى الرأس هان عليه فصد الاكحل

فالبيت الأول مخالف لما عليه مذهبهم فى طلب الاسعاد بالدموع

لختام سورة الواقعة بالأمر بتسبيحه وكافتتاح سورة البقرة بقوله الم ذلك الكتاب فانه اشارة الى الصراط فى قوله اهدنا الصراط المستقيم كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط قيل لهم ذلك الصراط الذى سألتم الهداية اليه هو الكتاب وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة ومن لطائف سورة الكوثر انها كالمقابلة للتى قبلها لأن السابقة وصف الله فيها المنافق بأربعة أمور البخل وترك الصلاة والرياء فيها ومنع الزكاة فذكر فيها فى مقابلة البخل انا أعطيناك الكوثر أى الخير الكثير وفى مقابلة ترك الصلاة فصل أى دم عليها وفى مقابلة الرياء لربك أى لرضاه لا للناس وفى مقابلة منع الماعون وانحر وأراد به التصدق بلحم الاضاحى وقال بعضهم لترتيب وضع السور فى المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفى صادر عن حكيم أحدها بحسب الحروف كما فى الحواميم الثانى لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها كآخر الحمد فى المعنى وأول البقرة * الثالث للتوازن فى اللفظ كآخرتبت وأول الاخلاص * الرابع لمشابهة جملة السورة لجملة الاخرى كالضحى وألم نشرح قال بعض الأئمة وسورة الفاتحة تضمنت الاقرار بالربوبية والالتجاء اليه فى دين الاسلام والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين وآل عمران مكملة لمقصودها فالبقرة بمنزلة اقامة الدليل على الحكم وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم ولهذا ورد فيها ذكر المتشابه لما تمسك به النصارى وأوجب الحج فى آل عمران وأما فى البقرة فذكر أنه مشروع وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه وكان خطاب النصارى فى آل عمران أكثر كما ان خطاب اليهود فى البقرة أكثر لان التوراة أصل والانجيل فرع لها والنبى ﷺ لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم وكان جهاده للنصارى فى آخر الامر كما كان دعاؤه لاهل الشرك قبل أهل الكتاب ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذى اتفق عليه والانبياء فخوطب به جميع الناس والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالانبياء من أهل الكتاب والمؤمنين فخوطبوا يا أهل الكتاب يا بنى اسرائيل يا أيها الذين آمنوا وأما سورة النساء فتضمنت أحكام الاسباب التى بين الناس وهى نوعان مخلوقة لله ومقدورة لهم كالنسب والصهر ولهذا افتتحت بقوله اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ثم قال واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام فانظر هذه المناسبة العجيبة فى الافتتاح وبراعة الاستهلال حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما أكثر السورة فى أحكامه من نكاح النساء ومحرماته والمواريث المتعلقة بالارحام فان ابتداء هذا الامر كان بخلق آدم ثم خلق زوجه منه ثم بث منهما رجالا كثيرا ونساء فى غاية الكثرة وأما المائدة فسورة العقود تضمنت بيان تمام الشرائع ومكملات الدين والوفاء بعهود الرسل وما أخذ على الأمة وبها تم الدين فهى سورة التكميل لان فيها تحريم الصيد على المحرم الذى هو من تمام الاحرام وتحريم الخمر الذى هو من تمام حفظ العقل والدين وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين الذى هو من تمام حفظ الدماء والاموال واحلال الطيبات الذى هو من تمام عبادة الله تعالى ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد ﷺ كالوضوء والتيمم والحكم بالقرآن على كل ذى دين ولهذا أكثر فيها من لفظ الاكمال والاتمام وذكر فيها ان من ارتد عوض الله بخير منه ولا يزال هذا الدين كاملا ولهذا أورد أنها آخر ما نزل فيها من اشارات الختم والتمام وهذا الترتيب بين هذه السور الاربع المدنيات من أحسن الترتيب وقال أبو جعفر بن الزبير حكى الخطابى أن الصحابة لما اجتمعوا على القرآن وضعوا سورة القدر عقب العلق استدلوا بذلك على أن المراد بها الكناية فى قوله انا أنزلناه فى ليلة القدر الاشارة إلى قوله اقرأ قال القاضى أبو بكر بن العربى وهذا بديع جدا (فصل) قال فى البرهان * ومن ذلك افتتاح السور بالحروف المقطعة واختصاص كل واحدة

والاسعاف بالبكاء ومخالف لاول كلامه لانه يفيد مخاطبة العذل وهذا يفيد مخاطبة الرفيق وقد بينت لك أن القوم يسلكون حفظ الألفاظ وتصنيفها دون ضبط المعانى وترتيبها ولذلك قال الله عز وجل والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون فأخبر أنهم يتبعون القول حيث توجه بهم واللفظ كيف اطاعهم والمعانى كيف تقبع ألفاظهم وذلك خلاف ما وضع عليه الابانة عن المقاصد بالخطاب ولذلك كان طلب الفصاحة فيه أسهل وأمكن فصار بهذا أبلغ خطابهم ثم لو ان هذا البيت وما يتلوه من البيتين سلم من نحو هذا لم يكن فى ذلك شىء يفوت شعر شاعر أو كلام متكلم وأما قوله والشرى أريا فانه وان كان قد تصنع له من جهة الطباق ومن جهة التجنيس المقارب فهى كلمة ثقيلة على اللسان وهم يذمون

بما بدئت به حتى لم يكن لترد آلم في موضع الرولا حم في موضع طس قال وذلك ان كل سورة بدئت بحرف منها فان أكثر كلماتها وحروفها مماثل له فحق لكل سورة منها أن لا يناسبها غير الواردة فيها فلو وضع ق موضع ن لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله وسورة ق بدئت به لما تكرر فيها من الكلمات بلفظ القاف من ذكر القرآن والخلق وتكرير القول ومراجعته مرارا والقرب من ابن آدم وتلقي الملكين وقول العتيد والرقيب والسائق والالقاء في جهنم والتقدم بالوعد وذكر المتقين والقلب والقرون والتنقيب في البلاد وتشقق الارض وحقوق الوعيد وغير ذلك وقد تكرر في سورة يونس من الكلم الواقع فيها الرمائتا كلمة أو أكثر فلهذا افتتحت بالر واشتملت سورة ص على خصومات متعددة فاولها خصومة النبي ﷺ مع الكفار وقولهم أجعل الآلهة إلها واحدا ثم اختصام الخصمين عند داود ثم تخاصم أهل النار ثم اختصام الملأ الأعلى ثم تخاصم ابليس في شأن آدم ثم في شأن بنيه واغوائهم والم جمعت المخارج الثلاثة الحلق واللسان والشفتين على ترتيبها وذلك إشارة إلى البداية التي هي بدء الخلق والنهاية التي هي بدء المعاد والوسط الذي هو المعاش من التشريع بالاوامر والنواهي وكل سورة افتتحت بها فهي مشتملة على الامور الثلاثة وسورة الاعراف زيد فيها الصاد على الم لما فيها من شرح القصص قصة آدم فمن بعده من الانبياء ولما فيها من ذكر فلا يكن في صدرك حرج ولهذا قال بعضهم معنى المص الم نشرح لك صدرك وزيد في الرعد راء لاجل قوله رفع السموات ولاجل ذكر الرعد والبرق وغيرهما * واعلم ان اعادة القرآن العظيم في ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن كقوله الم ذلك الكتاب الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق المص كتاب أنزل اليك الر تلك آيات الكتاب طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى طسم تلك آيات الكتاب يس والقرآن ص والقرآن حم تنزيل الكتاب ق والقرآن إلا ثلاث سور العنكبوت والروم ون ليس فيها ما يتعلق به وقد ذكرت حكمة ذلك في أسرار التنزيل وقال الحرالي في معنى حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال * واعلم ان القرآن منزل عند انتهاء الخلق وكمال كل الامر بدأ فكان المتحلي به جامعا لانتهاء كل خلق وكمال كل أمر فلذلك هو ﷺ قسيم الكون وهو الجامع الكامل ولذلك كان خاتما وكتابه كذلك وبدء المعاد من حين ظهوره فاستوفى صلاح هذه الجوامع الثلاث التي قد خلت في الاولين بدايا تها وتمت عنده غاياتها بعثت لأتمم مكارم الاخلاق وهي صلاح الدنيا والدين والمعاد التي جمعها عليه الصلاة والسلام اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري واصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح لي آخرتي التي اليها معادي وفي كل صلاح اقدام واحجام فتصير الثلاثة الجوامع ستة هي حروف القرآن الستة ثم وهب حرفا جامعا سابعا فردا الازواج له فتمت سبعة فادنى تلك الحروف هو حرف اصلاح الدنيا فلها حرفان أحدهما حرف الحرام الذي لا تصلح النفس والبدن إلا بالتطهير منه لبعده عن تقويمها * والثاني حرف الحلال الذي تصلح النفس والبدن عليه لموافقته تقويمها وأصل هذين الحرفين في التوراة وتمامها في القرآن ويلي ذلك حرفا صلاح المعاد * أحدهما حرف الزجر والنهي الذي لا تصلح الآخرة إلا بالتطهير منه لبعده عن حسناتها * والثاني حرف الامر الذي تصلح الآخرة عليه لتقاضيه لحسناتها وأصل هذين الحرفين في الانجيل وتمامهما في القرآن ويلي ذلك حرفا صلاح الدين * أحدهما حرف المحكم الذي بان للعبد فيه خطاب ربه * والثاني حرف المتشابه الذي لا يتبين للعبد فيه خطاب ربه من جهة قصور عقله عن ادراكه فالحروف الخمسة للاستعمال وهذا الحرف السادس للوقوف والاعتراف بالعجز وأصل هذين الحرفين في الكتب المتقدمة كلها وتمامها في القرآن ويختص القرآن بالحرف السابع الجامع وهو حرف المثل المبين للمثل

نحو هذا كما عابوا على أبي تمام قوله

كريم متى أمدحه أمدحه والو رى معى

ومتى مالمته لمته وحدى

ذكر لي الصاحب بن عباد انه جارى أبا الفضل بن العميد في محاسن القصيدة حتى انتهى إلى هذا البيت فذكر له ان قوله أمدحه أمدحه معيب لثقله من جهة تدارك حروف الحلق ثم رأيت بعد ذلك المتقدمين قد تكلموا في هذه النكتة فعلمت ان ذلك شيء عند أهل الصنعة معروف ثم ان قوله عند أكل الحنظل ليس بحسن ولا واقع وأما البيت الثالث فهو أجنبي من كلامه غريب في طباعه نافر من جملة شعره وفيه كزازة وفجاجة وان كان المعنى صالحا فاما قوله

واغرفي الزمن البهيم محجل

قد رحت منه على أغر محجل

كالهيكل المبني إلا أنه في الحسن جاء كصورة في هيكل

الاعلى ولما كان هذا الحرف هو الحمد افتتح الله به أم القرآن وجمع فيها جوامع الحروف السبعة التى بثها فى القرآن فالآية الاولى تشتمل على حرف الحمد السابع والثانية تشتمل على حرفى الحلال والحرام اللذين أقامت الرحمانية بهما الدنيا والرحيمية الآخرة والثالثة تشتمل على أمر الملك القيم على حرفى الأمر والنهى اللذين يبدأ أمرهما فى الدين والرابعة تشتمل على حرفى المحكم فى قوله إياك نعبد والمتشابه فى قوله وإياك نستعين ولما افتتح أم القرآن بالسابع الجامع الموهوب ابتدئت البقرة بالسادس المعجوز عنه وهو المتشابه اه كلام الحرانى والمقصود منه هو الاخير و بقيته ينبو عنه السمع و ينفر عنه القلب ولا تميل اليه النفوس وأنا أستغفر الله من حكايته على انى أقول فى مناسبة ابتداء البقرة بالم أحسن ماقال وهو انه لما ابتدئت الفاتحة بالحرف المحكم الظاهر لكل أحد حيث لا يعذر أحد فى فهمه ابتدئت البقرة بمقابله وهو الحرف المتشابه البعيد التأويل أو المستحيله

﴿ فصل ﴾ ومن هذا النوع مناسبة أسماء السور لمقاصدها وقد تقدم فى النوع السابع عشر الاشارة إلى ذلك وفى عجائب الكرمانى انما سميت السور السبع حم على الاشتراك فى الاسم لما بينهن من المتشاكل الذى اختصت به وهو ان كل واحدة منها استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب مع تقارب المقادير فى الطول والقصر وتشاكل الكلام فى النظام ﴿ فوائد منثورة ﴾ فى المناسبات فى تذكرة الشيخ تاج الدين السبكى ومن خطه نقلت سأل الامام ما الحكمة فى افتتاح سورة الاسراء بالتسبيح والكهف بالتحميد وأجاب بان التسبيح حيث جاء يقدم على التحميد نحو فسبح بحمد ربك سبحان الله والحمد لله * وأجاب ابن الزملكانى بأن سورة سبحان لما اشتملت على الاسراء الذى كذب المشركون به النبى ﷺ وتكذيبه تكذيب لله سبحانه وتعالى أتى بسبحان لتنزيه الله تعالى عما نسب اليه نبيه من الكذب وسورة الكهف لما أنزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف وتأخر الوحى نزلت مبينة ان الله لم يقطع نعمته عن نبيه ولا عن المؤمنين بل أتم عليهم النعمة بانزال الكتاب فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة فى تفسير الخويى ابتدئت الفاتحة بقوله الحمد لله رب العالمين بوصف انه مالك جميع المخلوقين وفى الانعام والكهف وسبأ وفاطر لم يوصف بذلك بل بفرد من أفراد صفاته وهو خلق السموات والارض والظلمات والنور فى الانعام وأنزل الكتاب فى الكهف وملك ما فى السموات وما فى الارض فى سبأ وخلقهما فى فاطر لان الفاتحة أم القرآن ومطلعه فناسب الانيان فيها بابلغ الصفات وأعمها وأشملها فى العجائب للكرمانى ان قيل كيف جاء يسئلونك أربع مرات بغير واو يسئلونك عن الاهلة يسألونك ماذا ينفقون يسألونك عن الشهر الحرام يسألونك عن الخمر ثم جاء ثلاث مرات بالواو ويسئلونك ماذا ينفقون و يسئلونك عن اليتامى و يسئلونك عن المحيض * قلنا لان سؤالهم عن الحوادث الاول وقع متفرقا وعن الحوادث الاخر وقع فى وقت واحد فجىء بحرف الجمع دلالة على ذلك * فان قيل كيف جاء و يسئلونك عن الجبال فقل وعادة القرآن مجىء قل فى الجواب بالالقاء * وأجاب الكرمانى بأن التقدير لو سئلت عنها فقل * فان قيل كيف جاء واذا سألك عبادى عنى فانى قريب وعادة السؤال يجىء جوابه فى القرآن بقل * قلنا حذفت للاشارة إلى أن العبد فى حال الدعاء فى أشرف المقامات لا واسطة بينه و بين مولاه ورد فى القرآن سورتان أولهما أيها الناس فى كل نصف سورة فالتى فى النصف الاول تشتمل على شرح المبدأ والتى فى الثانى على شرح المعاد

﴿ النوع الثالث والستون * فى الآيات المشتبهات ﴾ أفرده بالتصنيف خلق أولهم فيما أحسب الكسائى ونظمه السخاوى وألف فى توجيهه الكرمانى كتابه البرهان فى متشابه القرآن وأحسن منه درة التنزيل وغرة التأويل لابى عبد الله الرازى واحسن من هذا ملاك التأويل لابى جعفر بن الزبير ولم أقف عليه

والقاضى

قالبيت الاول لم يتفق له فيه خروج حسن بل هو مقطوع عما سلف من الكلام وعامة خروجه نحو هذا وهو غير بارع فى هذا الباب وهذا مذموم معيب منه لان من كان صناعته الشعر وهو يأكل به وتغافل عما يدفع اليه فى كل قصيدة واستهان بأحكامه وتجويده مع تتبعه لأن يكون عامة مايصدر به أشعاره من النسيب عشرة أبيات وتتبعه للصنعة الكثيرة وتركيب العبارات وتنقيح الالفاظ وتزويرها كان ذلك أدخل فى عيبه وأدل على تقصيره أو قصوره وانه لا يقع له الخروج منه وأما قوله * واغرفى الزمن البهيم محجل * فان ذكر التحجيل أفى الممدوح قريب وليس لجيد وقد يمكن أن يقال بانه إذا قرن بالاغر حسن وجرى مجراه وانخرط فى سلكه وأهوى إلى مضماره ولم ينكر لمكانه من جواره فهذا عذر والعدول عنه أحسن وانما أراد

وللقاضي بدر الدين بن جماعة في ذلك كتاب لطيف سماه كشف المعاني عن متشابه المثاني وفي كتاب أسرار التنزيل المسمى قطف الازهار في كشف الاسرار من ذلك الجم الغفير والقصد به ايراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة بل تاتي في موضع واحد مقدما وفي آخر مؤخرا كقوله في البقرة وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفي الاعراف وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا وفي البقرة وما أهل به لغير الله وسائر القرآن وما أهل لغير الله به أو في موضع بزيادة وفي آخر بدونها نحو سواء عليهم أأنذرتهم وفي يس وفي البقرة ويكون الدين لله وفي الانفال كله لله أو في موضع معرفا وفي آخر منكرا أو مفردا وفي آخر جمعا أو بحرف وفي آخر بحرف آخر أو مدغما وفي آخر مفكوكا وهذا النوع يتداخل مع نوع المناسبات وهذه أمثلة منه بتوجيهها قوله تعالى في البقرة هدى للمتقين وفي لقمان هدى ورحمة للمحسنين لانه لما ذكر هنا مجموع الايمان ناسب المتقين ولما ذكر ثم الرحمة ناسب المحسنين قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا وفي الاعراف فكلا بالفاء قيل لان السكنى في البقرة الاقامة وفي الاعراف اتخاذ المسكن فلما نسب القول اليه تعالى وقلنا يا آدم ناسب زيادة الاكرام بالواو الدالة على الجمع بين السكنى والاكل ولذا قال فيه رغدا وقال حيث شئتما لانه أعم وفي الاعراف ويا آدم فاتى بالفاء الدالة على ترتيب الاكل على السكنى المأمور باتخاذها لان الاكل بعد الاتخاذ ومن حيث لا تعطي عموم معنى حيث شئتما قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الآية وقال بعد ذلك ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ففيه تقديم العدل وتأخيره والتعبير بقبول الشفاعة تارة وبالنفع أخرى وذكر في حكمته ان الضمير في منها راجع في الأولى الى النفس الأولى وفي الثانية الى النفس الثانية فبين في الأولى ان النفس الشافعة الجازية عن غيرها لا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل وقدمت الشفاعة لان الشافع يقدم الشفاعة على بذل العدل عنها وبين في الثانية ان النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها ولا تنفعها شفاعة شافع منها وقدم العدل لان الحاجة الى الشفاعة انما تكون عند رده ولذلك قال في الأولى لا تقبل منها شفاعة وفي الثانية ولا تنفعها شفاعة لان الشفاعة انما تقبل من الشافع وانما تنفع المشفوع له قوله تعالى واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون وفي ابراهيم ويذبحون بالواو لان الأولى من كلامه تعالى لهم فلم يعده عليهم المحن تكرما في الخطاب والثانية من كلام موسى فعددها وفي الأعراف يقتلون وهو من تنويع الألفاظ المسمى التفنن قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية الآية وفي آية الأعراف اختلاف ألفاظ نكتته ان آية البقرة في معرض ذكر المنعم عليهم حيث قال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي الخ فناسب نسبة القول اليه تعالى وناسب قوله رغدا الأن المنعم به أتم وناسب تقديم وادخلوا الباب سجدا وناسب خطايا كم لأنه جمع كثرة وناسب الواو وفي وسنزيد لدلالتها على الجمع بينهما وناسب الفاء في فكلوا الأن الأكل مترتب على الدخول وآية الأعراف افتتحت بما فيه توبيخهم وهو قولهم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ثم اتخاذهم العجل فناسب ذلك واذ قيل لهم وناسب ترك رغدا والسكنى تجامع الأكل فقال وكلوا وناسب تقديم ذكر مغفرة الخطايا وترك الواو وفي سنزيد ولما كان في الاعراف تبعيض الهادين بقوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق ناسب تبعيض الظالمين بقوله الذين ظلموا منهم ولم يتقدم في البقرة مثله فترك وفي البقرة اشارة الى سلامة غير الذين ظلموا لتصريحه بالانزال على المتصفين بالظلم والارسال أشد وقعا من الانزال فناسب سياق ذكر النعمة في البقرة ذلك وختم آية البقرة بيفسقون ولا يلزم منه الظلم والظلم يلزم منه الفسق فناسب كل لفظة منها سياقه وكذا في البقرة فانفجرت وفي الأعراف انبجست لان الانفجار أبلغ في كثرة الماء فناسب سياق ذكر النعم التعبير به قوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة

ان يرد العجز على الصدر وأتى بوجه في التجنيس وفيه شيء لان ظاهر كلامه يوهم انه قد صار ممتطي الاغر الاول ورائحا عليه ولو سلم من ذلك لم يكن فيه ما يفوت حدود الشعراء وأقاويل الناس فاماذ كر الهيكل في البيت الثاني ورده عجز البيت عليه وظنه انه قد ظفر بهذه اللفظة وعمل شيئا حتى كررها فهي كلمة فيها ثقل ونحن نجدهم اذا أرادوا أن يصنعوا نحو هذا قالوا ماهو الا صورة وما هو الا تمثال وما هو الا دمية وما هو الا ظبية ونحو ذلك من الكلمات الخفيفة على القلب واللسان وقد استدرك هو أيضا على نفسه فذكر أنه كصورة في هيكل ولو اقتصر على ذكر الصورة وحذف الهيكل كان أولى وأجمل ولو أن هذه الكلمة كررها أصحاب العزائم على الشياطين لراعوهم بها وأفزعوهم بذكرها وذلك من كلامهم وشبيه بصنعتهم * وأما قوله

وفى آل عمران معدودات قال ابن جماعة لان قائلى ذلك فرقتان من اليهود إحداهما قالت انما نعذب بالنار سبعة أيام عدد أيام الدنيا والاخرى قالت انما نعذب أربعين عدة أيام عبادة آبائهم العجل فآية البقرة تحتمل قصد الفرقة الثانية حيث عبر بجمع الكثرة وآل عمران بالفرقة الاولى حيث أتى بجمع القلة وقال أبو عبد الله الرازى انه من باب التفنن * قوله تعالى ان هدى الله هو الهدى وفى آل عمران ان الهدى هدى الله لان الهدى فى البقرة المراد به تحويل القبلة وفى آل عمران المراد به الدين لتقدم قوله لمن تبع دينكم ومعناه ان دين الله الاسلام * قوله تعالى رب اجعل هذا بلدا آمنا وفى ابراهيم هذا البلد آمنا لان الاول دعا به قبل مصيره بلدا عند تركها جر واسمعيل به وهووا دفدعا بأن تصيره بلدا والثانى دعا به بعد عوده وسكنى جرهم به ومصيره بلدا فدعا بأمنه * قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وفى آل عمران قل آمنا بالله وما أنزل علينا لان الاولى خطاب للمسلمين والثانية خطاب للنبى ﷺ والى ينتهى بها من كل جهة وعلى لا ينتهى بها الا من جهة واحدة وهى العلو والقرآن يأتى المسلمين من كل جهة يأتى مبلغه إياهم منها وانما أتى النبى ﷺ من جهة العلو خاصة فناسب قوله علينا ولهذا أكثر ماجاء فى جهة النبى ﷺ بعلى ولأكثر ماجاء فى جهة الامة بالى * قوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها وقال بعد ذلك فلا تعتدوها لان الاولى وردت بعد نواه فناسب النهى عن قربانها والثانية بعد أوامر فناسب النهى عن تعديها وتجاوزها بأن يوقف عندها * قوله تعالى نزل عليك الكتاب وقال وأنزل التوراة والانجيل لان الكتاب أنزل منجما فناسب الاتيان بنزل الدال على التكرير بخلافهما فانهما أنزلا دفعة * قوله تعالى ولا تقتلوا أولادكم من إملاق وفى الاسراء خشية إملاق لان الاولى خطاب للفقراء المقلين أى لا تقتلوهم من فقر بكم فحسن نحن نرزقكم ما يزول به إملاقكم ثم قال وإياهم أى نرزقكم جميعا والثانية خطاب للاغنياء أى خشية فقر يحصل لكم بسببهم ولذا حسن نحن نرزقهم وإياكم قوله تعالى فاستعذ بالله انه سميع عليم وفى فصلت انه هو السميع العليم قال ابن جماعة لان آية الاعراف نزلت أولا وآية فصلت نزلت ثانيا فحسن التعريف أى هو السميع العليم الذى تقدم ذكره أولا عند نزوغ الشيطان * قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وقال فى المؤمنين بعضهم أولياء بعض وفى الكفار والذين كفروا بعضهم أولياء بعض لان المنافقين ليسوا متناصرين على دين معين وشريعة ظاهرة فكان بعضهم يهوداً وبعضهم مشركين فقال من بعض أى فى الشك والنفاق والمؤمنون متناصرون على دين الاسلام وكذلك الكفار الملعنون بالكفر كلهم أعوان بعضهم ومجتمعون على التناصر بخلاف المنافقين كما قال تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى فهذه أمثلة يستضاء بها وقد تقدم منها كثير فى نوع التقديم والتأخير وفى نوع الفواصل وفى أنواع أخر

﴿النوع الرابع والستون فى اعجاز القرآن﴾ أفرده بالتصنيف خلائق منهم الخطابى والرمانى والزملكانى والامام الرازى وابن سراقة والقاضى أبو بكر الباقلانى قال ابن العربى ولم يصنف مثل كتابه * اعلم ان المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى سالم عن المعارضة وهى اما حسية واما عقلية وأكثر معجزات بنى اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ولان هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوا والبصائر كما قال ﷺ ما من الانبياء نبى الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الى فأرجو ان أكون أكثرهم تابعا أخرجه البخارى قيل ان معناه ان معجزات الانبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها الا من حضرها

وفى الضلوع يشد عقد حزامه
يوم اللقاء على معم مخول
أخواله للرستمين بفارس
وجدوده للتبعين بموكل
نبل المحزم مما يمدح به
الخيل فهو لم يأت فيه ببديع
وقوله يشد عقد حزامه
داخل فى التكلف والتعسف
لا يقبل من مثله وان قبلناه
من غيره لانه يتتبع الالفاظ
وينقدها نقدا شديداً فهلا
قال يشد حزامه أو يأتى
بحشو آخر سوى العقد فقد
عقد هذا البيت بذكر
العقد ثم قوله يوم اللقاء
حشو آخر لا يحتاج اليه
وأما البيت الثانى فمعناه
أصلح من ألفاظه لانها
غير مجانسة لطباعه وفيها
غلظ ونفار وأما قوله
يهوى كما تهوى العقاب
وقد رأت
صيدا وينقض انقضاض
الاجدل
متوجس بر قيقتين
كانما
تريان من ورق عليه
موصل

ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقه العادة فى أسلوبه و بلاغته وأخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الأعصار الا ويظهر فيه شىء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه وقيل المعنى أن المعجزات الواضحة الماضية كانت حسية تشاهد بالابصار كناقة صالح وعصا موسى ومعجزات القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لأجلها أكثر لأن الذى يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده والذى يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الاول مستمرا * قال فى فتح البارى و يمكن نظم القولين فى كلام واحد فان محصلهما لا ينافى بعضه بعضا ولا خلاف بين العقلاء ان كتاب الله تعالى معجز لم يقدر احد على معارضته بعد تحديهم بذلك قال تعالى وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فلولا ان سماعه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه ولا يكون حجة إلا وهو معجزة وقال تعالى وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فاخبر ان الكتاب آيات من آياته كاف فى الدلالة قائم مقام معجزات غيره وآيات من سواه من الانبياء ولما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم اليهم وكانوا أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء وتحداهم على أن يأتوا بمثله وأملهم طول السنين فلم يقدروا كما قال تعالى فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ثم تحداهم بعشر سور منه فى قوله تعالى أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ثم تحداهم بسورة فى قوله أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله الآية ثم كرر فى قوله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الآية فلما عجزوا عن معارضته والاتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء نادى عليهم باظهار العجز واعجاز القرآن فقال قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فهذا وهم الفصحاء اللدود قد كانوا أحرص شىء على اطفاء نوره واخفاء أمره فلو كان فى مقدرتهم معارضته لعدلوا اليها قطعا للحجة ولم ينقل عن أحد منهم أنه حدث نفسه بشىء من ذلك ولا رامه بل عدلوا الى العناد تارة والى الاستهزاء أخرى فتارة قالوا سحر وتارة قالوا شعر وتارة قالوا أساطير الاولين كل ذلك من التحير والانقطاع ثم رضوا بتحكيم السيف فى أعناقهم وسبى ذراريهم وحرمهم واستباحة أموالهم وقد كانوا آنف شىء وأشده حمية فلو علموا أن الاتيان بمثله فى قدرتهم لبادروا اليه لانه كان أهون عليهم * كيف وقد أخرج الحاكم عن ابن عباس قال جاء الوليد بن المغيرة الى النبى ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه لئلا تأتى محمدا لتعرض لما قاله قال قد علمت قريش انى من أكثرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك انك كاره له قال وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ولا برجزه ولا بقصيده ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذى نقول شيئا من هذا ووالله ان لقوله الذى يقول حلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وانه ليعلو ولا يعلى عليه وانه ليحطم ما تحته قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعنى حتى أفكر فلما فكر قال هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره قال الجاحظ بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا وأحكم ما كانت لغة وأشد ما كانت عدة فدعاها وأدناها الى توحيد الله وتصديق رسالته فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر وأزال الشبهة وصار الذى يمنعهم من الاقرار الهوى والحمية دون الجهل والحيرة حملهم على حظهم بالسيف فنصب لهم الحرب ونصبوا له وقتل من عليتهم وأعلامهم وأعمامهم وبنى أعمامهم وهو فى ذلك يحتج عليهم بالقرآن و يدعوهم صباحا ومساء الى أن يعارضوه ان كان كاذبا بسورة واحدة أو بآيات يسيرة

ما ان يعاف قذى ولو أوردته
يوما خلائق حمدويه الاحول

البيت الاول صالح وقد قاله الناس ولم يسبق اليه ولم يقل ما لم يقولوه بل هو منقول وفى سرعة عدو الفرس تشبيهات ليس هذا ابدعها وقد يقولون يفوت الطرف و يسبق الريح و يجارى الوهم و يكر النظر ولولا ان الاتيان على محاسن ما قالوه فى ذلك يخرج الكلام عن غرض الكتاب نقلت لك جملة مما ذهبوا اليه فى هذا المعنى فتتبع تعلم انه لم يأت فيها بما يجل عن الوصف أو يفوت منتهى الحد على ان الهوى يذكر عند الانقضاض خاصة وليس للفرس هذه الصفة فى الحقيقة الا ان يشبه جده فى العدو بحالة انقضاض البازى والعقاب وليست تلك الحالة باسرع أحوال طيرانها وأما البيت الثانى فقوله ان الاذنين كانهما من ورق موصل

فكلما ازداد تحديا لهم بها وتقريعا لعجزهم عنها تكشف عن نقصهم ما كان مستورا وظهر منه ما كان خفيا فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له أنت تعرف من أخبار الامم مالا نعرف فلذلك يمكنك مالا يمكننا قال فهاتوها مفتريات فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا طبع فيه لتكلفه ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم أنه قد عارض وقابل وناقض فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستحالة لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم وعارض شعراء أصحابه وخطباء أمتي لان سورة واحدة وآيات يسيرة كانت أنقض لقوله وافسد لامره وابلغ في تكذيبه وأسرع في تفريق أتباعه من بذل النفوس والخروج من الاوطان وانفاق الأموال وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأي والعقل بطبقات ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ولهم الاسجاع والمزدوج واللفظ المنثور ثم يتحدى به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدناهم فمحال أكرمك الله أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط في الأمر الظاهر والخطأ المكشوف البين مع التقريع بالنقص والتوقيف على العجز وهم أشد الخلق انفة وأكثرهم مفاخرة والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا اليه والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة وكما أنه محال أن يطبقوه ثلاثا وعشرين سنة على الغلط في الأمر الجليل المنفعة فكذلك محال أن يتركوه وهم يعرفونه ويجدون السبيل اليه وهم يبذلون أكثر منه انتهى

﴿فصل﴾ لما ثبت كون القرآن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وجب الاهتمام بمعرفة وجه الاعجاز وقد خاض الناس في ذلك كثيرا فبين محسن ومسيء فزعم قوم ان التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات وان العرب كلفت في ذلك مالا يطاق وبه وقع عجزها وهو مردود لأن مالا يمكن الوقوف عليه لا يتصور التحدي به والصواب ماقاله الجمهور أنه وقع بالدال على القديم وهو الالفاظ ثم زعم النظام ان اعجازه بالصرفة أي أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدورا لهم لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات وهذا قول فاسد بدليل قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية فانه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع ان الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز الى القرآن فكيف يكون معجزا وليس فيه صفة اعجاز بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم القدرة على الاتيان بمثله وأيضا فيلزم من القول بالصرفة زوال الاعجاز بزوال زمان التحدي وخلو القرآن من الاعجاز وفي ذلك خرق لاجماع الامة ان معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية سوى القرآن قال القاضي أبو بكر ومما يبطل القول بالصرفة انه لو كانت المعارضة ممكنة وانما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا وانما يكون بالمنع معجزا فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه قال وليس هذا بأعجب من قول فريق منهم ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه به ولا بأعجب من قول آخرين ان العجز وقع منهم وأما من بعدهم ففي قدرته الاتيان بمثله وكل هذا لا يعتد به وقال قوم وجه اعجازه مافيه من الاخبار عن الغيوب المستقبلة ولم يكن ذلك من شأن العرب وقال آخرون ما تضمنه من الاخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها وقال آخرون ما تضمنه من الاخبار عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل كقوله إذ همت طائفتان منكم ان تفشلا ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله وقال القاضي أبو بكر وجه اعجازه ما فيه من النظم والتأليف والترصيف وأنه خارج

وانما أراد بذلك حدتهما وسرعة حركتهما واحساسهما بالصوت كما يحس الورق بخفيف الريح وظاهر التشبيه غير واقع واذا ضم من ماذكرنا من المعنى كان المعنى حسنا ولكن لا يدل عليه اللفظ وانما يجري مجرى المضمن وليس هذا البيت برائق اللفظ ولا مشاكل فيه لطيفة غير قوله متوجس برقيقتين فان هذا القدر هو حسن وأما البيت الثالث فقد ذكرنا فيما مضى من الكتاب انه من باب الاستطراد ونقلنا نظائر ذلك من قول أبي تمام وغيره وقطعة أبي تمام في نهاية الحسن في هذا المعنى * والذي وقع للبحتري في هذا البيت عندي ليس بجيد في لفظ ولا معنى وهو بيت وحش جدا قد صار قذى في عين هذه القصيدة بل وخزافيها ووبالا عليها قد كدر صفاءها وأذهب بهاءها وماءها وطمس بظلمته سناها وما وجه

عن جميع وجوه النظم المعتاد فى كلام العرب ومباين لأساليب خطاباتهم قال ولهذا لم يمكنهم معارضته قال ولا سبيل الى معرفة اعجاز القرآن من أصناف البديع التى أودعوها فى الشعر لأنه ليس مما يخرق العادة بل يمكن استدراكه بالعلم والتدريب والتصنع به كقول الشعر ووصف الخطب وصناعة الرسالة والحذق فى البلاغة وله طريق تسلك فاما شأو ونظم القرآن فليس له مثال يحتذى ولا امام يقتدى به ولا يصح وقوع مثله اتفاقا قال ونحن نعتقد ان الاعجاز فى بعض القرآن أظهر وفى بعضه أدق وأغمض وقال الامام فخر الدين وجه الاعجاز الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب وقال الزملكانى وجه الاعجاز راجع الى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزنة وعلة مركباته معنى بأن يوقع كل فن فى مرتبته العليا فى اللفظ والمعنى وقال ابن عطية الصحيح والذى عليه الجمهور والحذاق فى وجه اعجازه انه بنظمه وصحة معانيه وتوالى فصاحة ألفاظه وذلك أن الله أحاط بكل شىء علما وأحاط بالكلام كله فاذا ترتيب اللفظة من القرآن علم باحاطته أى لفظة تصلح ان تلى الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن الى آخره والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة ان أحدا من البشر لا يحيط بذلك فبهذا جاء نظم القرآن فى الغاية القصوى من الفصاحة وبهذا يبطل قول من قال ان العرب كان فى قدرتها الاتيان بمثله فصرفوا عن ذلك والصحيح انه لم يكن فى قدرة أحد قط ولهذا ترى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولا ثم ينظر فيها فيغير فيها وهلم جرا وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد ونحن يتبين لنا البراعة فى أكثره ويخفى علينا وجهها فى مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ فى سلامة الذوق وجودة القريحة وقامت الحجة على العالم بالعرب اذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة كما قامت الحجة فى معجزة موسى بالسحرة وفى معجزة عيسى بالأطباء فان الله انما جعل معجزات الانبياء بالوجه الشهير أبدع ما يكون فى زمن النبى الذى أراد اظهاره فكان السحر قد انتهى فى مدة موسى الى غايته وكذلك الطب فى زمن عيسى والفصاحة فى زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقال حازم فى منهاج البلغاء وجه الاعجاز فى القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها فى جميعه استمرارا لا يوجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة فى جميع أنحائها فى العالى منه الا فى الشىء اليسير المعدود ثم تعرض الفترات الانسانية فينقطع طيب الكلام ورونقه فلا تستمر لذلك الفصاحة فى جميعه بل توجد فى تفاريق وأجزاء منه وقال المراكشى فى شرح المصباح الجهة المعجزة فى القرآن تعرف بالتفكير فى علم البيان وهو كما اختاره جماعة فى تعريفه ما يحترز به عن الخطأ فى تأدية المعنى وعن تعقيده ويعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال لان جهة اعجازه ليست مفردات ألفاظه وإلا لكانت قبل نزوله معجزة ولا مجرد تأليفها والا لكان كل تأليف معجزا ولا اعرابها والا لكان كل كلام معرب معجزا ولا مجرد أسلوبه والا لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزا والاسلوب الطريق ولكان هذيان مسيلمة معجزا ولان الاعجاز يوجد دونه أى الاسلوب فى نحو فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فاصدع بما تؤمر ولا بالصرف عن معارضتهم لان تعجبهم كان من فصاحته ولان مسيلمة وابن المقفع والمعرى وغيرهم قد تعاطوها فلم يأتوا الا بما تمجه الاسماع وتنفر منه الطباع ويضحك منه فى أحوال تركيبه وبها أى بتلك الاحوال أعجز البلغاء وأخرص الفصحاء فعلى اعجازه دليل اجمالى وهو ان العرب عجزت عنه وهو بلسانها فغيرها أحرى ودليل تفصيلى مقدمته التفكر فى خواص تركيبه ونتيجته العلم بأنه تنزيل من المحيط بكل شىء علما وقال الاصبهانى فى تفسيره اعلم ان اعجاز القرآن ذكر من وجهين أحدهما

مدح الفرس بأنه لا يعاف قذى من المياه اذا وردها كأنه أراد أن يسلك مسلك بشار فى قوله * ولا يشرب الماء الا بدم * واذا كان لهذا الباب مجانبا وعن هذا السمت بعيدا فهلا وصفها بعزة الشرب كما وصفها المتنبى فى قوله

وصول الى المستصعبات بخيله
فلو كان قرن الشمس ماء لاوردا

وهلا سلك فيه مسلك القائل وانى للماء الذى شابه القذى
اذا كثرت وراده لعيوف

ثم قوله ولو أردته يوما حشو بارد ثم قوله حمدويه الاحول وحش جدا فما أمقت هذا البيت وأبغضه وما أثقله وأسخفه وانما غطى على عينه عيبه وزين له ايراده طمعه فى الاستطراد وهلا طمع فيه على وجه لا يفض من بهجة كلامه ولا معنى ألفاظه فقد كان يمكن ذلك ولا يتعذر فأما قوله

ذنب كما سحب الرداء يذب عن

اعجاز متعلق بنفسه والثانى بصرف الناس عن معارضته فالأول اما أن يتعلق بفصاحته و بلاغته أو بمعناه أما الاعجاز المتعلق بفصاحته و بلاغته فلا يتعلق بعنصره الذى هو اللفظ والمعنى فان ألفاظه ألفاظهم قال تعالى قرآنا عربيا بلسان عربى ولا بمعانيه فان كثيرا منها موجود فى الكتب المتقدمة قال تعالى وانه لفى زبر الأولين وما هو فى القرآن من المعارف الالهية و بيان المبدأ والمعاد والاخبار بالغيب فاعجازه ليس براجع الى القرآن من حيث هو قرآن بل لكونها حاصلة من غير سبق تعلم وتعلم و يكون الاخبار بالغيب اخبارا بالغيب سواء كان بهذا النظم أو بغيره مؤدى بالعربية أو بلغة أخرى بعبارة أو اشارة فاذن النظم المخصوص صورة القرآن واللفظ والمعنى عنصره و باختلاف الصور يختلف حكم الشىء واسمه لا بعنصره كالخاتم والقرط والسوار فانه باختلاف صورها اختلفت أسماؤها لا بعنصرها الذى هو الذهب والفضة والحديد فان الخاتم المتخذ من الفضة ومن الذهب ومن الحديد يسمى خاتما وان كان العنصر مختلفا وان اتخذ خاتم و قرط وسوار من ذهب اختلفت أسماؤها باختلاف صورها . وان كان العنصر واحدا قال فظهر من هذا أن الاعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص و بيان كون النظم معجزا يتوقف على بيان نظم الكلام ثم بيان ان هذا النظم مخالف لنظم ماعداه فنقول مراتب تأليف الكلام خمس * الأولى ضم الحروف المبسوطة بعضها الى بعض لتحصل الكلمات الثلاث الاسم والفعل والحرف * والثانية تأليف هذه الكلمات بعضها الى بعض لتحصل الجمل المفيدة وهو النوع الذى يتداوله الناس جميعا فى مخاطباتهم وقضاء حوائجهم و يقال له المنثور من الكلام * والثالثة يضم بعض ذلك الى بعض ذى مبادو مقاطع ومداخل ومخارج و يقال له المنظوم * والرابعة أن يعتبر فى أواخر الكلام مع ذلك تسجيع و يقال له المسجع * والخامسة أن يجعل مع ذلك وزن و يقال له الشعر والمنظوم اما محاورة و يقال له الخطابة واما مكاتبة و يقال له الرسالة فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الاقسام ولكل من ذلك نظم مخصوص والقرآن جامع لمحاسن الجميع على نظم غير نظم شىء منها يدل على ذلك انه لا يصح أن يقال له رسالة أو خطابة أو شعر أو سجع كما يصح أن يقال هو كلام والبليغ اذا قرع سمعه فصل بينه و بين ماعداه من النظم ولهذا قال تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنبيها على ان تأليفه ليس على هيئة نظم يتعاطاه البشر فيمكن أن يغير بالزيادة والنقصان كحالة الكتب الأخر قال وأما الاعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته فظاهر أيضا اذا اعتبر وذلك انه ما من صناعة محمودة كانت أو مذمومة الا و بينها و بين قوم مناسبات خفية واتفاقات جميلة بدليل ان الواحد يؤثر حرفة من الحرف فينشرح صدره بملابستها وتطيعه قواه فى مباشرتها فيقبلها بانشراح صدر و يزاولها باتساع قلبه فلما دعا الله أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمون فى كل واد من المعانى بسلاطة لسانهم الى معارضة القرآن وعجزهم عن الاتيان بمثله ولم يتصدوا للمعارضته لم يخف على أولى الالباب ان صارفا الهيا صرفهم عن ذلك وأى اعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزت فى الظاهر عن معارضته مصروفة فى الباطن عنها اه وقال السكاكى فى المفتاح اعلم ان اعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن يدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة كما يدرك طيب النغم العارض لهذا الصوت ولا يدرك تحصيله لغير ذوى الفطرة السليمة الا باتقان علمى المعانى والبيان والتمرين فيهما وقال أبو حيان التوحيدى سئل بندار الفارسى عن موضع الاعجاز من القرآن فقال هذه مسئلة فيها حيف على المعنى وذلك انه شبيه بقولك ما موضع الانسان من الانسان فليس للانسان موضع من الانسان بل متى أشرت الى جملته فقد حققته ودللت على ذاته كذلك القرآن لشرفه لا يشار الى شىء منه الا وكان ذلك المعنى آية فى نفسه ومعجزة لحامله وهدى لقائله وليس

هرف وعرف كالقناع للسبل
تتوهم الجوزاء فى ارساغه والبدر فوق جبينه المتهلل
فالبيت الاول وحش الابتداء منقطع عما سبق من الكلام وقد ذكرنا انه لا يهتدى لوصل الكلام ونظام بعضه الى بعض وانما يتصنع لغير هذا الوجه وكان يحتاج أن يقول ذنب كالرداء فقد حذف الوصل غير متسق ولا مليح وكان من سبيله أن لا يخفى عليه ولا يذهب عن مثله ثم قوله كما سحب الرداء قبيح فى تحقيق التشبيه وليس بواقع ولا مستقيم فى العبارة الا على اضمار انه ذنب يسحبه كما يسحب الرداء وقوله يذب عن عرف ليس بحسن ولا صادق والمحمود ماذكره امرؤ القيس وهو قوله
(فويق الارض ليس بأعزل)
وأن قوله
(تتوهم الجوزاء فى ارساغه)
فهو تشبيه مليح ولكنه

فى طاقة البشر الاحاطة باغراض الله فى كلامه وأسراره فى كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده وقال الخطابى ذهب الأكثرون من علماء النظر الى أن وجه الاعجاز فيه من جهة البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها وصعوا فيه الى حكم الذوق قال والتحقيق ان أجناس الكلام مختلفة ومراتبها فى درجات البيان متفاوتة فمنها البليغ الرصين الجزل ومنها الفصيح القريب السهل ومنها الجائز المطلق الرسل وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود فالأول أعلاها والثانى أوسطها والثالث أدناها وأقربها فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الاقسام حصة وأخذت من كل نوع شعبة فانتظم لها بانتظام هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتى الفخامة والعذوبة وهما على الانفراد فى نعوتهما كالمتضادين لان العذوبة تتاج السهولة والجزالة والمتانة يعالجان نوعا من الذعورة فكان اجتماع الامرين فى نظمه مع نبو كل واحد منهما عن الآخر فضيلة خص بها القرآن ليكون آية بينة لنبيه ﷺ وانما تعذر على البشر الاتيان بمثله لامور منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وأوضاعها التى هى ظروف المعانى ولا تدرك أفهامهم جميع معانى الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ. ولا تكمل معرفتهم باستيفاء جميع وجوه المنظوم التى بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض فيتواصلوا باختيار الأفضل من الأحسن من وجوهها الى أن يأتوا بكلام مثله وانما يقوم الكلام بهذه الاشياء الثلاثة لفظ حاصل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم واذا تأملت القرآن وجدت هذه الامور منه فى غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئا من الالفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه وأما معانيه فكل ذى لب يشهد له بالتقدم فى أبوابه والترقى الى أعلى درجاته وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق فى أنواع الكلام فاما أن توجد مجموعة فى نوع واحد منه فلم توجد الا فى كلام العليم القدير فخرج من هذا أن القرآن انما صار معجزا لانه جاء بأفصح الالفاظ فى أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعانى من توحيد الله تعالى وتنزيهه فى صفاته ودعائه الى طاعته وبيان لطريق عبادته من تحليل وتحريم وحظر واباحة ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهى عن منكر وارشاد الى محاسن الاخلاق وزجر عن مساويها واضعا كل شىء منها موضعه الذى لا يرى شىء أولى منه ولا يتوهم فى صورة العقل أمرا أليق به منه مودعا أخبار القرون الماضية ومانزل من مثلات الله بمن مضى وعائد منهم منبئا عن الكوائن المستقبلة فى الاعصار الآتية من الزمان جامعا فى ذلك بين الحجة والمحتج له والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك آكد للزوم مادعا عليه وأوعن وجوب ما أمر به ونهى عنه ومعلوم أن الاتيان بمثل هذه الامور والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتنسق أمر يعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قدرتهم فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته فى شكله ثم صار المعاندون له يقولون مرة انه شعر لما رأوه منظوما ومرة إنه سحر لما رأوه معجوزا عنه غير مقدور عليه وقد كانوا يجدون له وقعا فى القلوب وقرعا فى النفوس يرهبهم ويحيرهم فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعا من الاعتراف ولذلك قالوا إن له لحلاوة وان عليه لطلاوة وكانوا مرة بجهلهم يقولون أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا مع علمهم أن صاحبهم أمى وليس بحضرته من يملى أو يكتب فى نحو ذلك من الامور التى أوجبها العناد والجهل والعجز ثم قال وقد قلت فى اعجاز القرآن وجها ذهب عنه الناس وهو صنيعه فى القلوب وتأثيره فى النفوس فانك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا اذا قرع السمع خلص له الى القلب من اللذة والحلاوة فى حال ذوى الروعة والمهابة فى حال آخر ما يخلص منه اليه قال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وقال الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وقال ابن سراقة

لم يسبق اليه ولا انفرد به ولو نسخت لك ماقاله الشعراء فى تشبيه الغرة بالهلال والبدر والنجم وغير ذلك من الأمور وتشبيه الخجول لتعجبت من بدائع قد وقعوا عليها وأمور مليحة قد ذهبوا اليها وليس ذلك موضع كلامنا فتتبع ذلك فى أشعارهم تعلم ما وصفت لك واعلم انا تركنا بقية كلامه فى وصف الفرس لانه ذكر عشرين بيتا فى ذلك والذى ذكرناه فى هذا المعنى يدل على ما بعده ولا يعد وما تركناه أن يكون متوسطا الى حد لا يفوت طريقة الشعراء ولو تتبعت أقاويل الشعراء فى وصف الخيل علمت انه وان جمع فاوعى وحشر فنادى ففيهم من سبقه فى ميدانه ومنهم من ساواه فى شأوه ومنهم من داناه فالقبيل واحد والنسيج متشا كل ولولا كراهة التطويل لنقلت جملة من أشعارهم فى ذلك لتقف على ماقلت فتجاوزنا إلى الكلام

اختلف أهل العلم فى وجه اعجاز القرآن فذكر وا فى ذلك وجوها كثيرة كلها حكمة وصوابا وما بلغوا فى وجوه اعجازه جزأ واحداً من عشر معشاره فقال قوم هو الايجاز مع البلاغة وقال آخرون هو البيان والفصاحة وقال آخرون هو الوصف والنظم وقال آخرون هو كونه خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر مع كون حروفه فى كلامهم ومعانيه فى خطابهم وألفاظه من جنس كلماتهم وهو بذاته قبيل غير قبيل كلامهم وجنس آخر متميز عن أجناس خطابهم حتى ان من اقتصر على معانيه وغير حروفه أذهب رونقه ومن اقتصر على حروفه وغير معانيه أبطل فائدته فكان فى ذلك أبلغ دلالة على اعجازه وقال آخرون هو كون قارئه لا يكل وسامعه لا يمل وان تكررت عليه تلاوته وقال آخرون هو ما فيه من الاخبار عن الامور الماضية وقال آخرون هو ما فيه من علم الغيب والحكم على الامور بالقطع وقال آخرون هو كونه جامعا لعلوم يطول شرحها ويشق حصرها اه وقال الزركشى فى البرهان أهل التحقيق على أن الاعجاز وقع بجميع ما سبق من الاقوال لا بكل واحد على انفراده فانه جمع ذلك كله فلا معنى لنسبته الى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق فمنها الروعة التى له فى قلوب السامعين وأسماعهم سواء المقروا الجاحد ومنها انه لم يزل ولا يزال غضا طريا فى أسماع السامعين وعلى ألسنة القارئين ومنها جمعه بين صفتى الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين لا يجتمعان غالبا فى كلام البشر ومنها جعله آخر الكتب غنيا عن غيره وجعل غيره من الكتب المتقدمة قد تحتاج الى بيان يرجع فيه اليه كما قال تعالى ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون وقال الرمانى وجوه اعجاز القرآن تظهر من جهات ترك المعارضة مع توفر الدواعى وشدة الحاجة والتحدى للكافة والصرفة والبلاغة والاخبار عن الامور المستقبلة ونقض العادة وقياسه بكل معجزة قال ونقض العادة هو أن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة منها الشعر ومنها السجع ومنها الخطب ومنها الرسائل ومنها المنثور الذى يدور بين الناس فى الحديث فاتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة فى الحسن تفوق به كل طريقة ويفوق الموزون الذى هو أحسن الكلام قال وأما قياسه بكل معجزة فانه يظهر اعجازه من هذه الجهة إذا كان سبيل فلق البحر وقلب العصا حية وما جرى هذا المجرى فى ذلك سبيلا واحدا فى الاعجاز إذ خرج عن العادة فصد الخلق عن المعارضة وقال القاضى عياض فى الشفا اعلم أن القرآن منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها فى أربعة وجوه أولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشان * والثانى صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومنها نظمها ونثرها الذى جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آياته وانتهت اليه فواصل كلماته ولم يوجد قبله ولا بعده نظيره قال وكل واحد من هذين النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما إذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها خلافا لمن زعم أن الاعجاز فى مجموع البلاغة والاسلوب * الوجه الثالث ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن فوجد كما ورد * الرابع ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده ﷺ على وجهه ويأتى به على نصه وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب قال فهذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ومن الوجوه فى اعجازه غير ذلك آى وردت بتعجيز قوم فى قضايا واعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا فما تمناه أحد منهم وهذا

على ماقاله فى المدح فى هذه القصيدة قال

لمحمد بن على الشرف الذى
لا يلحظ الجوزاء الا من على
وسحابة لولا تتابع مزنها
فينا الرياح المزن غير مبخل
والجود يعذله عليه حاتم
سرفا ولا جود لمن لم يعذل

البيت الاول منقطع عما قبله على ماوصفنا به شعره من قطعه المعانى وفصله بينها وقلة تأنيه لتجويد الخروج والوصل وذلك نقصان فى الصناعة وتخلف فى البراعة وهذا إذا وقع فى مواضع قليلة عذر فيها واما إذا كان بناء الغالب من كلامه على هذا فلا عذر له وأما المعنى الذى ذكره فليس بشىء ماسبق اليه وهو شىء مشترك فيه وقد قال الوالبى نحوه وان مجده سماء السماء وقالوا فى نحوه الكثير الذى يصعب نقل جميعه وكما قال المتنبى

وعزمه بعثتها همة زحل
من تحتها بمكان الترب من زحل

وحدثنى اسماعيل بن عباد أنه رأى أبا الفضل

الوجه داخل فى الوجه الثالث ومنها الروعة التى تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم والهيبة التى تعتريهم عند تلاوته وقد أسلم جماعة عند سماع آيات منه كما وقع لجبير بن مطعم انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور قال فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون الى قوله المسيطرون كاد قلبى ان يطير قال وذلك أول ما وقر الاسلام فى قلبى وقد مات جماعة عند سماع آيات منه أفردوا بالتصنيف ثم قال ومن وجوه اعجازه كونه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا مع ما تكفل الله بحفظه ومنها ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وغيره من الكلام يعادى اذا أعيد ويمل مع الترديد ولهذا وصف صلى الله عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ولا أحاط بعلمها أحد فى كلمات قليلة وأحرف معدودة قال وهذا الوجه داخل فى بلاغته فلا يجب ان يعد فنا مفردا فى اعجازه قال والاوجه التى قبله تعد فى خواصه وفضائله لا إعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة الاول فليعتمد عليها

﴿تنبيهات * الاول﴾ اختلف فى قدر المعجز من القرآن فذهب بعض المعتزلة الى أنه متعلق بجميع القرآن والآيتان السابقتان ترده وقال القاضى يتعلق الاعجاز بسورة طويلة كانت او قصيرة تشبثا بظاهر قوله بسورة وقال فى موضع آخر يتعلق بسورة او قدرها من الكلام بحيث يتبين فيه تفاضل قوى البلاغة قال فاذا كانت آية بقدر حروف سورة وان كانت كسورة الكوثر فذلك معجز قال ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة فى أقل من هذا القدر وقال قوم لا يحصل الاعجاز بآية بل يشترط الايات الكثيرة وقال آخرون يتعلق بقليل القرآن وكثيره لقوله فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين قال القاضى ولا دلالة فى الآية لأن الحديث التام لا تتحصل حكايته فى أقل من كلمات سورة قصيرة * الثانى اختلف فى انه هل يعلم اعجاز القرآن ضرورة قال القاضى فذهب ابو الحسن الاشعرى الى ان ظهور ذلك على النبى ﷺ يعلم ضرورة وكونه معجزا يعلم بالاستدلال قال والذى نقوله ان لا عجمى لا يمكنه ان يعلم اعجازه الا استدلالا وكذلك من ليس ببليغ فاما البليغ الذى قد احاط بمذاهب العرب وغرائب الصنعة فانه يعلم من نفسه ضرورة عجزه وعجز غيره عن الاتيان بمثله * الثالث اختلف فى تفاوت القرآن فى مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على انه فى أعلى مراتب البلاغة بحيث لا يوجد فى التراكيب ما هو اشد تناسبا ولا اعتدالا فى افادة ذلك المعنى منه فاختار القاضى المنع وان كل كلمة فيه موصوفة بالذروة العليا وان كان بعض الناس احسن احساسا له من بعض واختار ابو نصر القشيرى وغيره التفاوت فقال لا ندعى ان كل ما فى القرآن على ارفع الدرجات فى الفصاحة وكذا قال غيره فى القرآن الأفصح والفصيح والى هذا نحا الشيخ عز الدين بن عبد السلام ثم أورد سؤالا وهو أنه لم يأت القرآن جميعه بالافصح * واجاب عنه الصدر موهوب الجزرى بما حاصله انه لو جاء القرآن على ذلك لكان على غير النمط المعتاد فى كلام العرب من الجمع بين الافصح والفصيح فلا تتم الحجة فى الاعجاز فجاء على نمط كلامهم المعتاد ليتم ظهور العجز عن معارضته ولا يقولوا مثلا أتيت بما لا قدرة لنا على جنسه كما لا يصح من البصير ان يقول للاعمى قد غلبتك بنظرى لانه يقول له انما تم لك الغلبة لو كنت قادرا على النظر وكان نظرك أقوى من نظرى واما اذا فقد اصل النظر فكيف تصح منى المعارضة * الرابع قيل الحكمة فى تنزيه القرآن عن الشعر الموزون مع أن الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره ان القرآن منبع الحق ومجمع الصدق وقصارى امر الشاعر التخييل بتصور الباطل فى صورة الحق والافراط فى الاطراء والمبالغة فى الذم والايذاء دون اظهار الحق واثبات الصدق ولهذا نزه الله نبيه عنه ولأجل شهرة الشعر بالكذب سمى اصحاب البرهان القياسات المؤدية فى أكثر الامر الى البطلان والكذب

ابن العميد قام لرجل قال لمن حضره اتدرى من هذا هو الذى قال فى أبيه البحترى (لمحمد بن القاسم الشرف الذى) فذلك يدل على استعظامه للبيت بما مدح به من البيت والبيت الثانى فى تشبيه جوده بالسحاب قريب وهو حديث مكرر ليس ينفك مديح شاعر منه وكان من سبيله ان يبدع فيه زيادة ابداع كما قد يقع لهم فى نحو هذا ولكنه لم يتصنع له وارسله ارسالا وقد وقع فى المصراع الثانى ضرب من الخلل وذلك ان المزن انما يبخل اذا منع نيله فذلك موجود فى كل نيل ممنوع وكلاهما محمود مع الاسعاف فان اسعف احدهما ومنع الآخر لم يمكن التشبيه وان كان انما شبه غالب أحدهما بالآخر وذكر قصور أحدهما عن صاحبه حتى انه قد يبخل فى وقت والآخر لا يبخل بحال فهذا جيد وليس فى حمل الالفاظ على

شعرية وقال بعض الحكماء لم يرتدين صادق اللهجة مغلق فى شعره وأما ما وجد فى القرآن مما صورته صورة الموزون فالجواب عنه ان ذلك لا يسمى شعراً لان شرط الشعر القصد ولو كان شعراً لكان كل من اتفق له فى كلامه شىء موزون شاعراً فكان الناس كلهم شعراء لانه قل أن يخلو كلام أحد عن ذلك وقد ورد ذلك على الفصحاء فلو اعتقدوه شعراً لبادروا إلى معارضته والطعن عليه لانهم كانوا أحرص شىء على ذلك وانما يقع ذلك لبلوغ الكلام الغاية القصوى فى الانسجام وقيل البيت الواحد وما كان على وزنه لا يسمى شعراً وأقل الشعر بيتان فصاعدا وقيل الرجز لا يسمى شعراً أصلا وقيل اقل ما يكون من الرجز شعراً أربعة ابيات وليس ذلك فى القرآن بحال * الخامس قال بعضهم التحدى إنما وقع للانس دون الجن لانهم ليسوا من أهل اللسان العربى الذى جاء القرآن على أساليبه وانما ذكروا فى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن تعظيما لاعجازه لان للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للافراد فاذا فرض اجتماع الثقلين فيه وظاهر بعضهم بعضا وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز وقال غيره بل وقع للجن أيضا والملائكة منوطون فى الآية لانهم لا يقدرون أيضا على الاتيان بمثل القرآن وقال الكرمانى فى غرائب التفسير إنما اقتصر فى الآية على ذكر الانس والجن لانه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الثقلين دون الملائكة * السادس سئل الغزالى عن معنى قوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فاجاب الاختلاف لفظ مشترك بين معان وليس المراد نفى اختلاف الناس فيه بل نفى الاختلاف عن ذات القرآن يقال هذا كلام مختلف أى لا يشبه أوله آخره فى الفصاحة أو هو مختلف الدعوى أى بعضه يدعو الى الدين وبعضه يدعو الى الدنيا وهو مختلف النظم فبعضه على وزن الشعر وبعضه منزحف وبعضه على أسلوب مخصوص فى الجزالة وبعضه على أسلوب يخالفه وكلام الله منزه عن هذه الاختلافات فانه على منهاج واحد فى النظم مناسب أوله آخره وعلى درجة واحدة فى غاية الفصاحة فليس يشتمل على الغث والسمين ومسوق لمعنى واحد وهو دعوة الخلق الى الله تعالى وصرفهم عن الدنيا الى الدين وكلام الآدميين تتطرق اليه هذه الاختلافات اذ كلام الشعراء والمترسلين اذا قيس عليه وجد فيه اختلاف فى منهاج النظم ثم اختلاف فى درجات الفصاحة بل فى أصل الفصاحة حتى يشتمل على الغث والسمين ولا يتساوى رسالتان ولا قصيدتان بل تشتمل قصيدة على أبيات فصيحة وأبيات سخيفة وكذلك تشتمل القصائد والاشعار على اغراض مختلفة لان الشعراء والفصحاء فى كل واد يهيمون فتارة يمدحون الدنيا وتارة يذمونها وتارة يمدحون الجبن ويسمونه حزما وتارة يذمونه ويسمونه ضعفا وتارة يمدحون الشجاعة ويسمونها صرامة وتارة يذمونها ويسمونها تهورا ولا ينفك كلام آدمى عن هذه الاختلافات لأن منشأها اختلاف الاغراض بالأحوال والانسان تختلف أحواله فتساعده الفصاحة عند انبساط الطبع وفرحه وتتعذر عليه عند الانقباض وكذلك تختلف أغراضه فيميل إلى الشىء مرة ويميل عنه اخرى فيوجب ذلك اختلافا فى كلامه بالضرورة فلا يصادف انسان يتكلم فى ثلاث وعشرين سنة وهى مدة نزول القرآن فيتكلم على غرض واحد ومنهاج واحد ولقد كان النبى ﷺ بشرا تختلف أحواله فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * السابع قال القاضى * فان قيل هل تقولون ان غير القرآن من كلام الله معجز كالتوراة والانجيل * قلنا ليس شىء من ذلك بمعجز فى النظم والتأليف وان كان معجزا كالقرآن فيما يتضمن من الاخبار بالغيوب وانما لم يكن معجزا لان الله تعالى لم يصفه بما وصف به القرآن ولانا قد علمنا انه لم يقع التحدى اليه كما وقع فى القرآن ولان ذلك اللسان لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذى ينتهى الى حد الاعجاز وقد ذكر ابن جنى فى الخاطريات فى قوله قالوا

الاشارة الى هذا شىء والبيت الثالث وان كان معناه مكرراً فلفظه مضطرب بالتأخير والتقديم يشبه ألفاظ المبتدئين وأما قوله فضل وافضال وما أخذ المدى بعد المدى كالفاضل المتفضل سار اذا ادلج العفاة إلى الندى لا يصنع المعروف غير معجل فالبيت الأول منقطع عما قبله وليس فيه شىء غير التجنيس الذى ليس ببديع لتكرره على كل لسان وقوله ما أخذ المدى فانه لفظ مليح وهو كقول القائل قد ادرك الآلة بعد الآلة وروى الحالة بعد الحالة وكقول امرىء القيس (سمو حباب الماء حالا على حال) ولكنها طريقة مذللة فهو فيها تابع وأما البيت الثانى فقريب فى اللفظ والمعنى وقوله لا يصنع المعروف ليس بلفظ

يا موسى اما ان تلقى واما أن نكون أول من ألقى ان العدول عن قوله واما ان نلقى لغرضين أحدهما لفظى وهو المزاوجة لرؤس الآى والآخر معنوى وهو انه تعالى أراد أن يخبر عن قوة أنفس السحرة واستطالتهم على موسى فجاء عنهم باللفظ أتم وأوفى منه فى اسنادهم الفعل اليه ثم أورد سؤ الا وهو إنا لا نعلم ان السحرة لم يكونوا أهل لسان فيذهب بهم هذا المذهب من صنعة الكلام * وأجاب بأن جميع ما ورد فى القرآن حكاية عن غير أهل اللسان من القرون الخالية انما هو معرب عن معانيهم وليس بحقيقة ألفاظهم ولهذا لا يشك فى ان قوله تعالى قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى ان هذه الفصاحة لم تجر على لغة العجم * الثامن قال البارزى فى أول كتابه أنوار التحصيل فى أسرار التنزيل اعلم ان المعنى الواحد قد يخبر عنه بألفاظ بعضها أحسن من بعض وكذلك كل واحد من جزأى الجملة قد يعبر عنه بأفصح ما يلائم الجزء الآخر ولا بد من استحضار معانى الجمل أو استحضار جميع ما يلائمها من الالفاظ ثم استعمال أنسبها وأفصحها واستحضار هذا متعذر على البشر فى أكثر الاحوال وذلك عتيد حاصل فى علم الله فلذلك كان القرآن أحسن الحديث وأفصحه وان كان مشتملا على الفصيح والافصح والمليح والاملح ولذلك أمثلة منها قوله تعالى وجنى الجنتين دان لو قال مكانه وثمر الجنتين قريب لم يقم مقامه من جهة الجناس بين الجنى والجنتين ومن جهة أن الثمر لا يشعر بمصيره الى حال يجنى فيها ومن جهة مؤاخاة الفواصل ومنها قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب أحسن من التعبير بتقرأ لثقله بالهمزة ومنها الاريب فيه أحسن من لا شك فيه لثقل الادغام ولهذا كثر ذكر الريب ومنها ولا تهنوا أحسن من ولا تضعفوا لخفته ووهن العظم منى أحسن من ضعف لان الفتحة أخف من الضمة ومنها آمن أخف من صدق ولذا كان ذكره أكثر من ذكر التصديق وآثر الله أخف من فضلك واتى أخف من أعطى وأنذر أخف من خوف وخير لكم أخف من أفضل لكم والمصدر فى نحو هذا خلق الله يؤمنون بالغيب أخف من مخلوق والغائب ونكح أخف من تزوج لان فعل أخف من تفعل ولهذا كان ذكر النكاح فيه أكثر ولاجل التخفيف والاختصار استعمل لفظ الرحمة والغضب والرضا والحب والمقت فى أوصاف الله تعالى مع أنه لا يوصف بها حقيقة لانه لو عبر عن ذلك بالفاظ الحقيقة لطال الكلام كان يقال يعامله معاملة المحب والماقت فالمجاز فى مثل هذا أفضل من الحقيقة لخفته واختصاره وابتنائه على التشبيه البليغ فان قوله فلما آسفونا انتقمنا منهم أحسن من فلما عاملونا معاملة الغضب أو فلما أتوا الينا بما يأتيه المغضب اه * التاسع قال الرمانى فان قال قائل فلعل السور القصار يمكن فيها المعارضة قيل لا يجوز فيها ذلك من قبل ان التحدى قد وقع بها فظهر العجز عنها فى قوله فائتوا بسورة فلم يخص بذلك الطوال دون القصار فان قال فانه يمكن فى القصار أن تغير الفواصل فيجعل بدل كل كلمة ما يقوم مقامها فهل يكون ذلك معارضة قيل له لا من قبل ان المفحم يمكنه أن ينشىء بيتا واحدا ولا يفصل بطبعه بين مكسور وموزون فلو أن مفحما رام أن يجعل بدل قوافى قصيدة رؤبة

وقاتم الاعماق خاوى المخترق مشتبه الاعلام لماع الخفق

* بكل وفد الريح من حيث انخرق *

فجعل بدل المخترق الممزق وبدل الخفق الشفق وبدل انخرق انطلق لامكنه ذلك ولم يثبت له به قول الشعر ولا معارضة رؤبة فى هذه القصيدة عند احد له أدنى معرفة فكذلك سبيل من غير الفواصل

﴿ النوع الخامس والستون * فى العلوم المستنبطة من القرآن ﴾ قال تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شىء وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وقال ﷺ ستكون فتن قيل وما المخرج

محمود واما قوله

عال على نظرا لحسود كانما
جذبته افراد النجوم بأحبل

أو ما رأيت المجد ألقى رحله
فى آل طلحة ثم لم يتحول

فالبيت الاول منكر جدا فى جر النجوم بالارسان موضعه الى العلو والتكلف فيه واقع والبيت الثانى اجنبى عنه بعيد منه وافتتاحه ردىء وما وجه الاستفهام والتقرير والاستبانة والتوقيف والبيتان اجنبيان من كلامه غريبان فى قصيدته ولم يقع له فى المدح فى هذه القصيدة شىء جيد ألا ترى انه قال بعد ذلك

نفسى فداؤك يا محمد من فتى
يوفى على ظلم الخطوب فتنجلى

انى أريد أباسعيد والعدا
بينى وبين سحابه المتهلل

كان هذا ليس من طبعه ولا من سبكه وقوله

مضر الجزيرة كلها وربيعة

منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم أخرجه الترمذى وغيره * وأخرج سعيد ابن منصور عن ابن مسعود قال من أراد العلم فعليه بالقرآن فان فيه خبر الاولين والآخرين قال البيهقى يعنى أصول العلم وأخرج البيهقى عن الحسن قال أنزل الله مائة وأربعة كتب وأودع علومها أربعة منها التوراة والانجيل والزبور والفرقان ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان وقال الامام الشافعى رضى الله عنه جميع ما تقوله الامة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن وقال أيضا جميع ما حكم به النبى ﷺ فهو مما فهمه من القرآن * قلت ويؤيد هذا قوله ﷺ انى لا أحل الا ما أحل الله ولا أحرم الا ما حرم الله فى كتابه أخرجه بهذا اللفظ الشافعى فى الام وقال سعيد بن جبير ما بلغنى حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه الا وجدت مصداقه فى كتاب الله وقال ابن مسعود اذا حدثتكم بحديث أنبأكم بتصديقه من كتاب الله تعالى أخرجهما ابن أبى حاتم وقال الشافعى أيضا ليست تنزل بأحد فى الدين نازلة الا فى كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها فان قيل من الاحكام ما يثبت ابتداء بالسنة قلنا ذلك مأخوذ من كتاب الله فى الحقيقة لان كتاب الله أوجب علينا اتباع الرسول ﷺ وفرض علينا الاخذ بقوله وقال الشافعى مرة بمكة سلونى عما شئتم أخبركم عنه فى كتاب الله فقيل له ما تقول فى المحرم يقتل الزنبور فقال بسم الله الرحمن الرحيم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا * وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعى بن حراش عن حذيفة بن اليمان عن النبى ﷺ انه قال اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر وحدثنا سفيان عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب انه أمر بقتل المحرم الزنبور وأخرج البخارى عن ابن مسعود أنه قال لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد فقالت له انه بلغنى انك لعنت كيت وكيت فقال ومالى لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو فى كتاب الله فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه كما تقول قال لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه اما قرأت وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه وحكى ابن سراقة فى كتاب الاعجاز عن أبى بكر بن مجاهد انه قال يوما ما من شىء فى العالم الا وهو فى كتاب الله فقيل له فأين ذكر الحيانات فيه فقال فى قوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم فهى الحيانات وقال ابن برهان ما قال النبى ﷺ ما من شىء فهو فى القرآن أو فيه أصله قرب أو بعد ففهمه من فهمه وعمه عنه من عمه وكذا كل ما حكم به أو قضى به وانما يدرك الطالب من ذلك بقدر اجتهاده وبذل وسعه ومقدار فهمه وقال غيره ما من شىء الا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله حتى ان بعضهم استنبط عمر النبى ﷺ ثلاثا وستين سنة من قوله فى سورة المنافقين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها فانها رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن فى فقده وقال ابن أبى الفضل المرسى فى تفسيره جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقة الا المتكلم بها ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافا استأثر به سبحانه وتعالى ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس حتى قال لو ضاع لى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله تعالى ثم ورث عنهم التابعون باحسان ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه فنوعوا علومه وقامت كل طائفة بفن من فنونه فاعتنى قوم بضبط لغاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعددها وعدد كلماته وآياته وسوره وأحزابه وأنصافه وأرباعه وعدد سجداته والتعليم عند كل عشر آيات الى غير ذلك

الخابور توعدنى وأزد الموصل
قد جدت بالطرف الجواد فشنه
لأخيك من ادد أبيك بمنصل
البيت الأول حسن المعنى وان كانت ألفاظه بذكر الأماكن لا يتأتى فيه التحسين وهذا المعنى قد يمكن إيراده بأحسن من هذا اللفظ وأبدع منه وأرق منه كقوله
اذا غضبت عليك بنو تميم
رأيت الناس كلهم غضابا
والبيت الثانى قد تعذر عليه وصله بما سبق من الكلام على وجه يلطف وهو قبيح اللفظ حيث يقول فيه فشنه لاخيك من أدد أبيك ومن آخذه بهذا التعرض لهذا السجع وذكر هذا النسب حتى أفسد به شعره واما قوله بعد ذلك فى وصف السيف
يقول
يتناول الروح البعيد مثالها
عفوا ويفتح فى القضاء للقفل

من حصر الكلمات المتشابهة والآيات المتماثلة من غير تعرض لمعانيه ولا تدبر لما أودع فيه فسموا القراء واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبنى من الاسماء والافعال والحروف العاملة وغيرها وأوسعوا الكلام فى الاسماء وتوابعها وضروب الافعال واللازم والمتعدى ورسوم خط الكلمات وجميع ما يتعلق به حتى ان بعضهم أعرب مشكله و بعضهم أعرب به كلمة كلمة واعتنى المفسرون بالفاظه فوجدوا منه لفظا يدل على معنى واحد ولفظا يدل على معنيين ولفظا يدل على أكثر فجروا الاول على حكمه واوضحوا معنى الخفى منه وخاضوا فى ترجيح أحد محتملات ذى المعنيين والمعانى واعمل كل منهم فكره وقال بما اقتضاه نظره واعتنى الاصوليون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية مثل قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا الى غير ذلك من الآيات الكثيرة فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله ووجوده و بقائه وقدمه وقدرته وعلمه وتنزيهه عما لا يليق به وسموا هذا العلم باصول الدين وتأملت طائفة منهم معانى خطابه فرأت منها ما يقتضى العموم ومنها ما يقتضى الخصوص إلى غير ذلك فاستنبطوا منه أحكام اللغة من الحقيقة والمجاز وتكلموا فى التخصيص والاخبار والنص والظاهر والمجمل والمحكم والمتشابه والأمر والنهى والنسخ إلى غير ذلك من أنواع الاقيسة واستصحاب الحال والاستقراء وسموا هذا الفن أصول الفقه وأحكمت طائفة صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الاحكام فأسسوا أصوله وفرعوا فروعه و بسطوا القول فى ذلك بسطا حسنا وسموه بعلم الفروع و بالفقه أيضا وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والامم الخالية ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الاشياء وسموا ذلك بالتاريخ والقصص وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والامثال والمواعظ التى تقلقل قلوب الرجال وتكاد تدك الجبال فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد والتحذير والتبشير وذكر الموت والمعاد والنشر والحشر والحساب والعقاب والجنة والنار فصولا من المواعظ وأصولا من الزواجر فسموا بذلك الخطباء والوعاظ واستنبط قوم مما فيه من أصول التعبير مثل ما ورد فى قصة يوسف فى البقرات السمان وفى منامى صاحبى السجن وفى رؤياه الشمس والقمر والنجوم ساجدة وسموه تعبير الرؤيا واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب فان عز عليهم اخراجها منه فمن السنة التى هى شارحة للكتاب فان عسر فمن الحكم والأمثال ثم نظروا الى اصطلاح العوام فى مخاطباتهم وعرف عادتهم الذى أشار اليه القرآن بقوله وأمر بالمعروف واخذ قوم مما فى آية المواريث من ذكر السهام وأربابها وغير ذلك علم الفرائض واستنبطوا منها من ذكر النصف والثلث والربع والسدس والثمن حساب الفرائض ومسائل العول واستخرجوا منه أحكام الوصايا ونظر قوم الى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة فى الليل والنهار والشمس والقمر ومنازله والنجوم والبروج وغير ذلك فاستخرجوا منه علم المواقيت ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ و بديع النظم وحسن السياق والمبادى والمقاطع والمخالص والتلوين فى الخطاب والالتفات والايجاز وغير ذلك واستنبطوا منه المعانى والبيان والبديع ونظر فيه ارباب الاشارات وأصحاب الحقيقة فلاح لهم من ألفاظه معان ودقائق جعلوها أعلاما اصطلحوا عليها مثل الفناء والبقاء والحضور والخوف والهيبة والانس والوحشة والقبض والبسط وما أشبه ذلك هذه الفنون التى أخذتها الملة الاسلامية منه وقد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك أما الطب فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة وذلك انما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة وقد جمع ذلك فى آية واحدة وهى قوله تعالى وكان بين ذلك قواما

بابانة فى كل حتف مظلم
وهداية فى كل نفس مجهل
ماض وان لم يمضه يد
فارس بطل ومصقول وان
لم يصقل
ليس لفظ البيت الأول
بمضاه لديباجة شعره
ولاله بهجة نظمه لظهور
أثر التكلف عليه وتبين
ثقل فيه وأما القضاء
المقفل وفتحه فكلام غير
محمود ولا مرضى واستعارة
لو لم يستعرها كانت أولى
به وهلا عيب عليه كما عيب
على أبى تمام قوله
فضربت الشتاء فى اخدعيه
ضربة غادرته عودا ركوبا
وقالوا يستحق بهذه
الاستعارة أن يصفع فى
أخدعيه وقد اتبعه البحترى
فى استعارة الاخدع ولوعا
باتباعه فقال فى الفتح
وانى وقد بلغتنى الشرف
العلا
واعتقت من ذل المطامع
اخدعى
ان شيطانه حيث زين له
هذه الكلمة تابعه حين

وعرفنا فيه بما يفيد نظام الصحة بعد اختلاله وحدوث الشفاء للبدن بعد اعتلاله فى قوله تعالى شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ثم زاد على طب الاجسام بطب القلوب وشفاء الصدور وأما الهيئة ففى تضاعيف سوره من الآيات التى ذكر فيها ملكوت السموات والارض وما بث فى العالم العلوى والسفلى من المخلوقات وأما الهندسة ففى قوله انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب الآية وأما الجدل فقد حوت آياته من البراهين والمقدمات والنتائج والقول بالموجب والمعارضة وغير ذلك شيئا كثيرا ومناظرة ابراهيم نمرود ومحاجته قومه أصل فى ذلك عظيم وأما الجبر والمقابلة فقد قيل ان أوائل السور فيها ذكر مدد واعوام وأيام لتواريخ أمم سالفة وان فيها تاريخ بقاء هذه الامة وتاريخ مدة أيام الدنيا وما مضى وما بقى مضروب بعضها فى بعض وأما النجامة ففى قوله أو اثارة من علم فقد فسره بذلك ابن عباس وفيه أصول الصنائع واسماء الآلات التى تدعو الضرورة اليها كالخياطة فى قوله وطفقا يخصفان والحدادة آتونى زبر الحديد وأنالله الحديد الآية والبناء فى آيات والنجارة واصنع الفلك باعيننا والغزل نقضت غزلها والنسج كمثل العنكبوت اتخذت بيتا والفلاحة افرأيتم ما تحرثون الآيات والصيد فى آيات والغوص كل بناء وغواص وتستخرجوا منه حلية والصياغة واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا والزجاجة صرح ممرد من قوارير المصباح فى زجاجة والفخار فاوقد لى يا هامان على الطين والملاحة أما السفينة الآية والكتابة علم بالقلم والخبز أحمل فوق رأسى خبزا والطبيخ بعجل حنيذ والغسل والقصارة وثيابك فطهر قال الحواريون وهم القصارون والجزارة الا ماذكيتم والبيع والشراء فى آيات والصبغ صبغة الله جدد بيض وحمر والحجارة وتنحتون من الجبال بيوتا والكيالة والوزن فى آيات والرمى وما رميت إذ رميت وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة وفيه من اسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات وجميع ما وقع ويقع فى الكائنات ما يحقق معنى قوله ما فرطنا فى الكتاب من شىء اه كلام المرسى ملخصا وقال ابن سراقة من بعض وجوه اعجاز القرآن ما ذكر الله فيه من اعداد الحساب والجمع والقسمة والضرب والموافقة والتأليف والمناسبة والتنصيف والمضاعفة ليعلم بذلك أهل العلم بالحساب أنه ﷺ صادق فى قوله وان القرآن ليس من عنده إذ لم يكن ممن خالط الفلاسفة ولا تلقى الحساب وأهل الهندسة وقال الراغب ان الله تعالى كما جعل نبوة النبيين بنبينا محمد ﷺ مختتمة وشرائعهم بشريعته من وجه منتسخة ومن وجه مكملة متممة جعل كتابه المنزل عليه متضمنا لثمرة كتبه التى أولاها أولئك كما نبه عليه بقوله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وجعل من معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم متضمن للمعنى الجم بحيث تقصر الالباب البشرية عن احصائه والآلات الدنيوية عن استيفائه كما نبه عليه بقوله ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله فهو وان كان لا يخلو للناظر فيه من نور ما يريه ونفع ما يوليه

كالبدر من حيث التفت رأيته ... يهدى الى عينيك نورا ثاقبا
كالشمس فى كبد السماء وضوءها ... يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

* واخرج أبو نعيم وغيره عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال قيل لموسى عليه السلام يا موسى انما مثل كتاب أحمد فى الكتب بمنزلة وعاء فيه لبن كلما مخضته أخرجت زبدته وقال القاضى أبو بكر بن العربى فى قانون التأويل علوم القرآن خمسون علما وار بعمائة علم وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة فى أربعة إذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع وهذا مطلق دون اعتبار تركيب وما بينها من روابط وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه الا الله قال وأم علوم القرآن ثلاثة توحيد

حسن عنده هذه اللفظة لحبيث ما وردودى وما عاند أراد أن يطلق أعنة الذم فيه ويسرح جيوش العتب اليه ولم يقع بقفل القضاء حتى جعل للحتف ظلمة تجلى بالسيف وجعل السيف هاديا فى النفس الجهل الذى لا يهتدى اليه وليس فى هذا مع تحسين اللفظ وتنميقه شىء لأن السلاح وان كان معيبا فانه يهتدى الى النفس وكان يجب أن يبدع فى هذا ابداع المتنبى فى قوله

كأن الهام فى الهيجا عيون ... وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقد صفت الألسنة من هموم

فما يخطرن الا فى فؤاد

فالاهتداء على هذا الوجه فى التشبيه بديع حسن وفى البيت الأول شىء آخر وذلك ان قوله ويفتح فى القضاء فى هذا الموضع حشو ردىء يلحق بصاحبه اللكنة ويلزمه الهجنة وأما البيت الثالث فانه أصلح هذه الأبيات وان كان ذكر

وتذكير وأحكام فالتوحيد يدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله والتذكير منه الوعد والوعيد والجنة والنار وتصفية الظاهر والباطن والأحكام منها التكاليف كلها وتبيين المنافع والمضار والأمر والنهي والندب ولذلك كانت الفاتحة أم القرآن لان فيها الاقسام الثلاثة وسورة الاخلاص ثلثه لاشتمالها على أحد الاقسام الثلاثة وهو التوحيد وقال ابن جرير القرآن يشتمل على ثلاثة أشياء التوحيد والأخبار والديانات ولهذا كانت سورة الاخلاص ثلثه لانها تشمل التوحيد كله وقال علي بن عيسى القرآن يشتمل على ثلاثين شيئا الاعلام والتشبيه والامر والنهي والوعد والوعيد ووصف الجنة والنار وتعليم الاقرار باسم الله وبصفاته وأفعاله وتعليم الاعتراف بانعامه والاحتجاج على المخالفين والرد على الملحدين والبيان عن الرغبة والرهبة والخير والشر والحسن والقبيح ونعت الحكمة وفضل المعرفة ومدح الابرار وذم الفجار والتسليم والتحسين والتوكيد والتقريع والبيان عن ذم الاخلاق وشرف الآداب وقال شيدلة وعلى التحقيق أن تلك الثلاثة التي قالها ابن جرير تشمل هذه كلها بل أضعافها فان القرآن لا يستدرك ولا تحصى عجائبه وأنا أقول قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء اما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسئلة هي أصل الا وفي القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والارض وما في الأفق الاعلى وتحت الثرى وبدء الخلق وأسماء مشاهير الرسل والملائكة وعيون أخبار الأمم السالفة كقصة آدم مع ابليس في اخراجه من الجنة وفي الولد الذي سماه عبد الحارث ورفع ادريس واغراق قوم نوح وقصة عاد الاولى والثانية وثمود والناقة وقوم يونس وقوم شعيب والاولين والآخرين وقوم لوط وقوم تبع وأصحاب الرس وقصة ابراهيم في مجادلته قومه ومناظرته نمروذ ووضعه ابنه اسمعيل مع أمه بمكة وبنائه البيت وقصة الذبيح وقصة يوسف وما أبسطها وقصة موسى في ولادته والقائه في اليم وقتل القبطي ومسيره إلى مدين وتزوجه بنت شعيب وكلامه تعالى بجانب الطور ومجيئه إلى فرعون وخروجه واغراق عدوه وقصة العجل والقوم الذين خرج بهم وأخذتهم الصعقة وقصة القتيل وذبح البقرة وقصته مع الخضر وقصته في قتال الجبارين وقصة القوم الذين سار وا في سرب من الارض الى الصين وقصة طالوت وداود مع جالوت وفتنته وقصة سليمان وخبره مع ملكة سبأ وفتنته وقصة القوم الذين خرجوا فرارا من الطاعون فأماتهم الله ثم أحياهم وقصة ذي القرنين ومسيره إلى مغرب الشمس ومطلعها وبنائه السد وقصة أيوب وذي الكفل والياس وقصة مريم وولادتها عيسى وارساله ورفعه وقصة زكريا وابنه يحيى وقصة أصحاب الكهف وقصة أصحاب الرقيم وقصة بخت نصر وقصة الرجلين اللذين لاحدهما الجنة وقصة أصحاب الجنة وقصة مؤمن آل يس وقصة أصحاب الفيل وفيه من شأن النبي ﷺ ودعوة ابراهيم به وبشارة عيسى وبعثه وهجرته ومن غزواته سرية ابن الخضرمي في البقرة وغزوة بدر في سورة الانفال وأحد في آل عمران وبدر الصغرى فيها والخندق في الاحزاب والحديبية في الفتح والنضير في الحشر وحنين وتبوك في براءة وحجة الوداع في المائدة ونكاحه زينب بنت جحش وتحريم سريته وتظاهر أزواجه عليه وقصة الافك وقصة الاسراء وانشقاق القمر وسحر اليهود اياه وفيه بدء خلق الإنسان الى موته وكيفية الموت وقبض الروح وما يفعل بها بعد وصعودها إلى السماء وفتح الباب للمؤمنة ولقاء الكافرة وعذاب القبر والسؤال فيه ومقر الارواح واشراط الساعة الكبرى وهي نزول عيسى وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج والدابة والدخان ورفع القرآن والخسف وطلوع الشمس من مغربها وغلق باب التوبة وأحوال البعث من النفخات الثلاث نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام والحشر والنشر وأهوال الموقف وشدة حر الشمس وظل العرش والميزان والحوض والصراط

الفارس حشوا وتكلفا ولغوا لأن هذا لا يتغير بالفارس والراجل على انه ليس فيه بديع وأما قوله

يغشى الوغي والترس ليس بجنة
من حده والدرع ليس بمعقل

مصغ إلى حكم الردى فاذا مضى * لم يلتفت واذا قضى لم يعدل

متوقد يرمى بأول ضربة ما أدركت ولوانها في يذبل

البيتان الاولان من الجنس الذي يكثر كلامه عليه وهي طريقة الذي يجتنبها وذلك من السبك الكتابي والكلام المعتدل الا أنه لم يبدع فيها بشيء وقد زيد عليه فيها ومن قصدي أني أن يكمل عشرة أبيات في وصف السيف فليس من حكمه أن يأتي بأشياء منقولة وأمور مذكورة وسبيله أن يغرب ويبدع كما أبدع المتنبي في قوله

سلك الركض بعدوهن بنجد فتصدى للغيث أهل الحجاز

والحساب لقوم ونجاة آخرين منه وشهادة الاعضاء وايتاء الكتب بالايمان والشمائل وخلف الظهر والشفاعة والمقام المحمود والجنة وأبوابها ومافيها من الانهار والاشجار والثمار والحلى والاوانى والدرجات ورؤيته تعالى والنار وأبوابها ومافيها من الأودية وأنواع العقاب وألوان العذاب والزقوم والحميم وفيه جميع أسمائه تعالى الحسنى كما ورد فى حديث ومن أسمائه مطلقا ألف اسم ومن أسماء النبى ﷺ جملة وفيه شعب الايمان البضع والسبعون وشرائع الاسلام الثلاثمائة وخمسة عشر وفيه أنواع الكبائر وكثير من الصغائر وفيه تصديق كل حديث ورد عن النبى ﷺ إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات وقد أفرد الناس كتبا فيما تضمنه القرآن من الاحكام كالقاضى اسمعيل وأبى بكر بن العلاء وأبى بكر الرازى والكيا الهراسى وأبى بكر بن العربى وعبد المنعم بن الفرس وابن خويزمنداد وأفرد آخرون كتبا فيما تضمنه من علم الباطن وأفرد ابن برجان كتابا فيما تضمنه من معاضدة الاحاديث وقد ألفت كتابا سميته الاكليل فى استنباط التنزيل ذكرت فيه كلما استنبط منه من مسئلة فقهية أو أصلية أو اعتقادية وبعضا مما سوى ذلك كثير الفائدة جم العائدة يجرى مجرى الشرح لما أجملته فى هذا النوع فليراجعه من أراد الوقوف عليه

﴿فصل﴾ قال الغزالى وغيره آيات الاحكام خمسمائة آية وقال بعضهم مائة وخمسون قيل ولعل مرادهم المصرح به فان آيات القصص والامثال وغيرها يستنبط منها كثير من الاحكام وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى كتابه الامام فى أدلة الاحكام معظم آى القرآن لاتخلو عن أحكام مشتملة على آداب حسنة واخلاق جميلة ثم من الآيات ماصرح فيه بالاحكام ومنها ما يؤخذ بطريق الاستنباط اما بالضم إلى آية أخرى كاستنباط صحة انكحة الكفار من قوله وامرأته حمالة الحطب وصحة صوم الجنب من قوله فالآن باشروهن إلى قوله حتى يتبين لكم الخيط الآية واما به كاستنباط ان أقل الحمل ستة أشهر من قوله وحمله وفصاله فى عامين قال ويستدل على الاحكام تارة بالصيغة وهو ظاهر وتارة بالاخبار مثل أحل لكم حرمت عليكم الميتة كتب عليكم الصيام وتارة بما رتب عليها فى العاجل أو الآجل من خير أو شر أو نفع أو ضر وقد نوع الشارع فى ذلك أنواعا كثيرة ترغيبا لعباده وترهيبا وتقريبا إلى أفهامهم فكل فعل عظمه الشرع أو مدحه أو مدح فاعله لاجله أو أحبه أو أحب فاعله أو رضى به أو رضى عن فاعله أو وصفه بالاستقامة أو البركة أو الطيب أو اقسم به أو بفاعله كالاقسام بالشفع والوتر وبخيل المجاهدين وبالنفس اللوامة أو نصبه سببا لذكره لعبده أو لمحبته أو لثواب عاجل أو آجل أو لشكره له أو لهدايته اياه أو لارضاء فاعله أو لمغفرة ذنبه وتكفير سيآته أو لقبوله أو لنصرة فاعله أو بشارته أو وصف فاعله بالطيب أو وصف الفعل بكونه معروفا أو نفى الحزن والخوف عن فاعله أو وعده بالامن أو نصب سببا لولايته أو أخبر عن دعاء الرسول بحصوله أو وصفه بكونه قربة أو بصفة مدح كالحياة والنور والشفاء فهو دليل على مشروعيته المشتركة بين الوجوب والندب وكل فعل طلب الشارع تركه أو ذمه أو ذم فاعله أو عتب عليه أو مقت فاعله أو لعنه أو نفى محبته أو محبة فاعله أو الرضى به أو عن فاعله أو شبه فاعله بالبهائم أو بالشياطين أو جعله مانعا من الهدى أو من القبول أو وصفه بسوء أو كراهة أو استعاذ الانبياء منه أو ابغضوه أو جعل سببا لنفى الفلاح أو لعذاب عاجل أو آجل أو لذم أو لوم أو ضلالة أو معصية أو وصف بخبث أو رجس أو نجس أو بكونه فسقا أو اثما أو سببا لاثم أو رجس أو لعن أو غضب أو زوال نعمة أو حلول نقمة أو جعد من الجنود أو قسوة أو خزى أو ارتهان نفس أو لمداومة الله ومحاربته أو لاستهزائه أو سخريته أو جعله الله سببا للنسيان فاعله أو وصفه نفسه بالصبر عليه أو بالحلم أو بالصفح عنه أو دعا إلى التوبة منه أو وصف فاعله بخبث أو احتقار أو نسبه الى عمل

هذا فى باب صقاله وأضوائه وكثرة مائه وكقوله

ريان لو قذف الذى أسقيته لجرى من المهجات بحر مزبد

وقوله مصغ الى حكم الردى ان تأملته مقلوب كان ينبغى أن يقول يصغى الردى إلى حكمه كما قال الآخر

فالسيف يأمر والاقدار تنتظر

وقوله واذا قضى لم يعدل متكررعلى ألسنتهم فى الشعر خاصة فى نفس هذا المعنى والبيت الثالث سليم وهو كالاولين فى خلوه عن البديع فاما قوله

فاذا أصاب فكل شىء مقتل

واذا أصيب فماله من مقتل

وكأنما سود الغمال وحمرها دبت بأيد فى قراه وأرجل

البيت الاول يقصد به صنيعة اللفظ وهو فى المعنى متفاوت لأن المضرب قد لا يكون مقتلا وقد يطلق الشعراء ذلك ويرون ان هذا

الشيطان أو تزيينه أو تولى الشيطان لفاعله أو وصفه بصفة ذم ككونه ظلما أو بغيا أو عدوانا أو اثما أو مرضا أو تبرأ الانبياء منه أو من فاعله أو شكوا إلى الله من فاعله أو جاهدوا فاعله بالعداوة أو نهوا عن الأسى والحزن عليه أو نصب سببا لخيبة فاعله عاجلا أو آجلا أو رتب عليه حرمان الجنة ومافيها أو وصف فاعله بانه عدو لله أو بأن الله عدوه أو أعلم فاعله بحرب من الله ورسوله أو حمل فاعله اثم غيره أو قيل فيه لا ينبغي هذا أو لا تكون أو امره بالتقوى عند السؤال عنه أو أمر بفعل مضاده أو بهجر فاعله أو تلا عن فاعلوه في الآخرة أو تبرأ بعضهم من بعض أو دعا بعضهم على بعض أو وصف فاعله بالضلالة وانه ليس من الله في شيء أو ليس من الرسول وأصحابه أو جعل اجتنابه سببا للفلاح أو جعله سببا لايقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين أو قيل هل أنت منته أو نهى الانبياء عن الدعاء لفاعله أو رتب عليه ابعادا أو طردا أو لفظة قتل من فعله أو قاتله الله أو أخبر أن فاعله لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر اليه ولا يزكيه ولا يصلح عمله ولا يهدي كيده أو لا يفلح أو قيض له الشيطان أو جعل سببا لازاغة قلب فاعله أو صرفه عن آيات الله وسؤاله عن علة الفعل فهو دليل على المنع من الفعل ودلالته على التحريم أظهر من دلالته على مجرد الكراهة وتستفاد الاباحة من لفظ الاحلال ونفي الجناح والحرج والاثم والمؤاخذة ومن الاذن فيه والعفو عنه ومن الامتنان بما في الاعيان من المنافع ومن السكوت عن التحريم ومن الانكار على من حرم الشيء من الاخبار بانه خلق أو جعل لنا والاخبار عن فعل من قبلنا غير ذام لهم عليه فان اقترن باخباره مدح دل على مشروعيته وجوبا أو استحبابا اه كلام الشيخ عز الدين وقال غيره قد يستنبط من السكوت وقد استدل جماعة على أن القرآن غير مخلوق بان الله ذكر الانسان في ثمانية عشر موضعا وقال انه مخلوق وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعا ولم يقل انه مخلوق ولما جمع بينهما غاير فقال الرحمن علم القرآن خلق الانسان

﴿ النوع السادس والستون * في أمثال القرآن ﴾ أفرده بالتصنيف الامام أبو الحسن الماوردي من كبار أصحابنا قال تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون وقال تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون * وأخرج البيهقي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ان القرآن نزل على خمسة أوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال قال الماوردي من أعظم علم القرآن علم أمثاله والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالامثال واغفالهم الممثلات والمثل بالمثل كالفرس بالجام والناقة بالزمام وقال غيره قد عده الشافعي مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال ثم معرفة ماضرب فيه من الامثال الدوال على طاعته المبينة لاجتناب ناهيه وقال الشيخ عز الدين انما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيرا ووعظا فما اشتمل منها على تفاوت في ثواب أو على احباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحوه فانه يدل على الاحكام وقال غيره ضرب الامثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس فان الامثال تصور المعاني بصورة الاشخاص لانها أثبت في الاذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالمشاهد وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان بتفاوت الاجر وعلى المدح والذم وعلى الثواب والعقاب وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره وعلى تحقيق أمر أو ابطاله قال تعالى وضربنا لكم الامثال فامتن علينا بذلك لما تضمنه من الفوائد قال الزركشي في البرهان ومن حكمته تعليم البيان وهو من خصائص هذه الشريعة وقال الزمخشري التمثيل انما يصار اليه لكشف المعاني وادناء المتوهم من الشاهد فان كان الممثل له عظيما كان الممثل به مثله وان كان حقيرا

ابدع من قول المتنبي وانه بضده
يقتل السيف في جشم القتيل به
وللسيوف كما للناس آجال
وهذه طريقة لهم يتمدحون بها في قصف الرمح طعنا وتقطيع السيف ضربا وفي قوله
* واذا أصيب فماله من مقتل *
تعسف لانه يريد بذلك انه لا يتكسر فالتعبير بما عبر به عن المعنى الذي ذكرناه يتضمن التكلف وضربا من المحال وليس بالنادر والذي عليه الجملة ماحكيناه عن غيره ونحوه قال بعض أهل الزمان يقصف في الفارس السمهري وصدر
* الحسام فريقها فريقا
البيت الثاني أيضا هو معنى مكرر على ألسنة الشعراء وأما تضييعه بسود الثمال وحمرها فليس بشيء ولعله أراد بالحمر الدر والتفصيل بارد والاغراب به منكر وهو كما حكي عن بعضهم

كان الممثل به كذلك وقال الاصبهانى لضرب العرب الامثال واستحضار العلماء النظائر شأن ليس بالخفى فى ابراز خفيات الدقائق ورفع الاستار عن الحقائق تريك المتخيل فى صورة المتحقق والمتوهم فى معرض المتيقن والغائب كانه مشاهد وفى ضرب الامثال تنكيت للخصم الشديد الخصومة وقمع لضرورة الجامح الابى فانه يؤثر فى القلوب مالا يؤثر وصف الشئ فى نفسه ولذلك أكثر الله تعالى فى كتابه وفى سائر كتبه الأمثال ومن سور الانجيل سورة تسمى سورة الامثال وفشت فى كلام النبى ﷺ وكلام الانبياء والحكماء

﴿ فصل ﴾ أمثال القرآن قسمان ظاهر مصرح به وكامن لاذكر للمثل فيه فمن أمثلة الأول قوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً الآيات ضرب فيها للمنافقين مثلين مثلا بالنار ومثلا بالمطر * أخرج ابن أبى حاتم وغيره من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال هذا مثل ضربه الله للمنافقين كانوا يعتزون بالاسلام فينا كحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفىء فلما ماتوا سلبهم الله العز كما سلب صاحب النار ضوأه وتركهم فى ظلمات يقول فى عذاب أو كصيب هو المطر ضرب مثله فى القرآن فيه ظلمات يقول ابتلاء ورعد وبرق تخويف يكاد البرق يخطف أبصارهم يقول يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين كلما أضاء لهم مشوا فيه يقول كلما أصاب المنافقون فى الاسلام عزا اطمأنوا فان أصاب الاسلام نكبة قاموا فأبوا إلى الكفر كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الآية ومنها قوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها الآية * أخرج ابن أبى حاتم من طريق على عن ابن عباس قال هذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها فاما الزبد فيذهب جفاء وهو الشك وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض وهو اليقين كما يجعل الحلى فى النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه فى النار كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك * وأخرج عن عطاء قال هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر * وأخرج عن قتادة قال هذه ثلاثة أمثال ضربها الله فى مثل واحد يقول كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاء لا ينفع به ولا ترجى بركته كذلك يضمحل الباطل عن أهله وكما مكث هذا الماء فى الأرض فأنبتت به بركته وأخرجت نباتها وكذلك الذهب والفضة حين أدخل النار فاذهب خبثه كذلك يبقى الحق لاهله وكما اضمحل خبث هذا الذهب والفضة حين ادخل فى النار كذلك يضمحل الباطل عن أهله ومنها قوله تعالى والبلد الطيب الآية * أخرج ابن أبى حاتم من طريق على عن ابن عباس قال هذا مثل ضربه الله للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما ان البلد الطيب ثمرها طيب والذى خبث ضرب مثلا للكافر كالبلد السبخة المالحة والكافر هو الخبيث وعمله خبيث ومنها قوله تعالى أيود أحدكم أن تكون له جنة الآية * أخرج البخارى عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب يوما لاصحاب النبى ﷺ فيمن ترون هذه الآية نزلت أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب قالوا الله أعلم فغضب عمر فقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس فى نفسى منها شئ فقال يا ابن أخى قل ولا تحقر نفسك قال ابن عباس ضربت مثلا لعمل قال عمر أى عمل قال ابن عباس لرجل غنى عمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله * وأما الكامنة فقال الماوردى سمعت أبا اسحق ابراهيم بن مضارب بن ابراهيم يقول سمعت أبى يقول سألت الحسن بن الفضل فقلت انك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن فهل تجد فى كتاب الله خير الامور أو ساطها قال نعم فى أربعة مواضع قوله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقوله تعالى والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا * قلت فهل تجد فى كتاب الله من جهل شيئا

انه قال كان كذا حين كانت الثريا بحذاء رأسى على سواء أو منحرفا قدر شبر أو نصف شبر أو أصبع أو ما يقارب ذلك فقيل له هذا من الورع الذى يبغضه الله ويمقته الناس وربزيادة كانت نقصانا وصفه النمل بالسواد والحمرة فى هذا من ذلك الجنس وعليه خرج بقية البيت فى قوله

(دبت بايدى قراه وأرجل)

وكان يكفى ذكره الارجل عن ذكر الايدى ووصف الفرند بدبب النمل شئ لا يشذ عن أحد منهم وأما قوله

وكان شاهره إذا استضوى به الز

حفان يعصى بالسماك الاعزل

حملت حمائله القديمة بقلة من عهد عاد فضة لم تذبل

البيت الاول منهما فيه ضرب من التكلف وهو منقول عن أشعارهم وألفاظهم وانما يقول قد يشد على الرجال بكوكب فجعل ذلك

عاداه قال نعم فى موضعين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله فسيقولون هذا افك قديم قلت فهل تجد فى كتاب الله احذر شرمن أحسنت اليه قال نعم وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قلت فهل تجد فى كتاب الله ليس الخبر كالعيان قال فى قوله تعالى أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قلت فهل تجد فى الحركات البركات قال فى قوله تعالى ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة قلت فهل تجد كاتدين تدان قال فى قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به * قلت فهل تجد فيه قولهم حين تقلى تدرى قال وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا قلت فهل تجد فيه لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين قال هل آمنكم عليه الا كما آمنتكم على أخيه من قبل * قلت فهل تجد فيه من أعان ظالما سلط عليه قال كتب عليه انه من تولاه فأنه يضله ويهديه الى عذاب السعير * قلت فهل تجد فيه قولهم لا تلد الحية الا حية قال قال تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا * قلت فهل تجد فيه للحيطان آذان قال وفيكم سماعون لهم * قلت فهل تجد فيه الجاهل مرزوق والعالم محروم قال من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا * قلت فهل تجد فيه الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام لا يأتيك الا جزافا قال اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم (فائدة) عقد جعفر بن شمس الخلافة فى كتاب الآداب بابا فى ألفاظ من القرآن جارية مجرى المثل وهذا هو النوع البديعى المسمى بارسال المثل وأورد من ذلك قوله تعالى ليس لها من دون الله كاشفة لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الآن حصحص الحق وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ذلك بما قدمت يداك قضى الأمر الذى فيه تستفتيان أليس الصبح بقريب وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكل نبأ مستقر ولا يحيق المكر السيء الا بأهله قل كل يعمل على شاكلته وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم كل نفس بما كسبت رهينة ما على الرسول الا البلاغ ما على المحسنين من سبيل هل جزاء الاحسان الا الاحسان كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة آلآن وقد عصيت قبل تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ولا ينبئك مثل خبير كل حزب بما لديهم فرحون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم وقليل من عبادى الشكور لا يكلف الله نفسا الا وسعها لا يستوى الخبيث والطيب ظهر الفساد فى البر والبحر ضعف الطالب والمطلوب لمثل هذا فليعمل العاملون وقليل ما هم فاعتبروا يا أولى الأبصار فى ألفاظ أخر

﴿ النوع السابع والستون * فى أقسام القرآن ﴾ أفرده ابن القيم بالتصنيف فى مجلد سماه التبيان والقصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده حتى جعلوا مثل والله يشهد ان المنافقين لكاذبون قسما وان كان فيه اخبار بشهادة لانه لما جاء توكيدا للخبر سمى قسما وقد قيل ما معنى القسم منه تعالى فانه ان كان لأجل المؤمن فالمؤمن مصدق بمجرد الاخبار من غير قسم وان كان لاجل الكافر فلا يفيده * وأجيب بأن القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمرا وأجاب أبو القاسم القشيرى بأن الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها وذلك ان الحكم يفصل باثنين اما بالشهادة واما بالقسم فذكر تعالى فى كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة فقال شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم وقال قل إى وربى إنه لحق وعن بعض الاعراب انه لما سمع قوله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق صرخ وقال من ذا الذى اغضب الجليل حتى ألجأه الى اليمين ولا يكون القسم الا باسم معظم وقد أقسم الله تعالى بنفسه فى القرآن فى سبعة مواضع الآية المذكورة بقوله قل إى وربى قل بلى وربى لتبعثن فوربك لنحشرنهم والشياطين فوربك لنسئلنهم أجمعين فلا وربك لا يؤمنون فلا اقسم برب المشارق والمغارب والباقى كله قسم بمخلوقاته كقوله تعالى والتين والزيتون والصافات والشمس والليل والضحى فلا اقسم بالخنس فان قيل كيف اقسم بالخلق وقد ورد النهى عن القسم بغير الله *

الكوكب السماك واحتاج الى ان يجعله أعزل للقافية ولو لم يحتج الى ذلك كان خيرا له لان هذه الصفة فى هذا الموضع تنقصه من الموضع وموضع التكلف الذى ادعيناه الحشو الذى ذكره من قوله اذا استضوى به الزحفان وكان يكفى أن يقول كان صاحبه يعصى بالسماك وهذا وان كان قد تعمل فيه للفظ فهو لغو على ما بينا وأما البيت الثانى ففيه لغو من جهة قوله حمائله قديمة ولا فضيلة له فى ذلك ثم تشبيه السيف بالبقلة من تشبيهات العامة والكلام الرذل البذل لان العامة قد يتفق منها تشبيه واقع حسن ثم انظر الى هذا المقطع الذى هو بالعى أشبه منه بالفصاحة والى اللكنة أقرب منه إلى البراعة وقد بينا ان مراعاة القوافى والخواتم والمطالع والمقاطع والفصل والوصل بعد صحة الكلام ووجود الفصاحة فيه

قلنا اجيب عنه بأوجه احدها انه على حذف مضاف أي ورب التين ورب الشمس وكذا الباقي * الثاني ان العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفونه * الثالث ان الاقسام انما تكون بما يعظمه المقسم أو بجله وهو فوقه والله تعالى ليس شيء فوقه فاقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لانها تدل على باريء وصانع وقال ابن أبي الاصبع في أسرار الفواتح القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع لان ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل اذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل * وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال ان الله يقسم بما شاء من خلقه وليس لاحد أن يقسم الا بالله وقال العلماء اقسم الله تعالى بالنبي ﷺ في قوله لعمرك لتعرف الناس عظمته عند الله ومكانته لديه * أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال ما خلق الله ولا ذرأ ولا برأ نفسا أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله اقسم بحياة أحد غيره قال لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وقال أبو القاسم القشيري القسم بالشيء لا يخرج عن وجهين اما لفضيلة أو لمنفعة فالفضيلة كقوله وطور سينين وهذا البلد الأمين والمنفعة نحو والتين والزيتون وقال غيره اقسم الله تعالى بثلاثة أشياء بذاته كالآيات السابقة وبفعله نحو والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها وبمفعوله نحو والنجم اذا هوى والطور وكتاب مسطور والقسم اما ظاهر كالآيات السابقة واما مضمر وهو قسمان دلت عليه اللام نحو لتبلون في أموالكم وقسم دل عليه المعنى نحو وان منكم الا واردها وتقديره والله وقال أبو علي الفارسي الالفاظ الجارية مجرى القسم ضربان احدها ما تكون كغيرها من الاخبار التي ليست بقسم فلا تجاب بجوابه كقوله وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنون ورفعنا فوقكم الطور خذوا فيحلفون له كما يحلفون لكم فهذا ونحوه يجوز أن يكون قسما وأن يكون حالا خلوه من الجواب والثاني ما يتلقى بجواب القسم كقوله وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن أمرتهم ليخرجن وقال غيره أكثر الاقسام في القرآن المحذوفة الفعل لا تكون الا بلو او فاذا ذكرت الباء أتى بالفعل كقوله وأقسموا بالله يحلفون بالله ولا تجد الباء مع حذف الفعل ومن ثم كان خطأ من جعل قسما بالله ان الشرك لظلم بما عهد عندك بحق ان كنت قلته فقد علمته وقال ابن القيم اعلم ان الله سبحانه وتعالى يقسم بامور على امور وانما يقسم بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته واقسامه ببعض المخلوقات دليل على انه من عظيم آياته فالقسم اما على جملة خبرية وهو الغالب كقوله فورب السماء والارض انه لحق واما على جملة طلبية كقوله فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون مع ان هذا القسم قد يراد به تحقيق المقسم عليه فيكون من باب الخبر وقد يراد به تحقيق القسم فالمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه فلابد أن يكون مما يحسن فيه وذلك كالامور الغائبة والخفية اذا اقسم على ثبوتها فأما الامور المشهورة الظاهرة كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والارض فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها وما اقسم عليه الرب فهو من آياته فيجوز أن يكون مقسما به ولا ينعكس وهو سبحانه وتعالى يذكر جواب القسم تارة وهو الغالب ويحذفه أخرى كما يحذف جواب لو كثيرا للعلم به والقسم لما كان يكثر في الكلام اختصر فصار فعل القسم يحذف ويكتفى بالباء ثم عوض من الباء الواو في الاسماء الظاهرة والتاء في اسم الله تعالى كقوله وتالله لأكيدن أصنامكم قال ثم هو سبحانه وتعالى يقسم على اصول الايمان التي تجب على الخلق معرفتها وتارة يقسم على التوحيد وتارة يقسم على ان القرآن حق وتارة على ان الرسول حق وتارة على الجزاء والوعد والوعيد وتارة يقسم على حال الانسان فالاول كقوله والصافات صفا الى قوله ان الهكم لواحد والثاني كقوله فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم والثالث كقوله يس والقرآن الحكيم انك لمن

المرسلين

مما لا بد منه وان الاخلال بذلك يخل بالنظم ويذهب رونقه ويحيل بهجته ويأخذ ماءه وبهاءه وقد اطلعت عليك فيما نقلت وتكلفت ما سطرت لان هذا القبيل قبيل موضوع متعمل مصنوع واصل الباب في الشعر على ان ينظر الى جملة القصيدة ثم يتعمل الالفاظ ولا ينظر بعد ذلك الى مواقعها ولا يتأمل مطارحها وقد يقصد تارة الى تحقيق الاغراض وتصوير المعاني التي في النفوس ولكنه يلحق باصل به ويميل بك الى موضعه وبحسب الاهتمام بالصنعة يقع فيها التفاضل وان أردت ان تعرف أوصاف الفرس فقد ذكرت لك ان الشعراء قد تصرفوا في ذلك بما يقع اليك ان كنت من أهل الصنعة مما يطول على نقله وكذلك في السيف وذكر لي بعض أهل الادب ان احسن قطعة في السيف قول أبي الهول

المرسلين والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى الآيات والرابع كقوله والذاريات إلى قوله إنما توعدون لصادق وان الدين لواقع والمرسلات الى قوله إنما توعدون لواقع والخامس كقوله والليل إذا يغشى إلى قوله ان سعيكم لشتى الآيات والعاديات الى قوله ان الانسان لربه لكنود والعصر ان الانسان لفى خسر الخ والتين الى قوله لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم الآيات لا أقسم بهذا البلد الى قوله لقد خلقنا الانسان فى كبد قال وأكثر ما يحذف الجواب إذا كان فى نفس المقسم به دلالة على المقسم عليه فان المقصود يحصل بذكره فيكون حذف المقسم عليه ابلغ واوجز كقوله ص والقرآن ذى الذكر فان فى المقسم به من تعظيم القرآن ووصفه بانه ذو الذكر المتضمن لتذكير العباد وما يحتاجون اليه والشرف والقدر ما يدل على المقسم عليه وهو كونه حقا من عند الله غير مفترى كما يقوله الكافرون ولهذا قال كثيرون ان تقدير الجواب ان القرآن لحق وهذا يطرد فى كل ما شابه ذلك كقوله ق والقرآن المجيد وقوله لا أقسم بيوم القيامة فانه يتضمن اثبات المعاد وقوله والفجر الآيات فانها ازمان تتضمن أفعالا معظمة من المناسك وشعائر الحج التى هى عبودية محضة لله تعالى وذل وخضوع لعظمته وفى ذلك تعظيم ما جاء به محمد وابراهيم عليهما الصلاة والسلام قال ومن لطائف القسم قوله والضحى والليل إذا سجى الآيات اقسم تعالى على انعامه على رسوله واكرامه له وذلك متضمن لتصديقه له فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه فى الآخرة فهو قسم على النبوة والمعاد واقسم بآيتين عظيمتين من آياته وتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذى يوافى بعد ظلام الليل المقسم عليه وهو نور الوحى الذى وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال اعداؤه ودع محمدا ربه فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحى ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه

﴿النوع الثامن والستون * فى جدل القرآن﴾ افرده بالتصنيف نجم الدين الطوفى قال العلماء قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والادلة ومامن برهان ودلالة وتقسيم وتحذير تبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية والا وكتاب الله قد نطق به لكن أورده على عادات العرب دون دقائق طرق المتكلمين لأمرين * أحدهما بسبب ماقاله وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم * والثانى أن المائل الى دقيق المحاجة هو العاجز عن اقامة الحجة بالجليل من الكلام فان من استطاع أن يفهم بالأوضح الذى يفهمه الاكثرون لم ينحط الى الاغمض الذى لا يعرفه الا الاقلون ولم يكن ملغزا فاخرج تعالى مخاطباته فى محاجة خلقه فى أجلى صورة ليفهم العامة من جليها ما يقنعهم وتلزمهم الحجة وتفهم الخواص من أنبائها ما يربى على ما أدركه فهم الخطباء وقال ابن أبى الأصبع زعم الجاحظ ان المذهب الكلامى لا يوجد منه شىء فى القرآن وهو مشحون به وتعريفه أنه احتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام * ومنه نوع منطقى تستنتج منه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة فان الاسلاميين من أهل هذا العلم ذكروا ان من أول سورة الحج إلى قوله وان الله يبعث من فى القبور خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات قوله ذلك بأن الله هو الحق لانه قد ثبت عندنا بالخبر المتواتر أنه تعالى أخبر بزلزلة الساعة معظما لها وذلك مقطوع بصحته لأنه خبر أخبر به من ثبت صدقه عمن ثبتت قدرته منقول الينا بالتواتر فهو حق ولا يخبر بالحق عما سيكون الا الحق فالله هو الحق وأخبر تعالى أنه يحيى الموتى لانه أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر وحصول فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتى ليشاهدوا تلك الأحوال التى يقبلها الله من أجلهم وقد ثبت أنه قادر على كل شىء ومن الاشياء احياء الموتى فهو يحيى الموتى وأخبر أنه على كل شىء قدير لأنه أخبر أنه من يتبع الشياطين ومن يجادل فيه بغير علم يذقه عذاب السعير ولا يقدر على ذلك الا من هو على كل شىء قدير فهو على كل

الحميرى
حاز صمصامة الزبيدى
من
بين جميع الانام موسى الأمين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا
خير ما اطبقت عليه الجفون
اخضر اللون بين برديه خد
من ذعاف تميس فيه المنون
أوقدت فوقه الصواعق نارا
ثم شابت له الذعاف القيون
فاذا ما شهرته بهز الشمـ
ـس ضياء فلم تكد تستبين
يستطير الابصار كالقبس
المشـ*ـعل لا تستقيم فيه العيون
وكأن الفرند والروق
الجا*ـرى فى صحفتيه ماء معين
نم مخراق ذى الحفيظة
فى الهيـ
ـجاء يعصى به ونم القرين
ما يبالى إذا انتحاه لضرب
اشمال سطت به أم يمين
وإنما يوازن شعر البحترى
بشعر شاعر من طبقته
ومن أهل عصره ومن

شيء قدير وأخبر أن الساعة آتية لا ريب فيها لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه خلق الانسان من تراب الى قوله لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وضرب لذلك مثلا بالأرض الهامدة التي ينزل عليها الماء فتهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج ومن خلق الانسان على ما أخبر به فأوجده بالخلق ثم اعدمه بالموت ثم يعيده بالبعث وأوجد الأرض بعد العدم فاحياها بالخلق ثم أماتها بالمحل ثم أحياها بالخصب وصدق خبره في ذلك كله بدلالة الواقع المشاهد على المتوقع الغائب حتى انقلب الخبر عيانا صدق خبره في الاتيان بالساعة ولا يأتي بالساعة الا من يبعث من في القبور لانها عبارة عن مدة تقوم فيها الأموات للجازاة فهي آتية لا ريب فيها وهو سبحانه وتعالى يبعث من في القبور وقال غيره استدل سبحانه وتعالى على المعاد الجسماني بضروب * أحدها قياس الاعادة على الابتداء كما قال تعالى كما بدأكم تعودون كما بدأنا أول خلق نعيده أفعيينا بالخلق الأول * ثانيها قياس الاعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأولى قال تعالى أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر الآية * ثالثها قياس الاعادة على احياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات * رابعها قياس الاعادة على اخراج النار من الشجر الاخضر * وقد روى الحاكم وغيره ان أبي بن خلف جاء بعظم ففته فقال أيحيي الله هذا بعدما بلي ورم فانزل الله قل يحييها الذي انشأها أول مرة فاستدل سبحانه وتعالى برد النشأة الأخرى الى الأولى والجمع بينهما بعلة الحدوث * ثم زاد في الحجاج بقوله الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وهذه في غاية البيان في رد الشيء الى نظيره والجمع بينهما من حيث تبديل الاعراض عليهما * خامسها في قوله تعالى واقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى الآيتين * وتقريرها ان اختلاف المختلفين في الحق لا يوجب انقلاب الحق في نفسه وإنما تختلف الطرق الموصلة اليه والحق في نفسه واحد فلما ثبت أن ها هنا حقيقة موجودة لا محالة وكان لا سبيل لنا في حياتنا الى الوقوف عليها وقوفا يوجب الائتلاف ويرفع عنا الاختلاف إذ كان الاختلاف مركوزا في فطرنا وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله الا بارتفاع هذه الجبلة ونقلها الى صورة غيرها صح ضرورة أن لنا حياة أخرى غير هذه الحياة فيها يرتفع الخلاف والعناد وهذه هي الحالة التي وعد الله بالمصير اليها فقال ونزعنا ما في صدورهم من غل حقد فقد صار الخلاف الموجود كما ترى أوضح دليل على كون البعث الذي ينكره المنكرون كذا قرره ابن السيد * ومن ذلك الاستدلال على ان صانع العالم واحد بدلالة التمانع المشار اليها في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا لانه لو كان العالم صانعان لكان لا يجري تدبيرهما على نظام ولا يتسق على أحكام ولكان العجز يلحقهما أو احدهما وذلك لانه لو أراد أحدهما احياء جسم وأراد الآخر اماتته فاما ان تنفذ ارادتهما فيتناقض لاستحالة تجزي الفعل ان فرض الاتفاق أو لامتناع اجتماع الضدين إن فرض الاختلاف وأما ان لا تنفذ ارادتهما فيؤدي إلى عجزهما أو لا تنفذ ارادة احدهما فيؤدي الى عجزه والاله لا يكون عاجزا

﴿فصل﴾ من الأنواع المصطلح عليها في علم الجدل السبر والتقسيم ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى ثمانية أزواج من الضأن اثنين الآيتين فان الكفار لما حرموا ذكور الانعام تارة وانا ثها أخرى رد تعالى ذلك عليهم بطريق السبر والتقسيم فقال ان الخالق لله تعالى خلق من كل زوج مما ذكر ذكرا وأنثى فلم جاء تحريم ما ذكرتم أي ما علته لا يخلو اما ان يكون من جهة الذكورة او الانوثة أو اشتمال الرحم الشامل لهما أو لا يدرى له علة وهو التعبدي بان أخذ ذلك عن الله تعالى والاخذ عن الله تعالى إما بوحي وإرسال رسول أو سماع كلامه ومشاهدة تلقي ذلك عنه وهو معنى قوله أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها والأول يلزم عليه ان يكون جميع الذكور حراما والثاني يلزم عليه ان تكون جميع الاناث حراما والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معا

هو في مضماره أو في منزلته ومعرفته أجناس الكلام والوقوف على اسراره والوقوع على مقداره شيء وان كان عزيزا وامر وان كان بعيدا فهو سهل على أهله مستجيب لاصحابه مطيع لاربابه ينقدون الحروف ويعرفون الصروف وإنما يلتبس الشبهة في ترتيب الحال بين البحتري وأبي تمام وابن الرومي وغيره ونحن وان كنا نفضل البحتري بديباجة شعره على ابن الرومي وغيره من أهل زمانه ونقدمه بحسن عبارته وسلاسة كلامه وعذوبة ألفاظه وقلة تعقد قوله والشعر قبيل ملتمس مستدرك وأمر ممكن مطمع ونظم القرآن حال عن ان يطلق به الوهم أو يسموا اليه الفكر أو يطمع فيه طامع أو يطلبه طالب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وكنت قد ذكرت لك قبل هذا انك ان كنت بصنعة

فبطل ما فعلوه من تحريم بعض فى حالة و بعض فى حالة لأن العلة على ما ذكر تقتضى اطلاق التحريم والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدعوه و بواسطة رسول كذلك لأنه لم يأت اليهم رسول قبل النبى ﷺ واذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى وهو أن ماقالوه افتراء على الله وضلال ومنها القول بالموجب قال ابن أبى الاصبع وحقيقته رد كلام الخصم من فحوى كلامه وقال غيره هو قسمان أحدهما أن تقع صفة فى كلام الغير كناية عن شىء اثبت له حكم فتثبتها لغير ذلك الشىء كقوله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة الآية فالأعز وقعت فى كلام المنافقين كناية عن فريقهم والأذل عن فريق المؤمنين وأثبت المنافقون لفريقهم اخراج المؤمنين من المدينة فاثبت الله فى الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم وهو الله ورسوله والمؤمنون فكأنه قبل صحيح ذلك ليخرجن الأعز منها الاذل لكن هم الاذل المخرج والله و رسوله الاعز المخرج والثانى حمل لفظ وقع من كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه ولم أر من أورد له مثالا من القرآن وقد ظفرت بآية منه وهى قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم ومنها التسليم وهو أن يفرض المحال اما منفيا أو مشروطا بحرف الامتناع ليكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه ثم يسلم وقوع ذلك تسليما جدليا و يدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه كقوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض المعنى ليس مع الله من إله ولو سلم أن معه سبحانه وتعالى إلها لزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق وعلو بعضهم على بعض فلا يتم فى العالم أمر ولا ينفذ حكم ولا تنتظم أحواله والواقع خلاف ذلك فقرض إلهين فصاعدا محال لما يلزم منه المحال ومنها الاسجال وهو الاتيان بألفاظ تسجل على المخاطب وقوع ماخوطب به نحو ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم فان فى ذلك اسجالا بالايتاء والادخال حيث وصفا بالوعد من الله الذى لا يخلف وعده ومنها الانتقال وهو أن ينتقل المستدل الى استدلال غير الذى كان آخذا فيه لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الاول كما جاء فى مناظرة الخليل الجبار لما قال لربى الذى يحيى و يميت فقال الجبار أنا أحيى وأميت ثم دعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه ومن لا يجب عليه فقتله فعلم الخليل انه لم يفهم معنى الاحياء والاماتة أو علم ذلك وغالط بهذا الفعل فانتقل عليه السلام الى استدلال لا يجد الجبار له وجها يتخلص به منه فقال ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فانقطع الجبار وبهت ولم يمكنه أن يقول انا الآتى بها من المشرق لان من هو أسن منه يكذبه ومنها المناقضة وهى تعليق أمر على مستحيل اشارة الى استحالة وقوعه كقوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ومنها مجاراة الخصم ليعثر بأن يسلم بعض مقدماته حيث يراد تبكيته والزامه كقوله تعالى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم ان نحن إلا بشر مثلكم الآية فقولهم إن نحن إلا بشر مثلكم فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم وليس مرادا بل هو من مجاراة الخصم ليعثر فكأنهم قالوا ما ادعيتم من كوننا بشرا حق لا ننكره ولكن هذا لا ينافى أن يمن الله تعالى علينا بالرسالة

﴿ النوع التاسع والستون ﴾ فيما وقع فى القرآن من الأسماء والكنى والألقاب ﴿ فى القرآن من أسماء الأنبياء والمرسلين خمس وعشرون هم مشاهيرهم * آدم أبو البشر ذكر قوم انه أفعل وصف مشتق من الادمة ولذا منع الصرف قال الجواليقى أسماء الأنبياء كلها أعجمية الا أربعة آدم وصالح وشعيب ومحمد * وأخرج ابن أبى حاتم من طريق أبى الضحى عن ابن عباس قال انما سمى آدم

علم اللسان متدربا وفيه متوجها متقدما أمكنك الوقوف على ما ذكرنا والنفوذ فيما وصفنا والا فاجلس فى مجلس المتقلدين وارض بمواقف المتحيرين ونصحت لك حيث قلت انظر هل تعرف عروق الذهب ومحاسن الجوهر وبدائع الياقوت ودقائق السحر من غير معرفة بأسباب هذه الأمور ومقدماتها وهل يقطع سمت البلاد من غير اهتداء فيها ولكل شىء طريق يتوصل اليه به و باب يؤخذ نحوه فيه ووجه يؤتى منه ومعرفة الكلام أشد من المعرفة بجميع ما وصفت لك وأغمض وأدق وألطف وتصوير مافى النفس وتشكيل مافى القلب حتى تعلمه وكأنك مشاهده وان كان قد يقع بالاشارة و يحصل بالدلالة والامارة كما يحصل بالنطق الصريح والقول الفصيح فللاشارات أيضا مراتب وللسان متازل رب وصف يصور لك الموصوف كما هو على جهته لا يخلف

لانه خلق من أديم الأرض وقال قوم هو اسم سريانى أصله آدام بوزن خاتام عرب بحذف الالف الثانية وقال الثعلبى التراب بالعبرانية آدام فسمى آدم به قال ابن أبى خيثمة عاش تسعمائة وستين سنة وقال النووى فى تهذيبه اشتهر فى كتب التواريخ أنه عاش ألف سنة * نوح قال الجواليقى أعجمى معرب زاد الكرمانى ومعناه بالسريانية الشاكر وقال الحاكم فى المستدرك انما سمى نوحا لكثرة بكائه على نفسه واسمه عبد الغفار قال وأكثر الصحابة على أنه قبل ادريس وقال غيره هو نوح بن لمك بفتح اللام وسكون الميم بعدها كاف ابن متوشلخ بفتح الميم وتشديد المثناة المضمومة بعدها وفتح الشين المعجمة واللام بعدها معجمة ابن اخنوخ بفتح المعجمة وضم النون الخفيفة بعدها واو ساكنة ثم معجمة وهو ادريس فيما يقال * وروى الطبرانى عن أبى ذر قال قلت يارسول الله من أول الانبياء قال آدم قلت ثم من قال نوح وبينهما عشرون قرنا وفى المستدرك عن ابن عباس قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون وفيه عنه مرفوعا بعث الله نوحا لأربعين سنة فلبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وذكر ابن جرير أن مولد نوح كان بعد وفاة آدم بمائة وستة وعشرين عاما وفى التهذيب للنووى أنه أطول الأنبياء عمرا * ادريس قيل انه قبل نوح قال ابن اسحاق كان ادريس أول بنى آدم أعطى النبوة وهو اخنوخ بن يرادبن مهلاييل بن أنوش ابن قينان بن شيث بن آدم وقال وهب بن منبه ادريس جد نوح الذى يقال له خنون وهو اسم سريانى وقيل عربى مشتق من الدراسة لكثرة درسه الصحف وفى المستدرك بسنده واه عن الحسن عن سمرة قال كان نبى الله ادريس أبيض طويلا ضخم البطن عريض الصدر قليل شعر الجسد كثير شعر الرأس وكانت احدى عينيه أعظم من الأخرى وفى صدره نكتة بياض من غير برص فلما رأى الله من أهل الأرض ما رأى من جورهم واعتدائهم فى أمر الله رفعه الى السماء السادسة فهو حيث يقول ورفعناه مكانا عليا وذكر ابن قتيبة أنه رفع وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة وفى صحيح ابن حبان أنه كان نبيا رسولا وانه أول من خط بالقلم وفى المستدرك عن ابن عباس قال كان فيما بين نوح وادريس ألف سنة * ابراهيم قال الجواليقى هو اسم قديم ليس بعربى وقد تكلمت به العرب على وجوه أشهرها ابراهيم وقالوا ابراهام وقرىء به فى السبع وابراهم بحذف الياء وابرهم وهو اسم سريانى معناه أب رحيم وقيل مشتق من البرهمة وهى شدة النظر حكاه الكرمانى فى عجائبه وهو ابن آزر واسمه تارح بمثناة وراء مفتوحة وآخره حاء مهملة ابن ناحور بنون ومهملة مضمومة ابن شاروخ بمعجمة وراء مضمومة وآخره خاء معجمة ابن راغو بغين معجمة ابن فالغ بفاء ولام مفتوحة ومعجمة ابن عامر بمهملة وموحدة ابن شالخ بمعجمتين ابن ارفخشذ بن سام بن نوح قال الواقدى ولد ابراهيم على رأس ألفى سنة من خلق آدم وفى المستدرك من طريق ابن المسيب عن أبى هريرة قال اختتن ابراهيم بعد عشرين ومائة سنة ومات ابن مائتى سنة وحكى النووى وغيره قولا انه عاش مائة وخمسة وسبعين سنة * اسماعيل قال الجواليقى ويقال بالنون آخره قال النووى وغيره هو أكبر ولد ابراهيم * اسحاق ولد بعد اسماعيل بأربع عشرة سنة وعاش مائة وثمانين سنة وذكر أبو على بن مشكويه فى كتاب تذيم الفريد أن معنى اسحاق بالعبرانية الضحاك * يعقوب عاش مائة وسبعا وأربعين سنة * يوسف فى صحيح ابن حبان من حديث أبى هريرة مرفوعا ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وفى المستدرك عن الحسن أن يوسف ألقى فى الجب وهو ابن ثنتى عشرة سنة ولقى أباه بعد الثمانين وتوفى وله مائة وعشرون وفى الصحيح أنه أعطى شطر الحسن قال بعضهم وهو مرسل لقوله تعالى لقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل ليس هو يوسف بن يعقوب بل يوسف بن افراثيم

فيه ورب وصف ربو عليه ويتعداه ورب وصف يقصر عنه ثم اذا صدق الوصف انقسم إلى صحة واتقان وحسن واحسان والى اجمال وشرح والى استيفاء وتقريب والى غير ذلك من الوجوه وكل مذهب وطريق وله باب وسبيل فوصف الجملة الواقعة كقوله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا والتفسير كقوله ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا إلى آخر الآيات فى هذا المعنى وكنحو قوله يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد هذا مما يصور الشىء على جهته ويمثل أهوال ذلك اليوم ومما يصور لك الكلام الواقع فى الصفة كقوله حكاية

ابن يوسف بن يعقوب و يشبه هذا ما فى العجائب للكرمانى فى قوله و يرث من آل يعقوب ان الجمهور على أنه يعقوب بن ماثان وان امرأة زكريا كانت أخت مريم بنت عمران بن ماثان قال والقول بأنه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم غريب اه وماذكر أنه غريب هو المشهور والغريب الاول ونظيره فى الغرابة قول نوف البكالى أن موسى المذكور فى سورة الكهف فى قصة الخضر ليس هو موسى بنى اسرائيل بل موسى بن ميشا بن يوسف وقيل بن افرائيم بن يوسف وقد كذبه بن عباس فى ذلك وأشد من ذلك غرابة ماحكاه النقاش والماوردى ان يوسف المذكور فى سورة غافر من الجن بعثه الله رسولا اليهم وماحكاه بن عسكر أن عمران المذكور فى آل عمران هو والد موسى لا والد مريم وفى يوسف ست لغات بتثليث السين مع الواو والهمزة والصواب أنه عجمى لا اشتقاق له * لوط قال ابن اسحق هو لوط بن هاران بن آزر وفى المستدرك عن ابن عباس قال لوط بن أخى ابراهيم هود قال كعب كان أشبه الناس بآدم وقال ابن مسعود كان رجلا جلدا أخرجهما فى المستدرك وقال ابن هشام اسمه عابر بن ارفخشذ بن سام بن نوح وقال غيره الراجح فى نسبه أنه هود بن عبد الله بن رباح بن حاوز بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح * صالح قال وهب هو ابن عبيد بن حابر بن ثمود بن حابر بن سام ابن نوح بعث الى قومه حين راهق الحلم وكان رجلا أحمر الى البياض سبط الشعر فلبث فيهم أربعين عاما قال نوف الشامى صالح من العرب لما أهلك الله عادا عمرت ثمود بعدها فبعث الله اليهم صالحا غلاما شابا فدعاهم إلى الله حين شمط وكبر ولم يكن بين نوح وابراهيم نبى إلا هود وصالح أخرجهما فى المستدرك وقال ابن حجر وغيره القرآن يدل على أن ثمودا كان بعد عاد كما كان عاد بعد قوم نوح وقال الثعلبى ونقله عنه النووى فى تهذيبه ومن خطه نقلت هو صالح بن عبيد بن أسيد بن ماشج بن عبيد بن حادر بن ثمود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح بعثه الله إلى قومه وهو شاب وكانوا عربا منازلهم بين الحجاز والشام فأقام فيهم عشرين سنة ومات بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة * شعيب قال ابن اسحق هو ابن ميكاييل بن يشجن بن لاوى بن يعقوب ورأيت بخط النووى فى تهذيبه ابن ميكاييل بن يشجن بن مدين بن ابراهيم الخليل كان يقال له خطيب الانبياء وبعث رسولا الى امتين مدين وأصحاب الأيكة وكان كثير الصلاة وعمى فى آخر عمره واختار جماعة ان مدين وأصحاب الايكة أمة واحدة قال ابن كثير ويدل لذلك ان كلا منهما وعظ بوفاء المكيال والميزان فدل على أنهما واحد واحتج الأول بما أخرجه عن السدى وعكرمة قال مابعث الله نبيا مرتين الا شعيبا مرة الى مدين فأخذهم الله بالصيحة ومرة إلى أصحاب الايكة فأخذهم الله بعذاب يوم الظلة * وأخرج ابن عساكر فى تاريخه من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا أن قوم مدين وأصحاب الايكة أمتان بعث الله اليهما شعيبا قال ابن كثير وهو غريب وفى رفعه نظر قال ومنهم من زعم أنه بعث إلى ثلاث أمم والثالثة أصحاب الرس * موسى هو ابن عمران بن يصهر بن قاهث ابن لاوى بن يعقوب عليهما السلام لا خلاف فى نسبه وهو اسم سريانى * وأخرج أبو الشيخ من طريق عكرمة عن ابن عباس قال انما سمى موسى لأنه ألقى بين شجر وماء فالماء بالقبطية مو والشجر ساو فى الصحيح وصفه بأنه آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة قال الثعلبى عاش مائة وعشرين سنة * هرون أخوه شقيقه وقيل لأمه فقط وقيل لأبيه فقط حكاها الكرمانى فى عجائبه كان أطول منه فصيحا جدا مات قبل موسى وكان ولد قبله بسنة وفى بعض أحاديث الاسراء صعدت إلى السماء الخامسة فاذا أنا بهرون ونصف لحيته بيضاء ونصفها أسود تكاد لحيته تضرب سرته من طولها فقلت ياجبريل من هذا قال المحبب فى قومه هرون بن عمران وذكر ابن مكشوية ان معنى هرون بالعبرانية والمحبب * داود هو ابن ايشا بكسر الهمزة وسكون التحتية وبالشين المعجمة ابن عوبد بوزن جعفر

عن السحرة لما توعدهم فرعون بما توعدهم به حين آمنوا قالوا إنا إلى ربنا لمنقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين وقال فى موضع آخر انا إلى ربنا منقلبون وماتنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وهذا ينبيء عن كلام الحزين لما ناله الجازع لما مسه ومن باب التسخير والتكوين قوله تعالى انما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وقوله قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وكقوله فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وتقصى أقسام ذلك مما يطول ولم اقصد استيفاء ذلك وانما ضربت لك المثل بما ذكرت لتستدل وأشرت اليك بما أشرت لتتأمل وانما اقتصرنا على ذكر قصيدة البحترى لان الكتاب يفضلونه على أهل دهره ويقدمونه

بمهملة وموحدة قابن باعر بموحدة ومهملة مفتوحة ابن سلمون بن يخشون بن عمى بن يارب بتحتية وآخره موحدة بن رام بن خضرون بمهملة ثم معجمة ابن فارص بفاء وآخره مهملة ابن يهوذا بن يعقوب فى الترمذى أنه كان أعبد البشر وقال كعب كان أحمر الوجه سبط الرأس أبيض الجسم طويل اللحية فيها جعودة حسن الصوت والخلق وجمع له النبوة والملك قال النووى قال أهل التاريخ عاش مائة سنة مدة ملكه منها أربعون سنة وكان له اثنا عشر ابنا * سليمان ولده قال كعب كان أبيض جسيما وسيما وضيئا جميلا خاشعا متواضعا وكان أبوه يشاوره فى كثير من أموره مع صغر سنه لوفور عقله وعلمه * وأخرج ابن جبير عن ابن عباس قال ملك الأرض مؤمنان سليمان وذو القرنين وكافران نمروذ وبخت نصر قال أهل التاريخ ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ بناء بيت المقدس بعد ملكه بأربع سنين ومات وله ثلاث وخمسون سنة * أيوب قال ابن اسحاق الصحيح أنه كان من بنى اسرائيل ولم يصح فى نسبه شىء الا أن اسم أبيه أبيض وقال ابن جرير هو أيوب ابن موص بن روح بن عيص بن اسحاق وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط وأن أباه ممن آمن بابراهيم وعلى هذا فكان قبل موسى وقال ابن جرير كان بعد شعيب وقال ابن أبى خيثمة كان بعد سليمان ابتلى وهو ابن سبعين وكانت مدة بلائه سبع سنين وقيل ثلاث عشرة وقيل ثلاث سنين وروى الطبرانى أن مدة عمره كانت ثلاثا وتسعين سنة * ذو الكفل قيل هو ابن أيوب فى المستدرك عن وهب ان الله بعث بعد أيوب ابنه بشر بن أيوب نبيا وسماه ذا الكفل وأمره بالدعاء إلى توحيده وكان مقيما بالشام عمره حتى مات وعمره خمس وسبعون سنة وفى العجائب للكرمانى قيل هو الياس وقيل هو يوشع بن نون وقيل هو نبى اسمه ذو الكفل وقيل كان رجلا صالحا تكفل بأمور فوفى بها وقيل هو زكريا فى قوله وكفلها زكريا انتهى وقال ابن عساكر قيل هو نبى تكفل الله له فى عمله بضعف عمل غيره من الأنبياء وقيل لم يكن نبيا وان اليسع استخلفه فتكفل له أن يصوم النهار ويقوم الليل وقيل أن يصلى كل يوم مائة ركعة وقيل هو اليسع وان له اسمين * يونس هو ابن متى بفتح الميم وتشديد التاء الفوقية مقصور ووقع فى تفسير عبد الرزاق أنه اسم أمه قال ابن حجر وهو مردود بما فى حديث ابن عباس فى الصحيح ونسبه الى أبيه قال فهذا أصح قال ولم أقف فى شىء من الاخبار على اتصال نسبه وقد قيل إنه كان فى زمن ملوك الطوائف من الفرس روى ابن أبى حاتم عن أبى مالك أنه لبث فى بطن الحوت أربعين يوما وعن جعفر الصادق سبعة أيام وعن قتادة ثلاثة وعن الشعبى قال التقمه ضحى ولفظه عشية وفى يونس ست لغات تثليث النون مع الواو والهمزة والقراءة المشهورة بضم النون مع الواو قال أبو حيان وقرأ طلحة بن مصرف بكسر يونس ويوسف أراد أن يجعلهما عربيين مشتقين من أنس وأسف وهوشان * الياس قال ابن اسحق فى المبتدأ هو ابن ياسين ابن فنحاص بن العيزار بن هرون أخى موسى بن عمران وقال ابن عساكر حكى القتيبى أنه من سبط يوشع وقال وهب إنه عمر كما عمر الخضر وأنه يبقى إلى آخر الزمان وعن ابن مسعود أن الياس هو ادريس وسيأتى قريبا والياس بهمزة قطع اسم عبرانى وقد زيد فى آخره ياء ونون فى قوله تعالى سلام على الياسين كما قالوا فى ادريس ادراسين ومن قرأ آل يسين فقيل المراد آل محمد * اليسع قال ابن جبير هو ابن أخطوب بن العجوز قال والعامة تقرؤه بلام واحدة مخففة وقرأ بعضهم واللسع بلامين وبالتشديد فعلى هذا هو عجمى وكذا على الأولى وقيل عربى منقول من الفعل من وسع يسع * زكريا كان من ذرية سليمان بن داود وقتل بعد قتل ولده وكان له يوم بشر بولده اثنتان وتسعون سنة وقيل تسع وتسعون وقيل مائة وعشرون وزكريا اسم أعجمى وفيه خمس لغات أشهرها المد والثانية القصر وقرئ بهما فى السبع وزكريا بتشديد الراء وتخفيفها وزكر كقلم * يحيى ولده أول من سمى يحيى

على من فى عصره ومنهم من يدعى له الاعجاز غلوا ويزعم أنه يناجى النجم فى قوله علوا والملحدة تستظهر بشعره وتتكثر بقوله وتدعى كلامه من شبهاتهم وعباراته مضافا الى ما عندهم من ترهاتهم فبينا قدر درجته وموضع رتبته وحد كلامه وهيهات أن يكون المطموع فيه كالمأيوس منه وأن يكون الليل كالنهار والباطل كالحق وكلام رب العالمين ككلام البشر فان قال قائل فقد قدح الملحد فى نظم القرآن وادعى عليه الخلل فى البيان وأضاف اليه الخطأ فى المعنى واللفظ وقال ماقال فهل من فصل قبل الكلام على مطاعن الملحدة فى القرآن مما قد سبقنا اليه وصنف أهل الأدب فى بعضه فكفوا وأتى المتكلمون على ماوقع اليهم فشفوا ولولا ذلك لاستقصينا القول فيه فى كتابنا وأما الغرض الذى صنفنا فيه فى التفصيل والكشف عن اعجاز القرآن

بنص القرآن ولد قبل عيسى بستة أشهر ونبىء صغيرا وقتل ظلما وسلط الله على قاتليه بخت نصر وجيوشه ويحيى اسم عجمى وقيل عربى قال الواحدى وعلى القولين لا ينصرف قال الكرمانى وعلى الثانى انما سمى به لانه أحياه الله بالايمان وقيل لانه حيى به رحم أمه وقيل لانه استشهد والشهداء أحياء وقيل معناه يموت كالفازة للهلكة والسليم للديغ * عيسى ابن مريم بنت عمران خلقه الله بلا أب وكانت مدة حمله ساعة وقيل ثلاث ساعات وقيل ستة أشهر وقيل ثمانية أشهر وقيل تسعة ولها عشر سنين وقيل خمسة عشرة ورفع وله ثلاث وثلاثون سنة وفى أحاديث انه ينزل ويقتل الدجال ويتزوج ويولد له ويحج ويمكث فى الارض سبع سنين ويدفن عند النبى ﷺ وفى الصحيح انه ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس يعنى حماما وعيسى اسم عبرانى أو سريانى ﴿فائدة﴾ أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال لم يكن من الانبياء من له اسمان الا عيسى ومحمد ﷺ محمد صلى الله عليه وسلم سمى فى القرآن بأسماء كثيرة منها محمد وأحمد ﴿فائدة﴾ أخرج ابن أبى حاتم عن عمرو بن مرة قال خمسة سموا قبل أن يكونوا محمد ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ويحيى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وعيسى مصدقا بكلمة من الله واسحق ويعقوب فبشرناها باسحق ومن وراء إسحق يعقوب قال الراغب وخص لفظ أحمد فيما بشر به عيسى تنبيها على أنه أحمد منه ومن الذين قبله وفيه من أسماء الملائكة جبريل وميكائيل وفيهما لغات جبريل بكسر الجيم والراء بلا همز وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز وجبرائيل بهمزة بعد الالف وجبراييل بياءين بلا همز وجبرئيل بهمز وياء بلا ألف وجبرئل مشددة اللام وقرىء بها قال ابن جنى وأصله كور يال فغير بالتعريب وطول الاستعمال الى ما ترى وقرىء ميكاييل بلا همز وميكئل وميكال أخرج ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس قال جبريل عبد الله وميكائل عبيد الله وكل اسم فيه ايل فهو عبد لله * وأخرج عن عبد الله بن الحارث قال ايل الله بالعبرانية * وأخرج ابن أبى حاتم عن عبد العزيز بن عمير قال اسم جبريل فى الملائكة خادم الله ﴿فائدة﴾ قرأ أبو حيوة فأرسلنا اليها روحنا بالتشديد وفسره ابن مهران بانه اسم لجبريل حكاه الكرمانى فى عجائبه * وهاروت وماروت أخرج ابن أبى حاتم عن على قال هاروت وماروت ملكان من ملائكة السماء وقد أفردت فى قصتهما جزأ * والرعد فى الترمذى من حديث ابن عباس أن اليهود قالوا للنبى ﷺ أخبرنا عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب * وأخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة قال الرعد ملك يسبح * وأخرج عن مجاهد انه سئل عن الرعد فقال هو ملك يسمى الرعد ألم تر أن الله يقول ويسبح الرعد بحمده * والبرق فقد أخرج ابن أبى حاتم عن محمد بن مسلم قال بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه أسد فاذا نصع بذنبه فذلك البرق * ومالك خازن جهنم * والسجل أخرج ابن أبى حاتم عن أبى جعفر الباقر قال السجل ملك وكان هاروت وماروت من أعوانه * وأخرج عن ابن عمر قال السجل ملك * وأخرج عن السدى قال ملك موكل بالصحف * وقعيد فقد ذكر مجاهد انه اسم كاتب السيئات أخرجه أبو نعيم فى الحلية فهؤلاء تسعة * وأخرج ابن أبى حاتم من طرق مرفوعة وموقوفة ومقطوعة ان ذا القرنين ملك من الملائكة فان صح أكمل العشرة * وأخرج ابن أبى حاتم من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى يوم يقوم الروح قال ملك من أعظم الملائكة خلقا فصاروا أحد عشر ثم رأيت الراغب قال فى مفردا نه فى قوله تعالى هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين قيل إنه ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه كما روى أن السكينة تنطق على لسان عمر وفيه من أسماء الصحابة زيد بن حارثة والسجل فى قول من قال إنه كاتب النبى صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود والنسائى من طريق أبى الجوزاء

فلم نجده على التقريب الذى قصدنا وقد رجونا أن يكون ذلك مغنيا وواقعا وان سهل الله لنا ما نويناه من املاء معانى القرآن ذكرنا فى ذلك ما يشتبه من الجنس الذى ذكروه لان أكثر ما يقع من الطعن عليه فانما يقع على جهل القوم بالمعانى أو بطريقة كلام العرب وليس ذلك من مقصود كتابنا هذا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وقد قصدنا فيما أمليناه الاختصار ومهدنا الطريق فمن كل طبعه الوقوف على فصل أجناس الكلام استدرك ما بيننا ومن تعذر عليه الحكم بين شعر جرير والفرزدق والأخطل والحكم بين فضل زهير والنابغة أو الفضل بين البحترى وأصحابه ولم يعرف سخف مسيلمة فى نظمه ولم يعلم أنه من الباب الذى يهزأ به ويسخر منه كشعر أبى العيس فى جملة الشعر وشعر على بن صلاة

عن ابن عباس وفيه من أسماء المتقدمين غير الأنبياء والرسل * عمران أبو مريم وقيل وأبو موسى أيضا وأخوها هرون وليس بأخي موسى كما في حديث أخرجه مسلم وسيأتي آخر الكتاب * وعزير وتبع وكان رجلا صالحا كما أخرج الحاكم وقيل نبي حكاه الكرماني في عجائبه * ولقمان وقد قيل انه كان نبيا والاكثر على خلافه أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق عكرمة عن ابن عباس قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا ويوسف الذي في سورة غافر ويعقوب في أول سورة مريم على ما تقدم وتقي في قوله فيها اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قيل انه اسم رجل كان من أمثل الناس أي ان كنت في الصلاح مثل تقي حكاه الثعلبي وقيل اسم رجل كان يتعرض للنساء وقيل انه ابن عمها أتاها جبريل في صورته حكاها الكرماني في عجائبه وفيه من أسماء النساء مريم لا غير لنكتة تقدمت في نوع الكناية ومعنى مريم بالعبرية الخادم وقيل المرأة التي تغازل الفتيان حكاها الكرماني وقيل ان بعلا في قوله أتدعون بعلا اسم امرأة كانوا يعبدونها حكاه ابن عساكر وفيه من أسماء الكفار قارون وهو ابن يصهر ابن عم موسى كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس * وجالوت وهامان وبشرى الذي ناداه الوارد المذكور في سورة يوسف بقوله يا بشراي في قول السدي أخرجه ابن أبي حاتم وآزر أبو ابراهيم وقيل اسمه تارح وآزر لقب أخرج ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال ان أبا ابراهيم لم يكن اسمه آزر انما كان اسمه تارح وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال معنى آزر الصنم وأخرج عن السدي قال اسم أبيه تارح واسم الصنم آزر وأخرج عن مجاهد قال ليس آزر أبا ابراهيم ومنها النسيء أخرج ابن أبي حاتم عن أبي وائل قال كان رجل يسمى النسيء من بني كنانة كان يجعل المحرم صفرا يستحل به الغنائم وفيه من أسماء الجن أبو هم إبليس وكان اسمه أولا عزازيل * وأخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان ابليس اسمه عزازيل * وأخرج ابن جرير عن السدي قال كان اسم ابليس الحارث قال بعضهم هو معنى عزازين * وأخرج ابن جرير وغيره من طريق الضحاك عن ابن عباس قال انما سمي ابليس لان الله أبلسه من الخير كله آيسه منه وقال ابن عساكر قيل في اسمه فترة حكاه الخطابي وكنيته أبو كردوس وقيل أبو فترة وقيل أبو مرة وقيل أبو لبيني حكاه السهيلي في الروض الأنف وفيه من أسماء القبائل يأجوج ومأجوج وعاد وثمود ومدين وقريش والروم وفيه من الأقوام بالاضافة قوم نوح وقوم لوط وقوم تبع وقوم ابراهيم وأصحاب الأيكة * وقيل هم مدين وأصحاب الرس وهم بقية من ثمود قاله ابن عباس وقال عكرمة هم أصحاب ياسين وقال قتادة هم قوم شعيب وقيل هم أصحاب الأخدود واختاره ابن جرير وفيه من أسماء الأصنام التي كانت أسماء لاناس ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وهي أصنام قوم نوح واللات والعزى ومنات وهي أصنام قريش وكذا الرجز فيمن قرأه بضم الراء ذكره الأخفش في كتاب الواحد والجمع انه اسم صنم والجبت والطاغوت قال ابن جرير ذهب بعضهم الى أنهما صنمان كان المشركون يعبدونهما ثم أخرج عن عكرمة قال الجبت والطاغوت صنمان والرشاد في قوله في سورة غافر وما أهديكم الا سبيل الرشاد قيل هو اسم صنم من أصنام فرعون حكاه الكرماني في عجائبه * وبعل وهو صنم قوم الياس وآزر على أنه اسم صنم روى البخاري عن ابن عباس قال ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون انصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت * وأخرج ابن أبي حاتم عن عروة أنهم أولاد آدم لصلبه وأخرج البخاري عن ابن عباس قال كان اللات رجلا يلت سويق الحاج وحكاه ابن جني عنه أنه قرأ اللات بتشديد التاء وفسره بذلك وكذا أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد وفيه من

فكيف يمكنه النظر فيما وصفنا والحكم على ما بينا فان قال قائل فاذكر لنا من هؤلاء الشعراء الذين سميتهم الاشعر والابلغ قيل له هذا أيضا خارج عن غرض هذا الكتاب وقد تكلم فيه الادباء ويحتاج أن يجدد لنحو هذا كتاب ويفرد له باب وليس من قبيل ما نحن فيه بسبيل وليس للقائل أن يقول قد يسلم بعض الكلام من العوارض والعيوب ويبلغ أمده في الفصاحة والنظم العجيب ولا يبلغ عندكم حد المعجز فلم قضيتم بما قضيتم به في القرآن دون غيره من الكلام وانما لم يصح هذا السؤال وما نذكر فيه من أشعار في نهاية الحسن وخطب ورسائل في غاية الفضل لانا قد بينا ان هذه الاجناس قد وقع النزاع فيها والمساماة عليها والتنافس في طرقها والتنافر في بابها وكان البون بين البعض والبعض في الطبقة الواحدة قريبا والتفاوت

أسماء البلاد والبقاع والأمكنة والجبال * بكة اسم لمكة فقيل الباء بدل من الميم وما خذه من تمككت العظم أى اجتذبت ما فيه من المخ وتمكك الفصيل ما فى ضرع الناقة فكأنها تجتذب الى نفسها ما فى البلاد من الاقوات وقيل لأن الناس تبك فيها وقيل لقلة مائها وقيل لانها فى بطن واد يمكك الماء من جبالها عند نزول المطر وتنجذب اليها السيول وقيل الباء أصل وما خذه من البك لانها تبك أعناق الجبابرة أى تكسرهم فيذلون لها ويخضعون وقيل من التباك وهو الازدحام لازدحام الناس فيها فى الطواف وقيل مكة الحرم وبكة المسجد خاصة وقيل مكة البلد وبكة البيت وموضع الطواف وقيل البيت خاصة * والمدينة سميت فى الاحزان بيثرب حكاية عن المنافقين وكان اسمها فى الجاهلية فقيل لأنه اسم أرض فى ناحيتها وقيل سميت بيثرب بن وائل من بنى ارم بن سام بن نوح لأنه أول من نزلها وقد صح النهى عن تسميتها به لأنه ﷺ كان يكره الاسم الخبيث وهو يشعر بالثرب وهو الفساد أو التثريب وهو التوبيخ * وبدر وهى قرية قرب المدينة أخرج ابن جرير عن الشعبى قال كانت بدر لرجل من جهينة يسمى بدرا فسميت به قال الواقدى فذكرت ذلك لعبد الله بن جعفر ومحمد بن صالح فانكراه وقالا فلا أى شىء سميت الصفراء ورابغ هذا ليس بشىء انما هو اسم الموضع وأخرج عن الضحاك قال بدر ما بين مكة والمدينة * وأحد قرى شاذا اذ تصعدون ولا تلوون على أحد * وحنين وهى قرية قرب الطائف * وجمع وهى مزدلفة * والمشعر الحرام وهو جبل بها * ونقع قيل هو اسم لما بين عرفات الى مزدلفة حكاه الكرمانى * ومصر وبابل وهى بلد بسواد العراق والايكة وليكة بفتح اللام بلد قوم شعيب * والثانى اسم البلدة والاول اسم الكورة * والحجر منازل ثمود ناحية الشام عند وادى القرى * والاحقاف وهى جبال الرمل بين عمان وحضرموت وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس انها جبل بالشام * وطور سيناء وهو الجبل الذى نودى منه موسى * والجودى وهو جبل بالجزيرة * وطوى اسم الوادى كما أخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عباس وأخرج من وجه آخر عنه أنه سمى طوى لأن موسى طواه ليلا وأخرج عن الحسن قال هو واد بفلسطين قيل له طوى لانه قدس مرتين وأخرج عن بشر بن عبيد قال هو واد بايلة طوى بالبركة مرتين * والكهف وهو البيت المنقور فى الجبل والرقيم أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال زعم كعب أن الرقيم القرية التى خرجوا منها وعن عطية قال الرقيم واد وعن سعيد بن جبير مثله وأخرج من طريق العوفى عن ابن عباس قال الرقيم واد بين عمان وايلة دون فلسطين وعن قتادة قال الرقيم اسم الوادى الذى فيه الكهف وعن أنس بن مالك قال الرقيم الكلب * والعرم أخرج ابن أبى حاتم عن عطاء قال العرم اسم الوادى * وحرد قال السدى بلغنا ان اسم القرية حرد أخرجه ابن أبى حاتم * والصريم أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير انها أرض باليمن تسمى بذلك * وق وهو جبل محيط بالأرض * والحرز قيل هو اسم أرض * والطاغية قيل اسم البقعة التى أهلكت بها ثمود حكاهما الكرمانى وفيه من أسماء الاماكن الاخروية الفردوس وهو أعلى مكان فى الجنة وعليون قيل أعلى مكان فى الجنة وقيل اسم لما دون فيه أعمال صلحاء الثقلين والكوثر نهر فى الجنة كما فى الاحاديث المتواترة وسلسبيل وتسنيم عينان فى الجنة وسجين اسم لمكان أرواح الكفار وصعود جبل فى جهنم كما أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد مرفوعا وغى وآثام وموبق والسمر وويل وسائل وسحق أودية فى جهنم أخرج ابن أبى حاتم عن أنس بن مالك فى قوله وجعلنا بينهم موبقا قال واد فى جهنم من قيح وأخرج عن عكرمة فى قوله موبقا قال هو نهر فى النار وأخرج الحاكم فى مستدركه عن ابن مسعود فى قوله فسوف يلقون غيا قال واد فى جهنم وأخرج الترمذى وغيره من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويل واد فى جهنم

خفيفا وذلك القدر من السيق أن ذهب عند الواحد لم ييأس منه الباقون ولم ينقطع الطمع فى مثله وليس كذلك سمت القرآن لأنه قد عرف أن الوهم ينقطع دون مجاراته والطمع يرتفع عن مباراته ومساماته وان الكل فى العجز عنه على حد واحد وكذلك قد يزعم زاعمون ان كلام الجاحظ من السمت الذى لا يؤخذ فيه والباب الذى لا يذهب عنه وأنت تجد قوما يرون كلامه قريبا ومنهاجه معيبا ونطاق قوله ضيقا حتى يستعين بكلام غيره ويفرغ الى ما يوشح به كلامه من بيت سائر ومثل نادر وحكمة ممهدة منقولة وقصة عجيبة مأثورة وأما كلامه فى أثناء ذلك فسطور قليلة وألفاظ يسيرة فاذا أحوج إلى تطويل الكلام خاليا عن شىء يستعين به فيخلطه بقوله من قول غيره كان كلاما كسائر كلام غيره فان أردت أن تحقق هذا فانظر فى كتبه

يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعود قال ويل واد فى جهنم من قيح وأخرج ابن أبى حاتم عن كعب قال فى النار أربعة أودية يعذب الله بها أهلها غليظ وموبق وأثام وغى وأخرج عن سعيد بن جبير قال السعير واد من قيح فى جهنم وسحق واد فى جهنم وأخرج عن أبى زيد فى قوله سأل سائل هو واد من أودية جهنم يقال لهسائل * والفلق جب فى جهنم فى حديث مرفوع أخرجه ابن جرير ويحموم دخان أسود أخرجه الحاكم عن ابن عباس وفيه من المنسوب الى الاماكن الأمى قيل انه نسبة الى أم القرى وعبقرى قيل انه منسوب الى عبقر موضع للجن ينسب اليه كل نادر والسامرى قيل منسوب إلى أرض يقال لها سامرون وقيل سامرة والعربى قيل منسوب الى عربة وهى باحة دار اسمعيل عليه السلام أنشد فيها

وعربة أرض ما يحل حرامها * من الناس إلا اللوذعى الحلاحل

يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وفيه من أسماء الكواكب الشمس والقمر والطارق والشعرى

﴿ فائدة ﴾ قال بعضهم سمى الله فى القرآن عشرة أجناس من الطير السلوى والبعوض والذباب والنحل والعنكبوت والجراد والهدهد والغراب وأبابيل والنمل فانه من الطير لقوله فى سليمان علمنا منطق الطير وقد فهم كلامها وأخرج ابن أبى حاتم عن الشعبى قال النملة التى فقه سليمان كلامها كانت ذات جناحين

﴿ فصل ﴾ أما الكنى فليس فى القرآن منها غير أبى لهب واسمه عبد العزى ولذلك لم يذكر باسمه لانه حرام شرعا وقيل للاشارة الى أنه جهنمى وأما الألقاب فمنها اسرائيل لقب يعقوب ومعناه عبد الله وقيل صفوة الله وقيل سرى الله لانه أسرى لما هاجر * أخرج ابن جرير من طريق عمير عن ابن عباس ان اسرائيل كقولك عبد الله وأخرج عبد بن حميد فى تفسيره عن أبى مجلز قال كان يعقوب رجلا بطيشا فلقى ملكا فعالجه فصرعه الملك فضرب على فخذيه فلما رأى يعقوب ما صنع به بطش به فقال ما أنا بتاركك حتى تسمينى اسما فسماه اسرائيل قال أبو مجلز ألا ترى انه من أسماء الملائكة وفيه لغات أشهرها بياء بعد الهمزة ولام وقرىء اسرايل بلا همزة قال بعضهم ولم يخاطب اليهود فى القرآن إلا ببنى اسرائيل دون يا بنى يعقوب لنكتة وهى انهم خوطبوا بعبادة الله وذكروا بدين أسلافهم موعظة لهم وتنبيها من غفلتهم فسموا بالاسم الذى فيه تذكرة بالله تعالى فان اسرائيل اسم مضاف الى الله فى التأويل ولما ذكر موهبته لابراهيم وتبشيره به قال يعقوب وكان أولى من اسرائيل لانها موهبة بمعقب آخر فناسب ذكر اسم يشعر بالتعقيب ومنها المسيح لقب لعيسى ومعناه قيل الصديق وقيل الذى ليس لرجله أخمص وقيل الذى لا يمسح ذا عاهة إلا برىء وقيل الجميل وقيل الذى يمسح الارض أى يقطعها وقيل غير ذلك * ومنها الياس قيل انه لقب ادريس * أخرج ابن أبى حاتم بسند حسن عن ابن مسعود قال الياس هو ادريس واسرائيل هو يعقوب وفى قراءته وان ادراس لمن المرسلين سلام على ادراسين وفى قراءة أبى وان ايليس سلام على ايليس * ومنها ذو الكفل قيل انه لقب الياس وقيل لقب اليسع وقيل لقب يوشع وقيل لقب زكريا ومنها نوح اسمه عبد الغفار ولقبه نوح لكثرة نوحه على نفسه فى طاعة ربه كما أخرجه ابن أبى حاتم عن يزيد الرقاشى ومنها ذو القرنين واسمه اسكندر وقيل عبد الله بن الضحاك بن سعد وقيل المنذر بن ماء السماء وقيل الصعب بن قرين بن الهمال حكاها ابن عساكر ولقب ذا القرنين لانه بلغ قرنى الارض والمشرق والمغرب وقيل لانه ملك فارس والروم وقيل كان على رأسه قرنان أى ذؤابتان وقيل كان له قرنان من ذهب وقيل كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان على رأسه قرنان صغيران تواريهما العمامة وقيل انه ضرب على قرنه فمات ثم بعثه الله فضربوه على قرنه الآخر

فى نظم القرآن وفى الرد على النصارى وفى خبر الواحد وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى هل تجد فى ذلك كله ورقة تشتمل على نظم بديع أو كلام مليح على أن متأخرى الكتاب قد نازعوه فى طريقته وجاذبوه على منهجه فمنهم من ساواه حين ساماه ومنهم من أبر عليه اذ باراه هذا أبو الفضل ابن العميد قد سلك مسلكه وأخذ طريقه فلم يقصر عنه ولعله قد بان تقدمه عليه لانه يأخذ فى الرسالة الطويلة فيستوفيها على حدود مذهبه ويكملها على شروط صنعته ولا يقتصر على أن يأتى بالاسطر من نحو كلامه كما ترى الحاحظ يفعله فى كتبه متى ذكر من كلامه سطرا اتبعه من كلام الناس أوراقا واذا ذكر منه صفحة بنى عليه من قول غيره كتابا وهذا يدلك على ان الشىء إذا استحسن اتبع واذا استملح قصد له وتعمد وهذا الشىء

وقيل لانه كان كريم الطرفين وقيل لانه انقرض فى وقته قرنان من الناس وهو حى وقيل لأنه أعطى علم الظاهر وعلم الباطن وقيل لانه دخل النور والظلمة * ومنها فرعون واسمه الوليد بن مصعب وكنيته أبو العباس وقيل أبو الوليد وقيل أبو مرة وقيل ان فرعون لقب لكل من ملك مصر * أخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد قال كان فرعون فارسيا من أهل اصطخر * ومنها تبع قيل كان اسمه أسعد بن ملكى كرب وسمى تبعا لكثرة من تبعه وقيل انه لقب ملوك اليمن سمى كل واحد منهما تبعا أى يتبع صاحبه كالخليفة يخلف غيره

﴿النوع السبعون * فى المبهمات﴾ أفرده بالتأليف السهيلى ثم ابن عساكر ثم القاضى بدر الدين ابن جماعة ولى فيه تأليف لطيف جمع فوائد الكتب المذكورة مع زوائد أخرى على صغر حجمه جدا وكان من السلف من يعتنى به كثيرا قال عكرمة طلبت الذى خرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم أدركه الموت أربع عشرة سنة * وللابهام فى القرآن أسباب أحدها الاستغناء ببيانه فى موضع آخر كقوله صراط الذين أنعمت عليهم فانه مبين فى قوله مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين * الثانى ان يتعين لاشتهاره كقوله وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ولم يقل حواء لانه ليس له غيرها ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه والمراد نمروذ لشهرة ذلك لانه المرسل اليه قيل وقد ذكر الله فرعون فى القرآن باسمه ولم يسم نمروذ لان فرعون كان أذكى منه كما يؤخذ من أجوبته لموسى ونمروذ كان بليدا ولهذا قال أنا أحيى وأميت وفعل ما فعل من قتل شخص والعفو عن آخر وذلك غاية البلادة * الثالث قصد الستر عليه ليكون أبلغ من استعطافه نحو ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا الآية هو الأخنس بن شريق وقد أسلم بعد وحسن اسلامه * الرابع أن لا يكون فى تعيينه كبير فائدة نحو أو كالذى مر على قرية واسألهم عن القرية * الخامس التنبيه على العموم وانه غير خاص بخلاف مالو عين نحو ومن يخرج من بيته مهاجرا * السادس تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم نحو ولا يأتل أولوا الفضل والذى جاء بالصدق وصدق به اذ يقول لصاحبه والمراد الصديق فى الكل * السابع تحقيره بالوصف الناقص نحو ان شانئك هو الابتر ﴿تنبيه﴾ قال الزركشى فى البرهان لا يبحث عن مبهم أخبر الله باستئثاره بعلمه كقوله وآخرين منهم لا تعلمونهم الله يعلمهم قال والعجب ممن نجر أو قال انهم قريظة أو من الجن قلت ليس فى الآية ما يدل على ان جنسهم لا يعلم وانما المنفى علم أعيانهم ولا ينافيه العلم بكونهم من قريظة أو من الجن وهو نظير قوله فى المنافقين وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم فان المنفى علم أعيانهم ثم القول فى أولئك انهم قريظة أخرجه ابن أبى حاتم عن مجاهد والقول بانهم من الجن أخرجه ابن أبى حاتم من حديث عبد الله بن غريب عن أبيه مرفوعا عن النبى صلى الله عليه وسلم فلا جراءة

﴿فصل﴾ اعلم ان علم المبهمات مرجعه النقل المحض لا مجال للرأى فيه ولما كانت الكتب المؤلفة فيه وسائر التفاسير تذكر فيها أسماء المبهمات والخلاف فيها دون بيان مستند يرجع اليه أو عزو يعتمد عليه ألفت الكتاب الذى ألفته مذكورا فيه عزو كل قول الى قائله من الصحابة والتابعين وغيرهم معزوا الى أصحاب الكتب الذين خرجوا ذلك باسانيدهم مبينا فيه ما صح سنده وما ضعف فجاء لذلك كتابا حافلا لا نظير له فى نوعه وقد رتبته على ترتيب القرآن وأنا ألخص هنا مهماته باوجز عبارة تاركا العزو والتخريج غالبا اختصارا أو احالة على الكتاب المذكور وارتبه على قسمين * الاول فيما أبهم من رجل أو امرأة أو ملك أو جنى أو مثنى أو مجموع عرف أسماء كلهم أو من أو الذى اذا لم يرد به العموم قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة هو آدم وزوجه حواء بالمد لانها خلقت من حى واذ قتلتم نفسا

يرجع الى الاخذ بالفضل والتنافس فى التقدم فلو كان فى مقدور البشر معارضة القرآن لهذا الغرض وحده لكثرت المعارضات ودامت المنافسات فكيف وهناك دواع لا انتهاء لها وجوالب لاحد لكثرتها لانهم لو كانوا عارضوه لتوصلوا الى تكذيبه ثم الى قطع المحامين دونه عنه أو تنفيرهم عليه وادخال الشبهات على قلوبهم وكان القوم يكتفون بذلك عن بذل النفوس ونصب الارواح والاخطار بالاموال والذرارى فى وجه عداوته ويستغنون بكلام هو طبعهم وعادتهم وصناعتهم عن محاربته وطول منافسته ومجاذبته وهذا الذى عرضناه على قلبك يكفى ان هديت لرشدك ويشفى ان دللت على قصدك ونسأل الله حسن التوفيق والعصمة والتسديد انه لا معرفة الا بهدايته ولا عصمة الا بكفايته وهو على ما يشاء قدير وحسبنا الله ونعم

اسمه عاميل * وابعث فيهم رسولا منهم هو النبي ﷺ ووصى بها ابراهيم بنيه هم اسمعيل واسحق ومان وزمران وسرح ونفش ونفشان وأميم وكيسان وسورح ولوطان ونافش * الاسباط أولاد يعقوب اثنا عشر رجلا يوسف وروبيل وشمعون ولاوى ويهوذا ودانى ونفتانى بفاء ومثناة وكاد ويأشير وايشاجرور ايلون وبنيامين ومن الناس من يعجبك قوله هو الاخنس بن شريق ومن الناس من يشرى نفسه هو صهيب اذ قالوا النبي لهم هو شمويل وقيل شمعون وقيل يوشع منهم من كلم الله قال مجاهد موسى ورفع بعضهم درجات قال محمد الذى حاج ابراهيم فى ربه نمروذ بن كنعان أو كالذى مر على قرية عزير وقيل أرمياء وقيل حزقيل امرأة عمران حنة بنت فاقوذ * وامرأتى عاقر هى أشياع أو أشيع بنت فاقوذ * مناديا ينادى للايمان هو محمد ﷺ * الطاغوت قال ابن عباس هو كعب بن الاشرف أخرجه أحمد وان منكم لمن ليبطئن هو عبد الله بن أبى * ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا هو عامر بن الاضبط الاشجعى وقيل مرداس والقائل ذلك نفر من المسلمين منهم أبو قتادة ومحلم بن جثامة وقيل ان الذى باشر القول محلم وقيل انه الذى باشر قتله أيضا وقيل قتله المقداد بن الأسود وقيل أسامة بن زيد * ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت هو ضمرة بن جندب وقيل ابن العيص ورجل من خزاعة وقيل أبو ضمرة بن العيص وقيل اسمه سبرة وقيل هو خالد بن حزام وهو غريب جدا وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا هم شموع بن زكور من سبط رويبل وشوقط بن حورى من سبط شمعون وكالب بن يوقنا من سبط يهوذا وبعورك بن يوسف من سبط ايشاجره ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وبلطى بن روفو من سبط بنيامين وكرابيل بن سورى من سبط زبالون وولد بن سوساس من سبط منشا بن يوسف وعمائيل بن كسل من سبط دان وستور بن منحائيل من سبط أشير ويوحنا بن وقوسى من سبط نفتال وال بن موخا من سبط كاذ لو قال رجلان هما يوشع وكالب * نبأ ابنى آدم هما قابيل وهابيل وهو المقتول * الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها بلعم ويقال بلعام بن آبر ويقال باعر ويقال باعوز وقيل هو أمية بن أبى الصلت وقيل صيفى بن الراهب وقيل فرعون وهو أغربها * وانى جار لكم عن سراقة بن جعشم * فقاتلوا أئمة الكفر قال قتادة هم أبو سفيان وأبو جهل وأمية بن خلف وسهيل بن عمرو وعتبة بن ربيعة * اذ يقول لصاحبه هو أبو بكر وفيكم سماعون لهم قال مجاهد هم عبد الله بن أبى بن سلول ورفاعة بن التابوت وأوس بن قيظى * ومنهم من يقول ائذن لى هو الجد بن قيس * ومنهم من يلمزك فى الصدقات هو ذو الخويصرة * ان نعف عن طائفة منكم هو مخشى بن حمير * ومنهم من عاهد الله هو ثعلبة بن حاطب * وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال ابن عباس هم سبعة أبو لبابة وأصحابه وقال قتادة سبعة من الانصار أبو لبابة وجد بن قيس وحرام وأوس وكزدم ومرداس * وآخرون مرجون هم هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهم الثلاثة الذين خلفوا * والذين اتخذوا مسجدا ضرارا قال ابن اسحق اثنا عشر من الانصار حزام بن خالد وثعلبة بن حاطب وهزال بن أمية ومعتب بن قشير وأبو حبيبة بن الازعر وعباد بن حنيف وجارية بن عامر وابناه مجمع وزيد ونبتل بن الحارث وبحرج وبجاد بن عثمان ووديعة بن ثابت * لمن حارب الله ورسوله هو أبو عامر الراهب * أفمن كان على بينة من ربه وهو محمد صلى الله عليه وسلم ويتلوه شاهد منه هو جبريل وقيل القرآن وقيل أبو بكر وقيل على * ونادى نوح ابنه اسمه كنعان وقيل يام وامرأته قائمة اسمها سارة * بنات لوط ريثا ورغوثا * ليوسف واخوه بنيامين شقيقه * قال قائل منهم هو روبيل وقيل يهوذا وقيل شمعون فارسلوا واردهم هو مالك ابن دعر وقال الذى اشتراه هو قطفير أو اطيفير لامرأته هى راعيل وقيل زليخا * ودخل معه السجن

الوكيل

﴿ فصل ﴾

فان قال قائل قد يجوز أن يكون أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم قد عجزوا عن الاتيان بمثل القرآن وان كان من بعدهم من أهل الاعصار لم يعجزوا قيل هذا سؤال معروف وقد أجيب عنه بوجوه منها ماهو صواب ومنها مافيه خلل لان من كان يجيب عنه بأنهم لا يقدرون على معارضته فى الاخبار عن الغيوب ان قدروا على مثل نظمه فقد سلم المسئلة لانا ذكرنا ان نظمه معجز لا يقدر عليه فاذا أجاب بما قدمناه فقد وافق السائل عن مراده والوجه ان يقال فيه طرق منها انا اذا علمنا ان أهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الاتيان بمثله فمن بعدهم أعجز لان فصاحة أولئك فى وجوه ماكانوا يتفننون فيه من القول مما لا يزيد عليه فصاحة من بعدهم وأحسن أحوالهم ان

فتيان هما محلث و بنوه وهو الساقى وقيل راشان ومرطش وقيل بسرهم وسرهم * الذى ظن انه ناج هو الساقى * عندر بك هو الملك ريان بن الوليد * بأخ لكم هو بنيامين وهو المتكرر فى السورة * فقد سرق أخ له عنوا يوسف * قال كبيرهم هو شمعون وقيل رو بيل * آوى اليه أبويه هما أبوه وخالته ليا وقيل أمه واسمها راحيل * ومن عنده علم الكتاب هو عبد الله بن سلام وقيل جبريل * أسكنت من ذرية هو اسماعيل * ولو الدى اسم أبيه تارح وقيل آزر وقيل يازر واسم أمه ثانى وقيل نوفا وقيل ليوثا * انا كفيناك المستهزئين قال سعيد بن جبير هم خمسة الوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل وابو زمعة والحارث بن قيس والاسود بن عبد يغوث * رجلين أحدهما ابكم هو أسيد بن ابى العيص * ومن يامر بالعدل عثمان بن عفان * كالتى نقضت غزلها ريطة بنت سعيد بن زيد مناة بن تيم * إنما يعلمه بشر عنوا عبد بن الحضرمى واسمه مقيس وقيل عبد بن له يسار وجبر وقيل عنوا قينا بمكة اسمه بلعام وقيل سلمان الفارسى * أصحاب الكهف تمليخا وهو رئيسهم والقائل فأووا الى الكهف والقائل ربكم أعلم بما لبثتم وتكسلمينا وهو القائل كم لبثتم ومرطوش ويرافش وأيونس وأو يسطانس وشلططيوس * فابعثوا أحدكم بورقكم هو تمليخا * من أغفلنا قلبه هو عيينة بن حصن * واضرب لهم مثلا رجلين هما تمليخا وهو الخير وقطرس وهما المذكوران فى سورة الصافات * قال موسى لفتاه هو يوشع بن نون وقيل اخوه يثربى * فوجدا عبدا هو الخضر واسمه بليا * لقيا غلاما اسمه جيسون بالجيم وقيل بالحاء * وراءهم ملك هو هدد بن بدد * وأما الغلام فكان أبواه اسم الأب كازير والأم سهوا * لغلامين يتيمين هما أصرم وصريم * فناداها من تحتها قيل عيسى وقيل جبريل * و يقول الانسان هو أبى بن خلف وقيل أمية بن خلف وقيل الوليد بن المغيرة * افرأيت الذى كفر هو العاصى بن وائل وقتلت منهم نفسا هو القبطى واسمه قانون السامرى اسمه موسى بن ظفر * من أثر الرسول هو جبريل * ومن الناس من يجادل هو النضر بن الحارث هذان خصمان اخرج الشيخان عن ابى ذر قال نزلت هذه الآية فى حمزة وعبيدة بن الحارث وعلى بن أبى طالب وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة ومن يرد فيه بالحاد قال ابن عباس نزلت فى عبد الله بن أنيس الذين جاؤا بالافك هم حسان بن ثابت ومسطح ابن اثاثة وحمنة بنت جحش وعبد الله بن ابى وهو الذى تولى كبره و يوم يعض الظالم هو عقبة بن أبى معيط لم اتخذ فلانا هو أمية بن خلف وقيل ابى بن خلف * وكان الكافر قال الشعبى هو ابو جهل * امرأة تملكهم هى بلقيس بنت شراحيل * فلما جاء سليمان اسم الجائى منذر * قال عفريت من الجن اسمه كوزن * الذى عنده علم هو آصف بن برخيا كاتبه وقيل رجل يقال له ذو النور وقيل اسطوم وقيل تمليخا وقيل بلخ وقيل هو ضبة أبو القبيلة وقيل جبريل وقيل ملك آخر وقيل الخضر * تسعة رهط هو رعمى ورعيم وهرمى وهريم وداءب وصواب ورب ومسطع وقدار بن سالف عاقر الناقة * فالتقطه آل فرعون اسم الملتقط طابوس * امرأة فرعون آسية بنت مزاحم * أم موسى يوحانذ بنت يصهر بن لاوى وقيل يوخا وقيل اباذخت * وقالت لاخته اسمها مريم وقيل كلثوم * هذا من شيعته هو السامرى * هذا من عدوه اسمه فاتون * وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى هو مؤمن من آل فرعون واسمه سمعان وقيل شمعون وقيل جبر وقيل حبيب وقيل حزقيل * امرأتين تذودان هما ليا وصفورا وهى التى نكحها وأبوهما شعيب وقيل يثرون ابن اخى شعيب قال لقمان لابنه اسمه باران بالموحدة وقيل داران وقيل انعم وقيل مشكم ملك الموت اشتهر على الالسنة ان اسمه عزرائيل ورواه أبو الشيخ ابن حبان عن وهب الفن كان مؤمنا كن كان فاسقا نزلت فى على بن ابى طالب والوليد بن

يقاربوهم أو يساووهم فاما ان يتقدموهم او يسبقوهم فلا ومنها انا قد علمنا عجز أهل سائر الاعصار كعلمنا بعجز أهل العصر الأول والطريق فى العلم بكل واحد من الامرين طريق واحد لان التحدى فى الكل على جهة واحدة والتنافر فى الطباع على حد واحد والتكلف على منهاج لا يختلف ولذلك قال الله تبارك وتعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

﴿ فصل فى التحدى ﴾

يجب ان تعلم ان من حكم المعجزات اذا ظهرت على الأنبياء ان يدعوا فيها انها من دلائلهم وآياتهم لانه لا يصح بعثة النبى من غير ان يؤتى دلالة و يؤيد بآية لان النبى لا يتميز من الكاذب بصورته ولا بقول نفسه ولا بشىء آخر سوى البرهان الذى يظهر عليه فيستدل به على صدقه

عقبة * و يستأذن فريق منهم النبي قال السدى هما رجلان من بنى حارثة ابو عوانة بن أوس أو أوس ابن قيظى * قل لأزواجك قال عكرمة كان تحته يومئذ تسع نسوة عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة وصفية وميمونة وزينب بنت جحش وجويرية وبناته فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم * أهل البيت قال ﷺ هم على وفاطمة والحسن والحسين * للذى انعم الله عليه وانعمت عليه هو زيد بن حارثة * امسك عليك زوجك هى زينب بنت جحش * وحملها الانسان قال ابن عباس هو آدم * أرسلنا اليهم اثنين هما شمعون ويوحنا * الثالث بولس وقيل هم صادق وصدوق وشلوم * وجاء رجل هو حبيب النجار * اولم ير الانسان هو العاص بن وائل وقيل ابى بن خلف وقيل أمية بن خلف * فبشرناه بغلام هو اسماعيل أو اسحق قولان شهيران * نبأ الخصم هما ملكان قيل انهما جبريل وميكائيل * جسدا هو شيطان يقاله أسيد وقيل صخر وقيل حبقيق * مسنى الشيطان قال نوف الشيطان الذى مسه يقال له مسعط * والذى جاء بالصدق محمد وقيل جبريل وصدق به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أبو بكر * الذين اضلانا ابليس وقابيل * رجل من القريتين عنوا الوليد بن المغيرة من مكة ومسعود بن عمر الثقفى وقيل عروة بن مسعود من الطائف * ولما ضرب ابن مريم مثلا الضارب له عبد الله بن الزبعرى * طعام الاثيم قال ابن جبير هو أبو جهل * وشهد شاهد من بنى اسرائيل هو عبد الله بن سلام * أولوا العزم من الرسل أصح الاقوال انهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم * ينادى المنادى هو اسرافيل * ضيف ابراهيم المكرمين قال عثمان بن عصمن كانوا أربعة من الملائكة جبريل ومكائيل واسرافيل ورقاييل * و بشروه بغلام قال الكرمانى اجمع المفسرون على انه اسحق إلا مجاهدا فانه قال هو اسماعيل * شديد القوى جبريل * افرأيت الذى تولى هو العاص بن وائل وقيل الوليد بن المغيرة * يدع الداعى هو اسرافيل * قول التى تجادلك هى خولة بنت ثعلبة * فى زوجها هو أوس بن الصامت * لم تحرم ما أحل الله لك هى سريته مارية * أسر النبى الى بعض ازواجه هى حفصة * نبأت به أخبرت عائشة * ان تتوبا وان تظاهرا هما عائشة وحفصة وصالح المؤمنين هما ابو بكر وعمر أخرجه الطبرانى فى الاوسط * امرأة نوح والعة * وامرأة لوط والهة وقيل واعلة * ولا نطع كل حلاف نزلت فى الاسود بن عبد يغوث وقيل الاخنس بن شريق وقيل الوليد بن المغيرة * سأل سائل هو النضر بن الحارث * رب اغفر لى ولوالدى اسم أبيه لمك بن متوشلخ واسم أمه سمحا بنت أنوش * سفيهنا هو ابليس * ذرنى ومن خلقت وحيدا هو الوليد بن المغيرة * فلا صدق ولا صلى الآيات نزلت فى أبى جهل * هل أتى على الانسان هو آدم * و يقول الكافر يالينتى كنت ترابا قيل هو ابليس * ان جاءه الاعمى هو عبد الله بن أم مكتوم * أما من استغنى هو أمية بن خلف وقيل هو عتبة بن ربيعة * لقول رسول كريم قيل جبريل وقيل محمد صلى الله عليه وسلم قتل الانسان إذا ما الآيات نزلت فى أمية بن خلف * والد هو آدم * فقال لهم رسول الله هو صالح الاشقى هو أمية بن خلف * الاتقى هو أبو بكر الصديق الذى ينهى عبدا هو أبو جهل والعبد هو النبى صلى الله عليه وسلم * إن شانئك هو العاص بن وائل وقيل أبو جهل وقيل عقبة بن أبى معيط وقيل ابو لهب وقيل كعب بن الاشرف * امرأة أبى لهب أم جميل العوراء بنت حرب بن أمية

﴿ القسم الثانى * فى مبهمات الجموع الذين عرف اسماء بعضهم ﴾ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله سمى منهم رافع بن حرملة * سيقول السفهاء سمى منهم رفاعة بن قيس وقردوم بن عمرو وكعب بن الاشرف ورافع بن حرملة والحجاج بن عمرو والربيع بن أبى الحقيق واذا قيل لهم اتبعوا الآية سمى منهم رافع ومالك بن عوف يسألونك عن الاهلة سمى منهم معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم

فاذا ذكرلهم ان هذه آيتى وكانوا عاجزين عنها صح له ما ادعاه ولو كانوا غير عاجزين عنها لم يصح ان يكون برهانا له وليس يكون ذلك معجزا الا بأن يتحداهم الى ان يأتوا فاذا تحداهم وبان عجزهم صار ذلك معجزا وانما احتيج فى باب القرآن الى التحدى لان من الناس من لا يعرف كونه معجزا فانما يعرف اولا اعجازه بطريقه لان الكلام المعجز لا يتميز من غيره بحروفه وصورته وانما يحتاج الى علم وطريق يتوصل به الى معرفة كونه معجزا فان كان لا يعرف بعضهم اعجازه فيجب أن يعرف هذا حتى يمكنه ان يستدل به ومتى رأى أهل ذلك اللسان قد عجزوا عنه باجمعهم مع التحدى اليه والتقريع به والتمكين منه صار حينئذ بمنزلة من رأى اليد البيضاء وانقلاب العصا ثعبانا تثاقف ما يافكون وأما ما كان من أهل صنعة العربية والتقدم فى

* و يسئلونك ماذا ينفقون سمى منهم عمرو بن الجموح * يسألونك عن الخمر سمى منهم عمرو ومعاذ وحمزة * و يسئلونك عن اليتامى سمى منهم عبد الله بن رواحة * ويسئلونك عن المحيض سمى منهم ثابت بن الدحداح وعباد بن بشر وأسيد بن الحضير مصغر * ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب سمى منهم النعمان بن عمرو والحارث بن زيد * الحواريون سمى منهم فطرس ويعقوبس ونهمس واندرانيس وفيلس ودرنا بوطاوسرجس وهو الذى ألقى عليه شبهه * وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا هم اثنا عشر من اليهود سمى منهم عبد الله بن الصيف وعدى بن زيد والحارث بن عمرو * كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم قال عكرمة نزلت فى اثنى عشر رجلا منهم أبو عامر الراهب والحارث بن سويد بن الصامت ووحوح بن الأسلت زاد بن عسكر وطعيمة بن أبيرق * يقولون هل لنا من الأمر من شىء سمى من القائلين عبد الله بن أبى * يقولون لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا ههنا سمى من القائلين عبد الله بن أبى ومعتب بن قشير * وقيل لهم تعالوا قاتلوا القائل ذلك عبد الله والد جابر بن عبد الله الأنصارى والمقول لهم عبد الله بن أبى وأصحابه * الذين استجابوا لله هم سبعون منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والزبير وسعد وطلحة وابن عوف وابن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح * الذين قال لهم الناس سمى من القائلين نعيم بن مسعود الاشجعى * الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء قال ذلك فنحاص وقيل حيى بن أخطب وقيل كعب بن الاشرف * وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت فى النجاشى وقيل فى عبد الله بن سلام وأصحابه * وبث منهما رجالا كثيرا ونساء قال ابن اسحق أولاد آدم لصلبه أربعون فى عشرين بطنا كل بطن ذكروا نتجوه سمى من بنيه قابيل وهابيل وايات وشبوأة وهند وصرايس ونخور وسند وبارق وشيث وعبد المغيث وعبد الحارث وود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ومن بناته اقليما وأشوف وجزوزة وعزورا وأمة المغيث * ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة قال عكرمة نزلت فى رفاعة بن زيد بن التابوت وكردم بن زيد وأسامة بن حبيب ورافع بن أبى رافع وبحرى بن عمرو وحيى بن أخطب * ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا نزلت فى الجلاس بن الصامت ومعتب بن قشير ورافع بن زيد وبشر * ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم سمى منهم عبد الرحمن بن عوف * الا الذين يصلون الى قوم قال ابن عباس نزلت فى هلال بن عويمر الاسلمى وسراقة ابن مالك المدلجى فى بنى خزيمة ابن عامر بن عبد مناف * ستجدون آخرين قال السدى نزلت فى جماعة منهم نعيم بن مسعود الأشجعى * ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم سمى عكرمة منهم على ابن أمية بن خلف والحارث بن زمعة وأبا قيس بن الوليد بن المغيرة وأبا العاصى ابن منبه بن الحجاج وأبا قيس بن الفاكه * الا المستضعفين سمى منهم ابن عباس وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث وعياش ابن أبى ربيعة وسلمة بن هشام * الذين يختانون أنفسهم بنى أبيرق بشر وبشير ومبشر * لهمت طائفة منهم أن يضلوك هم أسيد بن عروة وأصحابه * ويستفتونك فى النساء سمى من المستفتين خولة بنت حكيم * يسألك أهل الكتاب سمى منهم ابن عسكر كعب بن الاشرف وفنحاصا * لكن الراسخون فى العلم قال ابن عباس هم عبد الله بن سلام وأصحابه * يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة سمى منهم جابر بن عبد الله * ولا آمين البيت الحرام سمى منهم الحطم بن هند البكرى * يسألونك ماذا أحل لهم سمى منهم عدى بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيان وعاصم بن عدى وسعد بن خثمة وعويمر بن ساعدة * اذ هم قوم ان يبسطوا سمى منهم كعب بن الاشرف وحيى بن أخطب * ولتجدن أقربهم مودة الآيات نزلت فى الوفد الذين جاؤا من عند النجاشى وهم اثنا عشر وقيل ثلاثون وقيل سبعون وسمى منهم ادريس وابراهيم

البلاغة ومعرفة فنون القول ووجوه المنطق فانه يعرف حين يسمعه عجزه عن الاتيان بمثله ويعرف أيضا أهل عصره ممن هو فى طبقته أو يدانيه فى صناعته عجزهم عنه فلا يحتاج الى التحدى حتى يعلم كونه معجزا ولو كان أهل الصنعة الذين صفتهم ما بينا لا يعرفون كونه معجزا حتى يعرفوا عجز غيرهم عنه لم يجز أن يعرف النبى ﷺ ان القرآن معجز حتى يرى عجز قريش عنه بعد التحدى اليه واذا عرف عجز قريش لم يعرف عجز سائر العرب عنه حتى ينتهى الى التحدى الى أقصاهم وحتى يعرف عجز مسيلمة الكذاب عنه ثم يعرف حينئذ كونه معجزا وهذا القول ان قيل أفحش ما يكون من الخطأ فيجب أن تكون منزلة أهل الصنعة فى معرفة أعجاز القرآن بأنفسهم منزلة من رأى اليد البيضاء وفلق البحر

والأشرف وتميم وتمام ودريد وقالوا لولا أنزل عليه ملك سمى منهم زمعة بن الأسود والنضر بن الحارث بن كلدة وأبي بن خلف والعاصي بن وائل * ولا تطرد الذين يدعون ربهم سمى منهم صهيب وبلال وعمار وخباب وسعد بن أبي وقاص وابن مسعود وسلمان الفارسي اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء سمى منهم فنحاص ومالك بن الصيف * قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله سمى منهم أبو جهل والوليد بن المغيرة * يسألونك عن الساعة سمى منهم حسل بن أبي قشير وشمويل بن زيد يسألونك عن الانفال سمى منهم سعد بن أبي وقاص * وان فريقا من المؤمنين لكارهون سمى منهم أبو أيوب الأنصاري ومن الذين لم يكرهوا المقداد * إن تستفتحوا سمى منهم أبو جهل * وإذ يمكر بك الذين كفروا هم أهل دار الندوة سمى منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو سفيان وأبو جهل وجبير بن مطعم وطعيمة بن عدي والحارث بن عامر والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام وأمية بن خلف * وإذ قالوا اللهم ان كان هذا الآية سمى منهم أبو جهل والنضر بن الحارث * اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم سمى منهم عتبة بن ربيعة وقيس بن الوليد وأبو قيس بن الفاكه والحارث بن زمعة والعاصي بن منبه * قل لمن في أيديكم من الأسرى كانوا سبعين منهم العباس وعقيل ونوفل بن الحارث وسهل بن بيضاء * وقالت اليهود عزير ابن الله سمى منهم سلام بن مشكم ونعمان ابن أوفى وعمد بن دحية وشاس بن قيس ومالك بن الصيف * الذين يلمزون المطوعين سمى من المطوعين عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي والذين لا يجدون الا جهدهم أبو عقيل ورفاعة بن سعد * ولا على الذين إذا ما أتوك سمى منهم العرباض بن سارية وعبد الله بن مغفل المزني وعمرو المزني وعبد الله بن الازرق الانصاري وأبو ليلى الانصاري * فيه رجال يحبون أن يتطهروا سمى منهم عويم ابن ساعدة * الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان نزلت في جماعة منهم عمار بن ياسر وعياش بن أبي ربيعة * بعثنا عليكم عبادا لنا مع طالوت وأصحابه * وان كادوا ليفتنونك قال ابن عباس نزلت في رجال من قريش منهم أبو جهل وأمية بن خلف * وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا سمى ابن عباس من قائلي ذلك عبد الله بن أبي أمية وذريته سمي من أولاد ابليس شبر والاعور وزلنبور ومسوط وداسم * وقالوا إن نتبع الهدى معك سمى منهم الحارث بن عامر بن نوفل * أحسب الناس أن يتركوا منهم المؤذون على الاسلام بمكة منهم عمار بن ياسر * وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا سمى منهم الوليد بن المغيرة * ومن الناس من يشتري لهو الحديث سمى منهم النضر بن الحارث * فمنهم من قضى نحبه سمى منهم أنس بن النضر * قالوا الحق أول من يقول جبريل فيتبعونه * وانطلق الملأ سمى منهم عقبة بن أبي معيط وأبو جهل والعاصي بن وائل والاسود بن المطلب والاسود ابن يغوث * وقالوا ما لنا لا نرى رجالا سمى من القائلين أبو جهل ومن الرجال عمار وبلال * نفرا من الجن سمى منهم زوبعة وحسى ومسى وشاصر وماصر ومنشي وناشي والاحقب وعمرو بن جابر وسرق ووردان * ان الذين ينادونك من وراء الحجرات سمى منهم الاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعيينة بن حصن وعمرو بن الاهتم * ألم تر الى الذين تولوا قوما قال السدي نزلت في عبد الله بن نفيل من المنافقين * لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم نزلت في قتيلة أم أسماء بنت أبي بكر * إذا جاءكم المؤمنات سمى منهم أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وأميمة بنت بشر * يقولون لا تنفقوا يقولون لئن رجعنا سمى منهم عبد الله بن أبي * ويحمل عرش ربك الآية سمى من حملة العرش اسرافيل ولبنان وروقيل أصحاب الاخدود ذو نواس وزرعة بن

بان ذلك معجز وأما من لم يكن من أهل الصنعة فلا بد له من مرتبة قبل هذه المرتبة يعرف بها كونه معجزا فيساوي حينئذ أهل الصنعة فيكون استدلالها في تلك الحالة به على صدق من ظهر ذلك عليه على سواء إذا ادعاه دلالة على نبوته وبرهانا على صدقه فاما من قدر أن القرآن لا يصير معجزا الا بالتحدي اليه فهو كتقدير من ظن أن جميع آيات موسى وعيسى عليهما السلام ليست بآيات حتى يقع التحدي اليها والحض عليها ثم يقع العجز عنها فيعلم حينئذ أنها معجزات وقد سلف من كلامنا في هذا المعنى ما يغني عن الاعادة ويبين ما ذكرناه في غير البليغ أن الاعجمي الآن لا يعرف أعجاز القرآن الا بأمور زائدة على الاعجمي الذي كان في ذلك الزمان مشاهدا له لان من هو من أهل العصر يحتاج أن يعرف أولا أن العرب عجزوا عنه وانما يعلم عجزهم

أسد الحميري وأصحابه * أصحاب الفيل هم الحبشة قائدهم ابرهة الأشرم ودليلهم أبو رغان * قل يا أيها الكافرون نزلت في الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والاسود بن المطلب وأمية بن خلف * النفاثات بنات لبيد بن الأعصم ﴿ وأما مبهمات الاقوام والحيوانات والامكنة والأزمنة ونحو ذلك ﴾ فقد استوفيت الكلام عليها في تأليفنا المشار اليه

﴿ النوع الحادي والسبعون * في أسماء من نزل فيهم القرآن ﴾ رأيت فيهم تأليفا مفرداً لبعض القدماء لكنه غير محرر وكتاب أسباب النزول والمبهمات يغنيان عن ذلك وقال ابن أبي حاتم ذكر عن الحسين ابن زيد الطحان أنبأنا اسحق بن منصور أنبأنا قيس عن الأعمش عن المنهال عن عباد بن عبد الله قال قال علي ما في قريش أحد إلا وقد نزلت فيه آية قيل له فما نزل فيك قال و يتلوه شاهد منه * ومن أمثلته ما أخرجه أحمد والبخاري في الأدب عن سعد بن أبي وقاص قال نزلت في أربع آيات يسئلونك عن الانفال ووصينا الانسان بوالديه حسنا وآية تحريم الخمر وآية الميراث * وأخرج ابن أبي حاتم عن رفاعة الفرظي قال نزلت ولقد وصلنا لهم القول في عشرة انا أحدهم * وأخرج الطبراني عن أبي جمعة جنيد بن سبع وقيل جبيب بن سباع قال فينا نزلت ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وكنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتين

﴿ النوع الثاني والسبعون * في فضائل القرآن ﴾ أفرده بالتصنيف أبو بكر بن أبي شيبة والنسائي وأبو عبيد القاسم بن سلام وابن الضريس وآخرون وقد صح فيه أحاديث باعتبار الجملة وفي بعض السور على التعيين ووضع في فضائل القرآن أحاديث كثيرة ولذلك صنفت كتابا سميته حمائل الزهر في فضائل السور حررت فيه ما ليس بموضوع وأنا أورد في هذا النوع فصلين

﴿ الفصل الأول ﴾ فيما ورد في فضله عن الجملة أخرج الترمذي والدارمي وغيرهما من طريق الحارث الاعور عن علي سمعت رسول الله ﷺ يقول ستكون فتن قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى إلى صراط مستقيم وأخرج الدارمي من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا القرآن أحب إلى الله من السموات والأرض ومن فيهن وأخرج أحمد والترمذي من حديث شداد بن أوس ما من مسلم يأخذ مضجعه فيقرأ سورة من كتاب الله تعالى إلا وكل الله به ملكا يحفظه فلا يقربه شيء يؤذيه حتى يهب متى هب وأخرج الحاكم وغيره من حديث عبد الله بن عمرو من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى اليه لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من يجد ولا يجهل مع من يجهل وفي جوفه كلام الله وأخرج البزار من حديث أنس أن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره وأخرج الطبراني من حديث ابن عمر ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر ولا ينالهم الحساب هم على كثيب من مسك حتى يفرغ من حساب الخلائق رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وأم به قوما وهم به راضون الحديث وأخرج أبو يعلى والطبراني من حديث أبي هريرة القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه وأخرج أحمد وغيره من حديث عقبة بن عامر لو كان القرآن في اهاب ما أكلته النار وقال أبو عبيد أراد بالاهاب قلب المؤمن وجوفه الذي قد وعى القرآن وقال غيره معناه أن من جمع القرآن ثم دخل النار فهو شر من الخنزير وقال ابن الانباري

عنه بنقل الناقلة اليه ان النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى العرب اليه فعجزوا عنه ويحتاج في النقل إلى شروط وليس يصير القرآن بهذا النقل معجزا كذلك لا يصير معجزا بأن يعلم العربي الذي ليس ببليغ انهم قد عجزوا عنه بأ بلغهم بل هو معجز في نفسه وانما طريق معرفة هذا وقوعهم على العلم بعجزهم عنه

﴿ فصل في قدر المعجز من القرآن ﴾

الذي ذهب اليه عامة أصحابنا وهو قول أبي الحسن الاشعري في كتبه ان أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة قصيرة كانت أو طويلة أو ما كان بقدرها قال فاذا كانت الآية بقدر حروف سورة وان كانت سورة الكوثر فذلك معجز قال ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر وذهب المعتزلة إلى ان كل سورة برأسها فهي معجزة

معناه أن النار لا تبطله ولا تقله من الاسماع التي وعته والافهام التي حصلته كقوله في الحديث الآخر وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء أي لا يبطله ولا يقله من أوعيته الطيبة ومواضعه لأنه وان غسله الماء في الظاهر لا يغسله بالقلع من القلوب وعند الطبراني من حديث عصمة بن مالك لو جمع القرآن في اهاب ما أحرقته النار وعنده من حديث سهل بن سعد لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار * وأخرج الطبراني في الصغير من حديث أنس من قرأ القرآن يقوم به آناء الليل والنهار يحل حلاله ويحرم حرامه حرم الله لحمه ودمه على النار وجعله مع السفرة الكرام البررة حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن حجة له * وأخرج أبو عبيدة عن أنس مرفوعا القرآن شافع مشفع وماحل مصدق من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار وأخرج الطبراني من حديث أنس حملة القرآن عرفاء أهل الجنة وأخرج النسائي وابن ماجه والحاكم من حديث أنس قال أهل القرآن هم أهل الله وخاصته وأخرج مسلم وغيره من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد ثلاث خلفات عظام سمان قلنا نعم قال ثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاة خير له من ثلاث خلفات سمان وأخرج مسلم من حديث جابر بن عبد الله خير الحديث كتاب الله وأخرج أحمد من حديث معاذ بن أنس من قرأ القرآن في سبيل الله كتب مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ما من رجل يعلم ولده القرآن إلا توج يوم القيامة بتاج في الجنة * وأخرج أبو داود وأحمد والحاكم من حديث معاذ بن أنس من قرأ القرآن فأكمله وعمل به ألبس والده تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا وأخرج الترمذي وابن ماجه وأحمد من حديث علي من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار وأخرج الطبراني من حديث أبي أمامة من تعلم آية من كتاب الله استقبلته يوم القيامة تضحك في وجهه * وأخرج الشيخان وغيرهما من حديث عائشة الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث جابر من جمع القرآن كانت له عند الله دعوة مستجابة ان شاء عجلها في الدنيا وان شاء ادخرها له في الآخرة وأخرج الشيخان وغيرهما من حديث أبي موسى مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها وأخرج الشيخان من حديث عثمان خيركم وفي لفظ ان أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه زاد البيهقي في الأسماء وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه * وأخرج الترمذي والحاكم من حديث ابن عباس ان الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب وأخرج ابن ماجه من حديث أبي ذر لان تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس من تعلم كتاب الله ثم اتبع ما فيه هداه الله به من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وأخرج ابن أبي شيبة من حديث أبي شريح الخزاعي ان هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا وأخرج الديلمي من حديث علي حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله وأخرج الحاكم من حديث أبي هريرة يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن يا رب حله فيلبس تاج الكرامة

وقد حكى عنهم نحو قولنا الا ان منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة بل شرط الآية الكثيرة وقد علمنا أنه تحداهم تحديا إلى السور كلها ولم يخص ولم يأتوا الشيء منها بمثل فعلم ان جميع ذلك معجز وأما قوله عز وجل فليأتوا بحديث مثله فليس بمخالف لهذا لان الحديث التام لا تتحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة وهذا يؤكد ماذهب اليه أصحابنا ويؤيده وان كان قد يتاول قوله فليأتوا بحديث مثله على أن يكون راجعا إلى القبيل دون التفصيل وكذلك يحمل قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله على القبيل لأنه لم يجعل الحجة عليهم عجزهم عن الاتيان بجميعه من أوله إلى آخره فان قيل هل تعرفون اعجاز السور القصار بما تعرفون به اعجاز السور الطوال

ثم يقول يارب زده يارب ارض عنه فيرضى عنه ويقال له اقرأ وارق ويزاد له بكل آية حسنة * وأخرج من حديث عبد الله بن عمر الصيام والقرآن يشفعان للعبد * وأخرج من حديث أبي ذر إنكم لا ترجعون الى الله بشيء أفضل مما خرج منه يعني القرآن

﴿ الفصل الثاني * فيما ورد في فضل سور بعينها ﴾ ماورد في الفاتحة * أخرج الترمذي والنسائي والحاكم من حديث أبي بن كعب مرفوعا ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني * وأخرج أحمد وغيره من حديث عبد الله بن جابر أخير سورة في القرآن الحمد لله رب العالمين * وللبيهقي في الشعب والحاكم من حديث أنس أفضل القرآن الحمد لله رب العالمين * وللبخاري من حديث أبي سعيد ابن المعلى أعظم سورة في القرآن الحمد لله رب العالمين * وأخرج عبد الله في مسنده من حديث ابن عباس فاتحة الكتاب تعدل بثلثي القرآن * ماورد في البقرة وآل عمران أخرج أبو عبيد من حديث أنس ان الشيطان يخرج من البيت اذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه وفي الباب عن ابن مسعود وأبي هريرة وعبد الله بن مغفل * وأخرج مسلم والترمذي من حديث النواس بن سمعان يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال كأنهما غمامتان أو غيايتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرف أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما * وأخرج أحمد من حديث بريدة تعلموا سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة تعلموا سورة البقرة وآل عمران فانهما الزهراوان تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف * وأخرج ابن حبان وغيره من حديث سهل بن سعد إن لكل شيء سناما وسنام القرآن سورة البقرة من قرأها في بيته نهارا لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام ومن قرأها في بيته ليلا لم يدخله الشيطان ثلاث ليال * وأخرج البيهقي في الشعب من طريق الصلصال من قرأ سورة البقرة توج بتاج في الجنة * وأخرج أبو عبيد عن عمر ابن الخطاب موقوفا من قرأ البقرة وآل عمران في ليلة كتب من القانتين * وأخرج البيهقي من مرسل مكحول من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلت عليه الملائكة الى الليل

﴿ فصل ﴾ ماورد في آية الكرسي أخرج مسلم من حديث أبي بن كعب أعظم آية في كتاب الله آية الكرسي * وأخرج الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة ان لكل شيء سناما وان سنام القرآن البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي * وأخرج الحارث بن أبي أسامة عن الحسن مرسلا أفضل القرآن سورة البقرة وأعظم آية فيها آية الكرسي * وأخرج ابن حبان والنسائي من حديث أبي أمامة من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا أن يموت * وأخرج أحمد من حديث أنس آية الكرسي ربع القرآن ﴿ ماورد في خواتيم البقرة ﴾ اخرج الأئمة الستة من حديث أبي مسعود من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه * وأخرج الحاكم من حديث النعمان بن بشير ان الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والارض بالفي عام وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن في دار فيقربها شيطان ثلاث ليال ﴿ ماورد في آخر آل عمران ﴾ أخرج البيهقي من حديث عثمان بن عفان من قرأ آخر آل عمران في ليلة كتب له قيام ليلة ﴿ ماورد في الانعام ﴾ اخرج الدارمي وغيره عن عمر بن الخطاب موقوفا الانعام من نواجب القرآن ﴿ ماورد في السبع الطوال ﴾ أخرج احمد والحاكم من حديث عائشة من أخذ السبع الطوال فهو حبر ﴿ ماورد في هود ﴾ أخرج الطبراني في الاوسط بسند واه من حديث علي لا يحفظ منافق سورا براءة وهود ويس والدخان وعم يتساءلون

وهل تعرفون اعجاز كل قدر من القرآن بلغ الحد الذي قدرتموه بمثل ما تعرفون. اعجاز سورة البقرة ونحوها فالجواب ان أبا الحسن الأشعري رحمه الله أجاب عن ذلك بأن كل سورة قد علم كونها معجزة بعجز العرب عنها * وسمعت بعض الكبراء من أهل هذا الشأن يقول ان ذلك يصح أن يكون علم ذلك توقيفا والطريقة الأولى اسد وليس هذا الذي ذكرناه أخيرا بمناف له لأنه لا يمتنع أن يعلم اعجازه بطرق مختلفة تتوافى عليه وتجتمع فيه واعلم ان تحت اختلاف هذه الأجوبة ضربا من الفائدة لأن الطريقة الأولى تبين ان ما علم به كون جميع القرآن معجزا موجود في كل سورة صغرت أو كبرت فيجب أن يكون الحكم في الكل واحدا والطريقة الأخيرة تتضمن تعذر معرفة اعجاز القرآن بالطريقة التي سلكناها

﴿ماورد فى آخر الاسراء﴾ أخرج احمد من حديث معاذ بن أنس آية العز وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك الى آخر السورة ﴿ماورد فى الكهف﴾ أخرج الحاكم من حديث أبى سعيد من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين * وأخرج مسلم من حديث أبى الدرداء من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال * وأخرج أحمد من حديث معاذ بن أنس من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نورا من قدمه الى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نورا ما بين الارض والسماء * وأخرج البزار من حديث عمر ومن قرأ فى ليلة فمن كان يرجو لقاءه به الآية كان له نور من عدن الى مكة حشوه الملائكة ﴿ماورد فى الم السجدة﴾ أخرج أبو عبيد من مرسل المسيب بن رافع تجىء الم السجدة يوم القيامة لها جناحان تظل صاحبها تقول لا سبيل عليك لا سبيل عليك * وأخرج عن ابن عمر موقوفا قال فى تنزيل السجدة وتبارك الملك فضل ستين درجة على غيرهما من سور القرآن ﴿ماورد فى يس﴾ أخرج أبو داود والنسائى وابن حبان وغيرهم من حديث معقل بن يسار يس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة الا غفر له اقرءوها على موتاكم وأخرج الترمذى والدارمى من حديث أنس ان لكل شىء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات وأخرج الدارمى والطبرانى من حديث أبى هريرة من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر له وأخرج الطبرانى من حديث أنس من دام على قراءة يس كل ليلة ثم مات مات شهيدا ﴿ماورد فى الحواميم﴾ أخرج أبو عبيد عن ابن عباس موقوفا ان لكل شىء لبابا ولباب القرآن الحواميم وأخرج الحاكم عن ابن مسعود موقوفا الحواميم ديباج القرآن ﴿ماورد فى الدخان﴾ أخرج الترمذى وغيره من حديث أبى هريرة من قرأ حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك ﴿ماورد فى المفصل﴾ أخرج الدارمى عن ابن مسعود موقوفا ان لكل شىء لبابا ولباب القرآن المفصل ﴿الرحمن﴾ أخرج البيهقى من حديث على مرفوعا لكل شىء عروس وعروس القرآن الرحمن ﴿المسبحات﴾ أخرج احمد وأبو داود والترمذى والنسائى عن عرباض بن سارية ان النبى ﷺ كان يقرأ المسبحات كل ليلة قبل أن يرقد ويقول فيهن آية خير من ألف آية قال ابن كثير فى تفسيره الآية المشار اليها قوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم وأخرج ابن السنى عن أنس ان النبى ﷺ أوصى رجلا اذا أتى مضجعه أن يقرأ سورة الحشر وقال ان مت مت شهيدا وأخرج الترمذى من حديث معقل بن يسار من قرأ حين يصبح ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى وان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة وأخرج البيهقى من حديث أبى أمامة من قرأ خواتيم الحشر فى ليل أو نهار فمات فى يومه أو ليلته فقد أوجب الله له الجنة ﴿تبارك﴾ أخرج الاربعة وابن حبان والحاكم من حديث أبى هريرة من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له تبارك الذى بيده الملك وأخرج الترمذى من حديث ابن عباس هى المانعة هى المنجية تنجى من عذاب القبر وأخرج الحاكم من حديثه وددت انها فى قلب كل مؤمن تبارك الذى بيده الملك وأخرج النسائى من حديث ابن مسعود من قرأ تبارك الذى بيده الملك كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر ﴿الاعلى﴾ أخرج أبو عبيد عن أبى تميم قال قال رسول الله ﷺ انى نسيت أفضل المسبحات فقال أبى بن كعب فلعلها سبح اسم ربك الاعلى قال نعم ﴿القيامة﴾ أخرج أبو نعيم فى الصحابة من حديث اسمعيل بن أبى حكيم المزنى الصحابى مرفوعا ان الله ليسمع قراءة لم يكن الذين كفروا فيقول ابشر عبدى فوعزتى لأمكنن لك فى الجنة حتى ترضى ﴿الزلزلة﴾

فى بناء من التفصيل الذى بينا فيما يعرف به فى الكلام الفصاحة وتتبين فيه البلاغة حتى يعلم ذلك بوجه آخر فيستوى فى هذا القدر البليغ وغيره فى ان لا يعلمه معجزا حتى يستدل به من وجه آخر سوى ما يعلمه البلغاء من التقدم فى الصنعة وهذا غير ممتنع الا ترى ان الاعجاز فى بعض السور والآيات أظهر وفى بعضها أغمض وأدق فلا يفتقر البليغ فى النظر فى حال بعضها الى تأمل كثير ولا بحث شديد حتى يتبين له الاعجاز ويفتقر فى بعضها الى نظر دقيق وبحث لطيف حتى يقع على الجلية ويصل الى المطلب ولا يمتنع ان يذهب عليه الوجه فى بعض السور فيحتاج أن يفزع فيه الى اجماع أو توقيف أو ما علمه من عجز العرب قاطبة عنه فان ادعى ملحد أو زعم زنديق انه لا يقع العجز عن الاتيان بمثل السور القصار أو الآيات بهذا

أخرج الترمذى من حديث أنس من قرأ اذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن ﴿العاديات﴾ أخرج أبو عبيد من مرسل الحسن اذا زلزلت تعدل بنصف القرآن والعاديات تعدل بنصف القرآن ﴿ألهاكم﴾ أخرج الحاكم من حديث ابن عمر مرفوعا لا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية فى كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية قال أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر ﴿الكافرون﴾ أخرج الترمذى من حديث أنس قل يا أيها الكافرون ربع القرآن * وأخرج أبو عبيد من حديث ابن عباس قل يا أيها الكافرون تعدل بربع القرآن * وأخرج أحمد والحاكم من حديث نوفل بن معاوية اقرأ قل يا أيها الكافرون ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك * وأخرج أبو يعلى من حديث ابن عباس ألا أدلكم على كلمة تنجيكم من الاشراك بالله تقرءون قل يا أيها الكافرون عند منامكم ﴿النصر﴾ أخرج الترمذى من حديث أنس إذا جاء نصر الله والفتح ربع القرآن ﴿الاخلاص﴾ أخرج مسلم وغيره من حديث أبى هريرة قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن * وفى الباب عن جماعة من الصحابة * وأخرج الطبرانى فى الأوسط من حديث عبد الله بن الشخير من قرأ قل هو الله أحد فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه الصراط إلى الجنة * وأخرج الترمذى من حديث أنس من قرأ قل هو الله أحد كل يوم مائتى مرة محى عنه ذنوب خمسين سنة الا أن يكون عليه دين ومن أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول له الرب يا عبدى ادخل عن يمينك الجنة * وأخرج الطبرانى من حديث ابن الديلمى من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فى الصلاة أو غيرها كتب الله له براءة من النار * وأخرج فى الأوسط من حديث أبى هريرة من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى له قصر فى الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى له قصران ومن قرأها ثلاثين بنى له ثلاث * وأخرج فى الصغير من حديثه من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الصبح اثنتى عشرة مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات وكان أفضل أهل الارض يومئذ اذا اتى * المعوذتان أخرج أحمد من حديث عقبة ان النبى ﷺ قال له ألا أعلمك سورا ما أنزل فى التوراة ولا فى الزبور ولا فى الانجيل ولا فى الفرقان مثلها قلت بلى قال قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس * وأخرج أيضا من حديث ابن عامر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون قال بلى قال قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس * وأخرج أبو داود والترمذى عن عبد الله بن حبيب قال قال رسول الله ﷺ اقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شىء * وأخرج ابن السنى من حديث عائشة من قرأ بعد صلاة الجمعة قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبع مرات أعاذه الله من السوء الى الجمعة الاخرى وبقيت أحاديث من هذا الفصل أخرتها إلى نوع الخواص

﴿فصل﴾ أما الحديث الطويل فى فضائل القرآن سورة سورة فانه موضوع كما أخرج الحاكم فى المدخل بسنده الى أبى عمار المروزى انه قيل لابى عصمة الجامع من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا فقال انى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى ابن اسحق فوضعت هذا الحديث حسبة * وروى ابن حبان فى مقدمة تاريخ الضعفاء عن ابن مهدوى قال قلت لميسرة بن عبد ربه من أين جئت بهذه الاحاديث من قرأ كذا فله كذا قال وضعتها ارغب الناس فيها وروينا عن المؤمل بن اسمعيل قال حدثنى شيخ بحديث أبى بن كعب فى فضائل سور القرآن سورة سورة فقال حدثنى رجل بالمدائن وهو حى فصرت

المقدار قلنا له ان الاعجاز قد حصل بما بيناه وعرف بما وقفنا عليه من عجز العرب عنه ثم فيه شىء آخر وهو ان هذا سؤال لا يستقيم للملحد لانه يزعم انه ليس فى القرآن كله اعجاز فكيف يجوز أن يناظره على تفصيله واذا ثبت لنا معه اعجازه فى السور الطوال قامت الحجة عليه وثبتت المعجزة ولا معنى لطلبه لكثرة الأدلة والمعجزات ونحن نعلم ان اعجاز البعض بما بيناه والبعض الآخر بانه اذا ثبت الأصل لم يبق بعد ذلك الا قولنا لأنا عرفنا فى البعض الاعجاز بما بينا ثم عرفنا فى الباقى بالتوقيف ونحو ذلك وليس بممتنع اختلاف حال الكلام حتى يكون الاعجاز على بعضه أظهر وفى بعضه أغمض ومن آمن ببعض دون بعض كان مذموما على ما قال الله تعالى أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقال وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة

اليه فقلت له من حدثك قال حدثني شيخ بواسط وهو حي فصرت اليه فقلت له من حدثك قال حدثني شيخ بالبصرة فصرت اليه فقلت له من حدثك فقال حدثني شيخ بعباد ان فصرت اليه فأخذ بيدي فادخلني بيتا فاذا فيه من المتصوفة و بينهم شيخ فقال هذا الشيخ حدثني فقلت ياشيخ من حدثك فقال لم يحدثني أحد ولكننا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم الى القرآن قال ابن الصلاح ولقد أخطأ الواحدي المفسر ومن ذكره من المفسرين في ايداعه تفاسيرهم

﴿ النوع الثالث والسبعون * في أفضل القرآن وفضائله ﴾ اختلف الناس هل في القرآن شيء أفضل من شيء فذهب الامام أبو الحسن الأشعري والقاضي أبو بكر الباقلاني وابن حبان إلى المنع لان الجميع كلام الله ولئلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه وروى هذا القول عن مالك قال يحيى بن يحيى تفضيل بعض القرآن على بعض خطأ ولذلك كره مالك أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها وقال ابن حبان في حديث أبي بن كعب ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل أم القرآن ان الله لا يعطي لقارىء التوراة والانجيل من الثواب مثل ما يعطي لقارىء أم القرآن اذا الله سبحانه وتعالى بفضله فضل هذه الامة على غيرها من الأمم وأعطاها من الفضل على قراءة كلامه أكثر مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه قال وقوله أعظم سورة أراد به في الأجر لا أن بعض القرآن أفضل من بعض وذهب آخرون الى التفضيل لظواهر الاحاديث منهم اسحق بن راهويه وأبو بكر بن العربي والغزالي وقال القرطبي انه الحق ونقله عن جماعة من العلماء والمتكلمين وقال الغزالي في جواهر القرآن لعلك أن تقول قد أشرت الى تفضيل بعض آيات القرآن على بعض والكلام كلام الله فكيف يتفاوت بعضها بعضا وكيف يكون بعضها أشرف من بعض فاعلم ان نور البصيرة ان كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات و بين سورة الاخلاص وسورة تبت وترتاع على اعتقاد نفسك الحوارة المستغرقة بالتقليد فقلد صاحب الرسالة ﷺ فهو الذي أنزل عليه القرآن وقال ﷺ قلب القرآن وفاتحة الكتاب أفضل سور القرآن وآية الكرسي سيدة آي القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن والاخبار الواردة في فضائل القرآن وتخصيص بعض السور والآيات بالفضل وكثرة الثواب في تلاوتها لا تحصى اه وقال ابن الحصار العجب ممن يذكر الاختلاف في ذلك مع النصوص الواردة بالتفضيل وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام كلام الله في الله أفضل من كلامه في غيره فقل هو الله أحد أفضل من تبت يدا أبي لهب وقال الحويي كلام الله أبلغ من كلام المخلوقين وهل يجوز أن يقال بعض كلامه أبلغ من بعض الكلام جوزه قوم لقصور نظرهم وينبغي أن تعلم ان معنى قول القائل هذا الكلام أبلغ من هذا ان هذا في موضعه له حسن ولطف وذاك في موضعه له حسن ولطف وهذا الحسن في موضعه أكمل من ذاك في موضعه فان من قال ان قل هو الله أحد أبلغ من تبت يدا أبي لهب بجعل المقابلة بين ذكر الله وذكر أبي لهب و بين التوحيد والدعاء على الكافر وذلك غير صحيح بل ينبغي أن يقال تبت يدا أبي لهب دعاء عليه بالخسران فهل توجد عبارة للدعاء بالخسران أحسن من هذه وكذلك في قل هو الله أحد لا توجد عبارة تدل على الوحدانية أبلغ منها فالعالم اذا نظر إلى تبت يدا أبي لهب في باب الدعاء بالخسران ونظر الى قل هو الله أحد في باب التوحيد لا يمكنه ان يقول احدهما أبلغ من الآخر اه وقال غيره اختلف القائلون فقال بعضهم الفضل راجع الى عظم الاجر ومضاعفة الثواب بحسب انتقالات النفس وخشيتها وتدبرها وتفكرها عند ورود أوصاف العلي وقيل بل يرجع لذات اللفظ وان ما تضمنه قوله تعالى والهكم اله واحد الآية وآية الكرسي وآخر سورة الحشر وسورة الاخلاص من الدلالات على وحدانيته وصفاته ليس موجودا مثلا في تبت يدا أبي لهب وما كان مثلها فالتفضيل

بالمؤمنين فظاهره عند بعض أهل التأويل كالدليل على ان الشفاء ببعضه أوقع وان كنا نقول انه يدل على ان الشفاء في جميعه واعلم ان الكلام يقع فيه الابلغ والبليغ ولذلك كانوا يسمون الكلمة يتيمة و يسمون البيت الواحد يتيما * سمعت اسماعيل بن عباد يقول سمعت أبا بكر بن مقسم يقول سمعت ثعلبا يقول سمعت الفراء يقول العرب تسمي البيت الواحد يتيما وكذلك يقال الدرة اليتيمة لانفرادها فاذا بلغ البيتين والثلاثة فهي نتفة والى العشرة تسمى قطعة واذا بلغ العشرين استحق ان يسمى قصيدا وذلك مأخوذ من المخ القصيد وهو المتراكم بعضه على بعض وهو ضد الرار ومثله الرئيد انتهت الحكاية ثم استشهد بقول لبيد فتذكرا ثقلا رئيدا بعدما ألفت ذكاء يمينها في كافر يريد بيض النعام لانه ينضد بعضه على بعض

انما هو بالمعانى العجيبة وكثرتها وقال الحليمى ونقله عنه البيهقى معنى التفضيل يرجع الى أشياء أحدها أن يكون العمل بآية أولى من العمل بأخرى وأعود على الناس وعلى هذا يقال آية الأمر والنهى والوعد والوعيد خير من آيات القصص لانها انما أريد بها تأكيد الامر والنهى والانذار والتبشير ولاغنى بالناس عن هذه الأمور وقد يستغنون عن القصص فكان ما هو أعود عليهم وأنفع لهم مما يجرى مجرى الأصول خير لهم مما يجعل تبعا لا بد منه * الثانى أن يقال الآيات التى تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته والدلالة على عظمته أفضل بمعنى ان مخبراتها أسنى وأجل قدرا * الثالث أن يقال سورة خير من سورة أو آية خير من آية بمعنى أن القارىء يتعجل له بقراءتها فائدة سوى الثواب الآجل ويتأدى منه بتلاوتها عبادة كقراءة آية الكرسى والاخلاص والمعوذتين فان قارئها يتعجل بقراءتها الاحتراز مما يخشى والاعتصام بالله ويتأدى بتلاوتها عبادة الله لما فيها من ذكره سبحانه وتعالى بالصفات العلى على سبيل الاعتقاد لها وسكون النفس إلى فضل ذلك الذكر وبركته * فأما آيات الحكم فلا يقع بنفس تلاوتها اقامة حكم وانما يقع بها علم ثم لو قيل فى الجملة إن القرآن خير من التوراة والانجيل والزبور بمعنى أن التعبد بالتلاوة والعمل واقع به دونها والثواب بحسب قراءته لا بقراءتها أو أنه من حيث الاعجاز حجة النبى المبعوث وتلك الكتب لم تكن حجة ولا كانت حجج أولئك الأنبياء بل كانت دعوتهم والحجج غيرها وكان ذلك أيضا نظير ما مضى وقد يقال ان سورة أفضل من سورة لان الله جعل قراءتها كقراءة أضعافها مما سواها وأوجب بها من الثواب ما لم يوجب بغيرها وان كان المعنى الذى لأجله بلغ بها هذا المقدار لا يظهر لنا كما يقال ان يوما أفضل من يوم وشهرا أفضل من شهر بمعنى العبادة فيه تفضل على العبادة فى غيره والذنب فيه أعظم من غيره وكما يقال ان الحرم أفضل من الحل لانه يتأدى فيه من المناسك ما لا يتأدى فى غيره والصلاة فيه تكون كصلاة مضاعفة مما تقام فى غيره اهـ كلام الحليمى وقال ابن التين فى حديث البخارى لأعلمنك سورة هى أعظم السور معناه أن ثوابها أعظم من غيرها وقال غيره انما كانت أعظم السور لانها جمعت جميع مقاصد القرآن ولذلك سميت أم القرآن وقال الحسن البصرى ان الله أودع علوم الكتب السابقة فى القرآن ثم أودع علوم القرآن الفاتحة فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة أخرجه البيهقى وبيان اشتمالها على علوم القرآن قرره الزمخشرى باشتمالها على الثناء على الله تعالى بما هو أهله وعلى التعبد والنهى وعلى الوعد والوعيد وآيات القرآن لا تخلو عن أحد هذه الأمور وقال الامام فخر الدين المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة الالهيات والمعاد والنبوات واثبات القضاء والقدر لله تعالى فقوله الحمد لله رب العالمين يدل على الالهيات وقوله مالك يوم الدين يدل على المعاد وقوله اياك نعبد واياك نستعين يدل على نفى الجبر وعلى اثبات أن الكل بقضاء الله وقدره وقوله اهدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة يدل على اثبات قضاء الله وعلى النبوات فلما كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة وهذه السورة مشتملة عليها سميت أم القرآن وقال البيضاوى هى مشتملة على الحكم النظرية والأحكام العملية التى هى سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وقال الطيبى هى مشتملة على أربعة أنواع من العلوم التى هى مناط الدين أحدها علم الاصول ومعاقدة معرفة الله تعالى وصفاته واليها الاشارة بقوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ومعرفة النبوة وهى المراد بقوله أنعمت عليهم ومعرفة المعاد وهو الموسى اليه بقوله مالك يوم الدين وثانيها علم الفروع وأسه العبادات وهو المراد بقوله اياك نعبد وثالثها علم ما يحصل به الكمال وهو علم الاخلاق وأجله الوصول إلى الحضرة الصمدانية والالتجاء

وكذلك يقع فى الكلام البيت الوحشي والنادر والمثل السائر والمعنى الغريب والشىء الذى لو اجتهد له لم يقع عليه فيتفق له ويصادفه قال لى بعض علماء هذه الصنعة وجاريته فى ذلك ان هذا مما لا سبب له يخصه وانما سببه القرارة فى أصل الصنعة والتقدم فى عيون المعرفة فاذا وجد ذلك وقع له من الباب ما يطرد عن حساب وما يشذ عن تفصيل الحساب فأما ما قلنا من أن ما بلغ قدر السورة معجز فان ذلك صحيح

﴿ فصل فى أنه هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة ﴾

ذهب أبو الحسن الأشعرى إلى أن ظهور ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم يعلم ضرورة وكونه معجزا يعلم باستدلال وهذا المذهب محكى عن المخالفين والذى نقوله فى هذا ان الاعجمى لا يمكنه أن يعلم إعجازه الا استدلالا وكذلك من لم

إلى جناب الفردانية والسلوك لطريقه والاستقامة فيها واليه الاشارة بقوله وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم ورابعها علم القصص والاخبار عن الأمم السالفة والقرون الخالية السعداء منهم والاشقياء وما يتصل بهما من وعد محسنهم ووعيد مسيئهم وهو المراد بقوله أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقال الغزالي مقاصد القرآن ستة ثلاثة مهمة وثلاثة متممة الأولى تعريف المدعو اليه كما أشير اليه بصدرها وتعريف الصراط المستقيم وقد صرح به فيها وتعريف الحال عند الرجوع اليه تعالى وهو الآخرة كما أشير اليه بملك يوم الدين والأخرى تعريف أحوال المطيعين كما أشير اليه بقوله الذين أنعمت عليهم وحكاية أقوال الجاحدين وقد أشير اليها بالمغضوب عليهم ولا الضالين وتعريف منازل الطريق كما أشير اليه بقوله اياك نعبد واياك نستعين اه ولا ينافي هذا وصفها في الحديث الآخر بكونها ثلثي القرآن لان بعضهم وجهه بان دلالات القرآن العظيم اما أن تكون بالمطابقة أو بالتضمن أو بالالتزام دون المطابقة وهذه السورة تدل على جميع مقاصد القرآن بالتضمن والالتزام دون المطابقة والاثنان من الثلاثة ثلثان ذكره الزركشي في شرح التنبيه وناصر الدين بن المليق قال وأيضا الحقوق ثلاثة حق الله على عباده وحق العباد على الله وحق بعض العباد على بعض وقد اشتملت الفاتحة صريحا على الحقين الأولين فناسب كونها بصريحها ثلثين وحديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين شاهد لذلك * قلت ولا تنافي أيضا بين كون الفاتحة أعظم السور وبين الحديث الآخر أن البقرة أعظم السور لان المراد به ما عدا الفاتحة من السور التي فصلت فيها الأحكام وضربت الأمثال وأقيمت الحجج إذ لم تشتمل سورة على ما اشتملت عليه ولذلك سميت فسطاط القرآن قال ابن العربي في أحكامه سمعت بعض أشياخي يقول فيها ألف أمر وألف نهي وألف حكم وألف خبر ولعظيم فقهها أقام ابن عمر ثماني سنين على تعليمها أخرجه مالك في الموطأ قال ابن العربي أيضا وانما صارت آية الكرسي أعظم الآيات لعظم مقتضاها فان الشيء انما يشرف بشرف ذاته ومقتضاه ومتعلقاته وهي في آي القرآن كسورة الاخلاص في سوره الا أن سورة الاخلاص تفضلها بوجهين أحدهما انها سورة وهذه آية والسورة أعظم لانه وقع التحدي بها فهي أفضل من الآية التي لم يتحد بها والثاني أن سورة الاخلاص اقتضت التوحيد في خمسة عشر حرفا وآية الكرسي اقتضت التوحيد في خمسين حرفا فظهرت القدرة في الاعجاز بوضع معنى معبر عنه بخمسين حرفا ثم يعبر عنه بخمسة عشر وذلك بيان لعظيم القدرة والانفراد بالوحدانية وقال ابن المنير اشتملت آية الكرسي على ما لم تشتمل عليه آية من أسماء الله تعالى وذلك انها مشتملة على سبعة عشر موضعا فيها اسم الله تعالى ظاهرا في بعضها ومستكنا في بعض وهي الله هو الحي القيوم ضمير لا تأخذه وله وعنده وبأذنه ويعلم وعلمه وشاء وكرسيه ويؤوده ضمير حفظهما المستتر الذي هو فاعل المصدر وهو العلي العظيم * وان عدت الضمائر المتحملة في الحي القيوم العلي العظيم والضمير المقدر قبل الحي على أحد الأعاريب صارت اثنين وعشرين وقال الغزالي انما كانت آية الكرسي سيدة الآيات لانها اشتملت على ذات الله وصفاته وأفعاله فقط ليس فيها غير ذلك ومعرفة ذلك هي المقصود الأقصى في العلوم وما عداه تابع له والسيد اسم للمتبوع المقدم فقوله الله اشارة الى الذات لا إله إلا هو اشارة الى توحيد الذات الحي القيوم اشارة إلى صفة الذات وجلاله فان معنى القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم به غيره وذلك غاية الجلال والعظمة * لا تأخذه سنة ولا نوم تنزيه وتقديس له عما يستحيل عليه من أوصاف الحوادث والتقديس عما يستحيل أحد أقسام المعرفة * له ما في السموات وما في الأرض اشارة إلى الافعال كلها وانها جميعها منه واليه * من ذا الذي يشفع عنده الا بأذنه اشارة الى انفراده بالملك والحكم والامر وان من يملك

يكن بليغا فأما البليغ الذي قد أحاط بمذاهب العربية وغرائب الصنعة فانه يعلم من نفسه ضرورة عجزه عن الاتيان بمثله ويعلم عجز غيره بمثل ما يعرف عجز نفسه كما انه إذا علم الواحد منا أنه لا يقدر على ذلك وهو يعلم عجز غيره استدلالا

﴿ فصل فيما يتعلق به الاعجاز ﴾

ان قال قائل بينوا لنا ما الذي وقع التحدي اليه أهو الحروف المنظومة أو الكلام القائم بالذات أو غير ذلك قيل الذي تحداهم به أن يأتوا بمثل الحروف التي هي نظم القرآن منظومة كنظمها متتابعة كتتابعها مطردة كاطرادها ولم يتحدهم إلى أن يأتوا بمثل الكلام القديم الذي لا مثل له وإن كان كذلك فالتحدي واقع إلى أن يأتوا بمثل الحروف المنظومة التي هي عبارة عن كلام الله تعالى في نظمها وتأليفها وهي حكاية لكلامه ودلالات عليه وأمارات له على أن

الشفاعة انما يملكها بتشريفه اياه والاذن فيها وهذا نفى الشركة عنه فى الحكم والامر * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم الى قوله شاء اشارة الى صفة العلم وتفضيل بعض المعلومات والانفراد بالعلم حتى لا علم لغيره الا ما أعطاه ووهبه على قدر مشيئته وإرادته وسع كرسيه السموات والارض اشارة الى عظمة ملكه وكمال قدرته ولا يؤوده حفظهما اشارة الى صفة القدرة وكمالها وتنزيهها عن الضعف والنقصان وهو العلى العظيم اشارة الى أصلين عظيمين فى الصفات فاذا تأملت هذه المعانى ثم تأملت هذه المعانى ثم تلوت جميع آى القرآن لم تجد جملتها مجموعة فى آية واحدة فان شهد الله ليس فيها الا التوحيد وسورة الاخلاص ليس فيها الا التوحيد والتقديس وقل اللهم مالك الملك ليس فيها الا الافعال والفاتحة فيها الثلاثة لكن غير مشروحة بل مرموزة والثلاثة مجموعة مشروحة فى آية الكرسى والذى يقرب منها فى جمعها آخر الحشر وأول الحديد ولكنها آيات لا آية واحدة فاذا قابلت آية الكرسى بأحدى تلك الآيات وجدتها أجمع للمقاصد فلذلك استحقت السيادة على الآى كيف وفيها الحى القيوم وهو الاسم الاعظم كما ورد به الخبر اه كلام الغزالى ثم قال انما قال صلى الله عليه وسلم فى الفاتحة أفضل وفى آية الكرسى سيدة لسر وهو ان الجامع بين فنون الفضل وأنواعها الكثيرة يسمى أفضل فان الفضل هو الزيادة والافضل هو الازيد وأما السودد فهو رسوخ معنى الشرف الذى يقتضى الاستتباع ويأبى التبعية والفاتحة تتضمن التنبيه على معان كثيرة ومعارف مختلفة فكانت أفضل وآية الكرسى تشتمل على المعرفة العظمى التى هى المقصودة المتبوعة التى تتبعها سائر المعارف فكان اسم السيد بها أليق ثم قال فى حديث قلب القرآن يس ان ذلك لان الايمان صحته بالاعتراف بالحشر والنشر وهو مقرر فى هذه السورة بأبلغ وجه فجعلت قلب القرآن لذلك واستحسنه الامام فخر الدين وقال النسفى يمكن ان يقال ان هذه السورة ليس فيها الا تقرير الاصول الثلاثة الوحدانية والرسالة والحشر وهو القدر الذى يتعلق بالقلب والجنان وأما الذى باللسان والاركان ففى غير هذه السورة فلما كان فيها أعمال القلب لا غير سماها قلبا ولهذا أمر بقراءتها عند المحتضر لان فى ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة والاعضاء ساقطة لكن القلب قد أقبل على الله تعالى ورجع عما سواه فيقرأ عنده ما يزداد به قوة فى قلبه ويشتد تصديقه بالاصول الثلاثة اه واختلف الناس فى معنى كون سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن فقيل كانه صلى الله عليه وسلم سمع شخصا يكررها تكرار من يقرأ ثلث القرآن فخرج الجواب على هذا وفيه بعد عن ظاهر الحديث وسائر طرق الحديث ترده وقيل لان القرآن يشتمل على قصص وشرائع وصفات وسورة الاخلاص كلها صفات فكانت ثلثا بهذا الاعتبار وقال الغزالى فى الجواهر معارف القرآن المهمة ثلاثة معرفة التوحيد والصراط المستقيم والآخرة وهى مشتملة على الاول فكانت ثلثا وقال أيضا فيما نقله عنه الرازى القرآن يشتمل على البراهين القاطعة على وجود الله تعالى ووحدانيته وصفاته اما صفات الحقيقة واما صفات الفعل واما صفات الحكم فهذه ثلاثة أمور وهذه السورة تشتمل على صفات الحقيقة فهى ثلث * وقال الحويى المطالب التى فى القرآن معظمها الاصول الثلاثة التى بها يصح الاسلام ويحصل الايمان وهى معرفة الله والاعتراف بصدق رسوله واعتقاد القيام بين يدى الله تعالى فان من عرف ان الله واحد وان النبى صادق وان الدين واقع صار مؤمنا حقا ومن أنكر شيئا منها كفر قطعا وهذه السورة تفيد الاصل الاول فهى ثلث القرآن من هذا الوجه وقال غيره القرآن قسمان خبر وانشاء والخبر قسمان خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق فهذه ثلاثة اثلاث وسورة الاخلاص اخلصت الخبر عن الخالق فهى بهذا الاعتبار ثلث وقيل تعدل فى الثواب وهو الذى يشهد له ظاهر الحديث والاحاديث الواردة فى سورة الزلزلة والنصر

يكونوا مستأنفين لذلك لاحاكين بما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم ولا يجب أن يقدر مقدر او يظن ظان اناحين قلنا ان القرآن معجز فانه تحداهم الى أن يأتوا بمثله أردنا غير ما فسرناه من العبارات عن الكلام القديم القائم بالذات وقد بينا قبل هذا انه لم يكن ذلك معجزا لكونه عبارة عن الكلام القديم لان التوراة والانجيل عبارة عن الكلام القديم وليس ذلك بمعجز فى النظم والتأليف وكذلك مادون الآية كاللفظة عبارة عن كلامه وليست بمنفردها بمعجزة وقد جوز بعض أصحابنا ان يتحداهم الى مثل كلامه القديم القائم بنفسه والذى عول عليه مشايخنا ماقدمنا ذكره وعلى ذلك أكثر مذاهب الناس ولم يجب أن نفسر ونذكر موجب هذا المذهب الذى حكيناه وما يتصل به لانه خارج عن غرض كتابنا لان

والكافرون لكن ضعف ابن عقيل ذلك وقال لا يجوز أن يكون المعنى فله أجر ثلث القرآن لقوله من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات وقال ابن عبد البر السكوت فى هذه المسئلة أفضل من الكلام فيها واسلم ثم أسند الى اسحق بن منصور * قلت لاحمد بن حنبل قوله ﷺ قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ما وجهه فلم يقم لى فيها على أمر وقال لى اسحق بن راهويه معناه ان الله لما فضل كلامه على سائر الكلام جعل لبعضه أيضا فضلا فى الثواب لمن قرأه تحريضا على تعليمه لا أن من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات كان كمن قرأ القرآن جميعه هذا لا يستقيم ولو قرأها مائتى مرة وقال ابن عبد البر فهذان أمامان بالسنة ما قاما ولا قعدا فى هذه المسئلة وقال ابن الميلق فى حديث ان الزلزلة تعدل نصف القرآن لان أحكام القرآن تنقسم الى أحكام الدنيا وأحكام الآخرة وهذه السورة تشتمل على أحكام الآخرة كلها اجمالا وزادت على القارعة باخراج الاثقال وتحديث الاخبار * وأما تسميتها فى الحديث الآخر ربعا فلان الايمان بالبعث ربع الايمان فى الحديث الذى رواه الترمذى لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد ان لا إله إلا الله وانى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالموت وبؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر فاقتضى هذا الحديث أن الايمان بالبعث الذى قررته هذه السورة ربع الايمان الكامل الذى دعا اليه القرآن * وقال أيضا فى سر كون الهاكم تعدل ألف آية ان القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية وكسر فاذا تركنا الكسر كان الالف سدس القرآن وهذه السورة تشتمل على سدس مقاصد القرآن فانها فيما ذكره الغزالى ستة ثلاث مهمة وثلاث متممة وتقدمت واحدها معرفة الآخرة المشتمل عليه السورة والتعبير عن هذا المعنى بألف آية أفخم وأجل وأضخم من التعبير بالسدس * وقال أيضا فى سر كون سورة الكافرون ربعا وسورة الاخلاص ثلثا مع ان كلا منهما يسمى الاخلاص ان سورة الاخلاص اشتملت من صفات الله على ما لم تشتمل عليه الكافرون وأيضا فالتوحيد اثبات إلهية المعبود وتقديسه ونفى إلهية ماسواه وقد صرحت الاخلاص بالاثبات والتقديس ولوحت الى نفى عبادة غيره والكافرون صرحت بالنفى ولوحت بالاثبات والتقديس فكان بين الرتبتين من التصريحين والتلويحين ما بين الثلث والربع اهـ ﴿تذنيب﴾ ذكر كثيرون فى اثر ان الله جمع علوم الاولين والآخرين فى الكتب الاربعة وعلومها فى القرآن وعلومه فى الفاتحة فزادوا علوم الفاتحة فى البسملة وعلوم البسملة فى بائها ووجه بان المقصود من كل العلوم وصول العبد الى الرب وهذه الباء باء الالصاق فهى تلصق العبد بجناب الرب وذلك كمال المقصود ذكره الامام الرازى وابن النقيب فى تفسيرهما

﴿النوع الرابع والسبعون فى مفردات القرآن﴾ أخرج السلفى فى المختار من الطيوريات عن الشعبى قال لقى عمر بن الخطاب ركبا فى سفر فيهم ابن مسعود أمر رجلا يناديهم من أين القوم قالوا أقبلنا من الفج العميق نريد البيت العتيق فقال عمر ان فيهم لعالما وأمر رجلا أن يناديهم أى القرآن أعظم فاجابه عبد الله الله لا اله الا هو الحى القيوم قال نادهم أى القرآن أحكم فقال ابن مسعود ان الله يامر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى قال نادهم أى القرآن أجمع فقال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال نادهم أى القرآن أحزن فقال من يعمل سوأ يجز به فقال نادهم أى القرآن أرجى فقال قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فقال أنيكم ابن مسعود قالوا نعم أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره بنحوه * وأخرج عبد الرزاق أيضا عن ابن مسعود قال أعدل آية فى القرآن ان الله يأمر بالعدل والاحسان وأحكم آية فمن يعمل مثقال ذرة الى آخرها وأخرج الحاكم عنه قال ان أجمع آية فى القرآن للخير والشر ان الله يأمر بالعدل والاحسان

الايجاز وقع فى نظم الحروف التى هى دلالات وعبارات عن كلامه والى مثل هذا النظم وقع التحدى فبينا وجه ذلك وكيفية ما يتصور القول فيه وأزلنا توهم من يتوهم أن الكلام القديم حروف منظومة أو حروف غير منظومة أو شىء مؤلف أو غير ذلك مما يصح أن يتوهم على ما سبق من اطلاق القول فيما مضى

﴿فصل فى وصف وجوه من البلاغة﴾

ذكر بعض أهل الادب والكلام ان البلاغة على عشرة أقسام الايجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان فاما الايجاز فانما يحسن مع ترك الاخلال باللفظ والمعنى فيأتى باللفظ القليل الشامل لامور كثيرة وذلك ينقسم الى حذف وقصر فالحذف الاسقاط للتخفيف كقوله واسأل القرية

وأخرج الطبرانى عنه قال مافى القرآن آية أعظم فرجا من آية فى سورة الفرقان قل ياعبادى الذين اسرفوا على أنفسهم الآية ومافى القرآن آية أكثر تفويضا من آية فى سورة النساء القصرى ومن يتوكل على الله فهو حسبه الآية وأخرج أبو ذر الهروى فى فضائل القرآن من طريق ابن جمير عن ابن عمر عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ان أعظم آية فى القرآن الله لا إله إلا هو الحى القيوم واعدل آية فى القرآن ان الله يأمر بالعدل والاحسان الى آخرها واخوف آية فى القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وارجى آية فى القرآن قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الى آخرها * وقد اختلف فى ارجى آية فى القرآن على بضعة عشر قولا أحدها آية الزمر والثانى أولم تؤمن قال بلى أخرجه الحاكم فى المستدرك وأبو عبيد عن صفوان بن سليم قال التقى ابن عباس وابن عمر وقال ابن عباس أى آية فى كتاب الله أرجى فقال عبد الله بن عمر قل ياعبادى الذين اسرفوا على أنفسهم الآية فقال ابن عباس لكن قول الله واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فرضى منه بقوله بلى قال فهذا لما يعترض فى الصدر مما يوسوس به الشيطان * الثالث ما أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن على بن أبى طالب انه قال انكم يامعشر أهل العراق تقولون أرجى آية فى القرآن ياعبادى الذين اسرفوا الآية لكنا أهل البيت نقول ان أرجى آية فى كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهى الشفاعة * الرابع ما أخرجه الواحدى عن على بن الحسين قال أشد آية على أهل النار فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وأرجى آية فى القرآن لأهل التوحيد ان الله لا يغفر أن يشرك به الآية وأخرج الترمذى وحسنه عن على قال أحب آية الى فى القرآن ان الله لا يغفر أن يشرك به الآية الخامس ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن ابن المبارك ان أرجى آية فى القرآن قوله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم * السادس ما أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب التوبة عن أبى عثمان الهندى قال مافى القرآن آية أرجى عندى لهذه الامة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا * السابع * والثامن قال أبو جعفر النحاس فى قوله فهل يهلك الا القوم الفاسقون ان هذه الآية عندى ارجى آية فى القرآن الا ان ابن عباس قال ارجى آية فى القرآن وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وكذا حكاه عنه مكى ولم يقل على احسانهم * التاسع روى الهروى فى مناقب الشافعى عن ابن عبد الحكم قال سألت الشافعى أى آية ارجى قال قوله يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة قال وسألته عن ارجى حديث للمؤمن قال اذا كان يوم القيامة يدفع الى كل مسلم رجل من الكفار فداؤه * العاشر قل كل يعمل على شاكلته * الحادى عشر هل يجازى الا الكفور * الثانى عشر انا قد أوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى حكاه الكرمانى فى العجائب * الثالث عشر وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير حكى هذه الاقوال الاربعة النووى فى رؤس المسائل والاخير ثابت عن على ففى مسند أحمد عنه قال الا أخبركم بافضل آية فى كتاب الله تعالى حدثنا بها رسول الله ﷺ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وسأفسرها لك ياعلى ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت ايديكم والله أكرم من ان يثنى العقوبة وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله احكم من ان يعود بعد عفوه * الرابع عشر قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف قال الشبلى اذا كان الله اذن للكافر بدخول الباب اذا أتى بالتوحيد والشهادة افتراه يخرج الداخل فيها والمقيم عليها * الخامس عشر آية الدين ووجهه ان الله ارشد عباده الى مصالحهم الدنيوية حتى انتهت العناية بمصالحهم الى امرهم بكتابة الدين الكثير والحقير فاقتضى ذلك رجى عفوه عنهم لظهور العناية العظيمة

وقوله طاعة وقول معروف وحذف الجواب كقوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى كانه قيل لكان هذا القرآن والحذف أبلغ من الذكر لان النفس تذهب كل مذهب فى القصد من الجواب والايجاز بالقصد كقوله ولكم فى القصاص حياة وقوله يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو وقوله انما بغيكم على انفسكم ولا يحيق المكر السيء الا باهله والاطناب فيه بلاغة فاما التطويل ففيه عى وأما التشبيه بالعقد على ان أحد الشيئين يسد مسد الآخر فى حس او عقل كقوله والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وقوله مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف وقوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وقوله انما مثل الحياة

بهم * قلت ويلحق بهذا ما أخرجه ابن المنذر عن ابن مسعود انه ذكر عنده بنو اسرائيل وما فضلهم الله به فقال كان بنو اسرائيل اذا أذنب أحدهم ذنبا اصبح وقد كتبت كفارته على أسكفة بابه وجعلت كفارة ذنوبكم قولا تقولونه تستغفرون الله فيغفر لكم والذي نفسي بيده لقد أعطانا الله آية لهي أحب الى من الدنيا ومافيها والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله الآية وما أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة عن ابن عباس قال ثمان آيات نزلت في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت أولهن يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والثانية والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات والثالثة يريد الله ان يخفف عنكم الآية والرابعة ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الآية والخامسة ان الله لا يظلم مثقال ذرة الآية والسادسة ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله الآية والسابعة ان الله لا يغفر أن يشرك به الآية والثامنة والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم الآية وما أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة قال سئل ابن عباس أي آية ارجى في كتاب الله قال قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على شهادة ان لا إله إلا الله * أشد آية اخرج ابن راهويه في مسنده انبأنا أبو عمرو العقدي انبأنا عبد الجليل بن عطية عن محمد بن المنتشر قال رجل لعمر ابن الخطاب إني لأعرف أشد آية في كتاب الله تعالى فأهوى عمر فضربه بالدرة وقال مالك نقبت عنها حتى علمتها ما هي قال من يعمل سوأ يجز به فما منا أحد يعمل سوأ الا جزي به فقال عمر لبئسنا حين نزلت ما ينفعنا طعام ولا شراب حتى انزل الله بعد ذلك ورخص ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما * وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال سألت أبا برزة الاسلمي عن اشد آية في كتاب الله تعالى على أهل النار فقال فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وفي صحيح البخاري عن سفيان قال ما في القرآن آية اشد على من لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم * واخرج ابن جرير عن ابن عباس قال ما في القرآن أشد توبيخا من هذه الآية لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت الآية * وأخرج ابن المبارك في كتاب الزهد عن الضحاك بن مزاحم قرأ قول الله لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت قال والله ما في القرآن آية اخوف عندي منها * وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال ما أنزلت على النبي ﷺ آية كانت اشد عليه من قوله ونخفي في نفسك ما الله مبديه الآية * وأخرج ابن المنذر عن ابن سيرين لم يكن شيء عندهم اخوف من هذه الآية ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين وعن أبي حنيفة اخوف آية في القرآن واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقال غيره سنفرغ لكم آيه الثقلان ولهذا قال بعضهم لو سمعت هذه الكلمة من خفير الحارة لنمت في النوادر لابن أبي زيد قال مالك أشد آية على أهل الاهواء قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية فأولها على أهل الاهواء انتهى * وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال آيتان في كتاب الله هما اشد على من يجادل فيه ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد وقال السعيدي سورة الحج من أعاجيب القرآن فيها مكي ومدني وحضري وسفري وليلي ونهاري وحربي وسلمي وناسخ ومنسوخ فالمكي من رأس الثلاثين الى آخرها والمدني من رأس خمس عشرة الى رأس الثلاثين والليلي خمس آيات من أولها والنهاري من رأس تسع آيات الى رأس اثنتي عشرة والحضري الى رأس العشرين * قلت والسفري اولها والناسخ أذن للذين يقاتلون الآية والمنسوخ الله يحكم بينكم الآية نسختها آية السيف وقوله وما أرسلنا من قبلك الآية نسختها ستقرئك فلا تنسى وقال الكرماني ذكر المفسرون ان قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم الآية

الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس وقوله انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر وقوله فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وقوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وقوله وجنة عرضها كعرض السماء والارض وقوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله تعالى فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وقوله كأنهم اعجاز نخل خاوية وقوله مثل الذين

من أشكل آية في القرآن حكما ومعنى واعرابا وقال غيره قوله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم الآية جمعت أصول أحكام الشريعة كلها الأمر والنهي والاباحة والخبر وقال الكرماني في العجائب في قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص قيل هو قصة يوسف وسماها أحسن القصص لاشتمالها على ذكر حاسد ومحسود ومالك ومملوك وشاهد ومشهود وعاشق ومعشوق وحبس واطلاق وسجن وخلاص وخصب وجدب وغيرها مما يعجز عن بيانها طوق الخلق وقال ذكر أبو عبيدة عن رؤبة ما في القرآن أعرب من قوله فاصدع بما تؤمر * وقال ابن خالويه في كتاب ليس في كلام العرب لفظ جمع لغات ما التاقة إلا حرف واحد في القرآن جمع اللغات الثلاث وهو قوله ماهن أمهاتهم قرأ الجمهور بالنصب وقرأ بعضهم بالرفع وقرأ ابن مسعود ماهن بأمهاتهم بالباء قال وليس في القرآن لفظ على افعول إلا في قراءة ابن عباس إلا أنهم يثنون صدورهم وقال بعضهم أطول سورة في القرآن البقرة وأقصرها الكوثر وأطول آية الدين وأقصر آية فيه والضحى والفجر وأطول كلمه فيه رسما فاسقيناكموه وفي القرآن آيتان جمعت كل منهما حروف المعجم ثم أنزل عليكم من بعد للغم أمنة الآية محمد رسول الله الآية وليس فيه حاء بعد حاء بلا حاجز إلا في موضعين عقدة النكاح حتى لا أبرح حتى ولا كافان كذلك إلا منا سككم ماسلككم ولا غينان كذلك الا ومن يبتغ غير الاسلام ولا آية فيها ثلاثة وعشرون كافا إلا آية الدين ولا آيتان فيهما ثلاثة عشر وقفا إلا آية المواريث ولا سورة ثلاث آيات فيها عشر واوات إلا والعصر الى آخرها ولا سورة إحدى وخمسون آية فيها إثنان وخمسون وقفا إلا سورة الرحمن ذكر كثر ذلك ابن خالويه وقال أبو عبد الله الحبازي المقرئ أول ما وردت على السلطان محمود ابن ملكشاه سألني عن آية أولها غين فقلت ثلاثة غافر الذنب وآيتان بخلف غلبت الروم غير المغضوب عليهم ونقلت من خط شيخ الاسلام ابن حجر في القرآن أربع شدات متوالية قوله نسيا رب السموات في بحر لجي يغشاه موج قولا من رب رحيم ولقد زينا السماء

* ﴿النوع الخامس والسبعون * في خواص القرآن﴾ أفرده بالتأليف جماعة منهم التميمي وحجة الاسلام الغزالي ومن المتأخرين اليافعي وغالب ما يذكر في ذلك كان مستنده تجارب الصالحين وها أنا ابدأ بما ورد من ذلك في الحديث ثم التقط عيونا مما ذكر السلف والصالحون * أخرج ابن ماجه وغيره من حديث ابن مسعود عليكم بالشفاءين العسل والقرآن * وأخرج أيضا من حديث علي خير الدواء القرآن وأخرج أبو عبيد عن طلحة بن مصرف قال كان يقال اذا قرئ القرآن عند المريض وجد لذلك خفة * * وأخرج البيهقي في الشعب عن وائلة بن الأسقع أن رجلا شكا الى النبي ﷺ وجع حلقه قال عليك بقراءة القرآن * وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال إني أشتكي صدري قال اقرأ القرآن يقول الله تعالى وشفاء لما في الصدور * وأخرج البيهقي وغيره من حديث عبد الله بن جابر في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء * وأخرج الحليمي في فوائده من حديث جابر بن عبد الله فاتحة الكتاب شفاء من كل شيء إلا السام والسام الموت * وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري فاتحة الكتاب شفاء من السم * وأخرج البخاري من حديثه أيضا قال كنا في مسير لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت ان سيد الحي سليم فهل معكم راق فقام معها رجل فرقاه بأم القرآن فبرىء فذكر للنبي ﷺ فقال وما كان يدريه انها رقية * وأخرج الطبراني في الاوسط عن السائب بن يزيد قال عودني رسول الله ﷺ بفاتحة الكتاب تقلا * وأخرج البزار من حديث أنس اذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شيء إلا الموت * وأخرج مسلم من حديث

اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت وقوله وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام وقوله خلق الانسان من صلصال كالفخار ونحو ذلك * ومن ذلك باب الاستعارة . وهو بيان التشبيه كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وكقوله فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين وكقوله انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وقوله ولما سكت عن موسى الغضب وكقوله فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة وقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق: فالدمغ والقذف مستعار وقوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وقوله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم وقوله فذو دعاء عريض وقوله حتى تضع الحرب أوزارها وقوله والصبح اذا تنفس وقوله مستهم البأساء والضراء

أبي هريرة ان البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان * وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند بسند حسن عن ابي بن كعب قال كنت عند النبي ﷺ فجاء اعرابي فقال يا نبي الله ان لي أخا وبه وجع قال ما وجعه قال به لم قال فأتيتني به فوضعه بين يديه فعوذه النبي ﷺ بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة وهاتين الآيتين والهكم إله واحد وآيات الكرسي وثلاث آيات من آخر سورة البقرة وآية من آل عمران شهد الله أنه لا إله إلا هو وآية من الاعراف ان ربكم الله وآخر سورة المؤمنين فتعالى الله الملك الحق وآية من سورة الجن وانه تعالى جد ربنا وعشر آيات من أول الصافات وثلاث آيات من آخر سورة الحشر وقل هو الله أحد والمعوذتين فقام الرجل كأنه لم يشك قط * وأخرج الدارمي عن ابن مسعود موقوفا من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة وآية الكرسي وآيتين بعد آية الكرسي وثلاثا من آخر سورة البقرة لم يقربه ولا أهله ولا ماله شيطان ولا شيء يكرهه ولا يقرأن على مجنون إلا أفاق * وأخرج البخاري عن أبي هريرة في قصة الصدقة ان الجني قال له اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبي ﷺ اما أنه صدقك وهو كذوب * وأخرج الخاملي في فوائده عن ابن مسعود قال قال رجل يا رسول الله علمني شيئا يغنيني الله به قال اقرأ آية الكرسي فانه يحفظك وذريتك ويحفظ دارك حتى الدويرات حول دارك * وأخرج الدينوري في المجالسة عن الحسن أن النبي ﷺ قال ان جبريل أتاني فقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي وفي الفردوس من حديث أبي قتادة من قرأ آية الكرسي عند الكرب أغاثه الله * وأخرج الدارمي عن المغيرة بن سبيع وكان من أصحاب عبد الله قال من قرأ عشر آيات من البقرة عند منامه لم ينس القرآن أربع من أولها وآية الكرسي وآيتان بعدها وثلاث من آخرها * وأخرج الديلمي من حديث أبي هريرة مرفوعا آيتان هما قرآن وهما يشفيان وهما مما يحبهما الله تعالى الآيتان من آخر سورة البقرة * وأخرج الطبراني عن معاذ أن النبي ﷺ قال له ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك من الدين مثل ثبير أداه الله عنك قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء الى قوله بغير حساب رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطي من تشاء منهما وتمنع من تشاء ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك * وأخرج البيهقي في الدعوات عن ابن عباس اذا استصعبت دابة أحدكم أو كانت شموسا فليقرأ هذه الآية في أذنيها أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون * وأخرج البيهقي في الشعب بسند فيه من لا يعرف عن علي موقوفا سورة الانعام ما قرئت على عليل إلا شفاه الله تعالى * وأخرج ابن السني عن فاطمة أن رسول الله ﷺ لما ولدتها أمرأم سلمة وزينب بنت جحش أن يأتيا فيقرآ عندها آية الكرسي وان ربكم الله الآية ويعوذاها بالمعوذتين * وأخرج ابن السني أيضا من حديث الحسين بن علي أمان لأمتي من الغرق اذا ركبوا أن يقرؤا بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره الآية * وأخرج ابن أبي حاتم عن ليث قال بلغني ان هؤلاء الآيات شفاء من السحر تقرأ على إناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور الآية التي في سورة يونس فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر الى قوله المجرمون وقوله فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون الخ أربع آيات وقوله إنما صنعوا كيد ساحر الآية * وأخرج الحاكم وغيره من حديث أبي هريرة ما كربني أمر إلا تمثل لي جبريل فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا * وأخرج الصابوني في المائتين من حديث ابن عباس مرفوعا هذه الآية أمان من

وقوله فنبذوه وراء ظهورهم وقوله أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا وقوله حصيدا خامدين وقوله ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وقوله مودعا الى الله باذنه وسراجا منيرا وقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وقوله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الاكبر وقوله فضربنا على آذانهم يريد أن لا إحساس بآذانهم من غير صمم وقوله ولما سقط في أيديهم وهذا أوقع من اللفظ الظاهر وأبلغ من الكلام الموضوع وأما التلاؤم فهو تعديل الحروف في التأليف وهو نقيض التنافر كقول الشاعر

وقبر حرب بمكان قفر
وليس قرب قبر حرب قبر

قالوا هو من شعر الجن. حروفه متنافرة لا يمكن إنشاده. إلا بتتعتع فيه والتلاؤم على ضربين أحدهما في الطبقة الوسطى كقوله

رمتني وستر الله بيني وبينها

من السرق قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن الى آخر السورة * واخرج البيهقى فى الدعوات من حديث انس ما أنعم الله على عبد نعمة فى أهل ولا مال أوولد فيقول ماشاء الله لاقوة الا بالله فيرى فيه آفة دون الموت * واخرج الدارمى وغيره من طريق عبدة بن أبى لبابة عن زر بن حبيش قال من قرأ آخر سورة الكهف لساعة يريد أن يقوم بها من الليل قام بها قال عبدة فجربناه فوجدناه كذلك * واخرج الترمذى والحاكم من حديث سعد بن أبى وقاص دعوة ذى النون إذ دعا بها وهو فى بطن الحوت لا إله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم فى شئ قط الا استجاب الله له وعند ابن السنى انى لأعلم كلمة لا يقولها مكروب الا فرج عنه كلمة أخى يونس فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين * واخرج البيهقى وابن السنى وأبو عبيد عن ابن مسعود انه قرأ فى اذن مبتلى فافاق فقال رسول الله ﷺ ماقرأت فى اذنيه قال لم تسبتم انما خلقناكم عبثا الى آخر السورة فقال لو ان رجلا موقنا قرأها على جبل لزال * واخرج الديلمى وأبو الشيخ ابن حبان فى فضائله من حديث أبى ذر ما من ميت يموت فيقرأ عنده يس الا هون الله عليه * واخرج المحاملى فى أماليه من حديث عبد الله بن الزبير من جعل يس أمام حاجة قضيت له وله شاهد مرسل عند الدارمى وفى المستدرك عن أبى جعفر محمد بن على قال من وجد فى قلبه قسوة فليكتب يس فى جام بماء وردو زعفران ثم يشربه * واخرج ابن الضريس عن سعيد بن جبير انه قرأ على رجل مجنون سورة يس فبرىء * واخرج أيضا عن يحيى بن أبى كثير قال من قرأ يس إذا أصبح لم يزل فى فرح حتى يمسى ومن قرأها إذا أمسى لم يزل فى فرح حتى يصبح أخبرنا من جرب ذلك * وأخرج الترمذى من حديث أبى هريرة من قرأ الدخان كلها وأول غافر الى اليه المصير وآية الكرسى حين يمسى حفظ بها حتى يصبح ومن قرأهما حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى ورواه الدارمى بلفظ لم ير شيئا يكرهه * واخرج البيهقى والحارث بن أبى أسامة وأبو عبيد عن ابن مسعود مرفوعا من قرأ كل ليلة سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدا * واخرج البيهقى فى الدعوات عن ابن عباس موقوفا فى المرأة تعسر عليها ولادتها قال يكتب فى قرطاس ثم تسقى بسم الله الذى لا اله الا هو الحليم الكريم سبحان الله وتعالى رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أوضحاها كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون * واخرج أبو داود عن ابن عباس قال إذا وجدت فى نفسك شيئا يعنى الوسوسة فقل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم * واخرج الطبرانى عن على قال لدغت النبى ﷺ عقرب فدعا بماء وملح وجعل يمسح عليها ويقرأ قل يا أيها الكافرون وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس * واخرج أبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم عن ابن مسعود أن النبى ﷺ كان يكره الرقى الا بالمعوذات * واخرج الترمذى والنسائى عن أبى سعيد قال كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذات فاخذ بها وترك ماسواها * فهذا ما وقفت عليه فى الخواص من الاحاديث التى لم تصل الى حد الوضع ومن الموقوفات على الصحابة والتابعين وأما ما لم يرد به أثر فقد ذكر الناس من ذلك كثيرا جدا والله أعلم بصحته ﴿ومن لطيف ماحكاه ابن الجوزى﴾ عن ابن ناصر عن شيوخه عن ميمونة بنت شاقول البغدادية قالت آذانا جارلنا فصليت ركعتين وقرأت من فاتحة كل سورة آية حتى ختمت القرآن وقلت اللهم اكفنا أمره ثم نمت وفتحت عينى واذا به قد نزل وقت السحر فزلت قدمه فسقط ومات ﴿تنبيه﴾ قال ابن التين الرقى بالمعوذات وغيرها من اسماء الله تعالى هو الطب الروحانى إذا كان على لسان الابرار من الخلق حصل الشفاء باذن الله تعالى فلنا عز هذا النوع فزع الناس

عشية ان ام الكناس برميم
رميم التى قالت لجارات بيتها
ضمنت لكم أن لا يزال يهيم
الا رب يوم لو رمتنى رميتها
ولكن عهدى بالنضال قديم

قالوا والمتلائم فى الطبقة العليا القرآن كله وان كان بعض الناس أحسن احساسا من بعض كما ان بعضهم يفطن للموزون بخلاف بعض والتلاؤم حسن الكلام فى السمع وسهولته فى اللفظ ووقع المعنى فى القلب وذلك كالخط الحسن والبيان الشافى والمتنافر كالخط القبيح فاذا انضاف الى التلاؤم حسن البيان وصحة البرهان فى أعلى الطبقات ظهر الاعجاز لمن كان جيد الطبع وبصيرا بجودة الكلام كما يظهر له أعلى طبقة الشعر والمتنافر ذهب الخليل الى أنه من بعد شديدا وقرب شديد فاذا بعد فهو كالظفر واذا قرب جدا

الى الطب الجثمانى * قلت ويشير الى هذا قوله ﷺ لو ان رجلا موقنا قرأ بها على جبل لزال وقال القرطبى تجوز الرقية بكلام الله تعالى واسمائه فان كان مأثورا استحب وقال الربيع سألت الشافعى عن الرقية فقال لا بأس بها ان يرقى بكتاب الله وبما يعرف من ذكر الله تعالى وقال ابن بطال فى المعوذات سر ليس فى غيرها من القرآن لما اشتملت عليه من جوامع الدعاء التى تم أكثر المكروهات من السحر والحسد وشر الشيطان ووسوسته وغير ذلك ولهذا كان ﷺ يكتفى بها وقال ابن القيم فى حديث الرقية بالفاتحة إذا ثبت ان لبعض الكلام خواص ومنافع فما الظن بكلام رب العالمين ثم بالفاتحة التى لم ينزل فى القرآن ولا غيره من الكتب مثلها لتضمنها جميع معانى الكتب فقد اشتملت على ذكر أصول اسماء الله تعالى ومجامعها واثبات المعاد وذكر التوحيد والافتقار الى الرب فى طلب الاعانة به والهداية منه وذكر افضل الدعاء وهو طلب الهداية الى الصراط المستقيم المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه والاستقامة عليه ولتضمنها ذكر أصناف الخلائق وقسمتهم الى منعم عليه لمعرفته بالحق والعمل به ومغضوب عليه لعدوله عن الحق بعد معرفته وضال بعدم معرفته مع ما تضمنته من اثبات القدر والشرع والاسماء والمعاد والتوبة وتزكية النفس واصلاح القلب والرد على جميع أهل البدع وحقيق لسورة هذا بعض شأنها أن يستشفى بها من كل داء اه ﴿مسئلة﴾ قال النووى فى شرح المهذب لو كتب القرآن فى اناء ثم غسله وسقاه المريض فقال الحسن البصرى ومجاهد وأبو قلابة والاوزاعى لا بأس به وكرهه النخعى قال ومقتضى مذهبنا أنه لا بأس به فقد قال القاضى حسين والبغوى وغيرهما لو كتب قرآنا على حلوى وطعام فلا بأس باكله اه قال الزركشى وممن صرح بالجواز فى مسئلة الاناء العماد النيهى مع تصريحه بانه لا يجوز بتلاع ورقة فيها آية لكن افتى ابن عبد السلام بالمنع من الشرب أيضا لانه يلاقيه نجاسة الباطن وفيه نظر

﴿النوع السادس والسبعون * فى مرسوم الخط وآداب كتابته﴾ افرده بالتصنيف خلائق من المتقدمين والمتأخرين منهم أبو عمرو الدانى وألف فى توجيه ما خالف قواعد الخط منه أبو عباس المراكشى كتابا سماه عنوان الدليل فى مرسوم خط التنزيل بين فيه ان هذه الأحرف انما اختلف حالها فى الخط بحسب اختلاف أحوال معانى كلماتها وسأشير هنا الى مقاصد ذلك ان شاء الله تعالى * اخرج ابن اشتة فى كتاب المصاحف بسنده عن كعب الاحبار قال أول من وضع الكتاب العربى والسريانى والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلثمائة كتبها فى الطين ثم طبخه فلما أصاب الأرض الغرق أصاب كل قوم كتابهم فكتبوه فكان اسمعيل بن ابراهيم أصاب كتاب العرب ثم أخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال أول من وضع الكتاب العربى اسمعيل وضع الكتاب على لفظه ومنطقه ثم جعله كتابا واحدا مثل الموصول حتى فرق بينه ولده يعنى أنه وصل فيه جميع الكلمات ليس بين الحروف فرق هكذا بسم الله الرحمن الرحيم ثم فرقه من بنيه هيسع وقيذر ثم أخرج من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أول كتاب أنزله الله من السماء أبو جاد * وقال ابن فارس الذى نقوله ان الخط توقيفى لقوله تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقال ن والقلم وما يسطرون وان هذه الحروف داخلة فى الاسماء التى علم الله آدم وقد ورد فى أمر أبى جاد ومبتدأ الكتابة أخبار كثيرة ليس هذا محلها وقد بسطتها فى تأليف مفرد * ﴿فصل﴾ القاعدة العربية ان اللفظ يكتب بحروف هجائية مع مراعاة الابتداء به والوقف عليه وقد مهد النحاة له أصولا وقواعد وقد خالفها فى بعض الحروف خط المصحف الامام وقال

كان بمنزلة مشى المقيد ويبين ذلك بقرب مخارج الحروف وتباعدها واما الفواصل فهى حروف متشاكلة فى المقاطع يقع بها افهام المعانى وفيها بلاغة والاسجاع عيب لان السجع يتبع المعنى والفواصل تابعة للمعانى والسجع كقول مسيلمة ثم الفواصل قد تقع على حروف متجانسة كما قد تقع على حروف متقاربة ولا تحتمل القوافى ما تحتمل الفواصل لانها ليست فى الطبقة العليا فى البلاغة لان الكلام يحسن فيها بمجانسة القوافى واقامة الوزن وأما التجانس فانه بيان بانواع الكلام الذى يجمعه أصل واحد وهو على وجهين مزاوجة ومناسبة فالمزاوجة كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقوله ومكروا ومكر الله وكقول عمرو بن كلثوم ألا لا يجهلن أحد علينا

اشهب سئل مالك هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء فقال لا الا على الكتبة الأولى * رواه الدانى فى المقنع ثم قال ولا مخالف له من علماء الأمة وقال فى موضع آخر سئل مالك عن الحروف فى القرآن مثل الواوو الالف ترى ان يغير من المصحف اذا وجد فيه كذلك قال لا قال ابو عمرو يعنى الواوو الالف المزيدتين فى الرسم المعدومتين فى اللفظ نحو اولوا وقال الامام احمد يحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى واو أو ياء او الف أو غير ذلك * وقال البيهقى فى شعب الايمان من يكتب مصحفا فينبغى ان يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئا فانهم كانوا أكثر علما وأصدق قلبا ولسانا وأعظم أمانة منا فلا ينبغى ان نظن بأنفسنا استدراكا عليهم * قلت وينحصر أمر الرسم فى ستة قواعد الحذف والزيادة والهمز والبدل والوصل والفصل وما فيه قراءتان فكتب على إحداهما * القاعدة الأولى فى الحذف تحذف الالف من ياء النداء نحو يا أيها الناس ويا آدم يارب يا عبادى وهاء التنبيه نحو هؤلاء ها انتم ونا مع ضمير نحو انجينا كم آتيناه * ومن ذلك وأولئك ولكن وتبارك وفروع الاربعة والله والله كيف وقع والرحمن وسبحان كيف وقع الا قل سبحان ربى ويحذف بعد لام نحو خلائف خلاف رسول الله سلام غلام ايلاف يلافوا وبين لامين نحو الكلالة الضلالة خلال الديار الذى ببكة ومن كل علم زائد على ثلاثة كابراهيم وصالح وميكال الا جالوت وهامان ويأجوج ومأجوج وداود لحذف واوه واسرائيل لحذف يائه * واختلف فى هاروت ومارت وقارون ومن كل مثنى اسم أو فعل ان لم يتطرف نحو رجلان يعلمان أضلانا ان هذان إلا بما قدمت يداك ومن كل جمع تصحيح لمذكر أو مؤنث نحو اللاعنون ملاقوا ربهم الاطاغون فى الذاريات والطور وكراما كاتبين والاروضات فى شورى وآيات للسائلين ومكر فى آياتنا وآياتنا بينات فى يونس والا ان تلاها همزة نحو الصائمين والصائمات أو تشديد نحو الضالين والصافات فان كان فى الكلمة ألف ثانية حذفت أيضا إلا سبع سموات فى فصلت ومن كل جمع على مفاعل أو شبهه نحو المساجد ومساكن واليتامى والنصارى والمساكين والخبائث والملائكة والثانية من خطايا كيف وقع ومن كل عدد كثلاث وثلاث وساحر إلا فى آخر الذاريات فان ثنى فألفاه والقيامة وشيطان وسلطان وتعالى واللاتى واللائى وخلاق وعالم وبقادر والأصحاب والأنهار والكتابة ومنكر الثلاثة إلا أربعة مواضع لكل أجل كتاب كتاب معلوم كتاب ربك فى الكهف وكتاب مبين فى النمل ومن البسملة بسم الله مجراها ومن أول الامر من سأل ومن كل ما اجتمع فيه الفان أو ثلاثة نحو آدم آخر أشفقتم الانذرتهم غشاء ومن وراء كيف وقع إلا مارأى ولقد رأى فى النجم والا نأى والآن الا فمن يستمع الآن والا لفان من الايكة إلا فى الحجر وق ويحذف الياء من كل منقوص منون رفعا وجرا نحو باغ ولاعاد والمضاف لها إذا نودى إلا يا عبادى الذين اسرفوا يا عبادى الذين آمنوا فى العنكبوت أو لم ينادا الاقل لعبادى اسر بعبادى فى طه وحم فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ومع مثلها نحو ولى والحوار بين ومتكئين الاعلين ويهىء وهيى ء ومكر السيىء وسيئه والسيئة اضيبنا ويحيى مع ضمير لا مفردا وحيث وقع اطيعون اتقون خافون ارهبون فارسلون واعبدون إلا فى يس واخشون الا فى البقرة وكيدون الا فكيدونى جميعا واتبعون الا فى آل عمران وطه ولا تنظرون ولا تستعجلون ولا تكفرون ولا تقربون ولا تحزنون ولا تفضحون ويهدين وسيهدين وكذبون يقتلون ان يكذبون ووعيدى والحوار وبالوادى والمهتدى إلا فى الاعراف وتحذف الواو مع أخرى نحو لا يستوون فأووا واذا اللؤودة يؤوسا وتحذف اللام مدغمة فى مثلها نحو الليل والذى إلا الله واللهم واللعنة وفروعه واللهو واللغو واللؤلؤ واللات والم واللهب واللطيف واللومة ﴿فرع﴾ فى الحذف الذى لم يدخل تحت القاعدة حذف الألف من مالك الملك

فنجهل فوق جهل الجاهلية
وأما المناسبة فهى كقوله تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقوله يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار وأما التصريف فهو تصريف الكلام فى المعانى كتصريفه فى الدلالات المختلفة كتصريف الملك فى معانى الصفات فصرف فى معنى مالك وملك وذى الملكوت والمليك وفى معنى التمليك والتملك والامتلاك وتصريف المعنى فى الدلالات المختلفة كما كرر من قصة موسى فى مواضع واما التضمين فهو حصول معنى فيه من غير ذكره له باسم او صفة هى عبارة عنه وذلك على وجهين تضمين توجيه البنية كقولنا معلوم يوجب انه لابد من عالم وتضمين يوجبه معنى العبارة من حيث لا يصح الا به كالصفة بضارب يدل على مضروب والتضمين كله انجاز والتضمين الذى تدل

ذرية ضعافا مرا غما خادعهم اكالون للسحت بالغ ليجادلوكم و باطل ما كانوا فى الاعراف وهود الميعاد
فى الانفال تراب فى الرعد والنمل وعم جذاذا يسارعون آية المؤمنون آية الساحر آية الثقلان أم حم سبى
فارغا وهل يجازى من هو كاذب للقاسية فى الزمر اثارة عاهد عليه الله ولا كذابا وحذف الياء من ابراهيم
فى البقرة والداع إذا دعان ومن اتبعن وسوف يؤت الله وقد هدان ننج المؤمنين فلا تسئلن مايوم يأت
لا تكلم حتى تؤتون موثقا تفندون المتعال متاب فاعتب عقاب فى الرعد وغافر وفيها عذاب اشركتمون
من قبل وتقبل دعاء لئن اجترتن ان يهدين ان ترن ان يؤتين ان تعلمن نبغ الخمسة فى الكهف ان لا تتبعن
فى طه والباد وان الله لهادأن يحضرون رب ارجعون ولا تكلمون يسقين يشفين يحيين وادا النمل
اتمدونن فما آتان تشهدون بهاد العمى كالجواب ان يردن الرحمن لا يغنون واسمعون اتردين صال
الجحيم التلاق التناد ترجمون فاعتزلون يناد المنادى ليعبدون يطعمون تغن الداع مرتين فى القمر
يسر اكرمن ولى دين وحذفت الواو من ويدع الانسان ويمح الله فى شورى يوم يدع الداع سندع
الزبانية * قال المراكشى والسر فى حذفها من هذه الاربعة التنبيه على سرعة وقوع الفعل وسهولته
على الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به فى الوجود وأما ويدع الانسان فيدل على انه سهل عليه
ويسارع فيه كما يسارع فى الخير بل إثبات الشر اليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير وأما ويمح الله
الباطل فللاشارة الى سرعة ذهابه واضمحلاله واما يدع الداع فللاشارة إلى السرعة الدعاء وسرعة أجابة
الداعين وأما الأخيرة فللاشارة إلى السرعة الفعل واجابة الزبانية وقوة البطش * القاعدة الثانية فى
الزيادة زيدت ألف بعد الواو وآخر اسم مجموع نحو بنو اسرائيل ملاقوا ربهم أولوا الألباب بخلاف
المفرد لذوعلم الا الرباوان امرؤ هلك وآخر فعل مفرد او جمع مرفوع أو منصوب إلا جاؤا وباؤا حيث
وقع وعتوا عتوا فان قالوا والذين تبوؤا الدار عسى الله ان يعفو عنهم فى النساء سعوا فى آياتنا فى سبأ و بعد
الهمزة المرسومة واوا نحو تفتؤا وفى مائة ومائتين والظنونا والرسولا والسبيلا ولا تقولن لشىء ولا تذبحنه
ولا اوضعوا ولا الى الله ولا الى الجحيم ولا تياسوا إنه لا ييأس أفلم ييأس و بين اليأجوا الجيم فى جاي فى
الزمر والحجر وكتبا بالهمزة مطلقا وزيدت ياء فى نبأ المرسلين وملائه وملائهم ومن آناى الليل فى طه من
تلقاى نفسى من وراى حجاب فى شورى * وإيتاى ذى القربى فى النحل ولقاى الآخرة فى الروم * بايكم
المفتون بنيناها بايد افائن مات افائن مت وزيدت واو فى أولوا وفروعه وساريكم قال المراكشى وانما
زيدت هذه الاحرف فى هذه الكلمات نحو جاى و يناى ونحوهما للتهويل والتفخيم والتهديد
والوعيد كما زيدت فى بايد تعظيما لقوة الله تعالى التى بنى بها السماء التى لا تشابهها قوة وقال الكرمانى فى
العجائب كانت صورة الفتحة فى المخطوط قبل الخط العربى الفا وصورة الضمة واوا وصورة الكسرة ياء
فكتبت لا اوضعوا ونحوه بالف مكان الفتحة و إيتاى ذى القربى بالياء مكان الكسرة وأولئك
ونحوه بالواو مكان الضمة لقرب عهدهم بالخط الأول * القاعدة الثالثة * فى الهمز يكتب الساكن بحرف
حركة ماقبله أولا أو وسطا أو آخرا نحو ايذن واو تمن والباساء واقرا وجينا لكوهي والمؤتون وتسوؤهم
إلا فادارأتم ورءيا والريا وشطئه فحذف فيها وكذا أول الأمر بعد فاء نحو فأتوا أووا و نحو وا تمروا
والمتحرك ان كان أولا أو اتصل به حرف زائد بالالف مطلقا أى سواء كان فتحا أو ضما أو كسرا نحو ايوب
اذا اولوا ساصرف فبأى سانزل الامواضع انكم لتكفرون انا لمخرجون فى النمل انا لتاركوا آلهتنا
انن لنا فى الشعراء انا لمتنا انن ذكرتم انفكا ئمة لئلا انن يومئذ ح فيكتب فيها بالياء قل الونبئكم
وهؤلاء فكتب بالواو وان كان وسطا فبحرف حركته نحو سأل سئل نقرؤه الاجزاؤه الثلاثة فى يوسف
ولأملأن وامتلأت واشمأزت واطمأنوا فحذف فيها والا ان فتح وكسر أو ضم ماقبله أو ضم وكسر

عليه دلالات القياس
أيضا انجاز وذكر أن
بسم الله الرحمن الرحيم
من باب التضمين لانه
تضمن تعليم الاستفتاح
فى الامور باسمه على جهة
التعظيم لله تبارك وتعالى
أو التبرك باسمه وأما
المبالغة فهى الدلالة على
كثرة المعنى وذلك على
وجوه منها مبالغة فى
الصفة المبينة لذلك
كقولك رحمن عدل عن
ذلك للمبالغة وكقوله غفار
وكذلك فعال وفعول
كقولهم شكور وغفور
وفعيل كقوله رحيم وقدير
ومن ذلك ان يبالغ باللفظة
التى هى صفة عامة كقوله
خالق كل شىء وكقوله فأتى
الله بنيانهم من القواعد
وكقوله ولا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل فى سم الخياط
وكقوله وإنا او اياكم لعلى
هدى او فى ضلال مبين
وقد يدخل فيه الحذف
الذى تقدم ذكره للمبالغة
وأما حسن البيان فالبيان
على أربعة أقسام كلام
وحال وإشارة وعلامة

ماقبله فبحرفه نحو الخاطئة فؤادك * ستقرئك وان كان ماقبله ساكنا حذف هو نحو يسئل لا تجهروا الا النشأة وموئلا فى الكهف فان كان ألفا وهو مفتوح فقد سبق انها تحذف لاجتماعها مع ألف مثلها اذا الهمز ح بصورتها نحو ابناء نا * وحذف معها أيضا فى قرآنا فى يوسف والزخرف وان ضم أو كسر فلا نحو آباؤكم آباءهم الاوقال أولياؤهم الى أوليائهم فى الانعام ان أولياؤه فى الانفال نحن أولياؤكم فى فصلت وان كان بعده حرف يجانسه فقد سبق أيضا انه يحذف نحو شنآن خاسئين يستهزئون وان كان آخرا فبحرف حركة ماقبله نحو سبأ شاطىء لؤلؤ الامواضع تفتؤ تتفيؤا أتوكؤا الاتظمؤا مايعبؤا يبدؤا ينشؤا يذرؤا نبؤا قال الملؤا الاول فى قد أفلح والثلاثة فى النمل الا فى خمسة مواضع اثنان فى المائدة وفى الزمر وشورى والحشر شركاؤا فى الانعام وشورى يأتيهم أنبؤا فى الانعام والشعراء علماؤا فيه من عباده العلماؤا والضعفاؤا فى ابراهيم وغافر فى أموالنا مانشاؤا ومادعؤا فى غافر شفعاؤا فى الروم ان هذا لهو البلاؤا المبين فى الدخان برآؤا منكم تكتب فى الكل بالواو فان سكن ماقبله حذف هو نحو ملء الأرض ذهبا شىء الحب عماء الا لتنؤا وان تبوؤا السوء كذا استثناه القراء * قلت وعندى ان هذه الثلاثة لا تستثنى لان الالف التى بعد الواو ليست صورة الهمزة بل هى المزيدة بعد واو الفعل ﴿ القاعدة الرابعة فى البدل ﴾ تكتب بالواو وللتفخيم ألف الصلاة والزكاة والحياة والربا غير مضافات والغداء ومشكاة والنجاة ومناة * وبالياء كل ألف منقلبة عنها نحو يتوفيكم فى اسم أو فعل اتصل به ضمير أم لا التى ساكنا أم لا ومنه ياحسرتا يأسفا الا تترا وكلتا وهدانى ومن عصانى والاقصى وأقصا المدينة وطغا الماء وسباهم والا ماقبلها ياء كالدنيا والحوايا الا يحيى اسما وفعلا ويكتب بها الى وعلى وفى بمعنى كيف ومتى وبلى وحتى ولدى الا لدا الباب * ويكتب بالالف الثلاثى الواوى اسما وفعلا نحو الصفا وشفا وعفا الا ضحى كيف وقع ومازكى منكم ودحاها وتلاها وطحاها وسجا * وتكتب بالالف نون التوكيد الخفيفة واذا وبالنون كائن وبالهاء هاء التأنيث الا رحمت فى البقرة والاعراف وهود ومريم والروم والزخرف * ونعمت فى البقرة وآل عمران والمائدة وابراهيم والنحل ولقمان وفاطر والطور * وسنت فى الانفال وفاطر وثانى غافر * وامرأت مع زوجها وتمت كلمة ربك الحسنى فنجعل لعنت الله والخامسة ان لعنت الله * ومعصيت فى قد سمع ان شجرت الزقوم قرت عين وجنت نعيم بقيت الله ويأبت واللات ومرضات وهيهات وذات وأنبت وفطرت ﴿ القاعدة الخامسة فى الوصل والفصل ﴾ توصل الا بالفتح الاعشرة ان لا أقول ان لا تقولوا فى الاعراف ان لا ملجأ وفى هود ان لا إله ان لا تعبدوا إلا الله انى أخاف أن لا تشرك فى الحج ان لا تعبدوا فى يس ان لا تعلوا فى الدخان أن لا يشركن فى الممتحنة ان لا يدخلنها فى ن * ومما الا من ماملكت فى النساء والروم ومن مارزقناكم فى المنافقين * وممن مطلقا وعما الا عن مانهوا عنه واما بالكسر الا واما نرينك فى الرعد واما بالفتح مطلقا وعمن الا ويصرفه عن مايشاء فى النور عن من تولى فى النجم * وأمن الا ام من يكون فى النساء أم من أسس أم من خلقنا فى الصافات أم من يأتى آمنا * والم بالكسر الا فان لم يستجيبوا لك فى القصص وفيما الا احد عشر فى ما فعلن الثانى فى البعرة ليبلوكم فى ما فى المائدة والانعام قل لا أجد فى ما اشتهت فى الانبياء فى ما افضتم فى ماهنا فى الشعراء فى مارزقناكم فى الروم فى ماهم فيه فى ما كانوا فيه كلاهما فى الزمر وننشئكم فى مالا تعلمون * وانما الا ان ماتوعدون لآت فى الانعام وانما بالفتح الا ان مايوعدون فى الحج ولقمان * وكلما الا كل ماردوا الى الفتنة من كل ماسألتموه وبئسما الا مع اللام ونعما ومهما ور بما وكانما ويكان وتقطع حيثما وان لم بالفتح وان لن الا فى الكهف والقيامة وأين ما الا فاينما تولوا أينما يوجهه واختلف فى أينما تكونوا يدركم أينما كنتم تعبدون فى الشعراء أينما تثقفوا فى الاحزاب ولكى لا الا فى آل عمران والحج والحديد

ويقع التفاضل فى البيان ولذلك قال عز من قائل الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وقيل أعيا من باقل سئل عن ظبية فى يده بكم اشتراها فأراد أن يقول باحد عشر فأشار بيديه مادا أصابعه العشر ثم ادلع لسانه وأفلت الظبى من يده * ثم البيان على مراتب قلنا قد كنا حكينا ان من الناس من يريد ان يأخذ اعجاز القرآن من وجوه البلاغة التى ذكرنا انها تسمى البديع فى أول الكتاب مما مضت أمثلته فى الشعر ومن الناس من زعم أنه يأخذ ذلك من هذه الوجوه التى عددناها فى هذا الفصل واعلم ان الذى بيناه قبل هذا وذهبنا اليه هو سديد وهو ان هذه الأمور تنقسم فمنها مايمكن الوقوع عليه والتعمل له ويدرك بالتعلم فما كان كذلك فلا سبيل الى معرفة اعجاز القرآن به واما مالا سبيل اليه بالتعلم والتعمل من البلاغات فذلك هو الذى يدل على اعجازه ونحن نضرب لذلك أمثلة

والثانى فى الاحزاب ويوم هم ونحو فمال ولات حين وابن أم الافى طه فكتبت الهمزة حينئذ واوا وحذفت همزة ابن فصارت هكذا يبنؤم ﴿القاعدة السادسة فيما فيه قراءتان﴾ فكتبت على احداهما ومرادنا غير الشاذ من ذلك مالك يوم الدين يخادعون وواعدنا والصاعقة والرياح وتفادوهم وتظاهرون ولا تقاتلوهم ونحوها ولولا دفاع فرهان طائرا فى آل عمران والمائدة مضاعفة ونحوها قدت ايمانكم الاوليان لامستم قاسية قيامالناس خطئاتكم فى الاعراف طائفة حاشا الله وسيعلم الكافر تزاورزاكية فلا تصاحبنى لاتخذت مهادا وحرام على قرية ان الله يدافع سكارى وما هم بسكارى المضغة عظاما فكسونا العظام سراجا بل ادراك ولا تصاعر ربنا باعد اساورة بلا ألف فى الكل وقد قرئت بها وبحذفها وغيابت الجب وأنزل عليه آية فى العنكبوت وثمرت من أكمامها فى فصلت وجمالات فهم على بينت وهم فى الغرفات آمنون بالتاء وقد قرئت بالجمع والافراد وتقيه بالياء ولأهب بالألف ويقض الحق بلا ياء وآتونى زبر الحديد بألف فقط فننجى من نشاء ننج المؤمنين بنون واحدة والصراط كيف وقع وبصطة فى الاعراف والمصيطرون ومصيطر بالصاد لا غير وقد تكتب الكلمة صالحة للقراءتين نحو فكهون بلا ألف وهى قراءة وعلى قراءتها هى محذوفة رسما لأنه جمع تصحيح ﴿فرع﴾ فيما كتب موافقا لقراءة شاذة من ذلك ان البقر تشابه علينا أو كلما عاهدوا وما بقى من الربو قرىء بضم الباء وسكون الواو فلقاتلوكم انما طائركم طائره فى عنقه نساقط سامر وفصاله فى عامين عليهم ثياب سندس خضر ختامه مسك فادخلى فى عبادى ﴿فرع﴾ واما القراآت المختلفة المشهورة بزيادة لا يحتملها الرسم ونحوها نحوا وصى ووصى وتجرى تحتها ومن تحتها وسيقولون لله ولله وما عملت أيديهم وما عملته فكتابته على نحو قراءته وكل ذلك وجد فى مصاحف الامام ﴿فائدة﴾ كتبت فواتح السور على صورة الحروف أنفسها لا على صورة النطق بها اكتفاء بشهرتها وقطعت حم عسق دون المص وكهيعص طردا للاولى باخواتها الستة

﴿فصل﴾ فى آداب كتابته يستحب كتابة المصحف وتحسين كتابته وتبيينها وإيضاحها وتحقيق الخط دون مشقة وتعليقه فيكره وكذا كتابته فى الشىء الصغير * أخرج أبو عبيد فى فضائله عن عمر انه وجد مع رجل مصحفا قد كتبه بقلم دقيق فكره ذلك وضربه وقال عظموا كتاب الله تعالى وكان عمر اذا رأى مصحفا عظيما سر به * وأخرج عبد الرزاق عن على انه كان يكره أن تتخذ المصاحف صغارا * وأخرج أبو عبيد عنه انه كره أن يكتب القرآن فى الشىء الصغير * وأخرج هو والبيهقى فى الشعب عن أبى حكيم العبدى قال مر بى على وأنا أكتب مصحفا فقال أجل قلمك فقضمت من قلمى قضمة ثم جعلت أكتب فقال نعم هكذا نوره كما نوره الله * وأخرج البيهقى عن على موقوفا قال تنوق رجل فى بسم الله الرحمن الرحيم ففقره * وأخرج أبو نعيم فى تاريخ أصبهان وابن أشتة فى المصاحف من طريق أبان عن أنس مرفوعا من كتب بسم الله الرحمن الرحيم مجودة غفر الله له * وأخرج ابن أشتة عن عمر بن عبد العزيز انه كتب الى عماله اذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن * وأخرج عن زيد بن ثابت انه كان يكره ان تكتب بسم الله الرحمن الرحيم ليس لها سين * وأخرج عن يزيد بن أبى حبيب ان كاتب عمرو بن العاصى كتب إلى عمر فكتب بسم الله ولم يكتب لها سينا فضربه عمر فقيل له فيم ضربك أمير المؤمنين قال ضربنى فى سين * وأخرج عن ابن سيرين أنه كان يكره أن تمد الباء الى الميم حتى تكتب السين * وأخرج ابن أبى داود فى المصاحف عن ابن سيرين انه كره أن يكتب المصحف مشقا قيل لم قال لأن فيه تقصا وتحرم كتابته بشىء نجس واما بالذهب فهو حسن كما قاله الغزالى * وأخرج أبو عبيد عن ابن عباس وأبى ذر وأبى الدرداء انهم كرهوا ذلك * وأخرج عن ابن مسعود انه مر عليه بمصحف زين بالذهب فقال ان أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق قال أصحابنا وتكره كتابته على الحيطان والجدران

لتقف على ماذهبنا اليه وذكرنا فى هذا الفصل عن هذا القائل ان التشبيه تعرف به البلاغة وذلك مسلم ولكن ان قلنا ما وقع من التشبيه فى القرآن معجز عرض علينا من التشبيهات الجارية فى الاشعار مالا يخفى عليك وأنت تجد فى شعر ابن المعتز من التشبيه البديع الذى يشبه السحر وقد تتبع فى هذا مالم يتتبع غيره واتفق له مالم يتفق لغيره من الشعراء وكذلك كثير من وجوه البلاغة قد بينا ان تعلمها يمكن وليس تقع البلاغة بوجه واحد منها دون غيره فان كان انما يعنى هذا القائل انه اذا أتى فى كل معنى يتفق فى كلامه بانطبقة العالية ثم كان مايتصل به كلامه بعضه ببعض وينتهى منه الى منتصرفانه على أتم البلاغة وأبدع البراعة فهذا مما لا ننكره بل نقول به وانما ننكر أن يقول قائل ان بعض هذه الوجوه بانفرادها قد حصل فيه الاعجاز من غير ان يقارنه مايتصل

وعلى السفوف أشد كراهة لانه يوطأ * وأخرج أبو عبيد عن عمر بن عبد العزيز قال لا تكتبوا القرآن حيث يوطأ وهل تجوز كتابته بقلم غير العربى قال الزركشى لم أر فيه كلاما لأحد من العلماء قال ويحتمل الجواز لانه قد يحسنه من يقرؤه بالعربية والأقرب المنع كما تحرم قراءته بغير لسان العرب ولقولهم القلم أحد اللسانين والعرب لا تعرف قلما غير العربى وقد قال الله تعالى بلسان عربى مبين اهـ ﴿فائدة﴾ أخرج ابن أبى داود عن ابراهيم التيمى قال قال عبد الله لا يكتب المصاحف الا مضرى قال ابن أبى داود هذا من أجل اللغات ﴿مسئلة﴾ اختلف فى نقط المصحف وشكله ويقال أول من فعل ذلك أبو الأسود الدؤلى بأمر عبد الملك بن مروان وقيل الحسن البصرى ويحيى بن يعمر وقيل نصر بن عاصم الليثى * وأول من وضع الهمز والتشديد والروم والاشمام الخليل وقال قتادة بدؤا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا وقال غيره أول ما أحدثوا النقط عند آخر الآى ثم الفواتح والخواتم وقال يحيى بن أبى كثير ما كانوا يعرفون شيئا مما أحدث فى المصاحف الا النقط الثلاث على رؤس الآى أخرجه ابن أبى داود وقد أخرج أبو عبيد وغيره عن ابن مسعود قال جردوا القرآن ولا تخلطوه بشىء * وأخرج عن النخعى أنه كره نقط المصاحف وعن ابن سيرين أنه كره النقط والفواتح والخواتم وعن ابن مسعود ومجاهد انهما كرها التعشير * وأخرج ابن أبى داود عن النخعى أنه كان يكره العواشر والفواتح وتصغير المصحف وأن يكتب فيه سورة كذا وكذا * وأخرج عنه أنه أتى بمصحف مكتوب فيه سورة كذا وكذا آية فقال امح هذا فان ابن مسعود كان يكرهه * وأخرج عن أبى العالية أنه كان يكره الجعل فى المصحف وفاتحة سورة كذا وخاتمة سورة كذا وقال مالك لا بأس بالنقط فى المصاحف التى تتعلم فيها العلماء أيها الأمهات فلا وقال الحليمى تكره كتابة الاعشار والأخماس وأسماء السور وعدد الآيات فيه لقوله جردوا القرآن وأما النقط فيجوز لانه ليس له صورة فيتوهم لأجلها ما ليس بقرآن قرآنا وانما هى دلالات على هيئة المقروء فلا يضر إثباتها لمن يحتاج اليها وقال البيهقى من آداب القرآن أن يفخم فيكتب مفرجا باحسن خط فلا يصغر ولا يقرمط حروفه ولا يخلط به ما ليس منه كعدد الآيات والسجدات والعشرات والوقوف واختلاف القراآت ومعانى الآيات وقد أخرج ابن أبى داود عن الحسن وابن سيرين انهما قالا لا بأس بنقط المصاحف * وأخرج عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن أنه قال لا بأس بشكله * وقال النووى نقط المصحف وشكله مستحب لانه صيانة له من اللحن والتحريف وقال ابن مجاهد ينبغى أن لا يشكل الا ما يشكل * وقال الدانى لا أستجيز النقط بالسواد لما فيه من التغيير لصورة الرسم ولا أستجيز جمع قراآت شتى فى مصحف واحد بألوان مختلفة لأنه من أعظم التخليط والتغيير للرسوم وأرى أن يكون الحركات والتنوين والتشديد والسكون والمد بالحمرة والهمزات بالصفرة وقال الجرجانى من أصحابنا فى الشافى من المذموم كتابة تفسير كلمات القرآن بين أسطره ﴿فائدة﴾ كان الشكل فى الصدر الأول نقطا فالفتحة نقطة على أول الحرف والضمة على آخره والكسرة تحت أوله وعليه مشى الدانى والذى اشتهر الآن الضبط بالحركات المأخوذة من الحروف وهو الذى أخرجه الخليل وهو أكثر وأوضح وعليه العمل فالفتح شكلة مستطيلة فوق الحرف والكسر كذلك تحته والضم واو صغرى فوقه والتنوين زيادة مثلها فان كان مظهرا وذلك قبل حرف حلق ركبت فوقها والا جعلت بينهما وتكتب الألف المحذوفة والمبدل منها فى محلها حمراء والهمزة المحذوفة تكتب همزة بلا حرف حمراء أيضا وعلى النون والتنوين قبل الباء علامة الاقلاب حمراء وقبل الحلق سكون وتعرى عند الادغام والاخفاء ويسكن كل مسكن ويعرى المدغم ويشدد ما بعده الا الطاء قبل الثاء فيكتب عليها السكون نحو فرطت ومطة الممدود لا تجاوزه ﴿فائدة﴾ قال الحربى فى غريب الحديث قول ابن مسعود جردوا القرآن يحتمل وجهين أحدهما جردوه فى التلاوة

به الكلام ويفضى اليه مثل ما يقول ان ما أقسم به وحده بنفسه معجز وان التشبيه معجز وان التجنيس معجز والمطابقة بنفسها معجزة فأما الآية التى فيها ذكر التشبيه فان ادعى اعجازها لالفاظها ونظمها وتأليفها فانى لا أدفع ذلك وأصححه ولكن لا ادعى اعجازها لموضع التشبيه وصاحب المقالة التى حكيناها أضاف ذلك إلى موضع التشبيه وما قرن به من الوجوه ومن تلك الوجوه ما قد بينا ان الاعجاز يتعلق به كالبيان وذلك لا يختص بجنس من المبين دون جنس ولذلك قال هذا بيان للناس وقال تبيانا لكل شىء وقال بلسان عربى مبين فكرر فى مواضع ذكره انه مبين فالقرآن أعلى منازل البيان وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه وطرقه وأبوابه من تعديل النظم وسلامته وحسنه وبهجته وحسن موقعه فى السمع وسهولته

ولا تخلطوا به غيره * والثاني جردوه في الخط من النقط والتعشير وقال البيهقي الا بين انه أراد لا تخلطوا به غيره من الكتب لان ما خلا القرآن من كتب الله إنما يؤخذ عن اليهود والنصارى وليسوا بمأمونين عليها ﴿فرع﴾ أخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف عن ابن عباس أنه كره أخذ الأجرة على كتابة المصحف * وأخرج مثله عن أيوب السختياني * وأخرج عن عمرو ابن مسعود أنهما كرها بيع المصاحف وشراءها * وأخرج عن محمد بن سيرين أنه كره بيع المصاحف وشراءها وأن يستأجر على كتابتها * وأخرج عن مجاهد وابن المسيب والحسن أنهم قالوا لا بأس بالثلاثة * وأخرج عن سعيد بن جبير أنه سئل عن بيع المصاحف فقال لا بأس إنما يأخذون أجور أيديهم * وأخرج عن ابن الحنفية أنه سئل عن بيع المصحف قال لا بأس انما تبيع الورق * وأخرج عن عبد الله بن شقيق قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يشددون في بيع المصاحف * وأخرج عن النخعي قال المصحف لا يباع ولا يورث * وأخرج عن ابن المسيب أنه كره بيع المصاحف وقال أعن أخاك بالكتاب أو هب له * وأخرج عن عطاء عن ابن عباس قال اشتر المصاحف ولا تبعها * وأخرج عن مجاهد انه نهى عن بيع المصاحف ورخص في شرائها وقد حصل من ذلك ثلاثة أقوال للسلف ثالثها كراهة البيع دون الشراء وهو أصح الاوجه عندنا كما صححه في شرح المهذب ونقله في زوائد الروضة عن نص الشافعي قال الرافعي وقد قيل ان الثمن متوجه إلى الدفتين لان كلام الله لا يباع وقيل انه بدل من أجرة النسخ اه وقد تقدم إسناد القولين إلى ابن الحنفية وابن جبير وفيه قول ثالث انه بدل منهما معا * أخرج ابن أبي داود عن الشعبي قال لا بأس ببيع المصاحف إنما يبيع الورق وعمل يده ﴿فرع﴾ قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام في القواعد القيام للمصحف بدعة لم تعهد في الصدر الأول والصواب ما قاله النووي في التبيان من استحباب ذلك لما فيه من التعظيم وعدم التهاون به ﴿فرع﴾ يستحب تقبيل المصحف لان عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه كان يفعله وبالقياس على تقبيل الحجر ذكره بعضهم ولانه هدية من الله تعالى فشرع تقبيله كما يستحب تقبيل الولد الصغير وعن أحمد ثلاث روايات الجواز والاستحباب والتوقف وان كان فيه رفعة واكرام لانه لا يدخله قياس ولهذا قال عمر في الحجر لولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك ﴿فرع﴾ يستحب تطييب المصحف وجعله على كرسي ويحرم توسده لان فيه اذلالا وامتهانا قال الزركشي وكذا مد الرجلين اليه * وأخرج ابن أبي داود في المصاحف عن سفيان أنه كره أن تعلق المصاحف * وأخرج عن الضحاك قال لا تتخذوا اللحديث كراسي ككراسي المصاحف ﴿فرع﴾ يجوز تحليته بالفضة اكراما له على الصحيح * أخرج البيهقي عن الوليد بن مسلم قال سألت مالكا عن تفضيض المصاحف فأخرج الينا مصحفا فقال حدثني أبي عن جدي أنهم جمعوا القرآن في عهد عثمان وأنهم فضضوا المصاحف على هذا ونحوه وأما بالذهب فالأصح جوازه للمرأة دون الرجل وخص بعضهم الجواز بنفس المصحف دون غلافه المنفصل عنه والاظهر التسوية ﴿فرع﴾ إذا احتيج إلى تعطيل بعض أوراق المصحف لبلاء ونحوه فلا يجوز وضعها في شق أو غيره لانه قد يسقط ويوطأ ولا يجوز تمزيقها لما فيه من تقطيع الحروف وتفرقة الكلم وفي ذلك ازراء بالمكتوب كذا قاله الحليمي قال وله غسلها بالماء وان أحرقها بالنار فلا بأس أحرق عثمان مصاحف كان فيها آيات وقراآت منسوخة ولم ينكر عليه وذكر غيره ان الاحراق أولى من الغسل لأن الغسالة قد تقع على الارض وجزم القاضي حسين في تعليقه بامتناع الاحراق لانه خلاف الاحترام والنووي بالكراهة وفي بعض كتب الحنفية أن المصحف إذا بلي لا يحرق بل يحفر له في الأرض ويدفن وفيه وقفة لتعرضه للوطء بالاقدام ﴿فرع﴾ روى ابن أبي داود عن ابن المسيب قال

على اللسان ووقوعه في النفس موقع القبول وتصوره تصور المشاهد وتشكله على جهته حتى يحل محل البرهان ودلالة التأليف مما لا ينحصر حسنا وبهجة وسناء ورفعة واذا علا الكلام في نفسه كان له من الوقع في القلوب والتمكن في النفوس ما يذهل ويبهج ويقلق ويؤنس ويطمع ويؤيس ويضحك ويبكي ويحزن ويفرح ويسكن ويزعج ويشجي ويطرب ويهز الاعطاف ويستميل نحوه الاسماع ويورث الاريحية والعزة وقد يبعث على بذل المهج والأموال شجاعة وجوداً ويرمي السامع من وراء رأيه مرمى بعيداً وله مسالك في النفوس لطيفة ومداخل إلى القلوب دقيقة وبحسب ما يترتب في نظمه ويتنزل في موقعه ويجري على سمت مطلعه ومقطعه يكون عجيب تأثيراته وبديع مقتضياته وكذلك على حسب

لا يقول أحدكم مصيحف ولا مسيجد ما كان لله تعالى فهو عظيم ﴿ فرع ﴾ مذهبنا ومذهب جمهور العلماء تحريم مس المصحف للمحدث سواء كان أصغرا أم أكبر لقوله تعالى لا يمسه إلا المطهرون وحديث الترمذي وغيره لا يمس القرآن الا طاهر * خاتمة روى ابن ماجه وغيره عن أنس مرفوعا سبع يجرى للعبد أجرهن بعد موته وهو في قبره من علم علما أو أجرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ترك ولدا يستغفر له من بعد موته أو ورث مصحفا

﴿ النوع السابع والسبعون * في معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة اليه ﴾ التفسير تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف ويقال هو مقلوب السفر تقول أسفر الصبح إذا أضاء وقيل مأخوذ من التفسرة وهي اسم لما يعرف به الطبيب المرض والتأويل أصله من الأول وهو الرجوع فكأنه صرف الآية الى ما تحتمله من المعاني وقيل من الايالة وهي السياسة كان المؤول للكلام ساس الكلام ووضع المعنى فيه موضعه واختلف في التفسير والتأويل فقال أبو عبيد وطائفة هما بمعنى وقد أنكر ذلك قوم حتى بالغ ابن حبيب النيسابوري فقال قد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا اليه وقال الراغب التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل وأكثر ما يستعمل في الكتب الالهية والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها وقال غيره التفسير بيان لفظ لا يحتمل الا وجها واحدا والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الادلة وقال الماتريدي التفسير القطع على ان المراد من اللفظ هذا والشهادة على الله انه عني باللفظ هذا فان قام دليل مقطوع به فصحيح والا فتفسير بالرأي وهو المنهي عنه والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله وقال أبو طالب الثعلبي التفسير بيان وضع اللفظ اما حقيقة أو مجازا كتفسير الصراط بالطريق والصيب بالمطر والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الاول وهو الرجوع لعاقبة الامر فالتأويل اخبار عن حقيقة المراد والتفسير اخبار عن دليل المراد لان اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل مثاله قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد تفسيره أنه من الرصد يقال رصدته رقبته والمرصاد مفعال منه وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الاهبة والاستعداد للعرض عليه وقواطع الادلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة وقال الاصبهاني في تفسيره إعلم ان التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره وبحسب المعنى الظاهر وغيره والتأويل أكثره في الجمل والتفسير اما أن يستعمل في غريب الالفاظ نحو البحيرة والسائبة والوصيلة أو في وجيز تبيين لشرح نحو أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وإما في كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره الا بمعرفتها كقوله انما النسيء زيادة في الكفر وقوله وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها وأما التأويل فانه يستعمل مرة عاما ومرة خاصا نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق وتارة في جحود الباري عز وجل خاصة والايمان المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق الحق أخرى وأما في لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظ وجد المستعمل في الجدة والوجد والوجود وقال غيره التفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية وقال أبو نصر القشيري التفسير مقصور على الاتباع والسماع والاستنباط مما يتعلق بالتأويل وقال قوم ما وقع مبينا في كتاب الله ومعينا في صحيح السنة سمي تفسيرا لان معناه قد ظهر ووضح وليس لاحد ان يتعرض اليه باجتهاد ولا غيره بل يحمله على المعنى الذي ورد لا يتعداه والتأويل ما استنبطه العلماء العاملون لمعاني الخطاب الماهرون في آلات العلوم وقال قوم منهم البغوي والكواشي التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط وقال

مصادره يتصور وجوه موارده وقد ينبيء الكلام عن محل صاحبه ويدل على مكان متكلمه وينبه على عظيم شأن أهله وعلى علو محله الا ترى أن الشعر في الغزل إذا صدر عن محب كان أرق وأحسن واذا صدر عن متغزل وحصل من متصنع نادى على نفسه بالمداجاة وأخبر عن خبيه في المزايا وكذلك قد يصدر الشعر في وصف الحرب عن الشجاع فيعلم وجه صدوره ويدل على كنهه وحقيقته وقد يصدر عن المتشبه ويخرج عن المتصنع فيعرف من حاله ما ظن أنه يخفيه ويظهر من أمره خلاف ما يبديه وأنت تعرف قول المتنبي

فالخيل والليل والبيداء تعرفني
والحرب والطعن والقرطاس والقلم

من الواقع في القلب لما يعلم أنه من أهل الشجاعة مالا تجده للبحتري في قوله وأنا الشجاع وقد بدا لك موقفي

بعضهم التفسير فى الاصطلاح علم نزول الآيات وشؤونها واقاصيصها والاسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها وتفسيرها وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها وقال أبو حيان التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك قال فقولنا علم جنس وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هو علم القراءة وقولنا ومدلولاتها أى مدلولات تلك الالفاظ وهذا متن علم اللغة الذى يحتاج اليه فى هذا العلم وقولنا وأحكامها الافرادية والتركيبية هذا يشمل علم التصريف والبيان والبديع وقولنا ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب يشمل مادلالته بالحقيقة ومادلالته بالمجاز فان التركيب وقد يقتضى بظاهره شيئا ويصد عن الحمل عليه صاد فيحمل على غيره وهو المجاز وقولنا وتتمات لذلك هو مثل معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض مأبهم فى القرآن ونحو ذلك وقال الزركشى التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراآت ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ

﴿ فصل ﴾ وأما وجه الحاجة اليه فقال بعضهم اعلم ان من المعلوم ان الله انما خاطب خلقه بما يفهمونه ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه وأنزل كتابه على لغتهم وانما احتيج إلى التفسير لما سيذكر بعد تقرير قاعدة وهى ان كل من وضع من البشر كتابا فانما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح وانما احتيج إلى الشروح لأمور ثلاثة أحدها كمال فضيلة المصنف فانه لقوته العلمية يجمع المعانى الدقيقة فى اللفظ الوجيز فربما عسر فهم مراده فتقصد بالشرح ظهور تلك المعانى الخفية ومن هنا كان شرح بعض الائمة تصنيفه أدل على المراد من شرح غيره وثانيها اغفاله بعض تتمات المسئلة أو شروطها اعتمادا على وضوحها أولأنها من علم آخر فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه وثالثها احتمال اللفظ لمعان كما فى المجاز والاشتراك ودلالة الالتزام فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه وقد يقع فى التصانيف مالا يخلو عنه بشر من السهو والغلط أو تكرار الشىء أو حذف المبهم وغير ذلك فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك اذا تقرر هذا فنقول ان القرآن انما نزل بلسان عربى فى زمن أفصح العرب وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه امادقائق باطنه فانما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبى ﷺ فى الأكثر كسؤالهم لما نزل قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فقالوا وايناالم يظلم نفسه ففسره النبى ﷺ بالشرك واستدل عليه بقوله ان الشرك لظلم عظيم وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير فقال ذلك العرض وكقصة عدى بن حاتم فى الخيط الأبيض والأسود وغير ذلك مما سألوا عن آحاده ونحن محتاجون الى ما كانوا يحتاجون اليه وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا اليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم فنحن أشد الناس احتياجا الى التفسير ومعلوم أن تفسيره بعضه يكون من قبل الالفاظ الوجيزة وكشف معانيها وبعضه من قبل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض اهـ وقال الحوبى علم التفسير عسر يسير أما عسره فظاهر من وجوه أظهرها أنه كلام متكلم لم تصل الناس الى مراده بالسماع منه ولا إمكان الوصول اليه بخلاف الامثال والاشعار ونحوها فان الانسان يمكن علمه منه إذا تكلم بأن يسمع عنه أو ممن سمع منه وأما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم الا بان يسمع من الرسول ﷺ وذلك متعذر الا فى آيات قلائل فالعلم بالمراد يستنبط بامارات ودلائل والحكمة فيه ان الله تعالى أراد أن يتفكر عباده فى كتابه فلم يأمر نبيه

بالتنصيص

بعقرقس والمشرفية مشهدى

وتجد لابن المعتز فى موقع شعره من القلب فى التفخر وغيره مالا تجده لغيره لانه اذا قال

اذا شئت أوقرت البلاد حوافرا
وسارت ورائى هاشم ونزار
وهم سماء النقع حتى كأنه
دخان واطراف الرماح شرار

وقال

قد تربيت بالمكارم حولى
وكفتنى نفسى من الافتخار
أناجيش اذا غزوت وحيدا
ووحيدى الجحفل الجرار

وقال أيها السائلى عن الحسب الاطيب مافوقه لمخلق مزيد

نحن آل الرسول والعترة الحق * وأهل القرى فماذا تريد

ولنا ماأضاء صبح عليه
وانتهت رايات ليل سود

وكما أنشدنا الحسن بن عبد الله قال أنشدنا محمد ابن يحيى لابن المعتز قصيدته التى يقول فيها

انا ابن الذى سادهم فى الحيا
ة وسادهم بى تحت الثرى

بالتنصيص على المراد فى جميع آياته

﴿ فصل ﴾ وأما تشريفه فلا يخفى قال تعالى يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا * وأخرج ابن أبى حاتم وغيره من طريق ابن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى يؤتى الحكمة قال المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله * وأخرج ابن مردويه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا يؤتى الحكمة قال القرآن قال ابن عباس يعنى تفسيره فانه قد قرأه البر والفاجر * وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى الدرداء يؤتى الحكمة قال قراءة القرآن والفكرة فيه * وأخرج ابن جرير مثله عن مجاهد وأبى العالية وقتادة وقال تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون * وأخرج ابن أبى حاتم عن عمرو بن مرة قال ما مررت بآية فى كتاب الله لا أعرفها الا احزنتنى لأنى سمعت الله يقول وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون * وأخرج أبو عبيدة عن الحسن قال ما أنزل الله آية الا وهو يحب أن تعلم فيما أنزلت وما أراد بها * واخرج أبو ذر الهروى فى فضائل القرآن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الذى يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره كالاعرابى يهذ الشعر هذا * وأخرج البيهقى وغيره من حديث أبى هريرة مرفوعا أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه * وأخرج ابن الانبارى عن أبى بكر الصديق قال لأن أعرب آية من القرآن أحب الى من أن أحفظ آية * وأخرج أيضا عن عبد الله بن بريدة عن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال لو أنى أعلم اذا سافرت أربعين ليلة اعربت آية من كتاب الله لفعلت * وأخرج أيضا من طريق الشعبى قال قال عمر من قرأ القرآن فاعربه كان له عند الله أجر شهيد قلت معنى هذه الآثار عندى ارادة البيان والتفسير لان اطلاق الاعراب على الحكم النحوى اصطلاح حادث ولانه كان فى سليقتهم لا يحتاجون الى تعلمه ثم رأيت ابن النقيب جنح الى ما ذكرته وقال ويجوز أن يكون المراد الاعراب الصناعى وفيه بعد وقد يستدل له بما أخرجه السلفى فى الطيوريات من حديث ابن عمر مرفوعا أعربوا القرآن يدلكم على تأويله وقد أجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفايات وأجل العلوم الثلاثة الشرعية وقال الاصبهانى أشرف صناعة يتعاطاها الانسان تفسير القرآن بيان ذلك ان شرف الصناعة اما بشرف موضوعها مثل الصياغة فانها أشرف من الدباغة لان موضوع الصياغة الذهب والفضة وهما أشرف من موضوع الدباغة الذى هو جلد الميتة واما بشرف غرضها مثل صناعة الطب فانها أشرف من صناعة الكناسة لان غرض الطب افادة الصحة وغرض الكناسة تنظيف المستراح واما بشدة الحاجة اليها كالفقه فان الحاجة اليه أشد من الحاجة الى الطب اذ ما من واقعة فى الكون فى أحد من الخلق الا وهى مفتقرة الى الفقه لان به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين بخلاف الطب فانه يحتاج اليه بعض الناس فى بعض الأوقات اذا عرف ذلك فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث اما من جهة الموضوع فلان موضوعه كلام الله تعالى الذى هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه واما من جهة الغرض فلان الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول الى السعادة الحقيقية التى لا تفنى واما من جهة شدة الحاجة فلان كل كمال دينى أو دنيوى عاجلى أو آجلى مفتقر الى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهى متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى

﴿ النوع الثامن والسبعون * فى معرفة شروط المفسر وآدابه ﴾ قال العلماء من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن فما أجمل منه فى مكان فقد فسر فى موضع آخر وما اختصر فى مكان فقد بسط فى موضع آخر منه وقد ألف ابن الجوزى كتابا فيما أجمل فى القرآن فى موضع وفسر فى موضع آخر

ومالى فى أحد مرغب
بلى فى يرغب كل الورى
واسهر للمجد والمكرما
ت اذا كتحلت اعين
بالكرى

فانظر فى القصيدة كلها
ثم فى جميع شعره تعلم انه
ملك الشعر وانه يليق به
من الفخر خاصة ثم مما
يتبعه مما يتعاطاه مما
لا يليق بغيره بل ينفر عن
سواه ولم أحب ان اكثر
عليك فاطول الكتاب
بما يخرج عن غرضه وكما
ترى من قول أبى فراس
الحمدانى فى نفسك اذا قال
ولا اصبح الحى الخلوف
بغارة
ولا اريش ما لم يأته قبل
النذر
ويارب دار لم تخفق منيعة
طلعت عليها بالردى انا
والفجر
وساحبة الاذيال نحوى
لقيتها
فلم يلقها جافى اللقاء ولا وعر
وهبتها ما حازه الجيش
كله
وابت ولم يكشف لأبياتها
ستر
وما راح يطغينى بأثوابه
الغنى

منه وأشرت الى أمثلة منه فى نوع المجمل فان أعياه ذلك طلبه من السنة فانها شارحة للقرآن وموضحة له وقد قال الشافعى رضى الله عنه كل ماحكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن قال تعالى إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله فى آيات أخر وقال ﷺ ألا انى اوتيت القرآن ومثله معه يعنى السنة فان لم يجده من السنة رجع الى أقوال الصحابة فانهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح وقد روى الحاكم فى المستدرك أن تفسير الصحابى الذى شهد الوحى والتنزيل له حكم المرفوع وقال الامام أبو طالب الطبرى فى أوائل تفسيره القول فى آداب المفسر اعلم ان من شرطه صحة الاعتقاد أولا ولزوم سنة الدين فان من كان مغموصا عليه فى دينه لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين ثم لا يؤتمن فى الدين على الاخبار عن عالم فكيف يؤتمن فى الاخبار عن أسرار الله تعالى ولانه لا يؤمن ان كان متهما بالالحاد ان يبغى الفتنة ويغر الناس بليه وخداعه كدأب الباطنية وغلاة الرافضة وان كان متهما بهوى لم يؤمن أن يحمله هواه كلما يوافق بدعته كدأب القدرية فان أحدهم يصنف الكتاب فى التفسير ومقصوده منه الايضاح الساكن ليصدهم عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبى ﷺ وعن أصحابه ومن عاصرهم ويتجنب المحدثات واذا تعارضت أقوالهم وأمكن الجمع بينها فعل نحو أن يتكلم على الصراط المستقيم وأقوالهم فيه ترجع الى شىء واحد فيدخل منها ما يدخل فى الجمع فلا تنافى بين القرآن وطريق الأنبياء فطريق السنة وطريق النبى ﷺ وطريق أبى بكر وعمر فأى هذه الأقوال أفرده كان محسنا وان تعارضت رد الامر الى ما ثبت فيه السمع فان لم يجد سمعا وكان للاستدلال طريق الى تقوية أحدها رجح ما قوى الاستدلال فيه كاختلافهم فى معنى حروف الهجاء يرجح قول من قال انها قسم وان تعارضت الادلة فى المراد علم انه قد اشتبه عليه فيؤمن بمراد الله تعالى ولا يتهجم على تعيينه وينزله منزلة المجمل قبل تفصيله والمتشابه قبل تبيينه ومن شروطه صحة المقصد فيما يقول ليلقى التسديد فقد قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وانما يخلص له القصد اذا زهد فى الدنيا لانه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به الى غرض يصده عن صواب قصده ويفسد عليه صحة عمله وتمام هذه الشرائط أن يكون متمكنا من عدة الاعراب لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام فانه اذا خرج بالبيان عن وضع اللسان اما حقيقة أو مجازا فتأويله تعطيله وقد رأيت بعضهم يفسر قوله تعالى قل الله ثم ذرهم انه ملازمة قول الله ولم يدر النبى ان هذه جملة حذف منها الخبر والتقدير الله أنزله اه كلام أبى طالب وقال ابن تيمية فى كتاب ألفه فى هذا النوع يجب أن يعلم ان النبى ﷺ بين لأصحابه معانى القرآن كما بين لهم ألفاظه فقوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم يتناول هذا وهذا وقد قال أبو عبد الرحمن السلمى حدثنا الذين كانوا يقرءون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من النبى ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا ولهذا كانوا يبقون مدة فى حفظ السورة وقال أنس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فى أعيننا * رواه أحمد فى مسنده وأقام ابن عمر على حفظ البقرة ثمان سنين * أخرجه فى الموطأ وذلك ان الله قال كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وقال أفلا يتدبرون القرآن وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن وأيضا فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا فى فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحونه فكيف بكلام الله الذى هو عصمتهم ونجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم ولهذا كان النزاع بين الصحابة فى تفسير القرآن قليلا جدا وهو

ولابات يثنيني عن الكرم الفقر
وماحاجتي في المال أبغي وفوره
اذا لم أفر وفري فلا وفر الوفر
والشيء إذا صدر من أهله وبدا من أصله وانتسب الى ذويه سلم فى نفسه وبانت نخامته وشواهد أثر الاستحقاق فيه واذا صدر من مكلف وبدا من متصنع بان أثر الغرابة عليه وظهرت مخايل الاستيحاش فيه وعرف شمائل التخير منه انا نعرف فى شعر أبى نواس أثر الشطارة وتمكن البطالة وموقع كلامه فى وصف ماهو بسبيله من أمر العبارة ووصف الخمر والخمار كما نعرف موقع كلام ذى الرمة فى وصف المهامه والبوادى والجمال والاتساع والازمة وعيب أبى نواس التصرف فى وصف الطلول والرباع الوحش فتفكر فى قوله ودع الاطلال تسقيها الجنوب
وتبلى عهد جدتها الخطوب

وان كان بين التابعين أكثر منه بين الصحابة فهو قليل بالنسبة الى ما بعدهم ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة وربما تكلموا فى بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال والخلاف بين السلف فى التفسير قليل وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع الى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وذلك صنفان احدهما ان يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى فى المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى كتفسيرهم الصراط المستقيم بعض بالقرآن أى اتباعه وبعض بالاسلام فالقولان متفقان لان دين الاسلام هو اتباع القرآن ولكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر كما ان لفظ صراط يشعر بوصف ثالث وكذلك قول من قال هو السنة والجماعة وقول من قال هو طريق العبودية وقول من قال هو طاعة الله ورسوله وأمثال ذلك فهؤلاء كلهم اشاروا الى ذات واحدة لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها * الثانى ان يذكر كل منهم من الاسم العام بعض انواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود فى عمومه وخصوصه مثاله ما نقل فى قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا الآية فمعلوم ان الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمات والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات فالمقتصدون اصحاب اليمين والسابقون السابقون أولئك هم المقربون ثم ان كلا منهم يذكر هذا فى نوع من أنواع الطاعات كقول القائل السابق الذى يصلى فى أول الوقت والمقتصد الذى يصلى فى اثنائه والظالم لنفسه الذى يؤخر العصر الى الاصفرار أو يقول السابق المحسن بالصدقة مع الزكاة والمقتصد الذى يؤدى الزكاة المفروضة فقط والظالم مانع الزكاة قال وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما فى تنوع التفسير تارة لتنوع الاسماء والصفات وتارة لذكر بعض أنواع المسمى هو الغالب فى تفسير سلف الامة الذى يظن أنه مختلف ومن التنازع الموجود منهم ما يكون اللفظ فيه محتملا للامرين اما لكونه مشتركا فى اللغة كلفظ القسورة الذى يراد به الرامى ويراد به الاسد ولفظ عسعس الذى يراد به اقبال الليل وادباره واما لكونه متواطئا فى الاصل لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشخصين كالضمائر فى قوله ثم دنى فتدلى الآية وكلفظ الفجر والشفع والوتر وليال عشر وأشباه ذلك فمثل ذلك قد يجوز ان يراد به كل المعانى التى قالها السلف وقد لا يجوز ذلك فالاول اما لكون الآية نزلت مرتين فاريد بها هذا تارة وهذا تارة واما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معنياه واما لكون اللفظ متواطئا فيكون عاما اذا لم يكن لتخصيصه موجب فهذا النوع اذا صح فيه القولان كان من الصنف الثانى ومن الاقوال الموجودة عنهم ويجعلها بعض الناس اختلافا ان يعبروا عن المعانى بالفاظ متقاربة كما اذا فسر بعضهم تبسل بتحبس وبعضهم بترتهن لان كلا منهما قريب من الآخر ثم قال فصل والاختلاف فى التفسير على نوعين منه ما مستنده النقل فقط ومنه ما يعلم بغير ذلك والمنقول اما عن المعصوم او غيره ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره ومنه ما لا يمكن ذلك وهذا القسم الذى لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه عامته مما لا فائدة فيه ولا حاجة بنا الى معرفته وذلك كاختلافهم فى لون كلب أصحاب الكهف واسمه وفى البعض الذى ضرب به القتيل من البقرة وفى قدر سفينة نوح وخشبها وفى اسم الغلام الذى قتله الخضر ونحو ذلك فهذه الامور طريق العلم بها النقل فما كان منه منقولا نقلا صحيحا عن النبى ﷺ قبل ومالا بان نقل عن أهل الكتاب ككعب ووهب وقف عن تصديقه وتكذيبه لقوله ﷺ اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وكذا ما نقل عن بعض التابعين وان لم يذكر انه أخذه عن أهل الكتاب فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض وما نقل فى ذلك عن الصحابة نقلا صحيحا فالنفس اليه اسكن مما ينقل عن التابعين لأن احتمال أن يكون سمعه من النبى ﷺ أو من بعض

وخل لراكب الوجناء أرضا
تحب به النجيبة والنجيب
بلاد نبتها عشر وطلح
وأكثر صيدها ضبع وذيب
ولا تأخذ عن الاعراب لهوا
ولا عيشا فعيشهم جديب
دع الالبان يشربها رجال
رقيق العيش عندهم غريب
اذا راب الحليب فبل عليه
ولا تحرج فما فى ذاك حوب
فاطيب منه صافية شمول
يطوف بكأسها ساق أديب
كان هديرها فى الدن يحكى
قراءة القس قابلة الصليب
أعاذل اقصرى عن طول نومى
فراجى توبتى عندى يخيب
تعيين الذنوب وأى حر
من الفتيان ليس له ذنوب
وقوله * صفة الطلول بلاعة العدم
فاجعل صفاتك لابنة الكرم
وسمعت الصاحب اسمعيل ابن عباد يقول سمعت برلكويه الزنجانى يقول أنشد بعض الشعراء هلال ابن يزيد قصيدة على وزن قصيدة الاعشى

من سمعه منه أقوى ولان نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين ومع جزم الصحابي بما يقوله كيف يقال انه أخذه عن أهل الكتاب وقد نهوا عن تصديقهم واما القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود كثير ولله الحمد وان قال الامام أحمد ثلاثة ليس لها أصل التفسير والملاحم والمغازي وذلك لان الغالب عليها المراسيل واما يعلم بالاستدلال لا بالنقل فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين حدثنا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان فان التفاسير التي يذكر فيها كلام هؤلاء مصرفا لا يكاد يوجد فيها شيء من هاتين الجهتين مثل تفسير عبد الرزاق والفريابي ووكيع وعبد واسحق وأمثالهم ﴿احدها﴾ قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل الفاظ القرآن عليها ﴿والثاني﴾ قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ ان يريده من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر الى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به فالأولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر الى ما يستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان والآخرون راعوا مجرد اللفظ وما يجوز ان يراد به العربي من غير نظر الى ما يصلح للتكلم وسياق الكلام ثم هؤلاء كثيرا ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة كما يغلط في ذلك الذين قبلهم كما ان الاولين كثيرا ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن كما يغلط في ذلك الآخرون وان كان نظر الاولين الى المعنى اسبق ونظر الآخرين الى اللفظ أسبق والأولون صنفان تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه واريد به وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه ولم يرد به وفي كلا الامرين قد يكون ما قصدوا نفيه اوا ثباته من المعنى باطلا فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول وقد يكون حقا فيكون خطؤهم في الدليل لا في المدلول فالذين اخطؤا فيهما مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذاهب باطلة وعمدوا الى القرآن فتأولوه على رأيهم وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم وقد صنفوا تفاسير على أصول مذهبهم مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الاصم والجبائي وعبد الجبار والرماني والزمخشري وأمثالهم ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة يدس البدع في كلامه وأكثر الناس لا يعلمون كصاحب الكشاف ونحوه حتى انه يروج على خلق كثير من أهل السنة كثير من تفاسيرهم الباطلة وتفسير ابن عطية وامثاله اتبع للسنة واسلم من البدعة ولو ذكر كلام السلف المأثور عنهم على وجه لكان احسن فانه كثيرا ما ينقل من تفسير ابن جرير الطبري وهو من اجل التفاسير واعظمها قدرا ثم انه يدع ما ينقله ابن جرير عن السلف ويذكر ما يزعم انه قول المحققين وانما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم وان كانوا اقرب الى السنة من المعتزلة لكن ينبغي ان يعطى كل ذي حق حقه فان الصحابة والتابعين والأئمة اذا كان لهم في الآية تفسير وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لاجل مذهب اعتقدوه وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين صار مشاركا للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم الى ما يخالف ذلك كان مخطئا في ذلك بل مبتدعا لانهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله وأما الذين أخطؤا في الدليل لا في المدلول كمثل كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء يفسرون القرآن بمعان صحيحة في نفسها لكن القرآن لا يدل عليها مثل كثير مما ذكره السلمي في الحقائق فان كان فيما ذكروه معان باطلة دخل في القسم الأول اه كلام ابن تيمية ملخصا وهو نفيس جدا وقال الزركشي في البرهان للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة امهاتها أربعة الاول النقل عن النبي ﷺ وهذا هو الطراز المعلم لكن يجب الحذر من الضعيف منه والموضوع فانه كثير ولهذا قال أحمد ثلاث كتب لا أصل لها المغازي والملاحم والتفسير قال المحققون من أصحابه مراده ان الغالب انه ليس لها اسانيد صحاح متصلة والا فقد صح من ذلك

ودع هريرة ان الركب مرتحل
وهل تطيق وداعا ايها الرجل
وكان وصف فيها الطلل
قال برلكويه فقال لي هلال فقلت بديها
اذا سمعت فتى يبكي على طلل
من أهل زنجان فاعلم انه طلل
وانما ذكرت لك هذه الامور لتعلم ان الشيء في معدنه اعز وفي مظانه احسن والى اصله انزع وباسبابه أليق وهو يدل على ما صدر منه وينبه ما انتج عنه ويكون قراره على موجب صورته وانواره على حسب محله ولكل شيء حد ومذهب ولكل كلام سبيل ومنهج وقد ذكر أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كلام مسيلمة ما اخبرتك به فقال ان هذا كلام لم يخرج من اله فدل على ان الكلام الصادر عن عزة الربوبية ورفعة الالهية يتميز عما لم يكن كذلك ثم رجع الكلام بنا الى ما ابتدأنا به من عظيم شأن البيان ولو لم يكن فيه إلا ما من به الله على خلقه بقوله خلق الانسان علمه البيان فاما بيان القرآن فهو اشرف بيان وأهداه واكمله

كثير كتفسير الظلم بالشرك فى آية الانعام والحساب اليسير بالعرض والقوة بالرمى فى قوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة * قلت الذى صح من ذلك قليل جدا بل أصل المرفوع منه فى غاية القلة وسأسردها كلها آخر الكتاب ان شاء الله تعالى * الثانى الأخذ بقول الصحابى فان تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبى ﷺ كما قاله الحاكم فى مستدركه وقال أبو الخطاب من الحنابلة يحتمل أن لا يرجع اليه إذا قلنا ان قوله ليس بحجة والصواب الأول لأنه من باب الرواية لا الرأى * قلت ما قاله الحاكم نازعه فيه ابن الصلاح وغيره من المتأخرين لان ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول أو نحوه مما لا مدخل للرأى فيه ثم رأيت الحاكم نفسه صرح به فى علوم الحديث فقال ومن الموقوفات تفسير الصحابة وأما من يقول ان تفسير الصحابة مسند فانما يقوله فيما فيه سبب النزول فقد خصص هنا وعمم فى المستدرك فاعتمد الأول والله أعلم ثم قال الزركشى وفى الرجوع إلى قول التابعى روايتان عن أحمد واختار ابن عقيل المنع وحكوه عن شعبة لكن عمل المفسرين على خلافه فقد حكوا فى كتبهم أقوالهم لان غالبها تلقوها من الصحابة وربما يحكى عنهم عبارات مختلفة الألفاظ فيظن من لا فهم عنده ان ذلك اختلاف محقق فيحكيه أقوالا وليس كذلك بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى من الآية لكونه أظهر عنده أو أليق بحال السائل وقد يكون بعضهم يخبر عن الشىء بلازمه ونظيره والآخر بمقصوده وثمرته والكل يؤول إلى معنى واحد غالبا فان لم يمكن الجمع فالمتأخر من القولين عن الشخص الواحد مقدم ان استويا فى الصحة عنه والا فالصحيح المقدم * الثالث الاخذ بمطلق اللغة فان القرآن نزل بلسان عربى وهذا قد ذكره جماعة ونص عليه أحمد فى مواضع لكن نقل الفضل بن زياد عنه انه سئل عن القرآن يمثل له الرجل ببيت من الشعر فقال ما يعجبنى فقيل ظاهره المنع ولهذا قال بعضهم فى جواز تفسير القرآن بمقتضى اللغة روايتان عن أحمد وقيل الكراهة تحمل على من صرف الآية عن ظاهرها الى معان خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب ولا يوجد غالبا إلا فى الشعر ونحوه ويكون المتبادر خلافها * وروى البيهقى فى الشعب عن مالك قال لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا * الرابع التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع وهذا هو الذى دعا به النبى ﷺ لابن عباس حيث قال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل والذى عناه على بقوله إلا فهما يؤتاه الرجل فى القرآن ومن هنا اختلف الصحابة فى معنى الآية فاخذ كل برأيه على منتهى نظره ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأى والاجتهاد من غير أصل قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقال وان تقولوا على الله ما لا تعلمون * وقال لتبين للناس ما نزل اليهم أضاف البيان اليه وقال ﷺ من تكلم فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وقال من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار * أخرجه أبو داود قال البيهقى فى الحديث الاول إن صح أراد والله أعلم الرأى الذى يغلب من غير دليل قام عليه وأما الذى يشده برهان فالقول به جائز وقال فى المدخل فى هذا الحديث نظر وإن صح فانما به والله أعلم فقد أخطأ الطريق فسبيله أن يرجع فى تفسير ألفاظه إلى أهل اللغة وفى معرفة ناسخه ومنسوخه وسبب نزوله وما يحتاج فيه إلى بيانه إلى أخبار الصحابة الذين شاهدوا التنزيل وادوا الينا من السنن ما يكون بيانا لكتاب الله تعالى قال تعالى وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون فما ورد بيانه من صاحب الشرع ففيه كفاية عن فكرة من بعده وما لم يرد عنه بيانه ففيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده ليستدلوا بما ورد بيانه على ما لم يرد قال وقد يكون المراد به من قال فيه برأيه من غير معرفة منه باصول العلم وفروعه فيكون موافقته للصواب إن وافقه من حيث لا يعرفه غير محمودة وقال الماوردى قد حمل بعض المتورعة هذا الحديث على ظاهره وامتنع من أن يستنبط معانى القرآن باجتهاده ولو صحبها الشواهد ولم يعارض

وأعلاه وأبلغه وأسناه تأمل قوله تعالى أفنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين فى شدة التنبيه على تركهم الحق والاعراض عنه وموضع امتنانه بالذكر والتحذير وقوله ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم انكم فى العذاب مشتركون وهذا بليغ فى التحسير وقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وهذا يدل على كونهم مجبولين على الشر معودين لمخالفة النهى والامر وقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين هو فى نهاية الوضع من الخلة الاعلى التقوى وقوله ان تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله وهذا نهاية فى التحذير من التفريط وقوله أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة إعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير هو النهاية فى الوعيد والتهديد وقوله وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى نهاية فى الوعيد وقوله وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ

شواهدها نص صريح وهذا عدول عما تعبدنا بمعرفته من النظر فى القرآن واستنباط الاحكام كما قال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولو صح ماذهب اليه لم يعلم شىء بالاستنباط ولما فهم الأكثر من كتاب الله شيئا وان صح الحديث فتأويله ان من تكلم فى القرآن بمجرد رأيه ولم يعرج على سوى لفظه وأصاب الحق فقد أخطأ الطريق وأصابته اتفاق إذ الغرض انه بمجرد رأى لا شاهد له وفى الحديث القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه * أخرجه أبو نعيم وغيره من حديث ابن عباس فقوله ذلول يحتمل معنيين أحدهما انه مطيع لحامليه تنطق به ألسنتهم والثانى انه موضح لمعانيه حتى لا يقصر عنه افهام المجتهدين وقوله ذو وجوه يحتمل معنيين أحدهما ان من ألفاظه ما يحتمل وجوها من التأويل والثانى قد جمع وجوها من الاوامر والنواهى والترغيب والترهيب والتحريم وقوله فاحملوه على أحسن وجوهه يحتمل معنيين أحدهما الحمل على أحسن معانيه والثانى أحسن ما فيه من العزائم دون الرخص والعفو دون الانتقام وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد فى كتاب الله تعالى اه وقال أبو الليث النهى انما انصرف إلى المتشابه منه لا إلى جميعه كما قال تعالى فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه لان القرآن انما نزل حجة على الخلق فلو لم يجب التفسير لم تكن الحجة بالغة فاذا كان كذلك جاز لمن عرف لغات العرب وأسباب النزول أن يفسره وأما من لم يعرف وجوه اللغة فلا يجوز أن يفسره إلا بمقدار ما سمع فيكون ذلك على وجه الحكاية لا على وجه التفسير ولو أنه يعلم التفسير وأراد أن يستخرج من الآية حكما أو دليل الحكم فلا بأس ولو قال المراد كذا من غير أن يسمع فيه شيئا فلا يحل هو الذى نهى عنه وقال ابن الانبارى فى الحديث الاول حمله بعض أهل العلم على ان الرأى معنى به الهوى فمن قال فى القرآن قولا يوافق هواه فلم يأخذه عن أئمة السلف وأصاب فقد أخطأ لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله ولا يقف على مذاهب أهل الاثر والنقل فيه وقال فى الحديث الثانى له معنيان أحدهما من قال فى مشكل القرآن بما لا يعرف من مذاهب الاوائل من الصحابة والتابعين فهو متعرض لسخط الله تعالى والآخر وهو الاصح من قال فى القرآن قولا يعلم ان الحق غيره فليتبوأ مقعده من النار وقال البغوى والكواشى وغيرهما التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وبعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط غير محظور على العلماء بالتفسير كقوله تعالى انفروا خفافا وثقالا قيل شبابا وشيوخا وقيل أغنياء وفقراء وقيل عزابا ومتأهلين وقيل نشاطا وغير نشاط وقيل أصحاء ومرضى وكل ذلك سائغ والآية تحتمله وأما التأويل المخالف للآية والشرع فمحظور لانه تأويل الجاهلين مثل تأويل الروافض قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان انهما على وفاطمة يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يعنى الحسن والحسين وقال بعضهم اختلف الناس فى تفسير القرآن هل يجوز لكل أحد الخوض فيه فقال قوم لا يجوز لاحد أن يتعاطى تفسير شىء من القرآن وان كان عالما أديبا متسعا فى معرفة الأدلة والفقه والنحو والاخبار والآثار وليس له إلا أن ينتهى إلى ما روى عن النبى ﷺ فى ذلك ومنهم من قال يجوز تفسيره لمن كان جامعا للعلوم التى يحتاج المفسر اليها وهى خمسة عشر علما * أحدها اللغة لان بها يعرف شرح مفردات الالفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع قال مجاهد لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب وتقدم قول الامام مالك فى ذلك ولا يكفى فى حقه معرفة اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر * الثانى النحو لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الاعراب فلا بد من اعتباره * أخرج أبو عبيد عن الحسن انه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته فقال حسن فتعلمها فان الرجل يقرأ الآية فيعيى بوجهها فيهلك فيها * الثالث التصريف لان به تعرف الابنية والصيغ قال ابن فارس ومن فاته علمه فاته المعظم لان وجد مثلا

الأعين وأنتم فيها خالدون نهاية فى الترغيب وقوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض وكذلك قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا نهاية فى الحجاج وقوله وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير نهاية فى الدلالة على علمه بالخفيات ولا وجه للتطويل فان بيان الجميع فى الرفعة وكبر المنزلة على سواء وقد ذكرنا من قبل ان البيان يصح أن يتعلق به الاعجاز وهو معجز من القرآن وما حكينا عن صاحب الكلام من المبالغة فى اللفظ فليس ذلك بطريق الاعجاز لان الوجوه التى ذكرها قد تتفق فى كلام غيره وليس ذلك بمعجز بل قد يصح أن يقع فى المبالغة فى المعنى والصفة وجوه من اللفظ يثمر الاعجاز وتضمين المعانى أيضا قد يتعلق به الاعجاز إذا حصلت للعبارة طريق البلاغة فى أعلى درجتها وأما الفواصل فقد بينا أنه يصح أن يتعلق بها الاعجاز وكذلك قد بينا فى المقاطع

كلمة مبهمة فاذا صرفناها اتضحت بمصادرها وقال الزمخشري من بدع التفاسير قول من قال ان الامام في قوله تعالى يوم ندعوا كل أناس بامامهم جمع أم وان الناس يدعون يوم القيامة بامهاتهم دون آبائهم قال وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف فان أما لا تجمع على امام * الرابع الاشتقاق لان الاسم اذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح * الخامس * والسادس * والسابع المعاني والبيان والبديع لانه يعرف بالاول خواص تراكيب الكلام من جهة افادتها المعنى وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها وبالثالث وجوه تحسين الكلام وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة وهي من أعظم أركان المفسر لانه لا بد له من مراعاة مايقتضيه الاعجاز وانما يدرك بهذه العلوم وقال السكاكي اعلم أن شأن الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة ولا طريق الى تحصيله لغير ذوي الفطرة السليمة الا المتمرن على علمي المعاني والبيان وقال ابن الحديد اعلم أن معرفة الفصيح والافصح والرشيق والأرشق من الكلام أمر لا يدرك الا بالذوق ولا يمكن اقامة الدلالة عليه وهو بمنزلة جاريتين احداهما بيضاء مشربة بحمرة دقيقة الشفتين نقية الثغر كحلاء العين أسيلة الخد دقيقة الانف معتدلة القامة والاخرى دونها في هذه الصفات والمحاسن لكنها أحلى في العيون والقلوب منها ولا يدري سبب ذلك ولكنه يعرف بالذوق والمشاهدة ولا يمكن تعليله وهكذا الكلام نعم يبقى الفرق بين الوصفين ان حسن الوجوه وملاحتها وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة وأما الكلام فلا يدرك الا بالذوق وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة والفقه يكون من أهل الذوق وممن يصلح لانتقاد الكلام وانما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر وصارت لهم بذلك دراية وملكة تامة فالى أولئك ينبغي أن يرجع في معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض وقال الزمخشري من حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وماوقع به التحدي سليما من القادح وقال غيره معرفة هذه الصناعة باوضاعها هي عمدة التفسير المطلع على عجائب كلام الله تعالى وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة * الثامن علم القراآت لان به يعرف كيفية النطق بالقرآن وبالقراآت يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض * التاسع أصول الدين بما في القرآن من الآية الدالة بظاهرها على مالا يجوز على الله تعالى فالاصولي يؤول ذلك ويستدل على مايستحيل وما يجب وما يجوز * العاشر أصول الفقه اذ به يعرف وجه الاستدلال على الاحكام والاستنباط * الحادي عشر أسباب النزول والقصص اذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه * الثاني عشر الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره * الثالث عشر الفقه * الرابع عشر الاحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم * الخامس عشر علم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم واليه الاشارة بحديث من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم قال ابن أبي الدنيا وعلوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له قال فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسرا الا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسرا بالرأي المنهي عنه واذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرا بالرأي المنهي عنه قال والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب واستفادوا العلوم الاخرى من النبي صلى الله عليه وسلم * قلت ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول هذا شيء ليس في قدرة الانسان وليس كما ظننت من الاشكال والطريق في تحصيله ارتكاب الاسباب الموجبة له من العمل والزهد * قال في البرهان اعلم انه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو وهو مصر على ذنب أو غير متحقق بالايمان أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع الى معقوله وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض * قلت وفي هذا المعنى قوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين

والمطالع نحو هذا وبيناني تلاؤم الكلام ماسبق من صحة تعلق الاعجاز به والتصرف في الاستعارة البديعة يصح أن يتعلق به الاعجاز كما يصح مثل ذلك في حقائق الكلام لان البلاغة في كل واحد من البابين تجري مجرى واحدا وتأخذ مأخذا مفردا * وأما الايجاز والبسط فيصح أن يتعلق بهما اعجاز كما يتعلق بالحقائق والاستعارة والبيان في كل واحد منهما مالا يضبط حده ولا يقدر قدره ولا يمكن التوصل الى ساحل بحره بالتعلم ولا يتطرق الى غوره بالتسبب وكل مايمكن تعلمه ويتهيأ تلقنه ويمكن تخليصه ويستدرك أخذه فلا يجب أن يطلب وقوع الاعجاز به ولذلك قلنا ان السجع مما ليس يلتمس فيه الاعجاز لان ذلك أمر محدود وسبيل مورود ومتى تدرب الانسان به واعتاده لم يستصعب عليه أن يجعل جميع كلامه منه وكذلك التجنيس والتطبيق متى أخذ أحدهما وطلب وجههما استوفى ماشاء ولم يتعذر عليه أن يملأ

يتكبرون فى الارض بغير الحق قال سفيان بن عيينة يقول أنزع عنهم فهم القرآن أخرجه ابن أبى حاتم وقد أخرج ابن جرير وغيره من طرق عن ابن عباس قال التفسير أربعة أوجه وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير تعرفه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله تعالى ثم رواه مرفوعا بسند ضعيف بلفظ أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه الا الله تعالى ومن ادعى علمه سوى الله تعالى فهو كاذب قال الزركشى فى البرهان فى قول ابن عباس هذا تقسيم صحيح فاما الذى تعرفه العرب فهو الذى يرجع فيه الى لسانهم وذلك اللغة والاعراب فاما اللغة فعلى المفسر معرفة معانيها ومسميات أسمائها ولا يلزم ذلك القارىء ثم ان كان ما يتضمنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم كفى فيه خبر الواحد والاثنين والاستشهاد بالبيت والبيتين وان كان يوجب العلم لم يكف ذلك بل لا بد أن يستفيض ذلك اللفظ وتكثر شواهده من الشعر وأما الاعراب فما كان اختلافه محيلا للمعنى وجب على المفسر والقارىء تعلمه ليوصل المفسر الى معرفة الحكم ويسلم القارىء من اللحن وان لم يكن محيلا للمعنى وجب تعلمه على القارىء ليسلم من اللحن ولا يجب على المفسر لوصوله الى المقصود بدونه وأما ما لا يعذر أحد بجهله فهو ما تتبادر الافهام الى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الاحكام ودلائل التوحيد وكل لفظ أفاد معنى واحدا جليا يعلم انه مراد الله تعالى فهذا القسم لا يلتبس تأويله اذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى فاعلم انه لا إله الا الله وانه لا شريك له فى الالهية وان لم يعلم أن لا موضوعة فى اللغة للنفى والا للاثبات وان مقتضى هذه الكلمة الحصر ويعلم كل أحد بالضرورة ان مقتضى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ونحوه طلب ايجاب المأمور به وان لم يعلم ان صيغة افعل للوجوب فما كان من هذا القسم لا يعذر أحد بدعى الجهل بمعانى ألفاظه لانها معلومة لكل أحد بالضرورة وأما ما لا يعلمه الا الله تعالى فهو ما يجرى مجرى الغيوب نحو الآى المتضمنة لقيام الساعة وتفسير الروح والحروف المقطعة وكل متشابه فى القرآن عند أهل الحق فلا مساغ للاجتهاد فى تفسيره ولا طريق الى ذلك الا بالتوقيف بنص من القرآن أو الحديث أو اجماع الامة على تأويله وأما ما يعلمه العلماء ويرجع الى اجتهادهم فهو الذى يغلب عليه اطلاق التأويل وذلك استنباط الاحكام وبيان المجمل وتخصيص العموم وكل لفظ احتمل معنيين فصاعدا فهو الذى لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأى فان كان أحد المعنيين أظهر وجب الحمل عليه الا أن يقوم دليل على أن المراد هو الخفى وان استويا والاستعمال فيهما حقيقة لكن فى أحدهما حقيقة لغوية أو عرفية وفى الآخر شرعية فالحمل على الشرعية أولى الا ان يدل دليل على ارادة اللغوية كما فى وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم ولو كان فى أحدهما عرفية والآخر لغوية فالحمل على العرفية أولى وان اتفقا فى ذلك أيضا فان تنافى اجتماعهما ولم يمكن ارادتهما باللفظ الواحد كالقرء للحيض والطهر اجتهد فى المراد منهما بالامارات الدالة عليه فما ظنه فهو مراد الله تعالى فى حقه وان لم يظهر له شىء فهل يتخير فى الحمل على أيهما شاء ويأخذ بالاغلظ حكما أو بالاخف أقوال وإن لم يتنافيا وجب الحمل عليهما عند المحققين ويكون ذلك أبلغ فى الاعجاز والفصاحة الا أن دل دليل على ارادة أحدهما اذا عرف ذلك فينزل حديث من تكلم القرآن برأيه على قسمين من هذه الاربعة أحدهما تفسير اللفظ لاحتياج المفسر له الى التبحر فى معرفة لسان العرب والثانى حمل اللفظ المحتمل على أحد معنييه لاحتياج ذلك الى معرفة انواع من العلوم التبحر فى العربية واللغة ومن الاصول ما يدرك به حدود الاشياء وصيغ الامر والنهى والخبر والمجمل والمبين والعموم والخصوص والمطلق والمقيد والمحكم والمتشابه والظاهر والمؤول والحقيقة والمجاز والصريح والكناية ومن الفروع ما يدرك به الاستنباط هذا أقل ما يحتاج اليه ومع ذلك فهو على خطر فعليه أن يقول يحتمل كذا ولا

يجزم

حطا به منه كما أولع بذلك أبو تمام والبحترى وان كان البحترى أشغف بالمطابق وأقل طلبا للمجانس * فان قال قائل هلا قلت ان هذين البابين يقع فيهما مرتبة عالية لا يوصل اليها بالتعلم ولا تنال بالتعمل كما ذكرتم فى البيان وغير ذلك قلنا لو عمد الى كتاب الاجناس ونظر فى كتاب العين لم يتعذر عليه التجنيس الكثير فاما الاطباق فهو أقرب منه وليس كذلك البيان والوجوه التى رأينا الاعجاز فيها لانها لا تستوفى بالتعلم فان قيل فالبيان قد يتعلم * قيل ان الذى يمكن ان يتوصل اليه بالتعلم يتفاوت فيه الناس وتتناهى فيه العادات وهو كما يعلم من مقادير القوى فى حمل الثقيل وان الناس يتقاربون فى ذلك فيرمون فيه الى حد فاذا تجاوزوه وقفوا بعده ولم يمكنهم التخطى ولم يقدروا على التعدى الا ان يحصل ما يخرق العادة وينقض العرف ولن يكون ذلك الا للدلالة على النبوات على شروط فى ذلك والقدر الذى يفوت الحد فى البيان ويتجاوز الوهم

يجزم إلا فى حكم اضطر إلى الفتوى به فأدى اجتهاده اليه فيجزم مع تجويز خلافه اه وقال ابن النقيب جملة ما تحصل فى معنى حديث التفسير بالرأى خمسة أقوال * أحدها التفسير من غير حصول العلوم التى يجوز معها التفسير * الثانى تفسير المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله * والثالث التفسير المقرر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلا والتفسير تابعا فيرد اليه بأى طريق أمكن وان كان ضعيفا * الرابع التفسير أن مراد الله كذا على القطع من غير دليل * الخامس التفسير بالاستحسان والهوى ثم قال واعلم أن علوم القرآن ثلاثة أقسام الأول علم لم يطلع الله عليه أحدا من خلقه وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته وغيوبه التى لا يعلمها إلا هو وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه بوجه من الوجوه اجماعا الثانى ما اطلع الله عليه نبيه من أسرار الكتاب واختصه به وهذا لا يجوز الكلام فيه إلا له صلى الله عليه وسلم أو لمن أذن له قال وأوائل السور من هذا القسم وقيل من القسم الأول * الثالث علوم علمها الله نبيه مما أودع كتابه من المعانى الجلية والخفية وأمره بتعليمها وهذا ينقسم إلى قسمين منه ما لا يجوز الكلام فيه الا بطريق السمع وهو أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراآت واللغات وقصص الأمم الماضية وأخبار ما هو كائن من الحوادث وأمور الحشر والمعاد ومنه ما يؤخذ بطريق النظر والاستدلال والاستنباط والاستخراج من الألفاظ وهو قسمان قسم اختلفوا فى جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات فى الصفات وقسم اتفقوا عليه وهو استنباط الأحكام الاصلية والفرعية والاعرابية لان مبناها على الاقيسة وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والاشارات لا يمتنع استنباطها منه واستخراجها لمن له أهلية انتهى ملخصا * وقال أبو حيان ذهب بعض من عاصرناه الى ان علم التفسير مضطر الى النقل فى فهم معانى تركيبه بالاسناد الى مجاهد وطاوس وعكرمة واضرابهم وان فهم الآيات يتوقف على ذلك قال وليس كذلك وقال الزركشي بعد حكاية ذلك الحق ان علم التفسير منه ما يتوقف على النقل كسبب النزول والنسخ وتعيين المبهم وتبيين المجمل ومنه ما لا يتوقف ويكفى فى تحصيله الثقة على الوجه المعتبر قال وكان السبب فى اصطلاح كثير على التفرقة بين التفسير والتأويل التمييز بين المنقول والمستنبط ليحيل على الاعتماد فى المنقول وعلى النظر فى المستنبط قال واعلم أن القرآن قسمان قسم ورد تفسيره بالنقل وقسم لم يرد والاول اما أن يرد عن النبى ﷺ أو الصحابة أو رؤس التابعين فالاول يبحث فيه عن صحة السند والثانى ينظر فى تفسير الصحابى فان فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك فى اعتماده أو بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه وحينئذ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة فان أمكن الجمع فذاك وان تعذر قدم ابن عباس لأن النبى صلى الله عليه وسلم بشره بذلك حيث قال اللهم علمه التأويل وقد رجح الشافعى قول زيد فى الفرائض لحديث افرضكم زيد * وأما ما ورد عن التابعين فحيث جاز الاعتماد فيما سبق فكذلك والا وجب الاجتهاد * وأما ما لم يرد فيه نقل فهو قليل وطريق التوصل الى فهمه النظر الى مفردات الالفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق وهذا يعتنى به الراغب كثيرا فى كتاب المفردات فيذكر قيدا زائدا على أهل اللغة فى تفسير مدلول اللفظ لانه اقتضاه السياق اه * قلت وقد جمعت كتابا مسندا فيه تفاسير النبى ﷺ والصحابة فيه بضعة عشر ألف حديث ما بين مرفوع وموقوف وقد تم ولله الحمد فى أربع مجلدات وسميته ترجمان القرآن ورأيت وأنا فى أثناء تصنيفه النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فى قصة طويلة تحتوى على بشارة حسنة ﴿تنبيه﴾ من المهم معرفة التفاسير الواردة عن الصحابة بحسب قراءة مخصوصة وذلك أنه قد يرد عنهم تفسير ان فى الآية الواحدة مختلفان فيظن اختلافا وليس باختلاف وانما كل تفسير على قراءة وقد تعرض السلف لذلك * فاخرج ابن جرير فى قوله تعالى لقالوا انما سكرت أبصارنا من طرق عن ابن عباس وغيره ان سكرت بمعنى سدت ومن طرق أنها

ويشذ عن الصنعة ويقذفه الطبع فى النادر القليل كالبيت البديع والقطعة الشريفة التى تتفق فى ديوان شاعر والفقرة تتفق فى لسان كاتب حتى يكون الشاعر ابن بيت وبيتين أو قطعة أو قطعتين والأديب شهيد كلمة أو كلمتين وذلك أمر قليل ولو كان كلامه كله يطرد على ذلك المسلك ويستمر على ذلك المنهج أمكن ان يدعى فيه الاعجاز ولكنك ان كنت من أهل الصنعة تعلم قلة الأبيات الشوارد والكلمات الفرائد وأمهات القلائد فان أردت أن تجد قصيدة كلها وحشية وأردت أن تراها مثل بيت من أبياتها مرضية لم تجد ذلك فى الدواوين ولم تظفر بذلك إلى يوم الدين ونحن لم ننكر أن يستدرك البشر كلمة شريفة ولفظة بديعة وانما أنكرنا ان يقدروا على مثل نظم سورة أو نحوها وأحلنا أن يتمكنوا من حد فى البلاغة ومقدار فى الخطابة وهذا كما قلناه من أن صورة الشعر قد تتفق فى القرآن وان لم يكن له حكم الشعر فأما قدر

بمعنى أخذت ثم أخرج عن قتادة قال من قرأ سكرت مشددة فانما يعنى سدت ومن قرأ سكرت مخففة فانه يعنى سحرت وهذا الجمع من قتادة نفيس بديع ومثله قوله تعالى سرابيلهم من قطران * أخرج ابن جرير عن الحسن أنه الذى تهنأ به الابل * وأخرج من طرق عنه وعن غيره أنه النحاس المذاب وليسا بقولين وانما الثانى تفسير لقراءة من قطرآن بتنوين قطر وهو النحاس وآن شديدا لحر كما أخرجه ابن أبى حاتم هكذا عن سعيد بن جبير وأمثلة هذا النوع كثيرة والكافل ببيانها كتابنا أسرار التنزيل وقد خرجت على هذا قديما الاختلاف الوارد عن ابن عباس وغيره فى تفسير آية أولامستم هل هو الجماع أو الجس باليد * فالأول تفسير لقراءة لامستم * والثانى لقراءة لمستم ولا اختلاف ﴿فائدة﴾ قال الشافعى رضى الله عنه فى مختصر البويطى لا يحل تفسير المتشابه الا بسنة عن رسول الله ﷺ أو خبر عن أحد من أصحابه أو اجماع العلماء هذا نصه

﴿فصل﴾ وأما كلام الصوفية فى القرآن فليس بتفسير قال ابن الصلاح فى فتاويه وجدت عن الامام أبى الحسن الواحدى المفسر أنه قال صنف أبو عبد الرحمن السلمى حقائق التفسير فان كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر قال ابن الصلاح وأنا أقول الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيئا من ذلك أنه لم يذكره تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة فانه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية وانما ذلك منهم لنظير ما ورد به القرآن فان النظير يذكر بالنظير ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الايهام والالباس * وقال النسفى فى عقائده النصوص على ظاهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن الحاد قال التفتازانى فى شرحه سميت الملاحدة باطنية لادعائهم ان النصوص ليست على ظاهرها بل لها معان باطنية لا يعرفها إلا المعلم وقصدهم بذلك نفى الشريعة بالكلية قال وأما ما يذهب اليه بعض المحققين من ان النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها اشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الايمان ومحض العرفان * وسئل شيخ الاسلام سراج الدين البلقينى عن رجل قال فى قوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه ان معناه من ذل أى من الذل ذى اشارة إلى النفس يشف من الشفا جواب من ع أمر من الوعى فافتى بأنه ملحد وقد قال تعالى ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا قال ابن عباس هو أن يوضع الكلام على غير موضعه * أخرجه ابن أبى حاتم * فان قلت فقد قال الفريابى حدثنا سفيان عن يونس بن عبيد عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ لكل آية ظهر و بطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع * وأخرج الديلمى من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعا القرآن تحت العرش له ظهر و بطن يحاج العباد * وأخرج الطبرانى وأبو يعلى والبزار وغيرهم عن ابن مسعود موقوفا ان هذا القرآن ليس منه حرف إلا له حد ولكل حد مطلع * قلت أما الظهر والبطن ففى معناه أوجه أحدها أنك اذا بحثت عن باطنها وقسته على ظاهرها وقفت على معناها * والثانى أن ما من آية إلا عمل بها قوم ولها قوم سيعملون بها كما قاله ابن مسعود فيما أخرجه ابن أبى حاتم * الثالث ان ظاهرها لفظها و باطنها تأويلها * الرابع قال أبو عبيد وهو أشبهها بالصواب ان القصص التى قصها الله تعالى عن الامم الماضية وما عاقبهم به ظاهرها الاخبار بهلاك الأولين إنما هو حديث حدث به عن قوم و باطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعلهم فيحل بهم مثل ما حل بهم وحكى ابن النقيب قولا خامسا ان ظهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر و بطنها ما تضمنته من الأسرار التى اطلع الله عليها أرباب الحقائق ومعنى قوله ولكل حرف حد أى منتهى فيما أراد الله من معناه وقيل لكل حكم مقدار من الثواب والعقاب ومعنى قوله ولكل حد مطلع لكل غامض من المعانى والاحكام مطلع يتوصل به إلى معرفته ويوقف على المراد به وقيل كل ما يستحقه من الثواب والعقاب يطلع عليه فى الآخرة عند المجازاة وقال

المعجز فقد بينا انها السورة طالت أو قصرت و بعد ذلك خلاف من الناس من قال مقدار كل سورة أو أطول آية فهو معجز وعندنا كل واحد من الامرين معجز والدلالة عليه ما تقدم والبلاغة لا تتبين بأقل من ذلك فلذلك لم نحكم باعجازه وما صح ان تتبين فيه البلاغة ومحصولها الابانه فى الابلاغ عن ذات النفس على أحسن معنى وأجزل لفظ و بلوغ الغاية فى المقصود بالكلام فاذا بلغ الكلام غايته فى هذا المعنى كان بالغا و بليغا فاذا تجاوز حد البلاغة إلى حيث لا يقدر عليه أهل الصناعة وانتهى الى أمر يعجز عنه الكامل فى البراعة صح أن يكون له حكم المعجزات وجاز أن يقع موقع الدلالات وقد ذكرنا أنه بجنسه وأسلوبه مباين لسائر كلامهم تم بما يتضمن من تجاوزه فى البلاغة الحد الذى يقدر عليه البشر * فان قيل فاذا كان يجوز عندكم أن يتفق فى شعر الشاعر قطعة عجيبة شاردة تباين جميع ديوانه فى البلاغة ويقع فى ديوانه بيت واحد يخالف

بعضهم الظاهر التلاوة والباطن الفهم والحد أحكام الحلال والحرام والمطلع الاشراف على الوعد والوعيد * قلت يؤيد هذا ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال ان القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون لا تنقضي عجائبه ولا تبلغ غايته فمن أوغل فيه برفق نجا ومن أوغل فيه بعنف هوى أخبار وأمثال وحلال وحرام وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وظهر وبطن فظهره التلاوة وبطنه التأويل فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء * وقال ابن سبع في شفاء الصدور وردعن أبي الدرداء أنه قال لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوها وقال ابن مسعود من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن وهذا الذي قالاه لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر وقال بعض العلماء لكل آية ستون الف فهم فهذا يدل على أن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهي الادراك فيه بالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير لينتفي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط ولا يجوز التهاون في حفظ التفسير الظاهر بل لا بد منه أولا إذ لا يطمع في الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ الى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب اه * وقال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله في كتابه لطائف المنن * اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان ثم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه وقد جاء في الحديث لكل آية ظهر وبطن فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله فليس ذلك بإحالة وانما يكون احالة لو قالوا لا معنى للآية الا هذا وهم لم يقولوا ذلك بل يقرؤن الظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها و يفهمون عن الله تعالى ما أفهمهم

﴿فصل﴾ قال العلماء يجب على المفسر أن يجري في التفسير مطابقة المفسر وأن يتحرز في ذلك من نقص لما يحتاج اليه في إيضاح المعنى أو زيادة لا تليق بالغرض ومن كون المفسر فيه زيغ عن المعنى وعدول عن طريقه وعليه بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي ومراعاة التأليف والغرض الذي سيق له الكلام وأن يؤاخي بين المفردات و يجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الالفاظ المفردة فيتكلم عليها من جهة اللغة ثم التصريف ثم الاشتقاق ثم يتكلم عليها بحسب التركيب فيبدأ بالاعراب ثم بما يتعلق بالمعاني ثم البيان ثم البديع ثم يبين المعنى المراد ثم الاستنباط ثم الاشارة وقال الزركشي في أوائل البرهان قد جرت عادة المفسرين أن يبدؤا بذكر سبب النزول ووقع البحث في أنه أيهما أولى بالبداءة به لتقدم السبب على المسبب أو بالمناسبة لانها المصححة لنظم الكلام وهي سابقة على النزول قال والتحقيق التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقفا على سبب النزول كآية إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد وان لم يتوقف على ذلك فالاولى تقديم وجه المناسبة وقال في موضع آخر جرت عادة المفسرين ممن ذكر فضائل القرآن أن يذكرها في أول كل سورة لما فيها من الترغيب والحث على حفظها إلا الزمخشري فانه يذكرها في أواخرها * قال مجد الائمة عبد الرحيم بن عمر الكرساني سألت الزمخشري عن العلة في ذلك فقال لانها صفات لها والصفة تستدعي تقديم الموصوف وكثيرا ما يقع في كتب التفسير حكى الله كذا فينبغي تجنبه * قال الامام أبو النصر القشيري في المرشد قال معظم أئمتنا لا يقال كلام الله محكي ولا يقال حكى الله لان الحكاية الاتيان بمثل الشيء وليس لكلامه مثل وتساهل قوم فأطلقوا لفظ الحكاية بمعنى الاخبار وكثيرا ما يقع في كلامهم اطلاق الزائد على بعض الحروف وقد مر في نوع الاعراب وعلى المفسر أن يتجنب ادعاء التكرار ما أمكنه قال بعضهم مما يدفع توهم التكرار في

مألوف طبعه ولا يعرف سبب ذلك البيت ولا تلك القطعة في التفصيل ولو أراد أن يأتي بمثل ذلك و يجعل جميع كلامه من ذلك النمط لم يجد الى ذلك سبيلا وله سبب في الجملة وهو التقدم في الصنعة لانه يتفق من المتأخر فيها فهلا قلتم انه اذا بلغ في العلم بالصناعة مبالغة قصوى كان جميع كلامه من نمط وذلك البيت وسمت تلك القطعة وهلا قلتم ان القرآن من هذا الباب فالجواب انا لم نجد أحدا بلغ الحد الذي وصفتم في العادة وهذا الناس وأهل البلاغة أشعارهم عندنا محفوظة وخطبهم منقولة ورسائلهم مأثورة و بلاغاتهم مروية وحكمهم مشهورة وكذلك أهل الكهانة والبلاغة مثل قس بن ساعدة وسحبان وائل ومثل شق وسطيح وغيرهم كلامهم معروف عندنا وموضوع بين أيدينا لا يخفى علينا في الجملة بلاغة بليغ ولا خطابة خطيب ولا براعة شاعر مفلق ولا كتابة كاتب مدقق فلما لم نجد في شيء من ذلك ما يدانى القرآن في البلاغة أو يشاكله في الاعجاز مع

عطف المترادفين نحو لا تبق ولا تذر صلوات من ربهم ورحمة وأشباه ذلك أن يعتقد أن مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفراد أحدهما فان التركيب يحدث معنى زائدا واذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الالفاظ اه وقال الزركشي في البرهان ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له وان خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز وقال في موضع آخر على المفسر مراعاة مجازي الاستعمالات في الالفاظ التي يظن بها الترادف والقطع بعدم الترادف ما أمكن فان للتركيب معنى غير معنى الافراد ولهذا منع كثير من الاصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب وان اتفقوا على جوازه في الافراد اه وقال أبو حيان كثيرا ما يشحن المفسرون تفاسيرهم عند ذكر الاعراب بعلل النحو ودلائل مسائل أصول الفقه ودلائل مسائل الفقه ودلائل أصول الدين وكل ذلك مقرر في تأليف هذه العلوم وانما يؤخذ ذلك مسلما في علم التفسير دون استدلال عليه وكذلك أيضا ذكروا ما لا يصح من أسباب النزول وأحاديث في الفضائل وحكايات لا تناسب وتواريخ اسرائيلية ولا ينبغي ذكرها في علم التفسير ﴿فائدة﴾ قال ابن أبي جمرة عن علي رضي الله عنه انه قال لو شئت أن أوقر سبعين بعيرا من تفسير أم القرآن لفعلت وبيان ذلك أنه اذا قال الحمد لله رب العالمين يحتاج تبيين معنى الحمد وما يتعلق به الاسم الجليل الذي هو الله وما يليق به من التنزيه ثم يحتاج الى بيان العالم وكيفيته على جميع أنواعه وأعداده وهي ألف عالم أربعمائة في البر وستمائة في البحر فيحتاج الى بيان ذلك كله فاذا قال الرحمن الرحيم يحتاج الى بيان الاسمين الجليلين وما يليق بهما من الجلال وما معناهما ثم يحتاج الى بيان جميع الاسماء والصفات ثم يحتاج الى بيان الحكمة في اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين دون غيرهما فاذا قال مالك يوم الدين يحتاج الى بيان ذلك اليوم وما فيه من المواطن والأهوال وكيفية مستقره فاذا قال إياك نعبد وإياك نستعين يحتاج الى بيان المعبود من جلالته والعبادة وكيفيتها وصفتها وادائها على جميع أنواعها والعابد في صفته والاستعانة وادائها وكيفيتها فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة يحتاج الى بيان الهداية ما هي والصراط المستقيم وأضداده وتبيين المغضوب عليهم والضالين وصفاتهم وما يتعلق بهذا النوع وتبيين المرضي عنهم وصفاتهم وطريقتهم فعلى هذه الوجوه يكون ما قاله على من هذا القبيل

﴿النوع التاسع والسبعون * في غرائب التفسير﴾ ألف فيه محمود بن حمزة الكرماني كتابا في مجلدين سماه العجائب والغرائب ضمنه أقوالا ذكرت في معاني الآيات بنكرة لا يحل الاعتماد عليها ولا ذكرها إلا للتحذير منها * من ذلك قول من قال في حمسق ان الحاء حرب علي ومعاوية والميم ولاية المروانية والعين ولاية العباسية والسين ولاية السفيانية والقاف قدوة مهدي حكاه أبو مسلم ثم قال أردت بذلك أن يعلم أن فيمن يدعي العلم حمقى * ومن ذلك قول من قال في آلم معنى ألف ألف الله محمدا فبعثه نبيا ومعنى لام لامه الجاحدون وأنكروه ومعنى ميم ميم الجاحدون المنكرون من الموم وهو الرسام ومن ذلك قول من قال في ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب انه قصص القرآن واستدل بقراءة أبي الجوزاء ولكم في القصص وهو بعيد بل هذه القراءة أفادت معنى غير معنى القراءة المشهورة وذلك من وجوه اعجاز القرآن كما بينته في أسرار التنزيل * ومن ذلك ما ذكره ابن فورك في تفسيره في قوله ولكن ليطمئن قلبي ان ابراهيم كان له صديق وصفه بأنه قلبه أي ليسكن هذا الصديق الى هذه المشاهدة اذا رآها عيانا قال الكرماني وهذا بعيد جدا * ومن ذلك قول من قال في ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به انه الحب والعشق وقد حكاه الكواشي في تفسيره * ومن ذلك قول من قال في ومن شر غاسق اذا وقب انه الذكر اذا انتصب * ومن ذلك قول أبي معاذ النحوي في قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر ناريعني ابراهيم نارا أي نورا وهو محمد ﷺ فاذا أنتم منه توقدون نقتبسون الدين

ما وقع من التحدي اليه المدة الطويلة وتقدم من التقريع والمجازاة الأمد المديد وثبت له وحده خاصة قصب السبق والاستيلاء على الامر وعجز الكل عنه ووقفوا دونه حيارى يعرفون عجزهم وان جهل قوم سببه ويعلمون نقصهم وان أغفل قوم وجهه رأينا أنه ناقض للعادة ورأينا أنه خارق للمعروف في الحيلة وخرق العادة انما تقع بالمعجزات على وجه إقامة البرهان على النبوات وعلى أن من ظهرت عليه ووقعت موقع الهداية اليه صادق فيما يدعيه من نبوته ومحق في قوله ومصيب في هديه قد سادت له الحجة البالغة والكلمة التامة والبرهان النير والدليل البين

﴿فصل في حقيقة المعجز﴾ معنى قولنا إن القرآن معجز على أصولنا انه لا يقدر العباد عليه وقد ثبت أن المعجز الدال على صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يصح دخوله تحت قدرة العباد وانما ينفرد الله تعالى بالقدرة عليه ولا يجوز أن يعجز العباد عما تستحيل قدرتهم

﴿النوع الثمانون فى طبقات المفسرين﴾ اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعرى وعبد الله بن الزبير أما الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم على بن أبى طالب والرواية عن الثلاثة نزرة جدا وكان السبب فى ذلك تقدم وفاتهم كما أن ذلك هو السبب فى قلة رواية أبى بكر رضى الله عنه للحديث ولا أحفظ عن أبى بكر رضى الله عنه فى التفسير الا آثارا قليلة جدا لا تكاد تجاوز العشرة * وأما على فروى عنه الكثير وقد روى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبى الطفيل قال شهدت عليا يخطب وهو يقول سلونى فوالله لا تسألون عن شىء الا أخبركم وسلونى عن كتاب الله فوالله ما من آية الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل * وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود قال ان القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف الا وله ظهر وبطن وان على بن أبى طالب عنده منه الظاهر والباطن وأخرج أيضا من طريق أبى بكر بن عياش عن نصير بن سليمان الأحمسى عن أبيه عن على قال والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت ان ربى وهب لى قلبا عقولا ولسانا سؤلا * وأما ابن مسعود فروى عنه أكثر مما روى عن على وقد أخرج ابن جرير وغيره عنه أنه قال والذى لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله الا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله منى تناله المطايا لأتيته * وأخرج أبو نعيم عن أبى البحترى قال قالوا لعلى أخبرنا عن ابن مسعود قال علم القرآن والسنة ثم انتهى وكفى بذلك علما * وأما ابن عباس فهو ترجمان القرآن الذى دعا له النبى ﷺ اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وقال له أيضا اللهم آته الحكمة وفى رواية اللهم علمه الحكمة * وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر قال دعا رسول الله ﷺ لعبد الله ابن عباس فقال اللهم بارك فيه وانشر منه * وأخرج من طريق عبد المؤمن بن خالد عن عبد الله بن بريدة عن ابن عباس قال انتهيت الى النبى ﷺ وعنده جبريل فقال له جبريل انه كائن حبر هذه الأمة فاستوص به خيرا * وأخرج من طريق عبد الله بن حراش عن العوام بن حوشب عن مجاهد قال قال ابن عباس قال لى رسول الله ﷺ نعم ترجمان القرآن أنت * وأخرج البيهقى فى الدلائل عن ابن مسعود قال نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس * وأخرج أبو نعيم عن مجاهد قال كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه * وأخرج عن ابن الحنفية قال كان ابن عباس حبر هذه الأمة * وأخرج عن الحسن قال إن ابن عباس كان من القرآن بمنزل كان عمر يقول ذاكم فتى الكهول ان له لسانا سؤلا وقلبا عقولا * وأخرج من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رجلا أتاه يسأله عن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما فقال اذهب الى ابن عباس فاسأله ثم تعال اخبرنى فذهب فسأله فقال كانت السموات رتقا لا تمطر وكانت الارض رتقا لا تنبت ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات فرجع الى ابن عمر فأخبره فقال قد كنت أقول ما يعجبنى جراءة ابن عباس على تفسير القرآن فالآن قد علمت أنه أوتى علما * وأخرج البخارى من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد فى نفسه فقال لم يدخل هذا معنا وان لنا أبناء مثله فقال عمر إنه ممن علمتم فدعاهم ذات يوم فادخله معهم فما رأيت أنه دعانى فيهم يومئذ الا ليريهم فقال ما تقولون فى قول الله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لى أكذلك تقول يا ابن عباس فقلت لا فقال ما تقول فقلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال إذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر لا أعلم منها الا ما تقول * وأخرج أيضا من طريق ابن أبى مليكة عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب يوما لأصحاب النبى ﷺ فيمن ترون هذه الآية نزلت أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب قالوا الله أعلم فغضب عمر فقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن

عليه كما يستحيل عجزهم عن فعل الأجسام فنحن لا نقدر على ذلك وان لم يصح وصفنا بانا عاجزون عن ذلك حقيقة وكذلك معجزات سائر الأنبياء على هذا فلما لم يقدر عليه أحد شبه بما يعجز عنه العاجز وانما يقدر على العباد الاتيان بمثله لأنه لو صح أن يقدروا عليه بطلت دلالة المعجز وقد أجرى العادة أن يتعذر فعل ذلك منه وان لا يقدروا عليه ولو كان غير خارج عن العادة لأتوا بمثله أو عرضوا عليه من كلام فصحائهم وبلغائهم ما يعارضه فلما لم يشتغلوا بذلك علم أنهم فطنوا خروج ذلك عن أوزان كلامهم وأساليب نظامهم وزالت أطماعهم عنه وقد كنا بينا أن التواضع ليس يجب أن يقع على قول الشعر ووجوه النظم المستحسنة فى الأوزان المطربة للسمع ولا يحتاج فى مثله الى توقيف وانه يتبين أن مثل ذلك يجرى فى الخطاب فلما جرى فيه فطنوا له واختاروه وطلبوا أنواع الأوزان والقوافى ثم وقفوا على حسن ذلك وقدروا عليه بتوفيق الله عز وجل وهو الذى جمع خواطرهم

عباس فى نفسى منها شىء فقال يا ابن أخى قل ولا تحقر نفسك قال ابن عباس ضربت مثلا لعمل فقال عمر أى عمل قال ابن عباس لرجل غنى يعمل بطاعة الله ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله * وأخرج أبو نعيم عن محمد بن كعب القرظى عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب جلس فى رهط من المهاجرين من الصحابة فذكروا ليلة القدر فتكلم كل بما عنده فقال عمر مالك يا ابن عباس صامت لا تتكلم تكلم ولا تمنعك الحداثة قال ابن عباس فقلت يا أمير المؤمنين ان الله وتر يحب الوتر فجعل أيام الدنيا تدور على سبع وخلق أرزاقنا من سبع وخلق الانسان من سبع وخلق فوقنا سموات سبعا وخلق تحتنا أرضين سبعا وأعطى من المثانى سبعا ونهى فى كتابه عن نكاح الأقربين عن سبع وقسم الميراث فى كتابه على سبع ونقع فى السجود من أجسادنا على سبع فطاف رسول الله ﷺ بالكعبة سبعا وبين الصفا والمروة سبعا ورمى الجمار بسبع فأراها فى السبع أو الأخر من شهر رمضان فتعجب عمر فقال ما وافقنى فيها أحد إلا هذا الغلام الذى لم تستوشنون رأسه ثم قال يا هؤلاء من يؤدينى فى هذا كأداء ابن عباس * وقد ورد عن ابن عباس فى التفسير ما لا يحصى كثرة وفيه روايات وطرق مختلفة فمن جيدها طريق على بن أبى طلحة الهاشمى عنه قال أحمد بن حنبل بمصر صحيفة فى تفسير رواها على بن أبى طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ما كان كثيرا أسنده أبو جعفر النحاس فى ناسخه قال ابن حجر وهذه النسخة كانت عند أبى صالح كاتب الليث رواها عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وهى عند البخارى عن أبى صالح وقد اعتمد عليها فى صحيحه كثيرا فيما يعلقه عن ابن عباس * وأخرج منها ابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر كثيرا بوسائط بينهم وبين أبى صالح وقال قوم لم يسمع ابن أبى طلحة من ابن عباس التفسير وانما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير قال ابن حجر بعد ان عرفت الواسطة وهو ثقة فلا ضير فى ذلك وقال الخليلى فى الارشاد تفسير معاوية بن صالح قاضى الأندلس عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس رواه الكبار عن أبى صالح كاتب الليث عن معاوية وأجمع الحفاظ على ان ابن أبى طلحة لم يسمعه من ابن عباس قال وهذه التفاسير الطوال التى أسندوها الى ابن عباس غير مرضية ورواتها مجاهيل كتفسير جويبر عن الضحاك عن ابن عباس وعن ابن جريج فى التفسير جماعة رووا عنه وأطولها ما يرويه بكر بن سهل الدمياطى عن عبد الغنى بن سعيد عن موسى بن محمد عن ابن جريج وفيه نظر * وروى محمد بن ثور عن ابن جريج نحو ثلاثة أجزاء كبار وذلك صحيح وروى الحجاج بن محمد عن ابن جريج نحو جزء وذلك صحيح متفق عليه وتفسير شبل بن عباد المكى عن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قريب إلى الصحة وتفسير عطاء بن دينار يكتب ويحتج به وتفسير أبى روق نحو جزء صحيح وتفسير اسماعيل السدى يورده بأسانيد إلى ابن مسعود وابن عباس * وروى عن السدى الأئمة مثل الثورى وشعبة لكن التفسير الذى جمعه رواه أسباط بن نصر وأسباط لم يتفقوا عليه غير أن أمثل التفاسير تفسير السدى * فأما ابن جريج فانه لم يقصد الصحة وانما روى ما ذكر فى كل آية من الصحيح والسقيم وتفسير مقاتل بن سليمان فقاتل فى نفسه ضعفوه وقد أدرك الكبار من التابعين والشافعى أشار إلى أن تفسيره صالح انتهى كلام الارشاد وتفسير السدى أشار اليه بورد منه ابن جرير كثيرا من طريق السدى عن أبى مالك عن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة هكذا ولم يورد منه ابن أبى حاتم شيئا لأنه التزم أن يخرج أصح ما ورد والحاكم يخرج منه فى مستدركه أشياء ويصححه لكن من طريق مرة عن ابن مسعود وناس فقط دون الطريق الاول وقد قال ابن كثير إن هذا الاسناد يروى به السدى أشياء فيها غرابة ومن جيد الطرق عن ابن عباس طريق قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عنه وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين وكثيرا ما يخرج منها الفريابى والحاكم فى مستدركه * ومن ذلك طريق ابن اسحاق عن محمد بن أبى محمد مولى آل زيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد بن جبير عنه هكذا بالترديد وهى طريق جيدة وإسنادها حسن وقد أخرج منها

عليه وهداهم وبدا واعيهم اليه ولكنه أقدرهم على حد محدود وغاية فى العرف مضروبة لعله بانه سيجعل القرآن معجزا ودل على عظم شأنه بأنهم قدروا على ما بينا من التأليف وعلى ملوصفنا من النظم من غير توقيف ولا اقتضاء أثر ولا تحدى إليه ولا تقريع فلو كان هذا من ذلك القبيل أو من الجنس الذى عرفوه والفوه لم تزل أطماعهم عنه ولم يدهشوا عند وروده عليهم فكيف وقد أمهلهم وفسح لهم فى الوقت وكان يدعو اليه سنين كثيرة وقال عز من قائل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير وبظهور العجز عنه بعد طول التقريع والتحدى بان أنه خارج عن عاداتهم وانهم لا يقدرون عليه وقد ذكرنا أن العرب كانت تعرف ما يباين عاداتها من الكلام البليغ لأن ذلك طبعهم ولغتهم فلم يحتاجوا إلى تجربة عند سماع القرآن وهذا فى البلغاء منهم دون المتأخرين فى الصنعة والذى ذكرناه بذلك على أنه لا كلام أزيد فى قدر

ابن جرير وابن أبي حاتم كثيرا وفي معجم الطبراني الكبير منها أشياء وأوهى طرقه طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فان انضم الى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب وكثيرا ما يخرج منها الثعلبي والواحدي لكن قال ابن عدي في الكامل للكلبي أحاديث صالحة وخاصة عن أبي صالح وهو معروف بالتفسير وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشبع وبعده مقاتل بن سليمان الا أن الكلبي يفضل عليه لما في مقاتل من المذاهب الردية وطريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس منقطعة فان الضحاك لم يلقه فان انضم الى ذلك رواية بشر بن عمارة عن أبي روق عنه فضعيفة لضعف بشر وقد أخرج من هذه النسخة كثيرا ابن جرير وابن أبي حاتم وان كان من رواية جويبر عن الضحاك فأشد ضعفا لان جويبرا شديدا لضعف متروك ولم يخرج ابن جرير ولا ابن أبي حاتم من هذا الطريق شيئا إنما خرجها ابن مردويه وأبو الشيخ ابن حبان وطريق العوفي عن ابن عباس أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيرا والعوفي ضعيف ليس بواه وربما حسن له الترمذي * ورأيت عن فضائل الامام الشافعي لأبي عبد الله بن أحمد بن شاكر القطان انه أخرج بسنده من طريق ابن عبد الحكم قال سمعت الشافعي يقول لم يثبت عن ابن عباس في التفسير الا شبيه بمائة حديث * وأما أبي بن كعب فعنه نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عنه وهذا إسناد صحيح وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم منها كثيرا وكذا الحاكم في مستدركه وأحمد في مسنده وقد ورد عن جماعة من الصحابة غير هؤلاء اليسير من التفسير كأنس وأبي هريرة وابن عمرو جابر وأبي موسى الأشعري وورد عن عبد الله بن عمرو بن العاصي أشياء تتعلق بالقصص وأخبار الفتن والآخرة وما أشبهها بأن يكون ما تحمله عن أهل الكتاب كالذي ورد عنه في قوله تعالى في ظلل من الغمام وكتابنا الذي أشرنا اليه جامع لجميع ما ورد عن الصحابة من ذلك طبقة التابعين قال ابن تيمية أعلم الناس بالتفسير أهل مكة لانهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس وغيرهم وكذلك في الكوفة أصحاب ابن مسعود وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد ومالك ابن أنس اه فمن المبرزين منهم مجاهد قال الفضل بن ميمون سمعت مجاهدا يقول عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة وعنه أيضا قال عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية منه وأسأله عنها فيما نزلت وكيف كانت وقال خصيف كان أعلمهم بالتفسير مجاهد * وقال النووي اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به قال ابن تيمية ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم * قلت وغالب ما أورده الفريابي في تفسيره عنه وما أورده فيه عن ابن عباس أو غيره قليل جدا ومنهم سعيد بن جبير قال سفيان الثوري خذوا التفسير عن أربعة عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك وقال قتادة كان أعلم التابعين أربعة كان عطاء ابن أبي رباح أعلمهم بالمناسك وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير وكان عكرمة أعلمهم بالسير وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام ومنهم عكرمة مولى ابن عباس قال الشعبي ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة وقال سماك ابن حرب سمعت عكرمة يقول لقد فسرت ما بين اللوحين وقال عكرمة كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبل ويعلمني القرآن والسنن * وأخرج ابن أبي حاتم عن سماك قال قال عكرمة كل شيء أحدثكم في القرآن فهو عن ابن عباس ومنهم الحسن البصري وعطاء بن أبي رباح وعطاء بن أبي سلمة الخراساني ومحمد بن كعب القرظي وأبو العالية والضحاك بن مزاحم وعطية العوفي وقتادة وزيد بن أسلم ومرة الهمداني وأبو مالك ويليهم الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في

وكل من جوز أن يكون للبشر قدرة على أن يأتوا بمثله في البلاغة لم يمكنه أن يعرف أن القرآن معجز بحال ولو لم يكن جرى في العلوم انه سيجعل القرآن معجزا لكان يجوز أن تجري عادات الأولين وأخبار المرسلين وكذلك لا يوجد خلف فيما يتضمنه من الاخبار عن الغيوب وعن الحوادث التي أنبأ أنها تقع في الثاني فلا يخرج من أن يكون متأولا على ما يقتضيه نظام الخطاب من أنه لا يأتيه ما يبطله من شبهة سابقة تقدح في معجزاته أو تعارضه في طريقه وكذلك لا يأتيه من بعده قط أمر يشكك في وجه دلالته واعجازه وهذا أشبه بسياق الكلام ونظامه ثم قال ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي فأخبر أنه لو كان أعجميا لكانوا يحتجون في رده إما بأن ذلك خارج عن عرف خطابهم وكانوا يعتذرون بذلها بهم عن معرفة معناه وبأنهم لا يتبينون لهم وجه الاعجاز فيه لانه ليس من شأنهم ولا من لسانهم أو بغير ذلك من الأمور وانه اذا تحداهم الى ما هو من لسانهم

آخرين فهؤلاء قدماء المفسرين وغالب أقوالهم تلقوها عن الصحابة ثم بعد هذه الطبقة ألفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين كتفسير سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج ويزيد بن هرون وعبد الرزاق وآدم بن أبي إياس واسحق بن راهويه وروح بن عبادة وعبد بن حميد وسعيد وأبي بكر بن أبي شيبة وآخرين * وبعدهم ابن جرير الطبري وكتابه أجل التفاسير وأعظمها ثم ابن أبي حاتم وابن ماجه والحاكم وابن مردويه وأبو الشيخ ابن حبان وابن المنذر في آخرين وكلها مسندة الى الصحابة والتابعين وأتباعهم وليس فيها غير ذلك إلا ابن جرير فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوقها بذلك ثم ألف في التفسير خلائق فاختصروا الاسانيد ونقلوا الأقوال تترى فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل ثم صار كل من يسنح له قول يورده ومن يخطر بباله شيء يعتمده ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظانا أن له أصلا غير ملتفت الى تحرير ما ورد عن السلف الصالح ومن يرجع اليهم في التفسير حتى رأيت من حكى في تفسير قوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين نحو عشرة أقوال وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبي ﷺ وجميع الصحابة والتابعين وأتباعهم حتى قال ابن أبي حاتم لا أعلم في ذلك اختلافا بين المفسرين ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في علوم فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه فالنحوي تراه ليس له هم الا الاعراب وتكثير الاوجه المحتملة فيه ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي في البسيط وأبي حيان في البحر والنهر والاخباري ليس له شغل إلا القصص واستيفاءها والاخبار عمن سلف سواء كانت صحيحة أو باطلة كالثعلبي والفقيه يكاد يسرد فيه الفقه من باب الطهارة الى امهات الاولاد وربما استطرد الى إقامة أدلة الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالآية والجواب عن أدلة المخالفين كالقرطبي وصاحب العلوم العقلية خصوصا الامام فخر الدين قد ملأ تفسيره باقوال الحكماء والفلاسفة وشبههما وخرج من شيء الى شيء حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية قال أبو حيان في البحر جمع الامام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ولذلك قال بعض العلماء فيه كل شيء الا التفسير والمبتدع ليس له قصد إلا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد بحيث انه متى لاح له شاردة من بعيد اقتنصها أو وجد موضعا له فيه أدنى مجال سارع اليه قال البلقيني استخرجت من الكشاف اعتزالا بالمناقيش من قوله تعالى في تفسير فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وأي فوز أعظم من دخول الجنة أشار به الى عدم الرؤية والملحد فلا تسأل عن كفره وإلحاده في آيات الله وافترائه على الله ما لم يقله كقول بعضهم في إن هي الا فتنتك ما على العباد أضر من ربهم وكقوله في سحرة موسى ما قال وقول الرافضة أمركم أن تذبحوا بقرة ما قالوا وعلى هذا وأمثاله يحمل ما أخرجه أبو يعلى وغيره عن حذيفة أن النبي ﷺ قال ان في أمتي قوما يقرؤن القرآن ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على غير تأويله * فان قلت فاي التفاسير ترشد اليه وتأمر الناظر أن يعول عليه * قلت تفسير الامام أبي جعفر بن جرير الطبري الذي اجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلف في التفسير مثله قال النووي في تهذيبه كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله وقد شرعت في تفسير جامع لجميع ما يحتاج اليه من التفاسير المنقولة والأقوال المقولة والاستنباطات والاشارات والاعاريب واللغات ونكت البلاغة ومحاسن البدائع وغير ذلك بحيث لا يحتاج معه الى غيره أصلا وسميته بمجمع البحرين ومطلع البدرين وهو الذي جعلت هذا الكتاب مقدمة له والله أسأل أن يعين على إكماله بمحمد وآله واذ قد انتهى بنا القول فيما أردناه من هذا الكتاب فلنختمه بما ورد عن النبي ﷺ من التفاسير المصرح برفعها اليه غير ما ورد

وشأنهم فعجزوا عنه وجبت الحجة عليهم به على ما نبينه في وجه هذا الفصل الى أن قال قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد والذي ذكرنا من نظم هاتين السورتين ينبه على غيرهما من السور فكرهنا سرد القول فيها فليتأمل المتأمل ما دللناه عليه يجده كذلك ثم مما يدل على هذا قوله عز وجل وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إنما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فاخبر أن الكتاب آية من آياته وعلم من أعلامه وان ذلك يكفي في الدلالة ويقوم مقام معجزات غيره وآيات سواه من الانبياء صلوات الله عليهم ويدل عليه قوله عز وجل تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقوله أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته فدل على انه جعل قلبه مستودعا لوحيه ومستنزلا لكتابه وانه لو شاء صرف ذلك الى غيره وكان له حكم دلالته على تحقيق الحق وابطال الباطل مع صرفه عنه

من أسباب النزول لتستفاد فانها من المهمات (الفاتحة) اخرج أحمد والترمذى وحسنه وابن حبان فى صحيحه عن عدى بن حبان قال قال رسول الله ﷺ ان المغضوب عليهم هم اليهود وان الضالين النصارى * وأخرج ابن مردويه عن أبى ذر سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن المغضوب عليهم قال اليهود قلت الضالين قال النصارى (البقرة) أخرج ابن مردويه فى مستدركه وصححه من طريق أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ فى قوله ولهم فيها أزواج مطهرة قال من الحيض والغائط والنخامة والبزاق قال ابن كثير فى تفسيره فى إسناده الربعى قال فيه ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به قال فى تصحيح الحاكم له نظر ثم رأيته فى تاريخه قال انه حديث حسن * وأخرج ابن جرير بسند رجاله ثقات عن عمرو بن قيس الملائى عن رجل من بنى أمية من أهل الشام أحسن عليه الثناء قال قيل يارسول الله ما العدل قال العدل الفدية مرسل جيد عضده اسناد متصل عن ابن عباس موقوفا * وأخرج الشيخان عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على استاههم وقالوا حبة فى شعرة فيه تفسير قوله قولا غير الذى قيل لهم * وأخرج الترمذى وغيره بسند حسن عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال ويل وادفى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره * وأخرج أحمد بهذا السند عن أبى سعيد عن رسول الله ﷺ قال كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة * وأخرج الخطيب فى الرواية بسند فيه مجاهيل عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبى ﷺ فى قوله يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه * وأخرج ابن مردويه بسند ضعيف عن على بن أبى طالب عن النبى ﷺ فى قوله لا ينال عهدى الظالمين قال لا طاعة الا فى المعروف له شاهد أخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عباس موقوفا بلفظ ليس لظالم عليك عهد أن تطيعه فى معصية الله * وأخرج أحمد والترمذى والحاكم وصححاه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ فى قوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال عدلا * وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال يدعى نوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمته قال فذلك قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ويشهد عليكم قوله والوسط العدل مرفوع غير مدرج نبه عليه ابن حجر فى شرح البخارى * وأخرج أبو الشيخ والديلمى فى مسند الفردوس من طريق جبير عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ فى قوله فاذكرونى أذكركم يقول اذكرونى يامعشر العباد بطاعتى أذكركم بمغفرتى * وأخرج الطبرانى عن أبى أمامة قال انقطع قبال النبى ﷺ فاسترجع فقالوا مصيبة يارسول الله فقال ما أصاب المؤمن مما يكرهه فهو مصيبة له شواهد كثيرة * وأخرج ابن ماجه وابن أبى حاتم عن البراء بن عازب قال كنا فى جنازة مع النبى ﷺ فقال ان الكافر يضرب ضربة بين عينيه فيسمعها كل دابة غير الثقلين فتلعنه كل دابة سمعت صوته فذلك قول الله ويلعنهم اللاعنون يعنى دواب الأرض * وأخرج الطبرانى عن أبى أمامة قال قال ﷺ فى الحج أشهر معلومات قال شوال وذو القعدة وذو الحجة * وأخرج الطبرانى بسند لا بأس به عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج قال الرفث التعرض للنساء بالجماع والفسوق المعاصى والجدال جدال الرجل صاحبه * أخرج أبو داود عن عطاء أنه سئل عن اللغو فى اليمين فقال قالت عائشة إن رسول الله ﷺ قال هو كلام الرجل فى بيته كلا والله وبلى والله أخرجه البخارى موقوفا عليها

ولذلك اشباه كثيرة تدل نحو الدلالة التى وصفناها فبان بهذا وبنظائره ماقلناه من أن نبأ نبوته صلى الله عليه وسلم على دلالة القرآن ومعجزته وصار له من الحكم فى دلالته على نفسه وصدقه انه يمكن أن يعلم أنه كلام الله تعالى وفارق حكمه حكم غيره من الكتب المنزلة على الانبياء لأنها لا تدل على أنفسها الا بأمر زائد ووصف منضاف اليها لأن نظمها ليس معجزا وان كان مايتضمنه من الأخبار عن الغائبات والغيوب معجزا وليس كذلك القرآن لانه يشاركها فى هذه الدلالة ويزيد عليها فى أن نظمه معجز فيمكن أن يستدل به عليه وحل فى هذا من أوجه محل سماع الكلام من القديم سبحانه لأن موسى عليه السلام لما سمع كلامه علم أنه فى الحقيقة كلامه وكذلك من يسمع القرآن يعلم أنه كلام الله وان اختلف الحال فى ذلك البشر بقدر زائد على ما ألفوه من البلاغة وأمر يفوق ماعرفوه من الفصاحة وأما نظم القرآن فقد قال أصحابنا فيه ان الله تعالى يقدر على نظم القرآن الرتبة التى لا مزيد عليها فقد قال

* وأخرج أحمد وغيره عن أبي رزين الاسدي قال قال رجل يارسول الله أرأيت قول الله الطلاق مرتان فأين الثالثة قال التسريح باحسان الثالثة * وأخرج ابن مردويه عن أنس قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يارسول الله ذكر الله الطلاق مرتين فأين الثالثة قال فامساك بمعروف أو تسريح باحسان * وأخرج الطبراني بسند لا بأس به من طريق أبي لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال الذي بيده عقدة النكاح الزوج * وأخرج الترمذي وابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ الصلاة الوسطى صلاة العصر * وأخرج أحمد والترمذي وصححه عن سمرة ان رسول الله ﷺ قال صلاة الوسطى صلاة العصر * وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ الصلاة الوسطى صلاة العصر * وأخرج أيضا عن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله ﷺ الصلاة الوسطى صلاة العصر وله طرق أخرى وشواهد * وأخرج الطبراني عن علي عن رسول الله ﷺ قال السكينة ريح خجوج * وأخرج ابن مردويه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا في قوله يؤتي الحكمة من يشاء قال القرآن قال ابن عباس يعني تفسيره فانه قد قرأه البر والفاجر ﴿ آل عمران ﴾ أخرج أحمد وغيره عن أبي امامة عن النبي ﷺ في قوله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه قال هم الخوارج وفي قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قال هم الخوارج * وأخرج الطبراني وغيره عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ سئل عن الراسخين في العلم فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه وعف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم * وأخرج الحاكم وصححه عن أنس قال سئل رسول الله ﷺ عن قول الله والقناطير المقنطرة قال القنطار ألف أوقية * وأخرج أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ القنطار اثنا عشر ألف أوقية * وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها قال اما من في السموات فالملائكة وأما من في الأرض فمن ولد على الاسلام واما كرها فمن أتى به من سبايا الأمم في السلاسل والاغلال يقادون إلى الجنة وهم كارهون * وأخرج الحاكم وصححه عن أنس أن رسول الله ﷺ سئل عن قول الله تعالى من استطاع اليه سبيلا ما السبيل قال الزاد والراحلة * وأخرج الترمذي مثله من حديث ابن عمر وحسنه * وأخرج عبد بن حميد في تفسيره عن نفيع قال قال رسول الله ﷺ ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين فقام رجل من هذيل فقال يارسول الله من تركه فقد كفر قال من تركه لا يخاف عقوبته ولا يرجو ثوابه * نفيع تابعي والاسناد مرسل وله شاهد موقوف على ابن عباس * وأخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ في قوله اتقوا الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى * وأخرج ابن مردويه عن أبي جعفر الباقر قال قرأ رسول الله ﷺ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ثم قال الخير اتباع القرآن وسنتي معضل * وأخرج الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف عن ابن عمر عن النبي ﷺ في قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قال تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدع وأخرج الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ في قوله مسومين قال معلمين وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سودا ويوم أحد عمائم حمرا * وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا هذه الآية ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية ﴿ النساء ﴾

اخرج

خالفونا ان هذا غير ممتنع لان فيه من الكلمات الشريفة الجامعة للمعاني البديعة وانضاف إلى ذلك حسن الموقع فيجب أن يكون قد بلغ النهاية لأنه عندهم وان زاد على ما في العادة فان الزائد عليها وان تفاوت فلا بد من أن ينتهي إلى حد لا مزيد عليه والذي نقول انه لا يمتنع أن يقال انه يقدر الله تعالى على أن يأتي بنظم أبلغ وأبدع من القرآن كله وأما قدرة العباد فهي متناهية في كل ما يقدرون عليه مما تصح قدرتهم عليه

﴿ فصل في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأمور تتصل بالاعجاز ﴾

ان قال قائل اذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب وقد قال هذا في حديث مشهور وهو صادق في قوله فهلا قلتم إن القرآن من نظمه لقدرته في الفصاحة على مقدار لا يبلغه غيره قيل قد علمنا أنه لم يعد اهم الى مثل قوله وفصاحته والقدر الذي بينه وبين كلام غيره من الفصحاء كقدر ما بين شعر الشاعرين وكلام الخطيبين في الفصاحة وذلك مما لا يقع

* أخرج ابن أبى حاتم وابن حبان فى صحيحه عن عائشة عن النبى ﷺ فى قوله ذلك أدنى ان لا تعولوا قال أن لا تجوروا قال ابن أبى حاتم قال أبى هذا حديث خطأ والصحيح عن عائشة موقوف * وأخرج الطبرانى بسند ضعيف عن ابن عمر قال قرىء عند عمر كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها فقال معاذ عندى تفسيرها تبدل فى ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت من رسول الله ﷺ * وأخرج الطبرانى بسند ضعيف عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فى قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال ان جازاه وأخرج الطبرانى وغيره بسند ضعيف عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ فى قوله فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله الشفاعة فيمن وجبت له النار ممن صنع اليهم المعروف فى الدنيا * وأخرج أبو داود فى المراسيل عن ابى سلمة بن عبد الرحمن قال جاء رجل إلى النبى ﷺ يسأله فسأله عن الكلالة فقال أما سمعت الآية التى أنزلت فى الصيف يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة فمن لا يترك ولدا ولا والدا افورثه كلالة مرسل * وأخرج أبو الشيخ فى كتاب الفرائض عن البراء سألت رسول الله ﷺ عن الكلالة فقال ماخلا الولد والوالد (المائدة) أخرج ابن أبى حاتم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال كانت بنوا اسرائيل اذا كان لأحدهم خادم ودابة وامراة كتب ملكاله شاهد من مرسل زيد بن أسلم عند ابن جرير * وأخرج الحاكم وصححه عن عياض الاشعرى قال لما نزلت فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله ﷺ لابى موسى هم قوم هذا * وأخرج الطبرانى عن عائشة عن رسول الله ﷺ فى قوله أو كسوتهم قال عباءة لكل مسكين * وأخرج الترمذى وصححه عن أبى أمية السفيانى قال أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت له كيف تصنع فى هذه الآية قال أية آية قلت قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال أما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله ﷺ قال بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام * وأخرج أحمد والطبرانى وغيرهما عن أبى عامر الأشعرى قال سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال لا يضركم من ضل من الكفار اذا اهتديتم * الا نعام أخرج ابن مردويه وأبو الشيخ من طريق نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ مع كل انسان ملك اذا نام يأخذ نفسه فان أذن الله فى قبض روحه قبضه والا رده اليه فذلك قوله يتوفاكم بالليل نهشل كذاب * واخرج أحمد والشيخان وغيرهم عن ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم شق ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه قال انه ليس الذى تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم انما هو الشرك * وأخرج ابن أبى حاتم وغيره بسند ضعيف عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ فى قوله تعالى لا تدركه الابصار قال لو أن الجن والانس والشياطين والملائكة منذ خلقوا الى أن فنوا صفوا صفا واحدا ما أحاطوا بالله أبدا * وأخرج الفريابى وغيره من طريق عمرو بن مرة عن أبى جعفر قال سئل النبى ﷺ عن هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قالوا كيف يشرح صدره قال نور يقذف به فينشرح له وينفسح قالوا فهل لذلك من امارة يعرف بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت مرسل له شواهد كثيرة متصلة ومرسلة يرتقى بها الى درجة الصحة أو الحسن * وأخرج ابن مردويه والنحاس فى ناسخه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال ما سقط من السنبل * وأخرج ابن مردويه بسند ضعيف من مرسل سعيد بن المسيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوفوا الكيل والميزان

به الاعجاز وقد بينا قبل هذا انا اذا وازنا بين خطبه ورسائله وكلامه المنثور وبين نظم القرآن تبين من البون بينهما مثل ما بين كلام الله عز وجل وكلام الناس ولا معنى لقول من ادعى ان كلام النبى صلى الله عليه وسلم معجز وان كان دون القرآن فى الاعجاز فان قيل لو لا أن كلامه معجز لم يشتبه على ابن مسعود الفصل بين المعوذتين وبين غيرهما من القرآن وكذلك لم يشتبه دعاء القنوت فى انه هل هو من القرآن أم لا ولا يجوز أن يخفى عليهم القرآن من غيره وعدد السور عندهم محفوظ مضبوط وقد يجوز أن يكون شذ عن مصحفه لا لانه نفاه من القرآن بل عول على حفظ الكل اياه على ان الذى رووه خبر واحد لا يسكن اليه فى مثل هذا ولا يعمل عليه ويجوز أن يكتب على ظهر مصحفه دعاء القنوت لئلا ينساه كما يكتب الواحد منا بعض الادعية على ظهر مصحفه وهذا نحو ما يذكره الجهال من اختلاف كثير بين مصحف ابن مسعود وبين مصحف عثمان رحمة الله عليهما ونحن لا ننكر ان يغلط فى حروف معدودة كما يغلط الحافظ فى حروف وينسى وما لا نجوزه على

بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها فقال من أربى على يده فى الكيل والميزان والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهما لم يؤاخذ وذلك تأويل وسعها * وأخرج أحمد والترمذى عن أبى سعيد عن النبى ﷺ يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال يوم طلوع الشمس من مغربها له طرق كثيرة فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى هريرة وغيره * وأخرج الطبرانى وغيره بسند جيد عن عمر بن الخطاب ان رسول الله ﷺ قال لعائشة ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء * وأخرج الطبرانى بسند صحيح عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم أهل البدع والاهواء فى هذه الامة (الاعراف) * أخرج ابن مردويه وغيره بسند ضعيف عن أنس عن النبى ﷺ فى قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد قال صلوا فى نعالكم له شاهد من حديث أبى هريرة عند أبى الشيخ * وأخرج احمد وأبو داود والحاكم وغيرهم عن البراء بن عازب ان رسول الله ﷺ ذكر العبد الكافر اذا قبضت روحه قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيث حتى ينتهى بها الى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ لا تفتح لهم أبواب السماء فيقول الله اكتبوا كتابه فى سجين فى الارض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق * واخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله ﷺ عمن استوت حسناته وسيآته فقال أولئك أصحاب الاعراف له شواهد * وأخرج الطبرانى والبيهقى وسعيد بن منصور وغيرهم عن عبد الرحمن المزنى قال سأل رسول الله ﷺ عن أصحاب الاعراف فقال هم أناس قتلوا فى سبيل الله بمعصية آبائهم فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم ومنعهم من دخول النار قتلهم فى سبيل الله له شاهد من حديث أبى هريرة عند البيهقى ومن حديث أبى سعيد عند الطبرانى * وأخرج البيهقى بسند ضعيف عن أنس مرفوعا انهم مؤمنوا الجن * وأخرج ابن جرير عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطوفان الموت * وأخرج أحمد والترمذى والحاكم وصححاه عن أنس أن النبى ﷺ قرأ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال هكذا وأشار بطرف إبهامه على أنملة أصبعه اليمنى فساخ الجبل وخر موسى صعقا وأخرجه أبو الشيخ بلفظ وأشار بالخنصر فمن نوره جعله دكا * وأخرج أبو الشيخ من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال الألواح التى أنزلت على موسى كانت من سدر الجنة كان طول اللوح اثنى عشر ذراعا * وأخرج أحمد والنسائى والحاكم وصححه عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال ان الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم فقال ألست بربكم قالوا بلى * وأخرج ابن جرير بسند ضعيف عن ابن عمر قال قال رسول ﷺ فى هذه الآية أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم ألست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا * وأخرج احمد والترمذى وحسنه الحاكم وصححه عن سمرة عن النبى ﷺ قال لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فانه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش فكان ذلك وحى الشيطان وامره * وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن الشعبى قال لما أنزل الله خذ العفو الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل قال لا أدرى حتى أسأل العالم فذهب ثم رجع قال ان الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك مرسل (الانفال) أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون أن يتخطفكم الناس قيل يا رسول الله ومن الناس قال أهل فارس * وأخرج الترمذى وضعفه عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى

الله

الحفاظ مما لم نجزه عليه ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادعوا لكانت الصحابة تناظره على ذلك وكان يظهر وينتشر فقد تناظروا فى أقل من هذا وهذا امر يوجب التكفير والتضليل فكيف يجوز ان يقع التخفيف فيه وقد علمنا أجمعهم على ما جمعوه فى المصحف فكيف يقدح بمثل هذه الحكايات الشاذة المولدة بالاجماع المتقرر والاتفاق المعروف ويجوز أن يكون الناقل أشبه عليه لانه خالف فى النظم والترتيب فلم يثبتهما فى آخر القرآن والاختلاف بينهم فى موضع الاثبات غير الكلام فى الاصل ألا ترى انهم قد اختلفوا فى أول ما نزل القرآن فمنهم من قال قوله اقرأ باسم ربك ومنهم من قال يا أيها المدثر ومنهم من قال فاتحة الكتاب واختلفوا أيضا فى آخر ما أنزل فقال ابن عباس إذا جاء نصر الله وقالت عائشة سورة المائدة وقال البراء ابن عازب آخر ما نزل سورة براءة وقال سعيد بن جبير آخر ما انزل قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وقال السدى آخر ما أنزل فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت ويجوز أن يكون فى مثل هذا خلاف وان يكون كل واحد ذكر آخر

عليه وسلم انزل الله على أمانين لأمتي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة * وأخرج مسلم وغيره عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا وان القوة الرمي فمعناه والله أعلم ان معظم القوة وانكاها للعدو الرمي * وأخرج أبو الشيخ من طريق أبي المهدي عن أبيه عمن حدثه عن النبي ﷺ في قوله وآخرين من دونهم لا تعلمونهم قال هم الجن * واخرج الطبراني مثله من حديث يزيد بن عبد الله بن غريب عن أبيه عن جده مرفوعا (براءة) أخرج الترمذي عن علي قال سألت رسول الله ﷺ عن يوم الحج الأكبر فقال يوم النحر وله شاهد عن ابن عمر عند ابن جرير * اخرج ابن أبي حاتم عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال يوم عرفة هذا يوم الحج الاكبر * واخرج احمد والترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان قال الله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر * واخرج ابن المبارك في الزهد والطبراني والبيهقي في البعث عن عمران بن الحصين وأبي هريرة قالا سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة من القوة ما يأتي على ذلك كله اجمع * واخرج مسلم وغيره عن أبي سعيد قال اختلف رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى فقال أحدهما هو مسجد رسول الله ﷺ وقال الآخر هو مسجد قباء فاتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن ذلك فقال هو مسجدي * واخرج أحمد مثله من حديث سهل بن سعد وأبي بن كعب * واخرج احمد وابن ماجه وابن خزيمة عن عويم بن ساعدة الانصاري ان النبي ﷺ اتاهم في مسجد قباء فقال ان الله قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور قالوا ما نعلم شيئا الا انا نستنجي بالماء قال هو ذاك فعليكموه * واخرج ابن جرير عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ السائحون هم الصائمون (يونس) اخرج مسلم عن صهيب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة الحسنى الجنة والزيادة النظر الى ربهم وفي الباب عن أبي بن كعب وأبي موسى الاشعري وكعب بن عجرة وانس وأبي هريرة * واخرج ابن مردويه عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ للذين احسنوا قال شهادة ان لا اله الا الله الحسنى الجنة وزيادة النظر الى الله تعالى * واخرج أبو الشيخ وغيره عن انس قال قال رسول الله ﷺ في قوله قل بفضل الله قال القرآن وبرحمته ان جعلكم من أهله * واخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني اشتكي قال اقرأ القرآن يقول الله تعالى وشفاء لما في الصدور وله شاهد من حديث واثلة بن الاسقع اخرجه البيهقي في شعب الايمان * واخرج أبو داود وغيره عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله ناسا يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله قال قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا انساب لا يفزعون إذا فزع الناس ولا يحزنون إذا حزنوا ثم تلا رسول الله ﷺ الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * واخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال سئل النبي ﷺ عن قول الله الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الذين يتحابون في الله تعالى وورد مثله من حديث جابر بن عبد الله اخرجه ابن مردويه * واخرج أحمد وسعيد بن منصور والترمذي وغيرهم عن أبي الدرداء انه سئل عن هذه الآية لهم البشرى في الحياة الدنيا قال ما سألني عنها أحد منذ سألت النبي

ما سمع ولو كان القرآن من كلامه لكان البون بين كلامه وبينه مثل ما بين خطبة وخطبة ينشئها رجل واحد وكانوا يعارضونه لانا قد علمنا ان القدر الذي بين كلامهم وبين كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يخرج الى حد الاعجاز ولا يتفاوت التفاوت الكثير ولا يخفى كلام من جنس أو زان كلامهم وليس كذلك نظم القرآن لانه خارج من جميع ذلك فان قيل لو كان غير ما أدعيتم لعرفنا بالضرورة أنه معجز دون غيره قبل معرفة الفصل من وزن الشعر ووزنه والفرق بينه وبين غيره من الاوزان الى نظر وتأمل وفكر وروية واكتساب وان كان النظم المختلف الشديد التباين إذا وجد أدرك اختلافه بالحاسة الا ان كل وزن وقبيل إذا أردنا تمييزه من غيره احتجنا فيه الى الفكرة والتأمل فان قيل لو كان معجزا لم يختلف أهل الملة في وجه اعجازه قيل قد يثبت الشيء دليلا وان اختلفوا في وجه دلالة البرهان كما قد يختلفون في الاستدلال على حدوث العالم من الحركة والسكون والاجتماع والافتراق فاما المخالفون فانه يتعذر عليهم ان يعرفوا ان القرآن كلام الله لان مذهبهم أنه لا فرق

ﷺ فقال ما سألني عنها أحد غيرك منذ أنزلت هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له فهي بشراه في الحياة الدنيا و بشراه في الآخرة الجنة له طرق كثيرة * واخرج ابن مردويه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله الا قوم يونس لما آمنوا قال دعوا (هود) اخرج ابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عمر قال تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ليبلوكم أيكم احسن عملا فقلت ما معنى ذلك يا رسول الله قال أيكم احسن عقلا واحسنكم عقلا أورعكم عن محارم الله تعالى واعملكم بطاعة الله تعالى * واخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم لم أر شيئا أحسن طلبا ولا أسرع إدراكا من حسنة حديثة لسيئة قديمة ان الحسنات يذهبن السيئات * واخرج أحمد عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أوصني قال إذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحها قلت يا رسول الله أمن الحسنات لا اله الا الله قال هي أفضل الحسنات * واخرج الطبراني وأبو الشيخ عن جرير بن عبد الله قال لما نزلت وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهلها ينصف بعضهم بعضا (يوسف) أخرج سعيد بن منصور وأبو يعلى والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن جابر بن عبد الله قال جاء يهودي الى النبي ﷺ فقال يا محمد أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف ساجدة له ما اسماؤها فلم يجبه بشيء حتى أتاه جبريل فاخبره فارسل الى اليهودي فقال هل أنت مؤمن ان اخبرتك بها قال نعم فقال خرثان وطارق والذيال وذو الكيعان وذو الفرع ووثاب وعمودان وقابس والصروح والمصبح والفليق والضياء والنور فقال اليهودي أي والله انها لاسماؤها والشمس والقمر يعني أباه وامه رآها في أفق السماء ساجدة له فلما قص رؤياه على أبيه قال أرى أمرا متشتتا يجمعه الله * واخرج ابن مردويه عن انس عن النبي ﷺ قال لما قال يوسف ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغيب قال له جبريل يا يوسف اذكرهمك قال وما ابرئ نفسي (الرعد) أخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله ونفضل بعضها على بعض في الأكل قال الدقل والفارسي والحلو والحامض * وأخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي عن ابن عباس قال اقبلت اليهود الى النبي ﷺ فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب بيده مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث امره الله قالوا فما هذا الصوت الذي نسمع قال صوته * واخرج ابن مردويه عن عمرو بن نجاد الاشعري قال قال رسول الله ﷺ الرعد ملك يزجر السحاب والبرق طرف ملك يقال له رفيل * واخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال ان ملكا موكل بالسحاب يلم القاصية و يلحم الرابية في يده مخراق فاذا رفع برقت واذا زجر رعدت واذا ضرب صعقت * واخرج احمد وابن حبان عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال طوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة عام وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يمح الله ما يشاء و يثبت الا الشقاوة والسعادة والحياة والموت * واخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله بن رئاب عن النبي ﷺ في قوله يمحو الله ما يشاء و يثبت قال يمحو من الرزق ويزيد فيه و يمحو من الأجل و يزيد فيه * واخرج ابن مردويه عن ابن عباس ان النبي ﷺ سئل عن قوله يمحو الله ما يشاء و يثبت قال ذلك كل ليلة القدر يرفع و يجبر و يرزق غير الحياة والموت والشقاء والسعادة فان ذلك لا يبدل * واخرج ابن مردويه عن علي انه سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال لأقرن عينك بتفسيرها ولأقرن عين أمتي من بعدي بتفسيرها الصدقة على وجهها و بر الوالدين واصطناع المعروف تحول الشقاء سعادة وتزيد في العمر (ابراهيم) اخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ من أعطي الشكر لم يحرم الزيادة لان الله تعالى يقول لئن شكرتم

بين ان يكون القرآن من قبل الرسول أو من قبل الله عز وجل في كونه معجزا لانه ان خصه بقدر من العلم لم تجر العادة بمثله أمكنه أن يأتي بماله هذه الرتبة وكان متعذرا على غيره لفقد علمه بكيفية النظم وليس القوم بعاجزين عن الكلام ولا عن النظم والتأليف والمعنى المؤثر عندهم في تعذر مثل نظم القرآن علينا فقد العلم بكيفية النظم وقد بينا قبل هذا ان المانع هو أنهم لا يقدرون عليه والمفحم قد يعلم كيفية الأوزان واختلافها وكيفية التركيب وهو لا يقدر على نظم الشعر وقد يعلم الشاعر وجوه الفصاحة واذا قالا الشعر شعر أحدهما في الطبقة العالية وشعر الآخر في الطبقة الوضيعة وقد يطرد في شعر المبتدي والمتأخر في الحذف القطعة الشريفة والبيت النادر ومالا يتفق للشاعر المتقدم والعلم بهذا الشأن في التفصيل لا يغني ويحتاج معه الى مادة من الطبع وتوفيق من الأصل وقد يتساوى العالمان بكيفية الصناعة والنساجة ثم يتفق لأحدهما من اللطف في الصنعة مالا يتفق في الآخر وكذلك أهل نظم الكلام يتفاضلون مع العلم بكيفية النظم وكذلك أهل الرمي يتفاضلون في

لأزيدنكم * وأخرج أحمد والترمذي والنسائي والحاكم وصححه وغيرهم عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقع فروة رأسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه * وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن كعب بن مالك رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيما أحسب في قوله تعالى سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص قال يقول اهل النار هلموا فلنصبر فيصبرون خمسمائة عام فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا هلموا فلنجزع فيكون خمسمائة عام فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص * وأخرج الترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان وغيرهم عن أنس عن رسول الله ﷺ في قوله ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة قال هي الحنظل * وأخرج أحمد وابن مردويه بسند جيد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كشجرة طيبة قال هي التي لا ينقص ورقها هي النخلة * وأخرج الأئمة الستة عن البراء ابن عازب ان النبي ﷺ قال المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة * وأخرج مسلم عن ثوبان قال جاء حبر من اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقال اين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم في الظلمة دون الجسر * وأخرج مسلم والترمذي وابن ماجه وغيرهم عن عائشة قالت انا أول الناس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية يوم تبدل الأرض غير الأرض قلت أين الناس يومئذ قال على الصراط * وأخرج الطبراني في الاوسط والبزار وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الله يوم تبدل الأرض غير الأرض قال أرض بيضاء كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل فيها خطيئة (الحجر) اخرج الطبراني وابن مردويه وابن حبان عن ابي سعيد الخدري أنه سئل هل سمعت من رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال نعم سمعته يقول يخرج الله ناسا من المؤمنين من النار بعد ما يأخذ نقمته منهم لما ادخلهم النار مع المشركين قال لهم المشركون تدعون بأنكم أولياء الله في الدنيا فما بالكم معنا في النار فاذا سمع الله ذلك منهم أذن في الشفاعة لهم فتشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون حتى يخرجوا باذن الله تعالى فاذا رأى المشركون ذلك قالوا يا ليتنا كنا مثلهم فندركنا الشفاعة فنخرج معهم فذلك قول الله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وله شاهد من حديث أبي موسى الأشعري وجابر بن عبد الله وعلي * وأخرج ابن مردويه عن أنس قال قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى لكل باب منهم جزء مقسوم قال جزء أشركوا وجزء شكوا في الله تعالى وجزء غفلوا عن الله تعالى * وأخرج البخاري والترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أم القرآن السبع هي المثاني والقرآن العظيم * وأخرج الطبراني في الاوسط عن ابن عباس قال سأل رجل رسول الله ﷺ قال أرأيت قول الله كما أنزلنا على المقتسمين قال اليهود والنصارى قال الذين جعلوا القرآن عضين ما عضين قال آمنوا ببعض وكفروا ببعض * وأخرج الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لا إله إلا الله (النحل) أخرج ابن مردويه عن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قول الله زدناهم عذابا فوق العذاب قال عقارب أمثال النخل الطوال ينهشونهم في جهنم (الاسراء) أخرج البيهقي في الدلائل عن سعيد المقبري ان عبد الله بن سلام سأل النبي ﷺ عن السواد الذي في القمر فقال كانا شمسين فقال الله وجعلنا الليل والنهار آيتين

الاصابة مع العلم بكيفية الاصابة واذا وجدت للشاعر بيتا أو قطعة احسن من شعر امرىء القيس يدل ذلك على انه أعلم بالنظم منه لانه لو كان كذلك كان يجب ان يكون جميع شعره على ذلك الحد ويحسب ذلك البيت في الشرف والحسن والبراعة ولا يجوز ان يعلم نظم قطعة ويجهل نظم مثلها وان كان كذلك علم ان هذا لا يرجع الى ما قدروه من العلم أو لسنا نقول انه يستغنى عن العلم في النظم بل يكفي علم به في الجملة ثم يقف الأمر على القدرة وهذا يبين لك بأنه قد يعلم الخط فيكتب سطرا فلو أراد أن يأتي بمثله بحيث لا يغادر منه شيئا لتعذر العلم حاصل وكذلك قد يحسن كيفية الخط والجيد منه من الردىء ولا يمكنه أن يأتي بارفع درجات الجيد وقد يعلم قوم كيفية ادارة الاقلام وكيفية تصور الخط ثم يتفاوتون في التفصيل ويختلفون في التصوير والزمهم أصحابنا ان يقولوا بقدرتنا على احداث الاجسام وانما يتعذر وقوع ذلك منا لانا لا نعلم الاسباب التي اذا عرفنا ايقاعها على وجوه اتفق لنا فعل الاجسام وقد ذهب بعض المخالفين إلى أن العادة

فمحونا آية الليل فالسواد الذى رأيت هو المحو * وأخرج الحاكم فى التاريخ والديلمى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كرمنا بنى آدم فقال الكرامه الأكل بالاصابع * أخرج ابن مردويه عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول الله يوم ندعو كل اناس بامامهم قال يدعى كل قوم بامام هم وكتاب ربهم * وأخرج ابن مردويه عن عمر بن الخطاب عن النبى صلى الله عليه وسلم أقم الصلاة لدلوك الشمس قال لزوال الشمس * وأخرج البزار وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دلوك الشمس زوالها * وأخرج الترمذى وصححه النسائى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ان قرآن الفجر كان مشهودا قال تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار * وأخرج أحمد وغيره عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى وفى لفظ هى الشفاعة وله طرق كثيرة مطولة ومختصرة فى الصحاح وغيرها * وأخرج الشيخان وغيرهما عن أنس قال قيل يارسول الله كيف تحشر الناس على وجوههم قال الذى امشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم (الكهف) اخرج أحمد والترمذى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسرادق النار أربعة جدر كثافة كل جدار مثل مسافة أربعين سنة * وأخرج عنه أيضا عن رسول الله ﷺ فى قوله بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه فيه * وأخرج احمد عنه أيضا عن رسول الله ﷺ قال الباقيات الصالحات التكبير والتهليل والتسبيح والحمد ولاحول ولاقوة إلا بالله * وأخرج احمد من حديث النعمان بن بشير مرفوعا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات * وأخرج الطبرانى مثله من حديث سعد بن جنادة * وأخرج ابن جرير عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات * وأخرج احمد عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينصب الكافر مقدار خمسين ألف سنة كما يعمل فى الدنيا وان الكافر ليرى جهنم و يظن أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة * وأخرج البزار بسند ضعيف عن أبى ذر رفعه قال ان الكنز الذى ذكر الله فى كتابه لوح من ذهب مصمت عجبت لمن أيقن بالقدر لم ينصب وعجبت لمن ذكر النار كيف يضحك وعجبت لمن ذكر الموت ثم غفل لا إله إلا الله محمد رسول الله * وأخرج الشيخان عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة (مريم) أخرج الطبرانى بسند ضعيف عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال ان السرى الذى قال الله لمريم قد جعل ربك تحتك سريا نهرا أخرجه الله لتشرب منه * وأخرج مسلم وغيره عن المغيرة بن شعبة قال بعثنى رسول الله ﷺ الى نجران فقالوا أرأيت ماتقرؤن يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا اخبرتهم أنهم كانوا يسمعون بالأنبياء والصالحين قبلهم * وأخرج احمد والشيخان عن أبى سعيد قال قال رسول الله ﷺ إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جاء بالموت كأنه كبش املح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا قال فيشرفون فينظرون و يقولون نعم هذا الموت فيؤمر به فيذبح و يقال يا أهل الجنة خلود ولا موت و يا أهل النار خلود ولا موت ثم قرأ رسول الله ﷺ وانذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وأشار بيده وقال أهل الدنيا فى غفلة وأخرج ابن جرير عن أبى أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نهر ان فى اسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار قال ابن كثير حديث منكر وأخرج احمد بن أبى حميد قال اختلفنا فى الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم ينجى الله الذين اتقوا

انتقضت بأن انزله جبريل فصار القرآن معجزا لنزوله على هذا الوجه ومن قبله لم يكن معجزا وهذا قول أبى هاشم وهو الظاهر الخطا لانه يلزم أن يكونوا قادرين على مثل القرآن وان لم يتعذر عليهم فعل مثله وانما تعذر بانزاله ولو كانوا قادرين على مثل ذلك كان قد اتفق من بعضهم مثله وان كانوا فى الحقيقة غير قادرين قبل نزوله ولا بعده على مثله فهو قولنا وأما قول كثير من المخالفين فهو على ما بينا الآن معنى المعجز عندهم تعذر فعل مثله وكان ذلك متعذرا قبل نزوله و بعده فاما الكلام فى ان التأليف هل له نهاية فقد اختلف المخالفون من المتكلمين فيه فمنهم من قال ليس لذلك نهاية كالعدد فلا يمكن ان يقال انه لا يتأتى قول قصيدة إلا وقد قيلت من قبل ومنهم من قال ان ماجرت به العادة فله نهاية ومالم تجر به العادة فلا يمكن ان نعلم نهاية الرتبة فيه وقد بينا أن على أصولنا قد تقدر لكلامنا حد فى العادة ولا سبيل الى تجاوزه ولا يقدر فان القرآن خرق العادة فزاد عليها

﴿ فصل ﴾ ان قيل هل من شرط المعجز ان يعلم

فلقيت جابر بن عبد الله فسألته فقال سمعت النبي ﷺ يقول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردهم ثم ينجى الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا * وأخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال اذا أحب الله عبدا نادى جبريل اني قد أحببت فلانا فاحبه فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في الأرض فذلك قوله سيجعل لهم الرحمن ودا (طه) أخرج ابن أبي حاتم والترمذي عن جندب بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله ﷺ اذا وجدتم الساحر فاقتلوه ثم قرأ ولا يفلح الساحر حيث أتى قال لا يؤمن حيث وجد * وأخرج البزار بسند جيد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فان له معيشة ضنكا قال عذاب القبر (الانبياء) أخرج أحمد عن أبي هريرة قال قلت يا رسول الله أنبئني عن كل شيء خلق من الماء (الحج) أخرج ابن أبي حاتم عن يعلى بن أمية ان رسول الله ﷺ قال اختصار الطعام بمكة الحاد * وأخرج الترمذي وحسنه عن ابن الزبير قال قال رسول الله ﷺ انما سمي البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار * وأخرج أحمد عن خريم بن فاتك الاسدي عن النبي ﷺ قال عدلت شهادة الزور بالاشراك بالله ثم تلا فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (المؤمنون) أخرج ابن أبي حاتم عن مرة البهزي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لرجل إنك تموت بالربوة فمات بالربوة قال ابن كثير غريب جدا وأخرج أحمد عن عائشة انها قالت يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله قال يا ابنة الصديق ولكنه الذي يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف الله * وأخرج احمد والترمذي عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته (النور) اخرج ابن أبي حاتم عن أبي سورة ابن اخي أبي أيوب عن أبي أيوب قال قلت يا رسول الله هذا نا الله السلام فما الاستئناس قال يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحنح فيؤذن أهل البيت (الفرقان) أخرج ابن أبي حاتم عن يحيى بن أبي اسيد يرفع الحديث الى رسول الله ﷺ سئل عن قوله تعالى واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين قال والذي نفسي بيده انهم ليستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط (القصص) اخرج البزار عن أبي ذر أن النبي ﷺ سئل اى الاجلين قضى موسى قال اوفاهما وأبرهما قال وان سئلت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما اسناده ضعيف ولكن له شواهد موصولة ومرسلة (العنكبوت) أخرج احمد والترمذي وحسنه وغيرهما عن ام هانىء قالت سألت رسول الله ﷺ عن قوله وتأتون في ناديكم المنكر قال كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم فهو المنكر الذي كانوا يأتون (لقمان) أخرج الترمذي وغيره عن أبي امامة عن رسول الله ﷺ قال لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام في مثل هذا أنزلت ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله الآية اسناده ضعيف (السجدة) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله أحسن كل شيء خلقه قال اما ان است القردة ليست بحسنة ولكنه احكم خلقها * واخرج ابن جرير عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ في قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال قيام العبد من الليل * وأخرج الطبراني عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله تعالى وجعلناه هدى لبني اسرائيل قال جعل موسى هدى لبني اسرائيل وفي قوله فلا تكن في مرية من لقائه قال من لقائه موسى ربه (الاحزاب) اخرج الترمذي عن معاوية سمعت رسول الله ﷺ يقول طلحة ممن قضى نحبه * واخرج الترمذي وغيره عن عمرو بن أبي سلمة وابن جرير وغيره عن ام سلمة ان النبي ﷺ دعا فاطمة وعليا وحسنا وحسينا لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس

انه اتى به من ظهر عليه قيل لابد من ذلك لانا لو نعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي اتى بالقرآن وظهر ذلك من جهته لم يمكن ان يستدل به على نبوته وعلى هذا لو تاتى رجل منه سورة فاتى بها بلدا وادعى ظهورها عليه وانها معجزة له لم تقم الحجة عليهم حتى يبحثوا او يتبينوا انها ظهرت عليه وقد حققت ان القرآن اتى به النبي صلى الله عليه وسلم وظهر من جهته وجعله علما على نبوته وعلمنا ذلك ضرورة فصار حجة علينا

﴿فصل﴾ قد ذكرنا في الابانة عن معجز القرآن وجيزا من القول رجونا ان يكفي واملنا ان يقنع والكلام في اوصافه ان استقصى بعيد الاطراف واسع الاكناف لعلو شأنه وشريف مكانه والذي سطرناه في الكتاب وان كان موجزا واملیناه فيه وان كان خفيفا فانه ينبه على الطريقة ويدل على الوجه ويهدي الى الحجة ومتى عظم محل لشيء فقد يكون الاسهاب فيه غيا والاكثار في وصفه تقصيرا وقد قال الحكيم وقد سئل عن البليغ متى يكون عيبا فقال متى وصف هوى أو حبيبا وضل اعرابي في سفره ليلا وطلع القمر

أهل البيت ويطهركم تطهيرا فجللهم بكساء وقال واللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب الرجس وطهرهم تطهيرا (سبا) أخرج احمد وغيره عن ابن عباس ان رجلا سأل رسول الله ﷺ عن سبأ أرجل هوام امرأة ام أرض فقال بل هو رجل ولد له عشرة فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة * وأخرج البخاري عن أبي هريرة مرفوعا قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير (فاطر) أخرج احمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال في هذه الآية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة * واخرج أحمد وغيره عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فاما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك الذين يحبسون في طول المحشر ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الآية * واخرج الطبراني وابن جرير عن ابن عباس ان النبي ﷺ قال اذا كان يوم القيامة قيل أين ابناء الستين وهو العمر الذي قال الله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر (يس) أخرج الشيخان عن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش واخرجا عنه قال كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال يا ابا ذر اتدري اين تغرب الشمس قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله والشمس تجري لمستقر لها (الصافات) اخرج ابن جرير عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله اخبرني عن قول الله حور عين قال العين الضخام العيون شفر الحوراء مثل جناح النسر قلت يا رسول الله اخبرني عن قول الله كانهن بيض مكنون قال رقتهن كرقة الجلدة التي في داخل البيضة التي تلي القشر * قوله شفر هو بالفاء مضاف الى الحوراء وهو هدب العين وانما ضبطه وان كان واضحا لاني رأيت بعض المهملين من أهل عصرنا صحفه بالقاف وقال الحوراء مثل جناح النسر مبتدأ وخبر يعني في الخفة والسرعة وهذا كذب وجهل محض والحاد في الدين وجراءة على الله وعلى رسوله * واخرج الترمذي وغيره عن سمرة عن النبي ﷺ في قوله وجعلنا ذريته هم الباقين قال حام وسام ويافث واخرج من وجه آخر قال سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم * واخرج عن أبي بن كعب قال سألت رسول الله ﷺ عن قول الله وارسلناه الى مائة ألف او يزيدون قال يزيدون عشرين ألفا * واخرج ابن عساكر عن العلاء بن سعد ان رسول الله ﷺ قال يوما لجلسائه اطت السماء وحق لها ان تئط ليس منها موضع قدم الا عليه ملك راكع او ساجد ثم قرأ وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون (الزمر) اخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم عن عثمان بن عفان انه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير له مقاليد السموات والأرض فقال ما سألني عنها أحد قبلك تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده استغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله الأول الآخر الظاهر الباطن بيده الخير يحيي ويميت الحديث غريب وفيه نكارة شديدة * واخرج ابن أبي الدنيا في صفة الجنة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ انه سأل جبريل عن هذه الآية فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله من الذين لم يشا الله ان يصعقوا قال هم الشهداء (غافر) اخرج احمد وأصحاب السنن والحاكم وابن حبان عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله ﷺ ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ ادعوني استجب لكم

ان

فاهتدى به فقال ما اقول لك اقول رفعك الله وقد رفعك أم اقول نورك الله وقد نورك ام اقول اجملك الله وقد جملك ولولا ان العقول تختلف والافهام تتباين والمعارف تتفاضل لم نحتج الى ما تكلفنا ولكن الناس يتفاوتون في المعرفة ولو اتفقوا فيها لم يجز أن يتفقوا في معرفة هذا الفن او يجتمعوا في الهداية الى هذا العلم لاتصاله باسباب وتعلقه بعلوم غامضة الغور عميقة القعر كثيرة المذاهب قليلة الطلاب ضعيفة الاصحاب وبحسب تأتي مواقعه يقع الافهام دونه وعلى قدر لطف مسالكه يكون القصور عنه انشدني ابو القاسم الزعفراني قال انشدني المتنبي لنفسه القطعة التي يقول فيها

وكم من عائب قولا صحيحا
وآفته من الفهم السقيم

ولكن تأخذ الآذان منه
على قدر القرائح والعلوم

وانشدني الحسن بن عبد الله قال انشدنا بعض مشايخنا للبحتري

اهز بالشعر اقواما ذوي سنة
لو انهم ضربوا بالسيف
ما شعروا

على نحت القوافي من
مقاطعها

وما على لهم ان تفهم البقر
فاذا كان نقد الكلام
كله صعبا وتمييزه شديداً

إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين (فصلت) أخرج النسائى والبزار وأبو يعلى وغيرهم عن أنس قال قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قد قالها ناس من الناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها (حمعسق) أخرج أحمد وغيره عن على قال ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله وحدثنا به رسول الله ﷺ قال ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وسأفسرها لك يا على ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أحلم من أن يثنى عليه العقوبة فى الآخرة وماعفا الله عنه فى الدنيا فالله أكرم من أن يعود بعد عفوه (الزخرف) أخرج أحمد والترمذى وغيرهما عن أبى أمامة قال قال رسول الله ﷺ ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أتوا الجدل ثم تلا ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم خصمون * وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ كل أهل النار يرى منزله من الجنة حسرة فيقول لو ان الله هدانى لكنت من المتقين وكل أهل الجنة يرى منزله من النار فيقول وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله فيكون له شكرا قال وقال رسول الله ﷺ ما من أحد إلا وله منزل فى الجنة ومنزل فى النار فالكافر يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله تعالى وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون (الدخان) أخرج الطبرانى وابن جرير بسند جيد عن أبى مالك الاشعرى قال قال رسول الله ﷺ إنذر بكم أنذركم ثلاثا الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه والثانية الدابة والثالثة الدجال له شواهد * وأخرج أبو يعلى وابن أبى حاتم عن أنس عن النبى ﷺ قال ما من عبد إلا وله فى السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله وكلامه فاذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الآية فما بكت عليهم السماء والارض وذكر أنهم لم يكونوا يعملون على وجه الارض عملا صالحا تبكى عليهم ولم يصعد لهم إلى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فتفقدهم فتبكى عليهم * وأخرج ابن جرير عن شريح بن عبيد الحضرمى قال قال رسول الله ﷺ ما مات مؤمن فى غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والارض ثم قرأ رسول الله ﷺ فما بكت عليهم السماء والارض ثم قال انهما لا يبكيان على كافر (الاحقاف) أخرج أحمد عن ابن عباس عن النبى ﷺ أو أثارة من علم قال الخط (الفتح) أخرج الترمذى وابن جرير عن أبى بن كعب انه سمع رسول الله ﷺ يقول وألزمهم كلمة التقوى قال لا إله إلا الله (الحجرات) أخرج أبو داود والترمذى عن أبى هريرة قال قيل يارسول الله ما الغيبة قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته (ق) أخرج البخارى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يلقى فى النار وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فيها فتقول قط قط (الذاريات) * أخرج البزار عن عمر بن الخطاب قال الذاريات ذرواهى الرياح فالحاريات يسراهى السفن فالمقسمات أمراهى الملائكة ولولا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته (الطور) أخرج عبد الله ابن أحمد فى زوائد المسند عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المؤمنين وأولادهم فى الجنة وان المشركين وأولادهم فى النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم الآية (النجم) أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم بسند ضعيف عن أبى أمامة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وابراهيم الذى وفى ثم قال أتدرون ما وفى قلت الله ورسوله أعلم قال وفى عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار * وأخرجا عن معاذ بن أنس عن رسول الله

والوقوع على المخلوق
فنونه متعذرا وهذا فى
كلام الآدمى فما ظنك
بكلام رب العالمين قد أبنا
لك ان من قدر على أن
البلاغة فى عشرة أوجه من
الكلام لا يعرف من البلاغة
إلا القليل ولا يفطن منها إلا
اليسير ومن زعم ان البديع
يقتصر على ما ذكرناه من
قبل عنهم فى الشعر فهو
متطرف بل ان كانوا يقولون
ان هذه من وجوه البلاغة
وغرر البديع وأصول
اللطيف وان ما يجرى
مجرى ذلك ويشاكله
ملحق بالأصل ومردود
على القاعدة فهذا قريب
وقد بينا فى نظم القرآن ان
الجملة تشتمل على بلاغة
منفردة والأسلوب يختص
بمعنى آخر من الشرف ثم
الفواتح والخواتم والمبادى
والمثانى والطوالع والمقاطع
والوسائط والفواصل ثم
الكلام فى نظم السور
والآيات فى تفاصيل
التفاصيل ثم فى الكثير
والقليل ثم الكلام الموشح
والمرصع والمفصل والمسجع
والمجنس والموشى والمخلى
والمكلل والمطوق والمتوج
والموزون والخارج
عن الوزن والمعتدل فى
النظم والمتشابه فيه ثم
الخروج من فصل إلى

ﷺ قال ألا أخبركم بما سمى الله ابراهيم خليله الذى وفى انه كان يقول كلما أصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون حتى ختم الآية * وأخرج البغوى من طريق أبى العالية عن أبى بن كعب عن النبى ﷺ فى قوله وان إلى ربك المنتهى قال لا فكرة فى الرب قال البغوى وهو مثل حديث تفكروا فى مخلوقات الله ولا تفكروا فى ذات الله (الرحمن) أخرج ابن أبى حاتم عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ فى قوله تعالى كل يوم هو فى شأن قال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين * وأخرج ابن جرير مثله من حديث عبد الله بن منيب والبزار مثله من حديث ابن عمر وأخرج الشيخان عن أبى موسى الاشعرى أن رسول الله ﷺ قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما * وأخرج البغوى عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله ﷺ هل جزاء الاحسان إلا الاحسان وقال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة (الواقعة) أخرج أبو بكر النجاد عن مسلم بن عامر قال أقبل اعرابى فقال يارسول الله ذكر الله فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها قال وما هى قال السدر فان له شوكا مؤذيا فقال رسول الله ﷺ أليس يقول الله فى سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة وله شاهد من حديث ابن عبد السلمى أخرجه ابن أبى داود فى البعث * وأخرج الشيخان عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤا إن شئتم فى ظل ممدود * وأخرج الترمذى والنسائى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ فى قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام * وأخرج الترمذى عن أنس قال قال رسول الله ﷺ إنا أنشأناهن إنشاء عجائز كن فى الدنيا عمشا رمصا * وأخرج فى الشمائل عن الحسن قال أتت عجوز فقالت يارسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز فولت تبكى قال أخبروها أنها لا تدخلها وهى عجوز ان الله يقول إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا * وأخرج ابن أبى حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ عربا كلاهن عربى * وأخرج الطبرانى عن أم سلمة قالت قلت يارسول الله اخبرنى عن قول الله تعالى حور عين قال حور بيض عين ضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر * قلت اخبرنى عن قوله تعالى كأمثال اللؤلؤ المكنون قال صفاؤهن كصفاء الدر الذى فى الاصداف الذى لم تمسه الايدى قلت اخبرنى عن قوله تعالى فيهن خيرات حسان قال خيرات الأخلاق حسان الوجوه قلت اخبرنى عن قوله تعالى كأنهن بيض مكنون قال رقتهن كرقة الجلد الذى رأيت فى داخل البيضة مما يلى القشر قلت اخبرنى عن قوله عربا أترابا قال هن اللواتى قبضتهن فى دار الدنيا عجائز رمصا شمطا خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عربا متعشقات محببات أترابا على ميلاد واحد * وأخرج ابن جرير عن ابن عباس فى قوله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال قال رسول الله ﷺ هما جميعا من أمتى * وأخرج أحمد والترمذى عن على قال قال رسول الله ﷺ وتجعلون رزقكم يقول شكركم انكم تكذبون يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا (الممتحنة) أخرج الترمذى وحسنه وابن ماجه وابن جرير عن أم سلمة عن رسول الله ﷺ فى قوله ولا يعصينك فى معروف قال النوح (الطلاق) أخرج الشيخان عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ فتغيظ منه ثم قال ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر فان بدا له أن يطلقها طاهرا قبل أن يمسها فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طلقتم النساء فطلقوهن فى قبل عدتهن (ذ) أخرج الطبرانى عن ابن عباس قال

قال

فصل ووصل إلى وصل بمعنى إلى معنى ومعنى فى حفى والجمع بين المؤتلف والمختلف والمتفق والمتسق وكثرة التصرف وسلامة القول فى ذلك كله من التعسف وخروجه عن التعمق والتشدق وبعده عن التعمل والتكلف والالفاظ المفردة والابداع فى الحروف والادوات كالابداع فى المعانى والكلمات والبسط والقبض والبنا والنقض والاختصار والشرح والتشبيه والوصف وبيز الابداع من الاتباع كتميز المطبوع عن المصنوع والقول الواقع عن غير تكلف ولا تعمل وانت تبينه فى كل ما تصرف فيه من الانواع انه على سمت شريف ومرقب منيف يبهرا ذا أخذ فى النوع الربى والامر الشرعى والكلام الالهى الدال على انه يصدر عن عزة الملكوت وشرف الجبروت ومالا يبلغ الوهم مواقعه من حكمة وأسكام واحتجاج وتقرير واستشهاد وتقريع واعذار وانذار وتبشير وتحذير وتنبيه وتلويح واشباع وتصريح واشارة ودلالة وتعلم أخلاق زكية وأسباب رضية وسياسات جامعة ومواعظ نافعة وأوامر صادعة

قال رسول الله ﷺ ان أول ماخلق الله القلم والحوت قال ما كتب قال كل شيء كائن الى يوم القيامة ثم قرأ ن والقلم والنون الحوت والقلم القلم * وأخرج ابن جرير عن معاوية ابن قرة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ ن والقلم وما يسطرون لوح من نور وقلم من نور يجري بما هو كائن الى يوم القيامة قال ابن كثير مرسل غريب * وأخرج أيضا عن زيد بن أسلم قال قال رسول الله ﷺ تبكي السماء من عبد أصح الله جسمه وأرحب جوفه وأعطاه من الدنيا مقضما فكان للناس ظلوما قال فذلك العتل الزنيم مرسل له شواهد * وأخرج أبو يعلى وابن جرير بسند فيه مبهم عن أبي موسى عن النبي ﷺ يوم يكشف عن ساق قال عن نور عظيم يخرون لله سجدا (سأل) أخرج أحمد عن أبي سعيد قال قيل لرسول الله ﷺ يوما كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا (المزمل) أخرج الطبراني عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال قرءوا ما تيسر منه قال مائة آية قال ابن كثير غريب جدا (المدثر) أخرج احمد والترمذي عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال الصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى به كذلك * وأخرج أحمد والترمذي وحسنه والنسائي عن أنس قال قرأ رسول الله ﷺ هو أهل التقوى وأهل المغفرة فقال قال ربكم انا أهل ان اتقى فلا يجعل معي إله فمن اتقى أن يجعل معي الها كان أهلا أن أغفر له (النبأ) أخرج البزار عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها احقابا والحقب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما مما تعدون (التكوير) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن بريدة بن أبي مريم عن أبيه ان رسول الله ﷺ قال في قوله تعالى (اذا الشمس كورت) قال كورت في جهنم (واذا النجوم انكدرت) قال في جهنم * وأخرج عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ (واذا النفوس زوجت) قال القرناء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله (الانفطار) أخرج ابن جرير والطبراني بسند ضعيف من طريق موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن جده ان النبي ﷺ قال له ما ولدلك قال ما عسى ان يولد لي اما غلام أو جارية قال فمن يشبه قال من عسى أن يشبه اما أباه واما أمه فقال النبي ﷺ مه لا تقولن هذا ان النطفة اذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها و بين آدم أما قرأت في أي صورة ما شاء ركبك قال سلكك * وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال انما سماهم الله الابرار لأنهم بروا الآباء والابناء (المطففين) أخرج الشيخان عن ابن عمر ان النبي ﷺ قال يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه الى انصاف أذنيه * وأخرج احمد والترمذي والحاكم وصححه والنسائي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ان العبد اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب منها صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكر الله في القرآن كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (الانشقاق) أخرج أحمد والشيخان وغيرهما عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ من نوقش الحساب عذب وفي لفظ عند ابن جرير ليس يحاسب أحد إلا عذب قلت أليس يقول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ليس ذلك بالحساب ولكن ذاك العرض * وأخرج أحمد عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه انه من نوقش الحساب يومئذ هلك (البروج) أخرج ابن جرير عن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله ﷺ اليوم الموعود يوم القيامة وشاهد يوم الجمعة ومشهود يوم عرفة شواهد * وأخرج الطبراني عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ قال ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء

وقصص مفيدة وثناء على الله عز وجل بما هو أهله وأوصاف كما يستحقه وتحميد كما يستوجبه وأخبار عن كائنات في الثاني صدقت وأحاديث عن المؤتنف تحققت ونواه زاجرة عن القبائح والفواحش واباحة الطيبات وتحريم المضار والخبائث وحث على الجميل والاحسان تجدفيه الحكمة وفصل الخطاب مجلوة عليك في منظر بهيج ونظم أنيق ومعرض رشيق غير متعاص على الاسماع ولا متلو على الافهام ولا مستكره في اللفظ ولا متوحش في المنظر غريب في الجنس غير غريب في القبيل ممتلىء طلاوة وطراوة ولطفا وغضارة يسري في القلب كما يسري السرور ويمر الى مواقعه كما يمر السهم ويضيء كما يضيء الفجر ويزخر كما يزخر البحر طموح العباب طموح على المتناول المنتاب كالروح في البدن والنور المستطير في الافق والغيث الشامل والضياء الباهر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد من توهم ان الشعر يلحق شأوه بأن ضلاله وصح جهله اذ الشعر سمت قد تناوله الالسن وتداولته القلوب واتالت عليه الحواجر وضرب الشيطان

قلبه نور وكتابه نور وله تعالى فيه كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء (الأعلى) أخرج البزار عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قد أفلح من تزكى قال من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد وشهد أني رسول الله وذكر اسم ربه فصلى قال هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها * وأخرج البزار عن ابن عباس قال لما نزلت إن هذا لفي الصحف الأولى قال النبي ﷺ كان هذا أو كل هذا في صحف إبراهيم وموسى (الفجر) أخرج أحمد والنسائي عن جابر عن النبي ﷺ قال ان العشر عشر الأضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر قال ابن كثير رجاله لا بأس بهم وفي رفعه نكارة * وأخرج ابن جرير عن جابر مرفوعا الشفع اليومان والوتر اليوم الثالث * وأخرج احمد والترمذي عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ سئل عن الشفع والوتر فقال الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر (البلد) أخرج احمد عن البراء قال جاء اعرابي الى النبي ﷺ فقال علمني عملا يدخلني الجنة قال اعتق النسمة وفك الرقبة قال أوليستا بواحدة قال ان عتق النسمة ان تفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين في عتقها (والشمس) أخرج ابن أبي حاتم من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول في قول الله قد أفلح من زكاها افلح من نمى زكاها الله تعالى (لم نشرح) أخرج أبو يعلى وابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال أتاني جبريل فقال ان ربك يقول أتدري كيف رفعت ذكرك قلت الله أعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي (الزلزلة) أخرج احمد عن أبي هريرة قال قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ان تقول عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا (العاديات) أخرج ابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ ان الإنسان لربه لكنود قال الكنود الذي يأكل وحده ويضرب عبده ويمنع رفده (ألهاكم) أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم مرسلا قال قال رسول ﷺ ألهاكم التكاثر عن الطاعة حتى زرتم المقابر حتى يأتيكم الموت * وأخرج احمد عن جابر بن عبد الله قال أكل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رطبا وشربوا ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من النعيم الذي تسئلون عنه * واخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الأمن والصحة (الهمزة) اخرج ابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (أنها عليهم مؤصدة) قال مطبقة (أرأيت) اخرج ابن جرير وابو يعلى عن سعد بن أبي وقاص قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن (الذين هم عن صلاتهم ساهون) قال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها (الكوثر) اخرج احمد ومسلم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر أعطانيه ربي في الجنة له طرق لا تحصى (النصر) اخرج احمد عن ابن عباس قال لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيت الي نفسي (الاخلاص) اخرج ابن جرير عن بريدة لأعلمه الا رفعه قال الصمد الذي لا جوف له (الفلق) اخرج ابن جرير عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الفلق جب في جهنم مغطى قال ابن كثير غريب لا يصح رفعه * واخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي عن عائشة قالت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأراني القمر حين طلع وقال تعوذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب * واخرج ابن جرير عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن شر غاسق اذا وقب

قال

فيه بسهمه وأخذ منه بحظه وما دونه من كلامهم فهو أدنى عملا وأقرب مأخذا وأسهل مطلبا ولذلك قالوا فلان خصم فأخرجوه مخرج العيب كما قالوا فلان عي فأوردوه مورد النقيض في القرآن كتاب الله على صدق من حمله ورسالة دلت على الصفة قول المرسل بها * برهان شهد له براهين الأولياء المتقدمين وبينة على طريقة تأسف الأولون حين لم يدركوها إذا كان من جنس القول الذي زعموا أنهم اتركوا فيه النهاية وبلغوا فيه الغاية فعرفوا عجزهم كما عرف قوم عيسى نقصانهم فما قدروا من بلوغ اقصى الممكن في العلاج والوصول الى أعلى مراتب الطب فجاءهم بما عجزهم من إحياء الموتى وابراء الأكمه والابرص وكما أتى موسى بالعصا التي تلقفت ما دفقوا فيه من سحرهم وأتت على ما أجمعوا عليه من امرهم وكما سخر لسليمان من الرياح والطير والجن حين كانوا يولعون بدقائق الحكمة وبدائع من اللطف ثم كانت هذه المعجزة مما يقف عليه الاول والآخر وقوفا واحدا ويرى حكمها الى يوم القيامة أنظر وفقك الله لما هديناك اليه وفكر في الذي دللناك

قال النجم الناسق قال ابن كثير لا يصح رفعه (الناسع) أخرج أبو يعلى عن أنس قال قال رسول الله ﷺ ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس أي سكن وان نسي التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس * فهذا ما حضرني من التفاسير المرفوعة المصرح برفعها صحيحها وحسنها وضعيفها ومرسلها ومعضلها ولم أعول على الموضوعات والاباطيل وقد ورد من المرفوع في التفسير ثلاثة أحاديث طوال تركتها * أحدها الحديث في قصة موسى مع الخضر وفيه تفسير آيات من الكهف وهو في صحيح البخاري وغيره * الثاني حديث الفتون طويل جدا في نصف كراس يتضمن شرح قصة موسى وتفسير آيات كثيرة تتعلق به وقد أخرجه النسائي وغيره لكن نبه الحفاظ منهم المزي وابن كثير على أنه موقوف من كلام ابن عباس وأن المرفوع منه قليل صرح بعزوه الى النبي ﷺ قال ابن كثير وكان ابن عباس تلقاه من الاسرائيليات * الثالث حديث الصور وهو أطول من حديث الفتون يتضمن شرح حال القيامة وتفسير آيات كثيرة من سورتي في ذلك وقد أخرجه ابن جرير والبيهقي في البعث وأبو يعلى ومداره على اسمعيل بن رافع قاضي المدينة * وقد تكلم فيه بسببه وفي بعض سياقه نكارة وقيل انه جمعه من طرق وأماكن متفرقة وساقه سياقا واحدا وقد صرح ابن تيمية فيما تقدم وغيره بأن النبي ﷺ بين لأصحابه تفسير جميع القرآن أو غالبه ويؤيد هذا ما أخرجه أحمد وابن ماجه عن عمر أنه قال من آخر ما نزل آية الربا وان رسول الله ﷺ قبض قبل أن يفسرها دل فحوى الكلام على أنه كان يفسر لهم كل ما نزل وأنه انما لم يفسر هذه الآية لسرعة موته بعد نزولها والا لم يكن للتخصيص بها وجه * وأما ما أخرجه البزار عن عائشة قالت ما كان رسول الله ﷺ يفسر شيئا من القرآن الا آيا بعدد علمه إياهن جبريل فهو حديث منكر كما قاله ابن كثير وأوله ابن جرير وغيره على أنها إشارات الى آيات مشكلات أشكل عليه فسأل الله علمهن فأنزله اليه على لسان جبريل ﴿وقد من الله تعالى باتمام هذا الكتاب﴾ البديع المثال المنيع المنال الفائق بحسن نظامه على عقود اللآل الجامع لفوائد ومحاسن لم تجتمع في كتاب قبله في العصر الخوالي أسست فيه قواعد معينة على فهم الكتاب المنزل وبينت فيه مصاعد يرتقي فيها للاشراف على مقاصده ويتوصل وأركزت فيه مراصد تفتح من كنوزه كل باب مقفل فيه لباب المعقول وعباب المنقول وصوابات كل قول مقبول محضت فيه كتب العلم على تنوعها وأخذت زبدها ودررها ومررت على رياض التفاسير على كثرة عددها واقتطفت ثمرها وزهرها وغصت بحار فنون القرآن فاستخرجت جواهرها ودررها وبقرت عن معادن كنوز فخلصت سبائكها وسبكت فقرها فلهذا تحصل فيه من البدائع ما ثبت عنده الاعناق بتا وتجمع في كل نوع منه ما تفرق في مؤلفات شتى على أني لا أبيعه بشرط البراءة من كل عيب ولا أدعي أنه جمع سلامة كيف والبشر محل النقص بلا ريب هذا وانى في زمان ملأ الله قلوب أهله من الحسد وغلب عليهم اللؤم حتى جرى منهم مجرى الدم من الجسد

واذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

قوم غلب عليهم الجهل وطمعهم وأعماهم حب الرياسة وأصمهم قد نكبوا عن علم الشريعة ونسوه وأكبوا على علم الفلاسفة وتدارسوه ويدا لانسان منهم أن يتقدم ويأبى الله إلا أن يزيده تأخيرا ويغني العز ولا علم عنده فلم يجد له وليا ولا نصيرا

أتمسي الكوافل تحت غير لوائنا ... ونحن على أفوالها أمراء

ومع ذلك فلا ترى إلا أتوقا مشمخرة وقلوبا عن الحق مستكبرة وأقوالا تصدر عنهم مفتراة مزورة كلما هديتهم الى الحق كان أصم وأعمى فكأن الله لم يوكل بهم حافظين يضبطون أقوالهم وأعمالهم فالعالم

عليه فالحق منهج واضح والدين ميزان راجح والجهل لا يزيد إلا غما ولا يورث إلا ندما قال الله عز وجل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الالباب وقال وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وقال يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا على حسب ما آتى من الفضل وأعطى من الكمال والعقل تقع الهداية والتبيين فان الأمور تتم بأسبابها وتحصل بآلتها ومن سلبه التوفيق وحرمه الارشاد والتسديد فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاحمد الله على ما رزقك من الفهم ان فهمت وقل رب زدني علما وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وان ارتبت فيما بيناه فازدد في تعلم الصنعة وتقدم في المعرفة فسيقع بك على الطريق الارشد ويقف بك على الوجه الاحمد فانك اذا فعلت ذلك أحطت علما وتيقنت فهما ولا يوسوس اليك الشيطان

بأنه قد كان من هو أعلم منك بالعربية وأرجح منك فى الفصاحة أقوام وأقوام ورجال ورجال فكذبوا وارتابوا لأن القوم لم يذهبوا عن الاعجاز ولكن اختلفت أحوالهم فكانوا بين جاهل وجاحد وبين كافر نعمة وحاسد وبين ذاهب عن طريق الاستدلال بالمعجزات وحائد عن النظر فى الدلالات وناقص فى باب البحث ومختل الآلة فى وجه الفحص ومستهين بأمر الاديان وغاو تحت حيالة الشيطان ومقذوف بخذلان الرحمن وأسباب الخذلان والجهالة كثيرة ودرجات الحرمان مختلفة وهلا جعلت بازاء الكفرة مثل لبيد بن ربيعة العامرى فى حسن اسلامه وكعب بن زهير فى صدق ايمانه وحسان بن ثابت وغيرهم من الشعراء والخطباء الذين أسلموا على أن الصدر الأول مافيهم الا نجم زاهر أو بحر زاخر وقد بينا ان لا اعتصام الا بهداية الله ولا توفيق الا بنعمة الله وذاك فضل الله يؤتيه من يشاء فتأمل ما عرفناك فى كتابنا وفرغ له قلبك واجمع له لبك ثم اعتصم بالله يهدك وتوكل عليه يغنك ويحرك واستوشده يرشدك وهو حسبي وحسبك ونعم الوكيل

بينهم مرجوم تتلاعب به الجهال والصبيان والكامل عندهم مذموم داخل فى كفة النقصان وأيم الله ان هذا لهو الزمان الذى يلزم فيه السكوت والمصير حلسا من أحلاس البيوت وردالعلم الى العمل لولا ماورد فى صحيح الاخبار من علم علما فكتمه ألجمه الله بلجام من نار ولله در القائل

ادأب على جمع الفضائل جاهدا ... وأدم لها تعب القريحة والجسد
واقصد بها وجه الاله ونفع من ... بلغته ممن جد فيها واجتهد
واترك كلام الحاسدين وبغيهم ... هملا فبعد الموت ينقطع الحسد

وأنا أضرع الى الله جل جلاله وعز سلطانه كما من باتمام هذا الكتاب أن يتم النعمة بقبوله وأن يجعلنا من السابقين الاولين من أتباع رسوله وأن لا يخيب أملنا فهو الجواد الذى لا يخيب من أمله ولا يخذل من انقطع عمن سواه وأم له وصلى الله على من لا نبي بعده سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

خاتمة الطبع

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ، وجعله تبصرة لأولى الألباب قرآنا عربيا غير ذى عوج لا شبهة فيه ولا ارتياب ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بأفضل كتاب وعلى آله وأصحابه الذين ألهمهم تفسيره ونزوله بأوضح الأسباب ، ولقنهم الحجة وفصل الخطاب ، صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم المآب .

وبعد : فقد تم بحمد الله وحسن توفيقه طبع كتاب :

الاتقان فى علوم القرآن

لجلال الدين السيوطى

وبهامشه :

إعجاز القرآن

لأبى بكر الباقلانى

مصححا بمعرفة لجنة من العلماء برياسة الشيخ أحمد سعد على

القاهرة فى { ربيع الأول ١٣٧٠ هـ / يناير ١٩٥١ م

﴿ فهرست الجزء الأول من كتاب الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى رحمه الله ﴾

٢ خطبة الكتاب
٦ النوع الأول معرفة المكى والمدنى
١٢ فصل فى تحرير السور المختلف فيها
١٤ فصل فى الدلائل فى بعض السور التى نزلت بمكة
١٨ النوع الثانى فى معرفة الحضرى والسفرى
٢٠ النوع الثالث فى معرفة النهارى والليلى
٢٢ النوع الرابع الصيفى والشتائى
٢٢ النوع الخامس الفراشى والنومى
٢٣ النوع السادس الأرضى والسمائى
٢٣ النوع السابع معرفة أول ما نزل من القرآن
٢٦ النوع الثامن معرفة آخر ما نزل
٢٩ النوع التاسع معرفة سبب النزول
٣٤ النوع العاشر فيما نزل من القرآن على لسان بعض الصحابة
٣٥ النوع الحادى عشر ما تكرر نزوله
٣٦ النوع الثانى عشر ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه
٣٧ النوع الثالث عشر ما نزل مفرقا وما نزل جمعا
٣٧ النوع الرابع عشر ما نزل مشيعا وما نزل مفردا
٣٨ النوع الخامس عشر ما نزل منه على بعض الانبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبى صلى الله عليه وسلم
٣٩ النوع السادس عشر كيفية انزاله وفيه مسائل
٤٤ فصل وقد ذكر العلماء للوحى كيفيات
٥٠ النوع السابع عشر فى معرفة أسمائه وأسماء سوره وتحته فصول وخاتمة
٥٧ النوع الثامن عشر فى جمعه وترتيبه وتحته فصول وخاتمة أيضا
٦٤ النوع التاسع عشر فى عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه
٧٠ فصل فيمن عد كلمات القرآن
٧٠ النوع العشرون فى معرفة حفاظه ورواته وتحته فصل
٧٣ النوع الحادى والعشرون فى معرفة العالى والنازل من أسانيده
٧٥ النوع الثانى والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والعشرون فى معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج
٨٣ النوع الثامن والعشرون فى معرفة الوقف والابتداء
٨٩ فصل فى كيفية الوقف على أواخر الكلم
٩٠ النوع التاسع والعشرون فى بيان الموصول لفظا المفصول معنى
٩١ النوع الثلاثون فى الامالة والفتح وما بينهما
٩٤ النوع الحادى والثلاثون فى الادغام والاظهار والاخفاء والأقلاب
٩٦ النوع الثانى والثلاثون فى المد والقصر
٩٨ النوع الثالث والثلاثون فى تخفيف الهمز وفيه تصانيف
٩٩ النوع الرابع والثلاثون فى كيفية تحمله وفيه أربعة فصول
٩٩ الفصل الأول فى كيفيات القراءة
١٠٠ الفصل الثانى من المهمات تجويد القرآن
١٠٢ الفصل الثالث فى كيفية الأخذ بأفراد القراآت وجمعها وتحته مسائل
١٠٤ النوع الخامس والثلاثون فى آداب تلاوته وتاليه
١١١ الفصل الرابع فى الاقتباس وما جرى مجراه وتحته خاتمة
١١٣ النوع السادس والثلاثون فى معرفة غريبه وتحته فصول
١٣٣ النوع السابع والثلاثون فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز
١٣٥ النوع الثامن والثلاثون فيما وقع بغير لغة العرب
١٤١ النوع التاسع والثلاثون فى معرفة الوجوه والنظائر
١٤٥ النوع الأربعون فى معرفة معانى الأدوات التى يحتاج اليها المفسر
١٧٩ النوع الحادى والأربعون فى معرفة إعرابه
١٨٦ النوع الثانى والأربعون فى قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها

﴿ فهرست الجزء الثانى من كتاب الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى رحمه الله ﴾

صحيفة	
٢	النوع الثالث والأربعون فى المحكم والمتشابه
١٣	النوع الرابع والأربعون فى مقدمه ومؤخره
١٦	النوع الخامس والاربعون فى عامه وخاصه
١٦	فصل العام على ثلاثة أقسام
١٨	النوع السادس والأربعون فى مجمله
٢٠	النوع السابع والأربعون فى ناسخه ومنسوخه
٢٧	النوع الثامن والاربعون فى مشكله وموهم الاختلاف والتناقض
٢٩	فصل قال الزركشى فى البرهان للاختلاف أسباب
٣١	النوع التاسع والأربعون فى مطلقه ومقيده
٣١	النوع الخمسون فى منطوقه ومفهومه
٣٢	النوع الحادى والخمسون فى جميع مخاطباته
٣٦	النوع الثانى والخمسون فى حقيقته ومجازه
٤٠	فصل فى أنواع مختلفة فى عدها
٤٢	النوع الثالث والخمسون فى تشبيهه واستعارته
٤٣	فصل زوج المجاز بالتشبيه فتولد بينهما الاستعارة
٤٧	النوع الرابع والخمسون فى كنايته وتعريضه
٤٨	فصل للناس فى الفرق بين الكناية والتعريض عبارات متقاربة
٤٩	النوع الخامس والخمسون فى الحصر والاختصاص
٥٣	النوع السادس والخمسون فى الايجاز والاطناب
٧٥	النوع السابع والخمسون فى الخبر والانشاء وتحته فصول
٨٣	النوع الثامن والخمسون فى بدائع القرآن
٩٦	النوع التاسع والخمسون فى فواصل الآى

صحيفة	
١٠٥	النوع الستون فى خواتم السور
١٠٧	النوع الحادى والستون فى خواتم السور
١٠٨	النوع الثانى والستون فى مناسبة الآيات وتحته فصول
١١٤	النوع الثالث والستون فى الآيات المشتبهات
١١٦	النوع الرابع والستون فى اعجاز القرآن
١٢٥	النوع الخامس والستون فى العلوم المستنبطة من القرآن
١٣٢	النوع السادس والستون فى أمثال القرآن
١٣٣	النوع السابع والستون فى أقسام القرآن
١٣٥	النوع الثامن والستون فى جدل القرآن
١٣٧	النوع التاسع والستون فيما وقع فى القرآن من الأسماء
١٤٥	النوع السبعون فى المبهمات
١٥١	النوع الحادى والسبعون فى أسماء من نزل فيهم القرآن
١٥١	النوع الثانى والسبعون فى فضائل القرآن وتحته فصول
١٥٦	النوع الثالث والسبعون فى فضل القرآن وفاضله
١٦٠	النوع الرابع والسبعون فى مفردات القرآن
١٦٣	النوع الخامس والسبعون فى خواص القرآن
١٦٦	النوع السادس والسبعون فى مرسوم الخط
١٧٣	النوع السابع والسبعون فى معرفة تفسيره وتأويله وتحته فصول
١٧٥	النوع الثامن والسبعون فى معرفة شروط المفسر وآدابه وتحته فصول أيضاً
١٨٦	النوع التاسع والسبعون فى غرائب التفسير
١٨٧	النوع الثمانون فى طبقات المفسرين

﴿ تمت ﴾